

الْحِجَابُ الْمُسْلِمِي

بشريح حصن المسلم
من أذكار الكتاب والسنة

تأليف

الفقير إلى الله تعالى

سيد محمد بن علي بن وهف المصطفي

٥ - ١

ح سعيد بن علي بن وهف القحطاني، 1435 هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القحطاني ، سعيد بن علي بن وهف

اتحاف المسلم بشرح حصن المسلم من اذكار الكتاب والسنة . / سعيد بن علي
بن وهف القحطاني - الرياض، 1435 هـ

2064 ص 17x24 سم

ردمك 9-1541-01-603-978

1- الأدعية والأذكار 2- الآداب الإسلامية أ. العنوان

1434/1818

ديوي 212.93

رقم الإيداع: 1434/1818

ردمك: 9-1541-01-603-978

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

حقوق الطبع محفوظة

إلا لمن أراد طبعه، وتوزيعه مجاناً، بدون حذف
أو إضافة أو تغيير، فله ذلك وجزاه الله خيراً..
بشرط أن يكتب على الغلاف الخارجي

وقف لله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد.

فهذا شرح موسّع لحصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، شرحت فيه الأحاديث التي ذكرتها في حصن المسلم، وعددها مائتان وسبعة وستون حديثاً، إضافة إلى تسعة أحاديث في فضل الذكر في المقدمة، فكانت مئتين وستة وسبعين حديثاً، وقد كان عملي في هذا الشرح على النحو الآتي:

١- ذكرت متن الحديث في حصن المسلم في أعلى الصفحة، ثم خرّجت الحديث في الحاشية، وذكرت من صححه أو حسنه من أهل العلم إذا لم يكن في صحيح البخاري، أو مسلم، أو فيهما.

٢- كتبت كلمة «الشرح» بين المتن والشرح.

٣- ذكرت لفظ الحديث في الشرح ابتداء من الصحابي إلى نهاية الحديث، وذلك في جميع أحاديث الشرح، ثم ذكرت جميع الروايات للحديث بألفاظها إذا كان فيها زيادات مفيدة، ثم ذكرت تخريج كل رواية باختصار، ومن تكلم عليها من أهل العلم، وأحلت إلى تخريجها في تخريج حديث المتن تخريجاً موسعاً، وقد بلغت هذه الروايات ١٠٨١ حديثاً.

٤- شرحت جميع مفردات هذه الروايات سواء كانت غريبة، أو غير غريبة، وقد نقلت شروحاتها من أمهات شروح كتب السنة، وكتب اللغة، وكتب التفسير المعتمدة عند أهل السنة، مع الإحالة إلى مواضعها في هذه المصادر، ثم إذا جاءت مفردات سبق شرحها، أعدت شرحها باختصار، مع ذكر المراجع، ثم أحلت إلى شرحها السابق الموسّع، واستفدت كثيراً من مؤلفات، وتعليقات،

وتقارير شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله، ومن مؤلفات العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمته الله، ومن بعض شروح حصن المسلم السابقة^(١).

٥- ترجمت للصحابي راوي الحديث في أحاديث الشرح ترجمة مختصرة، ثم إذا ورد اسمه بعد ذلك أحلت إلى مكان ترجمته السابقة.

٦- ذكرت الفوائد المستنبطة من الروايات التي ذكرتها، ونقلت ما ذكره بعض أهل العلم من فوائدها، على حسب توفيق الله عز وجل.

٧- عملت سبعة فهارس علمية: للأحاديث والآثار الواردة في متن حصن المسلم، والأحاديث والآثار الواردة في الشرح، ومفردات الأحاديث، والأعلام المترجم لهم، وقوافي الأشعار، والمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

٨- سميته: «إتحاف المسلم بشرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة». والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا الشرح، وبأصله، وبالشروح الأخرى، وأن يجعله شرحاً مباركاً نافعاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي، وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه، فإنه خير مسؤل، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده، ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه: نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف أبو عبد الرحمن

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

حرر يوم الثلاثاء الموافق ٢ / ٧ / ١٤٣٦ هـ

(١) والذي اطلعت عليه منها أربعة شروح: ١- شرح حصن المسلم، لمجدي بن عبد الوهاب أحمد، بتصحيحي وتعليقي، توزيع مؤسسة الجريسي. ٢- تحفة المسلم شرح حصن المسلم، لهاني الحاج، وأسامة بن عبد الفتاح، توزيع دار إيلاف الدولية بالكويت، وهو مختصر جداً. ٣- شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح. ٤- فتح المنعم في التعليق على حصن المسلم، للسبتي بن العربي، الجزائري، وهو أحسن الشروح المتقدم ذكرها؛ لامتياز به كثرة النقول في شرحه عن الأئمة الأعلام، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، وتلميذه العلامة ابن القيم رحمته الله.

مقدمة حصن المسلم

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. **أَمَّا بَعْدُ؛**

فَهَذَا مُخْتَصَرٌ اخْتَصَرْتُهُ مِنْ كِتَابِي: «الذِّكْرُ والدُّعَاءُ والعِلَاجُ بِالرُّقَى مِنْ
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» اخْتَصَرْتُ فِيهِ قِسْمَ الْأَذْكَارِ؛ لِيَكُونَ خَفِيفَ الْحَمْلِ فِي الْأَسْفَارِ.
وَقَدْ اقْتَصَرْتُ عَلَى مَثْنِ الذِّكْرِ، وَاکْتَفَيْتُ فِي تَخْرِيجِهِ بِذِكْرِ مَضْذَرٍ أَوْ
مَضْذَرَيْنِ مِمَّا وُجِدَ فِي الْأَصْلِ، وَمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ الصَّحَابِيِّ أَوْ زِيَادَةً فِي
التَّخْرِيجِ فَعَلَيْهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْأَصْلِ.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ
الْكَرِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ، أَوْ طَبَعَهُ، أَوْ
كَانَ سَبَبًا فِي نَشْرِهِ؛ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ
بِإِحْسَانٍ، إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

المؤلف

حرر في شهر صفر ١٤٠٩ هـ

فضل الذكر

أولاً: قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾^(١).

الشرح:

- ١ - قال الإمام البغوي رحمه الله: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء^(٢).
- ٢ - وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: عن سعيد بن جبير قال: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي، وفي رواية: برحمتي^(٣).
- ٣ - وقال العلامة الشيخ السعدي رحمه الله: وأفضل الذكر هو ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذي يثمر معرفة الله ومحبة وكثرة ثوابه والذكر هو رأس الشكر؛ فلهذا أمر به خصوصاً ثم من بعده أمر بالشكر عموماً؛ لأن الشكر؛ فيه بقاء للنعمة الموجودة وزيادة في النعم المفقودة، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^{(٤)(٥)}.

* * *

ثانياً: وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٦).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) تفسير البغوي «معالم التنزيل» ص (١٦٦).

(٣) تفسير ابن كثير، ٢ / ٢٥٨.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١ / ٧٨.

(٦) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

الشرح:

١- قال الإمام البغوي رحمته الله: أي بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية^(١).

٢- وقال الإمام ابن كثير رحمته الله: أمر الله عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب^(٢).

٣- وقال العلامة الشيخ السعدي رحمته الله: يأمر تعالى المؤمنين بذكره ذكرًا كثيرًا، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، ومن كل قول فيه قرينة إلى الله، وأقل ذلك أن يلازم الإنسان أورد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس وعند العوارض والأسباب، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل وهو مستريح وكف اللسان عن الكلام القبيح^(٣).

* * *

ثالثًا: وقال عليه السلام: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٤).

الشرح:

١- قال الإمام البغوي رحمته الله: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا^(٥).

٢- وقال الإمام ابن كثير رحمته الله: هيا الله لمن هذه صفاتهم مغفرة منه

(١) تفسير البغوي «معالم التنزيل» ٦/ ٣٦٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٧٢.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص (٩٣٣).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٥) تفسير البغوي، ٦/ ٣٥٢.

لذنوبهم وأجرًا عظيمًا وهو الجنة^(١).

٣- وقال العلامة الشيخ السعدي رحمه الله: فمن وفقه الله لهذه الصفات الجميلة والمناقب الجليلة^(٢)، فقد قام بالدين كله ظاهره وباطنه: بالإسلام والإيمان والإحسان^(٣).

* * *

رابعاً: وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٤).

الشرح:

١- قال الإمام البغوي رحمه الله: أمر الله بذكره في الصدور وبالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة دون رفع الصوت والصياح في الدعاء^(٥).

٢- وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: أي: اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة، وبالقول لا جهراً، وهكذا يستحب أن يكون الذكر^(٦).

٣- وقال العلامة الشيخ السعدي رحمه الله: الذكر لله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بهما وهو أكمل أنواع الذكر، فأمر الله عبده ورسوله محمداً أصلاً وغيره تبعاً، والغدو والآصال هما أول النهار وآخره^(٧)، ولا شك أن العمل بالأذكار المشروعة في

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٦٦.

(٢) الصفات الجميلة التي يعينها الله هو قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص (٩٣٠).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٥) انظر: تفسير البغوي، ٣/ ٢٣١.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير، ٢/ ٣٣٠.

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٢١.

سعادة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١)، قال العلامة السعدي رحمه الله: «أي: حقيق بها، وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره؛ فإنه لا شيء ألد للقلوب، ولا أشهى، ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به، ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله، ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح، وتهليل، وتكبير وغير ذلك، وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن، وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين، المؤيد بالأدلة، والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب؛ فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين، والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه، وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه، فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقه من تعارض الأدلة، وتضاد الأحكام»^(٢).

والبعد عن ذكر الله ﷻ فيه الغفلة، والخسارة في الدنيا والآخرة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَغْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٣) قال العلامة السعدي رحمه الله: «أخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: ﴿وَمَنْ يَغْشُ﴾ أي: يعرض، ويصدُّ ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب، والرغائب، ومن أعرض عنها، وردّها، فقد خاب، وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبداً، وقِيضَ له الرحمن شيطاناً مريداً، يقارنه، ويصاحبه، ويعدّه، ويمنّيه، ويؤزّه إلى المعاصي أژاً»^(٤). ومن تمام عدله أن

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤١٧.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ٧٦٦.

جعل الجزاء من جنس العمل.

وينبغي للعبد المسلم أن يُغنى بالأذكار المشروعة عناية فائقة؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ، وإن كان حزباً لبعض المشايخ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم، وإمام الخلق، وحجة الله على عباده ﷺ»^(١).

مع الحرص على ألا يحدث المسلم إلا بأذكار ثابتة، ويحذر من القول على النبي ﷺ بغير علم لقوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢)، وقوله ﷺ: «من حدث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»^(٣).

١- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ،

مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(٤).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١- عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي

(١) مجموع الفتاوى، ٢٢ / ٥٢٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، برقم ١١٠، ومسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم ٣.

(٣) أخرجه مسلم في الباب الأول من المقدمة: باب وجوب الرواية عن الثقات، وترك الكذابين، والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، وهو في مسند أحمد، ٢ / ٢٣٥، برقم ٩٠٣، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن روى حديثاً وهو يرى أنه كذب، برقم ٢٦٦٢، وابن ماجه، المقدمة، باب من حدث عن رسول الله ﷺ حديثاً، وهو يرى أنه كذب، برقم ٣٩، وصححه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه، ص ٨، برقم ٣٩.

(٤) البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، برقم ٦٤٠٧، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، برقم ٧٧٩.

(٥) هو أبو موسى الأشعري: عبدالله بن قيس بن سليم الأشعري، مشهور باسمه وكنيته معاً، أسلم

لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» وهذا لفظ البخاري^(١).

٢- ولفظ مسلم: عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(٢).

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٣)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا يُتُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «مثل الذي يذكر ربه»: قال العيني: «...وقد يطلق ذكر الله ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه الله تعالى، أو ندب إليه، كقراءة القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم، والتفعل بالصلاة، وقال الرازي رحمته الله: المراد بذكر اللسان: الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب: التفكير في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله تعالى، والذكر بالجوارح: هو أن تصير مستغرقة في الطاعات»^(٥).

بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، فهو ذو الهجرتين، وبقي بالحبشة مع جعفر بن أبي طالب حتى قدم معه زمن خيبر، من علماء الصحابة وفقهائهم، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع معاذ إلى اليمن، وكان حسن الصوت بالقرآن، مات سنة ٥٢ هـ وقيل ٤٤ هـ. انظر: الإصابة لابن حجر، ٣٥٩/٢، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم، ١٧٤٩/٤.

(١) البخاري، برقم ٦٤٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٧٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أبو هريرة: اسمه: عبد الرحمن بن صخر على أرجح الأقوال، الدوسي اليماني رضي الله عنه. سيد الحفاظ والأئبات، حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين بلغوا ثمانمائة نفس، أسلم عام خيبر في السنة السابعة وكان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنه، مناقبه كثيرة جداً. مسنده خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً. مات سنة (٥٧) وله ثمان وسبعون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء، ٥٨٧/٢، ترجمة رقم ١٢٦.

(٤) مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، برقم ٧٨٠.

(٥) عمدة القاري، ٢٣/٢٦.

٢- وقوله: «والذي لا يذكر ربه»: هو الذي ظاهره عاقل وباطنه باطل^(١).

٣- قوله: «مثل الحي والميت»: وجه التشبيه بين الذاكر والحي الاعتداد به، والنفع، والنصرة ونحوها، وبين تارك الذكر والميت التعطيل في الظاهر، والبطلان في الباطن^(٢).

٤- قوله: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه»: قال الإمام الصنعاني رحمته الله: «البيت الذي فيه الذكر كالإنسان الحي، مشرق الباطن بالإيمان، منطلق اللسان بالخير، محبوب قربه، والذي لا ذكر فيه، كالميت جيفة، يُنفر عنها، لا خير عندها، وفيه حث على ذكر الله في البيوت، وقد سلف الأمر بالصلاة فيها، وأنها تنور البيوت، ويحتمل أن المراد: مثل أهل البيت الذين لا يذكرون الله كالأموات، والذين يذكرون كالأحياء؛ فإن الحياة الحقيقية إنما هي بذكر الله الذي به تشرق أنوار القلوب»^(٣).

٥- قوله: «لا تَجْعَلُوا بيوتكم مَقَابِرَ» أي: لا تَجْعَلوها لكم كَالْقُبُورِ، فلا تُصَلُّوا فيها؛ لأنَّ العبد إذا مات، وصار في قَبْرِهِ لم يُصَلَّ، وَيَشْهَدُ له قوله: «اجْعَلُوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تَتَّخِذوها قُبُوراً»^(٤)، وقيل: معناه: لا تَجْعَلوها كَالْمَقَابِرِ التي لا تجوز الصلاة فيها، والأوَّلُ أَوْجَهُ»^(٥).

٦- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «قال العلماء: معنى ذلك لا تتركوا الصلاة فيها، يعني صلوا في بيوتكم، وإنما سمى البيوت في حال عدم

(١) انظر: فتح الباري، ١١ / ٢١٠.

(٢) عمدة القاري، ٢٣ / ٢٧، وانظر: فتح الباري، ١١ / ٢١٠.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٩ / ٥٢٠.

(٤) البخاري، كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر، برقم ٤٣٢، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، برقم ٧٧٧،

(٥) عمدة القاري، ٢٣ / ٢٧، وانظر: فتح الباري، ١١ / ٢١٠.

الصلاة فيها مقابر؛ لأن المقبرة لا تصح الصلاة فيها»^(١).

٧- قوله: «إن الشيطان ينفر»: نفر ينفر، ونفاراً إذا فر، وذهب، ومن يلقي الناس بالغلظة والشدة، فينفرون من الإسلام والدين^(٢)، والشيطان: من الشطن: البعد، أي بُعد عن الخير، أو من الحبل الطويل، كأنه طال في الشر، أو من شاط يشيط إذا هلك، أو من استشاط غضباً إذا احتدّ في غضبه، والتهب، والأول أصح^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قال الإمام النووي رحمته الله: «قوله ﷺ: «مَثُلَ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»: فِيهِ النَّذْبُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْبَيْتِ وَأَنَّهُ لَا يُخْلَى مِنَ الذِّكْرِ، وَفِيهِ جَوَازُ التَّمَثِيلِ، وَفِيهِ أَنَّ طُولَ الْعُمُرِ فِي الطَّاعَةِ فَضِيلَةٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ يَنْتَقِلُ إِلَى خَيْرٍ؛ لِأَنَّ الْحَيَّ يَسْتَلْحَقُ بِهِ، وَيَزِيدُ عَلَيْهِ بِمَا يَفْعَلُهُ مِنَ الطَّاعَاتِ»^(٤).

٢- قال الحافظ ابن حجر: فشبّه النبي ﷺ الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة، وقيل موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضرر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت^(٥).

٣- وقال أيضاً: «وقال ابن التّين: تَأَوَّلَهُ الْبُخَارِيُّ عَلَى كَرَاهَةِ الصَّلَاةِ فِي

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٠١٩.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٩٠ / ٥، مادة (نفر).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٤٧٤، مادة (شطن).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦ / ٦٨.

(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١١ / ٢٣٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٦ / ٤، مادة (قبر).

المقابر، وتأولهُ جماعة على أَنَّهُ إِنَّمَا فِيهِ النَّدْبُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي الْبُيُوتِ؛ إِذِ الْمَوْتَى لَا يُصَلُّونَ، كَأَنَّهُ قَالَ: «لَا تَكُونُوا كَالْمَوْتَى الَّذِينَ لَا يُصَلُّونَ فِي بُيُوتِهِمْ، وَهِيَ الْقُبُورُ»، قَالَ: فَأَمَّا جَوَازُ الصَّلَاةِ فِي الْمَقَابِرِ، أَوِ الْمَنَعِ مِنْهُ فَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ مَا يُؤْخَذُ مِنْهُ ذَلِكَ، قُلْتُ أَيُّ ابْنِ حَجَرٍ: إِنْ أَرَادَ أَنَّهُ لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ بِطَرِيقِ الْمَنْطُوقِ فَمُسَلَّمٌ، وَإِنْ أَرَادَ نَفْيَ ذَلِكَ مُطْلَقًا فَلَا، فَقَدْ قَدَّمْنَا وَجْهَ اسْتِنْبَاطِهِ، وَقَالَ فِي الْتَهَايَةِ تَبَعًا لِلْمَطَالَعِ: إِنْ تَأْوِيلُ الْبُخَارِيِّ مَرْجُوحٌ، وَالْأَوَّلَى قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ إِنْ الْمَيِّتَ لَا يُصَلَّى فِي قَبْرِهِ، وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ اسْتَدَلُّوا بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْمَقْبَرَةَ لَيْسَتْ بِمَوْضِعِ الصَّلَاةِ^(١).

٤- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «فالمقبرة لا تصح فيها صلاة النافلة، ولا الفريضة، ولا سجدة التلاوة، ولا سجدة الشكر، ولا أي شيء من الصلوات إلا صلاة واحدة وهي صلاة الجنازة إذا صلى على الجنازة في المقبرة فلا بأس سواء كان ذلك قبل الدفن أم بعده، لكن بعد الدفن لا يصلى عليها في أوقات النهي يعني مثلاً لو جئت لحضور جنازة بعد صلاة العصر ووجدت أنهم قد دفنوها فلا تصل عليها لأنه يمكنك أن تصلي في وقت آخر غير وقت النهي كالضحى مثلاً وأما إذا جئت وهم لم يدفنوها لكن قد وضعت في الأرض للدفن فلا بأس أن تصلي عليها ولو كان ذلك بعد العصر؛ لأنه في هذه الحال تكون صلاة لها سبب والصلاة التي لها سبب ليس عنها وقت نهى»^(٢).

٥- وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله أيضاً: «وفي هذا الحديث فضل كبير لسورة البقرة، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «إذا قرأت في بيتك سورة

(١) فتح الباري لابن حجر، ١/ ٥٢٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث: ١٠١٩.

البقرة فإن الشيطان يفر منها ولا يقرب البيت والسبب أن في سورة البقرة (آية الكرسي)، ويدل لهذا ما بعد الحديث الذي ذكره المؤلف حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأله: أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: «آية الكرسي»، فضرب النبي ﷺ على صدره، وقال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر»^(١) يعني هنا حيث علم أن أعظم آية في كتاب الله (آية الكرسي)؛ لأن هذه الآية مشتملة على عشر صفات من صفات الله ﷻ»^(٢).

* * *

٢- وَقَالَ ﷺ: «أَلَا أُتَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا بَلَى، قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤- لفظ الترمذي: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه^(٤)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُتَبِّئُكُمْ

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم ٨١٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث: ١٠١٩.

(٣) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا الحسين بن حريث، برقم ٣٣٧٧، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، برقم ٣٧٩٠، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣١٦/٢، وصحيح الترمذي، ١٣٩/٣.

(٤) أبو الدرداء هو: عويمر بن زيد بن عمر، ويقال: عويمر بن عامر الأنصاري الخزرجي أبو الدرداء رضي الله عنه الإمام القدوة قاضي دمشق وسيد القراء فيها. وهو أحد أربعة جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ البخاري، برقم (٥٠٠٤)، وذكر الحافظ في الفتح ٧٤٥/٨ إنما خص أنس راوي الحديث هؤلاء الأربعة دون غيرهم لشدة تعلقه بهم، وإلا فالعدد أكبر من ذلك بكثير، فقد قتل من القراء يوم بئر معونة سبعون،

بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ؟ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ
إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ،
وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى» قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ^(١):
مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ^(٢).

٥- ولفظ ابن ماجه: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ
بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ
إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمَنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا
أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ذَكَرَ اللَّهُ».
وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: «مَا عَمِلَ امْرُؤٌ بِعَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «ألا»: كلمة تنبيه، كأن المتكلم ينبه المخاطب على أمر عظيم
الشان، ظاهر البرهان^(٤).

وقتل يوم اليمامة مثلهم. والمراد بالجمع هو الحفظ. ومن أجمل ما كان يقول: «من أكثر من ذكر
الموت قل فرحه وقل حسده» وقد مات عام اثنين وثلاثين. وقد روى له الجماعة. انظر: سير أعلام
النبلاء، ٢/ ٣٣٥ ترجمة رقم ٦٨.

(١) معاذ بن جبل رضي الله عنه: هو أبو عبد الرحمن الأنصاري المدني، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة وشهد بدرًا
والعقبه والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: «استقرئوا القرآن من
أربعة» البخاري، برقم ٣٧٥٨، وله قدم راسخ في العلم والفهم حتى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «معاذ بن جبل أمام
العلماء يوم القيامة برتوة» المعجم الكبير للطبراني، ٢٠/ ٢٩، برقم ٤٠، ورقم ٤١، وأبو نعيم في الحلية
١/ ٢٢٩، وانظر: صحيح الجامع (٥٨٧٩) للألباني، والرتوة: هي الدرجة والمزلة أو الخطوة، قال فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم الرجل معاذ بن جبل» الترمذي، برقم ٣٧٩٥، وانظر الصحيحة، ٥٣٤، وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم:
«معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه» مات في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ وعمره ثلاث
وثلاثون عامًا انظر الاستيعاب، ٣/ ٢٤٤٥، وأسد الغابة، ٥/ ٤٩٥٣، والإصابة، ٦/ ٨٠٤٣.

(٢) الترمذي، برقم ٣٣٧٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٣٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن ماجه، برقم ٣٧٩٠، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣١٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب للإمام العيني، ص ٥٢.

- ٢- قوله: «أثبتكم»: من النبأ وهو الخبر ومنه النبي ﷺ لأنه مخبر من الله ^(١).
- ٣- قوله: «بخير أعمالكم»: قال الزرقاني رحمه الله: «أَيُّ أَفْضَلِهَا لَكُمْ» ^(٢)؛ لأن لفظة «خير وشر» يستعملان في موضع أفضل للتفضيل على صيغتهما هكذا ^(٣).
- ٤- قوله: «وأزكاها» أي: أظهر من الزكاة وهي الطهارة، قال الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ^(٤) أي: تطهر ^(٥).
- ٥- قوله: «عند مليكمكم»: المليك: من أسماء الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ ^(٦)، وكذلك المالك والملك ^(٧).
- ٦- قوله: «وأرفعها في درجاتكم»: قال الصنعاني رحمه الله: «وأرفعها أي: أكثرها رفعة» ^(٨)، وقال الزرقاني رحمه الله: «درجاتكم: أَيُّ مَنَازِلِكُمْ فِي الْجَنَّةِ» ^(٩).
- ٧- قوله: «وخير لكم من إنفاق الذهب والورق» أي: بذله في سبيل الله ﷻ، والورق: بكسر الراء أي: الفضة، كقوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ...﴾ ^(١٠)، قال البغوي رحمه الله: «وهي الْفِضَّةُ مَضْرُوبَةٌ كَانَتْ أَوْ غَيْرُ مَضْرُوبٍ» ^(١١).
- ٨- قوله: «وخير لكم من أن تلقوا عدوكم»: أي أعداءكم من الكفار ^(١٢)، بجهادهم

(١) العلم الهيب، ص ٥٢.

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ، ٢ / ٣٦.

(٣) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب للإمام العيني، ص ٥٢.

(٤) سورة الأعلى، الآية: ١٤.

(٥) العلم الهيب، ص ٥٢.

(٦) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

(٧) العلم الهيب، ص ٥٢.

(٨) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤ / ٣٨١.

(٩) شرح الزرقاني على الموطأ، ٢ / ٣٦.

(١٠) سورة الكهف، الآية: ١٩.

(١١) تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، ٥ / ١٦٠.

(١٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣ / ١٤٩.

وقتلهم وجهاً لوجه، فاللقاء: الملاقاة، وتوافي الاثنين متقابلين، ولقيته لقوة أي مرة واحدة، ولقاءة، ولقيته لقياً ولقياناً، واللقيّة فعلة من اللقاء، الجمع لُقي^(١).

٩- قوله: «فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» أي: رقابهم، قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «يعني تقتلوههم، ويقتلونكم بسيف أو غيره»^(٢).

١٠- قوله: «قالوا» أي: الصحابة الحاضرون هذا المجلس ﷺ^(٣).

١١- قوله: «بلى» أي: بلى أخبرنا^(٤).

١٢- قوله: «ذكر الله»: قال العلامة الزرقاني رَحِمَهُ اللهُ: «لأن سائر العبادات من الأنفال، وقاتل العدو، وسائل، ووسائل يتقرب بها إلى الله تعالى، والذكر هو المقصود الأسنى، ورأسه لا إله إلا الله، وهي الكلمة العليا، والقطب الذي تدور عليه رحى الإسلام»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

بيان فضل ذكر الله ﷻ وأنه أزكى الأعمال وأرفعها درجة فهو أفضل من إنفاق الذهب والفضة وما دون ذلك من نفائس الأموال في سبيل الله، بل هو أفضل من الجهاد وضرب أعناق أعداء الله، بل أفضل من الشهادة في سبيل الله تعالى؛ لقوله ﷺ: «ويضربوا أعناقكم» وهذا الذكر هو الذي يقوله العبد بلسانه مع مواطأة قلبه عليه وهو الذي يدفعه إلى الاستقامة على الشرع ولا بد فيه من الإخلاص، وأن يكون على طريقة الرسول ﷺ، ومعلوم أن أحاديث أفضل الأعمال مختلفة وقد ذكر أهل العلم في التوفيق بينها وجوهاً منها أن الاختلاف

(١) انظر: مقاييس اللغة، ٥/ ٢٦١، مادة (لقي).

(٢) فيض القدير، ٣/ ١١٥.

(٣) انظر: العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٥٣.

(٤) انظر: العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٥٣.

(٥) شرح الزرقاني على موطأ مالك، ٢/ ٤٠.

إنما يكون على حسب حال المخاطب. والله أعلم^(١).

* * *

٣- وَقَالَ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٣)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِيرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» وهذا لفظ البخاري^(٤).

٧- ولفظ آخر للبخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: رُبَّمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، أَوْ بُوعًا» وَقَالَ مُعْتَمِرٌ: «سَمِعْتُ أَبِي، سَمِعْتُ أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

(١) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة عبد الفتاح، ص ١٨.

(٢) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «وَيُحَدِّثُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ»، برقم ٧٤٠٥، وكتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، برقم ٧٥٣٧ ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، برقم ٢-(٢٦٧٥)، ورقم ٣-(٢٦٧٥)، واللفظ للبخاري.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٤) البخاري، برقم ٧٤٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يَزُويهِ عَنْ رَبِّهِ ﷺ»^(١).

٨- ولفظ مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللَّهُ لَأَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْزُولُ»^(٢).

٩- وفي لفظ لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشَبْرٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعٍ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يقول الله تعالى» أي في الحديث القدسي، قال الطيبي رحمه الله: «هذا الحديث كلام قدسي، والفرق بينه وبين القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل عليه السلام للإعجاز عن الإتيان بسورة من مثله، والحديث القدسي إخبار الله تعالى نبيه ﷺ معناه بإلهام، أو بالمنام، فأخبر النبي ﷺ أمته عن ذلك المعنى بعبارة نفسه، وسائر الأحاديث لم يصفه إلى الله تعالى ولم يروه عنه، كما أضاف وروى القدسي، أقول [القائل هو الطيبي]: فضل القرآن على الحديث القدسي هو أن القدسي نص إلهي في الدرجة الثانية، وإن كان من غير واسطة ملك غالباً؛ لأن المنظور فيه المعنى دون اللفظ، وفي التنزيل اللفظ والمعنى منظوران، فعلم من هذا مرتبة بقية الأحاديث»^(٤).

٢- قوله: «أنا عند ظن عبدي بي» أي قادر على أن أعمل به ما ظن أنني

(١) البخاري، برقم ٧٥٣٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٢- (٢٦٧٥)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ٣- (٢٦٧٥)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٢/ ٤٧٠.

عَامِلٌ بِهِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى تَرْجِيحِ جَانِبِ الرَّجَاءِ عَلَى الْخَوْفِ؛ فَإِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا سَمِعَ ذَلِكَ لَا يَعْدِلُ إِلَى ظَنِّ إِيْقَاعِ الْوَعِيدِ، وَهُوَ جَانِبُ الْخَوْفِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْتَارُهُ لِنَفْسِهِ، بَلْ يَعْدِلُ إِلَى ظَنِّ وَقُوعِ الْوَعْدِ، وَهُوَ جَانِبُ الرَّجَاءِ^(١).

٣- قوله: «وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي» أَي: أَنَّ اللَّهَ مَعَ عَبْدِهِ الَّذِي يَذْكُرُهُ، مَعَهُ بِحِفْظِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَرِعَايَتِهِ لَهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(٢)، وَهَذِهِ الْمَعِيَةُ خَاصَّةٌ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَهِيَ غَيْرُ الْمَعِيَةِ الْعَامَّةِ لِلْخَلْقِ جَمِيعًا، مِثْلُ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَغْلُمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾^(٣) أَي: مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ بِهِمْ وَإِحَاطَتِهِ لَهُمْ.

٤- قوله: «إِن ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي وَإِن ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأٍ خَيْرَ مِنْهُ» قَالَ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ ابْنُ عَثِيمِينَ رحمته الله: يَعْنِي: إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ - إِمَّا أَنْ تَتَنَطَّقَ بِلِسَانِكَ سِرًّا وَلَا يَسْمَعُكَ أَحَدٌ، أَوْ تَذْكُرَ اللَّهَ فِي قَلْبِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَذْكُرُكَ فِي نَفْسِهِ، وَإِذَا ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأٍ، أَي: عِنْدَ جَمَاعَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَذْكُرُكَ فِي مَلَأٍ خَيْرَ مِنْهُمْ، أَي: فِي مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَذْكُرُكَ عَنْدهُمْ، وَيَعْلِي ذِكْرَكَ وَيُثْنِي عَلَيْكَ جَلَّ وَعَلَا، فَإِنَّ خَافَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ الرِّيَاءَ مِنَ الْجَهْرِ فَلَا يَجْهَرُ^(٤).

٥- قوله: «وَإِن تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا» الشَّبْرُ: مَا بَيْنَ أَعْلَى الْإِبْهَامِ وَأَعْلَى الْخِنْصَرِ مُذَكَّرٌ، وَالْجَمْعُ أَشْبَارٌ، وَالشَّبْرُ - بِالْفَتْحِ -: الْمَضْدَرُ، مَضْدَرُ شَبْرٍ الثُّوبَ وَغَيْرُهُ، يَشْبُرُهُ وَيَشْبِرُهُ شَبْرًا: كَالَهُ بِشْبِرِهِ، وَهُوَ مِنَ الشَّبْرِ، كَمَا يُقَالُ بُعْثُهُ

(١) انظر: فتح الباري، ١٣ / ٣٨٥.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٦.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٤) شرح رياض الصالحين، حديث رقم ١٤٣٥.

مِنَ الْبَاعِ، وَهَذَا أَشْبَرُ مِنْ ذَاكَ، أَيْ أَوْسَعُ شَبْرًا^(١)، وَمَعْنَاهُ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِطَاعَتِي تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي^(٢)، وَالتَّوْفِيقِ وَالْإِعَانَةِ، وَإِنْ زَادَ زِدْتُ، فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي، أَتَيْتَهُ هَزْوَلَةً، أَيْ صَبَّيْتُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ، وَسَبَقْتُهُ بِهَا، وَلَمْ أَخْرِجْهُ إِلَى الْمَشْيِ الْكَثِيرِ فِي الْوُضُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ، وَالْمُرَادُ أَنَّ جَزَاءَهُ يَكُونُ تَضْعِيفُهُ عَلَى حَسَبِ تَقَرُّبِهِ^(٣)،

٦- قوله: «وإن تقرب إلي باعاً»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «الباع: هو قَدْرُ مَدِّ الْيَدَيْنِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْبَدَنِ، وَهُوَ هَاهُنَا مَثَلٌ لِقُرْبِ أَلطافِ اللَّهِ مِنَ الْعَبْدِ إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالْإِخْلَاصِ وَالطَّاعَةِ»^(٤).

٧- قوله: «وإن أتاني يمشي أتيتُهُ هزولة»، قال الْجَوْهَرِيُّ: الْهَزْوَلَةُ ضَرْبٌ مِنَ الْعَدْوِ وَهُوَ بَيْنَ الْمَشْيِ وَالْعَدْوِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَزْوَلَةً»، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ سُرْعَةِ إِجَابَةِ اللَّهِ ﷻ، وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْعَبْدِ وَلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ، هَزْوَلُ الرَّجُلِ هَزْوَلَةً: بَيْنَ الْمَشْيِ وَالْعَدْوِ، وَقِيلَ: الْهَزْوَلَةُ فَوْقَ الْمَشْيِ وَدُونَ الْحَبَبِ، وَالْحَبَبُ دُونَ الْعَدْوِ، وَلَكِنْ صِفَاتُ اللَّهِ تَلِيقٌ بِجَلَالِهِ، لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^(٥). قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي أَتَيْتُهُ هَزْوَلَةً، أَيْ صَبَّيْتُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ، وَسَبَقْتُهُ بِهَا، وَلَمْ أَخْرِجْهُ إِلَى الْمَشْيِ الْكَثِيرِ فِي الْوُضُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ، وَالْمُرَادُ أَنَّ جَزَاءَهُ يَكُونُ تَضْعِيفُهُ عَلَى حَسَبِ تَقَرُّبِهِ»^(٦).

(١) لسان العرب، ٤ / ٣٩١، مادة (شبر).

(٢) وانظر: شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٤١٣.

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧ / ٣.

(٤) لسان العرب، ٨ / ٢١، مادة (بوع).

(٥) لسان العرب، ١١ / ٦٩٦، مادة (هرول).

(٦) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧ / ٣.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قال الحافظ ابن حجر: «قال القرطبي: وقيل معنى: «ظن عبدي بي» أي: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العباداة بشروطها تمسكاً بصادق وعده، ويؤيده قوله في الحديث الآخر: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»^(١)، ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر»^(٢).

٢- قوله: «وإن أتاني يمشي أتيت هرولة»: أما الإتيان والمشي فهما من صفات الأفعال، ومثل ذلك صفة الاستواء، وصفة الكتابة، وصفة التجلي، وصفة النزول، وغير ذلك من صفات الأفعال التي نسبتها لله ﷻ على الوجه الذي يليق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وكذا الصفات الذاتية لله ﷻ كصفة اليد، وصفة الوجه، وصفة العين، وغير ذلك من الصفات التي أثبتتها الله لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، والأصل في هذا الباب قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣).

٣- قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «معنى الحديث: من تقرب إلي بطاعتي، تقربت إليه برحمتي، وإن زاد زدت، فإن أتاني يمشي، وأسرع في طاعتي، أتيت هرولة، أي صبيت عليه الرحمة، وسبقته بها، ولم أخوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، وفُراب الأرض - بضم القاف، ويقال بكسرهما، والضم

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله بن معاوية، برقم ٣٤٧٩، وقال: «حديث غريب» والحاكم، ٦٧٠/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٤٥).

(٢) فتح الباري ١٣/ ٤٦٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

أصح وأشهر - ومعناه: ما يقارب ملاءها، والله أعلم»^(١).

٤- قوله: «وإن تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَزْلَةً» قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمته في شرحه لهذا الحديث: «ومن فهم شيئاً من هذه النصوص تشبيهاً، أو حلولاً، أو اتحاداً، فإنما أتى من جهله، وسوء فهمه عن الله ﷻ، وعن رسوله، والله ورسوله بريئان من ذلك كله، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، قال بكر المزني: من مثلك يا ابن آدم، خلّيت بينك وبين المحراب وبين الماء، كلما شئت دخلت على الله ﷻ ليس بينك وبينه ترجمان، ومن وصل إلى استحضار هذا في حال ذكر الله وعبادته، استأنس بالله، واستوحش من خلقه ضرورة، قال ثور بن يزيد: قرأت في بعض الكتب أن عيسى عليه السلام قال: يا معشر الحواريين، كلّموا الله ﷻ كثيراً، وكلّموا الناس قليلاً، قالوا: كيف نكلّم الله كثيراً؟ قال: ادخلوا بمناجاته، اخلوا بدعائه»^(٢).

٤- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ. قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(٣).

(١) شرح رياض الصالحين، ص ٤٧٤، حديث رقم ٤١٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ٣٨.

(٣) الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل الذكر، برقم ٣٣٧٥، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، برقم ٣٧٩٣، وصححه الألباني في: صحيح الترمذي، ١٣٩/٣، وصحيح ابن ماجه، ٣١٧/٢.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رضي الله عنه ^(١)، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ». وهذا لفظ الترمذي ^(٢).

١١- ولفظ ابن ماجه: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَنْبِئْنِي مِنْهَا بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ» ^(٣).

ثانياً: شرح المفردات:

١- قوله: «لا يزال لسانك رطباً» أي: منشغلاً بذكر الله والمعنى: أن اللسان إن لم يكن كذلك صار كالأرض الميتة؛ لأن الذكر به حياته فضلاً عن حياة القلب ^(٤)، وقال المباركفوري رحمته الله: «أَيُّ طَرِيًّا مُشْتَغَلًا قَرِيبَ الْعَهْدِ مِنْهُ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْمُدَاوَمَةِ عَلَى الذِّكْرِ» ^(٥)، وقال الإمام العيني رحمته الله: «يعني: لا تزال رطوبة لسانك مستمرة من الذكر، وإنما قلنا هكذا؛ لأن هذا الفعل من الأفعال التي وضعت للدلالة استمرار خبرها لاسمها، فرطوبة اللسان كناية عن اشتغاله بالذكر، وأن حياته به، فأشار ﷺ أن الذكر يحيي كل موضع يوجد

(١) عبد الله بن بسر المازني، من مازن بن منصور، يكنى أبا بسر، له صحبة، مات بالشام سنة ثمانين، وهو ابن أربع وتسعين، وهو آخر من مات بالشام بحمص من أصحاب رسول الله ﷺ، ويقال: إنه ممن صلى القبلتين. انظر: الاستيعاب، ٣/ ٨٧٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٢٤.

(٢) الترمذي، برقم ٣٣٧٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٣٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن ماجه، برقم ٣٧٩٣، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣١٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) انظر: العلم الهيب، ص ٩٠.

(٥) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٢٢.

فيه، فكأن اللسان ما لم يذكر الله يابس كالأرض اليابسة، فإذا ذكره رطب وحَيٍّ، كالمطر إذا نزل على الأرض اليابسة يحييها بعد موتها، فقوله ﷺ: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»: أبلغ من أن يقال: لا يزال لسانك ذاكراً، يقف عليه من يمعن نظره»^(١).

٢- قوله: «من ذكر الله»، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «والذكر ذكران: ذكر الله بالقلب: وهو الذكر الخفي، وذكر القلب - أيضاً - عند أوامره ونواهيه، وذكر باللسان: كما جاء عن عمر بن الخطاب، فذكره بالقلب، وهو الذكر الخفي، وهو أرفع الأذكار، الفكرة في عظمة الله، وجلاله، وجبروته، وملكوته، وآياته في أرضه وسماواته»^(٢).

٣- قوله: «شرائع الإسلام» أي: أمور الإسلام مثل الصلاة، والزكاة، والصوم، والجهاد، والحج، وغير ذلك من العبادات المالية والبدنية، والكف عن المحظورات، والامتناع عما فيه من العقوبات، والكفارات، ونحو ذلك^(٣).

٤- قوله: «كثرت عليّ» أي: تزاхمت علي، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «ولم يرد بقوله: «كثرت عليّ» أنه يترك ذلك رأساً، ويشغل بغيره فحسب، وإنما أراد أنه بعد أداء ما افترض عليه، يتشبه بما يستغني به عن سائر ما لم يفترض عليه، وعدى (كثرت) بـ(على) تضميناً لمعنى غلبتها إياه، وعجزه عنها»^(٤).

٥- قوله: «أثبتت به» أي: أعلق به، ويثقل به ميزاني، مع يسره عليّ، وأتمسك به^(٥).

(١) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٩٠.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨ / ١٨٩.

(٣) انظر: العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٨٩.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٧٣٩.

(٥) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٨٩.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

فيه بيان لعظيم فضل الذكر على الوجه المبين سابقاً، فرغم أنه عمل يسير جداً إلا أنه يترتب عليه الفضل الكبير عند الله تعالى، وقد قال النبي ﷺ: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»^(١)، ولا يفهم من ذلك أن العبد يقتصر على الذكر، ويضيع ما فرضه الله عليه، وينشغل بذلك عن تعلم ما تصح به عقيدته وعبادته^(٢).

٥- وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ

بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الْم﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا م حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٢- قال مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، يَقُولُ:

- (١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، برقم ٢٦٧٥.
 (٢) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٢١.
 (٣) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، برقم ٢٩١٠، وصححه الألباني: في صحيح الترمذي، ٩/٣، وفي صحيح الجامع الصغير، برقم ٦٤٦٩، وفي المشكاة، برقم ٢١٣٧.
 (٤) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي، كان من السابقين الأولين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرة، من مناقبه التي تطول قول حذيفة: «ما أعرف أحداً أقرب سمناً وهدياً ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد» البخاري، برقم ٣٧٦٢، وكان كثير الدخول على النبي ﷺ بإذن من رسول الله ﷺ البخاري، برقم ٣٧٦٣، وهو صاحب النعل لرسول الله ﷺ حيث كان يلبسه إياها إذا قام، البخاري، برقم ٣٧٦١، فإذا جلس ادخلهما في ذراعه طبقات ابن سعد، ٣ / ١ / ١٠٨، أقسم النبي ﷺ أن ساقيه أثقل في الميزان من أحد مسند أحمد، ٢ / ٢٤٤، برقم ٩٢٠، وكان دقيق الساقين، وقد أخذ من في الرسول ﷺ بضغاً وسبعين سورة، مات ودفن بالمدينة عام ٣٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ١ / ٤٦١، ترجمة رقم ٨٧.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(١).

ثانياً: مفردات الحديث:

١- قوله: «من قرأ حرفاً» واحد حروف التهجي^(٢)، وقال المباركفوري

رحمته الله: «المراد بالحرف حرف البناء المعبر عنه بحرف الهجاء»^(٣).

٢- قوله: «مِنْ كِتَابِ اللَّهِ» أي: الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ^(٤).

٣- قوله: «فله به حسنة»: قال الإمام النووي رحمته الله: «الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا أَنَّهَا: الْعِبَادَةُ،

وَالْعَافِيَةُ، وَفِي الْآخِرَةِ: الْجَنَّةُ، وَالْمَغْفِرَةُ، وَقِيلَ: الْحَسَنَةُ تَعْمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ»^(٥).

٤- قوله: «وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا» أي مُضَاعَفَةٌ بِالْعَشْرِ، وَهُوَ أَقْلُ

التَّضَاعُفِ الْمَوْعُودِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»^(٦) وَاللَّهُ

يُضَاعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ»^(٧).

٥- قوله: «لَا أَقُولُ: «الْم» حَرْفٌ» وَالْحَرْفُ يُطْلَقُ عَلَى حَرْفِ الْهَجَاءِ،

وَالْمَعَانِي، وَالْجُمْلَةُ الْمُفِيدَةُ، وَالْكَلِمَةُ الْمُخْتَلَفُ فِي قِرَاءَتِهَا، وَعَلَى مُطْلَقِ الْكَلِمَةِ»^(٨).

٦- قوله: «ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»: قال الشيخ أحمد

حطية: «كانت عادة العرب: أنهم يطلقون على الكلمة: (حرفاً)، ويطلقون

(١) الترمذي، برقم ٢٩١٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٩/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) القاموس المحيط، ص: ١٠٣٣.

(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧/ ٢١٢.

(٤) تحفة الأحوذى، ٨/ ١٨٢.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ١٤.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٧) تحفة الأحوذى، ٨/ ١٨٢.

(٨) المرجع السابق.

على الجملة والخطبة: (كلمة)، فحتى لا يظن السامع أن النبي ﷺ يقصد أن الكلمة حرف، وضح ذلك وقال: «لا أقول: (الم) حرف»، أي: إنما هذه ثلاثة أحرف، وليست حرفاً واحداً: «ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، وفي هذا الحديث بيان أن لك بكل حرف تقرأه من القرآن عشر حسنات، فقد قال ﷺ فيه: «فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها»، فإذا قرأت بفاتحة الكتاب مثلاً، وقرأت: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فإنك تأخذ حسنات كثيرة، بعدد حروف الكلمة التي تقرأها فضلاً من الله سبحانه»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- فيه بيان لسعة رحمة الله وأنه يضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها كما قال ﷺ: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»^(٢).

٢- والحث على الازدياد من تلاوة القرآن.

٣- وفيه إثبات أن كلام الله بحرف وصوت إلا أنه ﷻ منزّه عن مشابهة المخلوقين «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(٣).



٦- وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةٍ رَحِمٌ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ

(١) شرح رياض الصالحين، لأحمد حطية، ٩٤/٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٣- عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ^(٢) قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُو كُلُّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِنْهُمْ، وَلَا قَطِيعَةٍ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «ونحن في الصُّفَّةِ»: خصه النبي ﷺ في مؤخرة مسجده بالمدينة لفقراء المهاجرين الذين هم أضياف الإسلام، وكانوا ينامون في المسجد؛ إذ لا مأوى لهم غيره، وكان الرسول ﷺ يخصصهم بما يأتيه من الصدقة، ويشركهم فيما يأتيه من الهدية^(٤).

٢- قوله: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ» قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذا الاستفهام إرشاد منه ﷺ

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، برقم ٨٠٣.

(٢) عقبة بن عامر الجهني ﷺ: الإمام المقرئ أبو عامر، وقيل: غير ذلك، كان عالماً فقيهاً شاعراً، كبير الشأن، وقد كان هو البريد إلى عمر ﷺ بفتح دمشق، شهد فتح مصر، وكان والياً على الجند في مصر لمعاوية ﷺ، وكانت وفاته عام ٥٨ هـ. سير أعلام النبلاء، ٢/ ٤٦٧، ترجمة رقم ٩٠.

(٣) مسلم، برقم ٨٠٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) انظر: فتح الباري، ١١/ ٢٨٦.

وتنبيه، ينبههم ﷺ على إلقاء السمع للخطاب»^(١).

٣- قوله: «أن يغدو كل يوم» أي: يذهب مبكرًا في أول النهار، قال القرطبي في في المفهم: «يغدو: يبكّر»^(٢).

٤- قوله: «بطحان أو العقيق» هما من أودية المدينة النبوية، وكانا يعرفان باتساعهما، وإقامة أسواق الإبل فيهما، وقال القرطبي رحمه الله: «واديان بينهما وبين المدينة قريب من ثلاثة أميال، أو نحوها»^(٣).

٥- قوله: «فيأتي منه بناقتين كوماوين» الناقة الكوماء هي: عظمة السنام، وهذا النوع من أنفس النوق عند العرب، قال ابن الأثير رحمه الله: «الكوماء: الناقة العظيمة السنام، وكوماوان: تثنيتهما»^(٤)، وقال القاضي عياض رحمه الله: «الكوماء من الإبل: العظيمة السنام، كأنهم - والله أعلم - شبهوا سنامها لعظمه بالكوم، وهو الموضع المشرف، وهو بمعنى: عظام سمان»^(٥)، وقال الطيبي رحمه الله: «وإنما ضرب المثل بها؛ لأنها من خيار مال العرب»^(٦).

٦- قوله: «في غير إثم» أي: كسرقة أو معصية لله ﷻ، وقال الطيبي رحمه الله: «أي في غير ما يوجب إثمًا، كسرقة، وغصب، سمي موجب الإثم إثمًا مجازًا»^(٧).

٧- قوله: «ولا قطيعة رحم»: قال ابن الأثير رحمه الله: «القطيعة: الهجران والصد، وهي فعيلة، من القطع، ويريد به ترك البر والإحسان إلى الأهل

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠ / ٣٢٧٢.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧ / ٦١.

(٣) المفهم، ١ / ٤٧٥.

(٤) جامع الأصول، ٨ / ٤٩٨.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣ / ١٧٢.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٦٣٤.

(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٦٣٤.

وَالْأَقَارِبِ، وَهِيَ ضِدُّ صِلَةِ الرَّحِمِ»^(١). قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: القطيعة ضدها وهي ترك الإحسان، وعدوا قطع الرحم من الكبائر وضبطوا ذلك بترك ما ألفه من إحسان أو نحوه كمكاتبة ومراسلة ونحوها»^(٢).

٨- قوله: «فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ»، «فَيَعْلَمُ بالتشديد، وفي نسخة صحيحة بالتخفيف، أو يقرأ بالرفع والنصب فيهما ... هذه الكلمة يحتمل أن تكون عرضاً أو نفياً، وفيه أن الفاء مانعة من كونها للعرض، ... ويعلم من التعليم في أكثر نسخ المشكاة، وصحح في جامع الأصول من العلم، وكلمة: (أو) يحتمل الشك والتنويع»^(٣).

٩- قوله: «آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ» يحتمل أن يراد أن الآيتين خَيْرٌ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَمِنْ أَعْدَادِهِمَا مِنَ الْإِبِلِ وَثَلَاثُ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ وَكَذَا أَرْبَعٌ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْآيَاتِ تَفْضُلُ عَلَى أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الثُّوْقِ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ ﷻ أَرَادَ تَرْغِيْبُهُمْ فِي الْبَاقِيَّاتِ، وَتَرْهِيْدُهُمْ عَنِ الْفَائِيَّاتِ، فَذَكَرَهُ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ وَالتَّقْرِيبِ إِلَى فَهْمِ الْعَلِيلِ، وَإِلَّا فَجَمِيعُ الدُّنْيَا أَحَقُّرُ مِنْ أَنْ يُقَابَلَ بِمَعْرِفَةِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ بِثَوَابِهَا مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا^(٤).

١٠- قوله: «خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلَاثِ» «وَالْمَعْنَى أَنَّ الْآيَتَيْنِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ مِنَ الْآيَاتِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ مِنَ الْإِبِلِ»^(٥).

١١- قوله: «مِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ» «وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ مِنَ الْإِبِلِ (مِثْلَ أَعْدَادِهِنَّ) جَمْعُ عَدَدٍ (مِنَ الْإِبِلِ) بَيَانٌ لِلْأَعْدَادِ فَخَمْسُ آيَاتٍ خَيْرٌ مِنْ خَمْسِ إِبِلٍ»^(٦).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٨٢، مادة (قطع).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦ / ٥٨٧.

(٣) مرقاة المفاتيح، ٣ / ٤٨٤.

(٤) انظر: عون المعبود، ٤ / ٢٣١.

(٥) عون المعبود، ٤ / ٢٣١.

(٦) عون المعبود، ٤ / ٢٣١.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- من فوائد الحديث بيان واضح إلى فضل قراءة القرآن وتعلمه.
- ٢- وأن ذلك أفضل من متاع الدنيا الزائل.
- ٣- وفيه إشارة إلى أن قارئ القرآن ذاكر لربه ﷻ لاسيما إذا كان المسلم متدبراً متأملاً لمراد ربه.

٧- وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةً، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجِعًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةً»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٢)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةً، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجِعًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةً»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «من قعد مقعداً» أي: مجلساً، وقال الإمام العيني رحمه الله: «مقعداً: بأن

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله ﷻ، برقم ٤٨٥٦، السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، من جلس مجلساً لم يذكر الله تعالى فيه، وذكر الاختلاف على سعيد بن أبي سعيد في خبر أبي هريرة، برقم ١٠٢٣٧، والطبراني في مسند الشاميين، ٢/٢٧٢، برقم ١٣٢٤، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ٧٤، وفي صحيح الجامع، برقم ٥٦٠٧، وفي صحيح أبي داود، برقم ٤٨٥٦.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٤٨٥٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٤٨٥٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

- يكون ذلك المجلس محتوياً: على فسق، ومعصية، ولم يذكر الله فيه ﷺ^(١).
- ٢- قوله: «لم يذكر الله فيه» ذهب بعض العلماء إلى أنه تجب الصلاة على النبي ﷺ في المجلس مرة واحدة، ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس بل يستحب^(٢).
- ٣- قوله: «كانت عليه من الله ترة» أي: نقص كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالُكُمْ﴾^(٣)، أي: لن ينقصكم ثواب أعمالكم، وكقوله ﷺ: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»^(٤)، وقال ابن الأثير رحمه الله: «ترة: أصل الترة: النقص، ومعناها هاهنا: التبعة، يقال: وترت الرجل ترة على وزن وعدته عدة»^(٥)، وقال الطيبي رحمه الله: «أي: حسرة، والموتر الذي قتل له قتيل، ولم يدرك بدمه، وكذلك وتره حقه، أي نقصه، وكلا الأمرين معقب للحسرة»^(٦).
- ٤- قوله: «من اضطجع مضجعاً لم يذكر الله فيه»: قال ابن منظور رحمه الله: «واضطجع: نام وقيل: استلقى ووضع جنبه بالأرض... والمضاجع: جمع المضجع؛ قال الله ﷻ: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾^(٧)؛ أي: تتجافى عن مضاجعها التي اضطجعت فيها»^(٨).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

الترهيب من الغفلة عن ذكر الله ﷻ، والتي سببها مرض القلب أو موته بالكلية

(١) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٩٤.

(٢) انظر: تحفة الأحوذى، ٣٧٣ / ٩.

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٥.

(٤) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، برقم ٦٢٦.

(٥) جامع الأصول، ٤ / ٤٧٢.

(٦) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٧٣٥.

(٧) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٨) لسان العرب، ٨ / ٢١٩، مادة (ضجع).

عافانا الله من ذلك؛ لأن العبد متى علم أن عمره هو رأس ماله فالواجب عليه أن يستغرقه ما أمكن في التجارة الرباحة مع الله تعالى وحتى لا يأتي إلى الله يوم القيامة بالفلس فتكون الحسرة والندامة يوم لا ينفع الندم كما قال تعالى: ﴿فَنَادُوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(١) أي: وليس الوقت، وقت خلاص مما وقعوا فيه، ولا فرج لما أصابهم، فليُحْذَرْ هؤلاء أن يدوموا على عزتهم، وشقاقهم، فيصيبهم ما أصابهم^(٢).

٨- وقال ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٤)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ» وهذا لفظ الترمذي^(٥).

١٦- ولفظ أحمد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ، وَمَا مَشَى أَحَدٌ مَمْشًى لَمْ

(١) سورة ص، الآية: ٣.

(٢) تفسير السعدي، ص ٧٠٩.

(٣) الترمذي، كتاب الدعوات، باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، برقم ٣٣٨٠، وأحمد، ١٩٣/١٦، برقم ١٠٢٧٧، وقال عنه محققو المسند، ١٩٤/١٦: «حديث صحيح» وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٠/٣، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٧٤، وصحيح الجامع، برقم ٥٦٠٧.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) الترمذي، برقم ٣٣٨٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٠/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تَرَةٌ، وَمَا أَوْى أَحَدٌ إِلَى فِرَاشِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تَرَةٌ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه»: قال ابن رجب الحنبلي رحمته الله: «قال مجاهد: ما جلس قوم مجلساً تفرقوا قبل أن يذكروا الله إلا تفرقوا عن أنتن من ريح الجيفة، وكان مجلسهم يشهد عليهم بغفلتهم»^(٢)، قال المناوي: «يتأكد ذكر الله، والصلاة على رسوله عند إرادة القيام من المجلس، وتحصل السنة في الذكر، والصلاة بأي لفظ كان، لكن الأكمل في الذكر: سبحانك اللهم، وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وفي الصلاة على النبي ﷺ»^(٣).

٢- قوله: «ولم يصلوا على نبيهم»: قال السخاوي رحمته الله: «قولنا: اللهم صل على محمد: صلاة منا عليه لنا، لا نملك إيصال ما يعظم به أمره، ويعلو به قدره إليه، إنما ذلك بيد الله تعالى، فصَحَّ أن صلاتنا عليه الدعاء بذلك، وابتغاؤه من الله جل ثناؤه»^(٤)، ومعنى دعائنا بالصلاة على النبي ﷺ: سؤالنا الله تعالى أن يشني عليه في الملاء الأعلى.

٣- قوله: «كانت عليه من الله ترة»: قال الطيبي رحمته الله: «أي: حسرة، والموتر الذي قتل له قتيل، ولم يدرك بدمه»^(٥)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «كان

(١) أحمد، ٣٥٧ / ١٥، برقم ٩٥٨٣، وصحيح ابن حبان، ١٣٣ / ٣، برقم ٨٥٣، وصححه محققو المسند وابن حبان، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ١٣٥.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥ / ٥٥٩.

(٤) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي، ص ٢٢.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٧٣٥، وتقدمت في شرح المفردة رقم ٥

عليهم من الله ترة يعني: قطيعة وخسارة»^(١).

٤- قوله: «فإن شاء عذبهم» أي: على عدم ذكرهم لربهم، والصلاة على نبيهم، والانشغال بما لا طائل من ورائه، قال القاري: «فإن شاء عذبهم، أي بذنوبهم السابقة، وتقصيراتهم اللاحقة، وقال الطيبي رحمه الله دل على أن المراد بالثرة التبعة، قال الطيبي: قوله: فإن شاء عذبهم من باب التشديد، والتغليظ، ويحتمل أن يصدر من أهل المجلس ما يوجب من حصائد ألسنتهم»^(٢). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إِنَّ أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ، إِذَا مَاتُوا إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، ثُمَّ غَفَرَ لَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَعْذِيبٍ»^(٣).

٥- قوله: «وإن شاء غفر لهم» أي: تفضلاً منه ورحمة بهم، قال المباركفوري: «وَفِيهِ إِيْمَاءٌ بِأَنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ لَمْ يُعَذِّبْهُمْ حَتَّىٰ بَلَّ يَغْفِرُ لَهُمْ جَزْماً»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث^(٥):

١- فيه بيان لقدرة الله تعالى، وأنه يفعل ما يشاء وأنه تعالى إذا عذب خلقه بذنوبهم أو رحمهم برحمته فلا راد لفضله ولا معقب لحكمه، قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٦) أما غيره فيسأل عن فعله وعمله لأنه عاجز وجاهل ومربوب.

من مفردات حديث متن المقدمة، رقم ٧ في فضل الذكر.

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات

حديث متن المقدمة، رقم ٧ في فضل الذكر.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٧ / ٨.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٧٥ / ٦.

(٤) تحفة الأحوذى، ٢٢٨ / ٩.

(٥) انظر: فوائد الحديث السابق، رقم ٧ من أحاديث متن المقدمة.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

٢- قال الطيبي رحمه الله: «المثل يراد به الكلام الذي يجري بين الناس في المجالس من الأمور الدنيوية، والهفوات، والسقطات، فإذا لم تجر باسم الله تعالى يكون كجيفة يعافها الناس»^(١).

٣- وفيه كذلك التحذير من الغفلة عن الصلاة على النبي ﷺ. قال العلامة الصنعاني: «والحديث دليل على وجوب الذكر، والصلاة على النبي ﷺ في المجلس، سيما مع تفسير الترة بالنار، أو العذاب، فقد فسرت بهما؛ فإن التعذيب لا يكون إلا لترك واجب، أو فعل محظور، وظاهره أن الواجب هو الذكر، والصلاة عليه ﷺ معاً، وقد عدت مواضع الصلاة عليه ﷺ، فبلغت ستة وأربعين موضعاً»^(٢).

٤- قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «ويتحقق ذكر الله ﷻ في المجالس بصور عديدة، فمثلاً: إذا تحدث أحد الأشخاص في المجلس عن آية من آيات الله ﷻ؛ فإن هذا من ذكر الله، مثل أن يقول: نحن في هذه الأيام في دفء كائنا في الربيع، وهذا من آيات الله؛ لأننا في الشتاء، وفي أشد ما يكون من أيام الشتاء برداً، ومع ذلك فكائنا في الصيف، فهذا من آيات الله، ويقول مثلاً: لو اجتمع الخلق على أن يذفتوا هذا الجو في هذه الأيام التي جرت العادة أن تكون باردة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وما أشبه ذلك، أو مثلاً يذكر حالة من أحوال النبي عليه الصلاة والسلام مثل أن يقول: كان النبي عليه الصلاة والسلام أخشى الناس لله، وأتقاهم لله، فيذكره عليه الصلاة والسلام، ثم يصلي عليه، والحاضرون يكونون إذا استمعوا إليه مثله في الآجر، هكذا يكون ذكر الله ﷻ، والصلاة على رسول الله ﷺ، وإن شاء الله من

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٧٣٦.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام، ٣/ ٣٤٤، وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله: جميع المواطن التي يصلى على النبي ﷺ فيها في كتابه: «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام» وسيأتي لذلك مزيد عناية أثناء شرح أحاديث المتن، رقم ٢٢٩، ٢٢٣ إن شاء الله تعالى.

الأصل إذا جلس قال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، وما أشبه ذلك، المهم أن الإنسان العاقل يستطيع أن يعرف كيف يذكر الله، ويصلي على النبي ﷺ في هذا المجلس، ومن ذلك أيضاً: أنه إذا انتهى المجلس، وأراد أن يقوم يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»^(١).

٥- وقال أيضاً: «ينبغي للإنسان ألا يفوت عليه مجلساً، ولا مضطجعاً، إلا يذكر الله، حتى يكون ممن قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾»^(٢).

٦- قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «وفي هذا الحديث دليل على أن المجلس الذي لم يذكر الله تعالى فيه، ولم يصل على رسوله فيه، يكون حسرة يوم القيامة على أهله؛ لما فاتهم من الأجر، والثواب، وإن دخلوا الجنة للثواب على أعمالهم، مع تفضل الله سبحانه عليهم بدخولها؛ فإنه قد فاتهم ما فيه زيادة في الدرجات، وكثرة في المثوبات؛ ولهذا كان عليهم حسرة يوم القيامة، أي بفوات الثواب بترك الذكر والصلاة»^(٣).



٩- وقال ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ»^(٤).

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨٣٧.

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، للإمام الشوكاني، ص ٤٠.

(٥) أبو داود، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، برقم ٤٨٥٥، وأحمد، ٤٠٠/١٦، برقم ١٠٦٨٠، وصححه إسناده محققو المسند، ٤٠٠/١٦، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ٧٧، وفي الكلم الطيب، برقم ٢٢٤، وفي صحيح الجامع، ١٧٦/٥، برقم ٧٧٩٤، وفي صحيح سنن أبي داود، ١٩٢/٣.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ». هذا لفظ أبي داود ^(٢).

١٨- ولفظ أحمد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرٍ، إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «ما من قوم»: قال الفيومي رحمته الله: «الْقَوْمُ: جَمَاعَةُ الرِّجَالِ، لَيْسَ فِيهِمْ امْرَأَةٌ، الْوَاحِدُ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ... وَرُبَّمَا دَخَلَ النِّسَاءُ تَبَعًا؛ لِأَنَّ قَوْمَ كُلِّ نَبِيٍّ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ» ^(٤).

٢- قوله: «يقومون من مجلس»: قال القاري رحمته الله: «أي: ما يقومون قياماً إلا هذا القيام» ^(٥).

٣- قوله: «لا يذكرون الله فيه»: قال المناوي: «فيتأكد ذكر الله، والصلاة على رسوله عند إرادة القيام من المجلس، وتحصل السنة في الذكر، والصلاة بأي لفظ كان» ^(٦).

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) أبو داود، برقم ٤٨٥٥، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ٧٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أحمد، برقم ١٠٦٨٠، وصححه محققو المسند، ١٦/ ٤٠٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٥٢٠، مادة (قوم).

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٧.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٥٥٩، وتقدم في شرح المفردة الثانية من مفردات حديث

متن المقدمة في فضل الذكر، رقم ٨.

٤- قوله: «قاموا»: أي: من مجلسهم الذي كانوا فيه، قال الطيبي رحمته الله: «وضمن قاموا معنى التجاوز، فعدى بـ«عن»، والمثل يراد به الكلام الذي يجري بين الناس في المجالس من الأمور الدنيوية، والهفوات، والسقطات»^(١).

٥- قوله: «جيفة حمار»: أي: في القذارة والتانة؛ لأن الجيفة هي الميت إذا أنتن، وتكون أقذر وأبلغ في البشاعة إذا كانت لجثة حمار، قال ابن الأثير: «يقال: جَافَتْ المَيْتَةُ، واجْتَأَفَتْ، والجِيفَةُ: جُثَّةُ الميت إذا أَنتَنَ»^(٢)، وقال المناوي: «أي مثلها في النتن والقذارة والبشاعة؛ لما صدر منهم من رديء الكلام ومذمومه شرعاً، إذ المجلس الخالي من ذكر الله إنما يعمر بما ذكر، ونحوه ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾»^(٣) فحيث لم يختموه بما يكفر لغطه قاموا عن ذلك»^(٤).

٦- قوله: «وكان لهم حسرة»: أي ندامة لازمة لهم؛ لأجل ما فرطوا في مجلسهم ذلك من ذكر الله تعالى»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- التخويف من مجالس الغفلة والتي يكثر فيها اللغظ والخوض في أعراض الناس بالغيبة والنميمة، وهذه المجالس مما عمت به البلوى في هذا الزمان إلا من رحم الله، فعلى العاقل أن يغتتم أنفاسه فيما ينفعه يوم العرض الأكبر على الله تعالى، وليعلم أن الليل والنهار مطيتان فيجب عليه أن يحسن بهما سيره إلى الله تعالى، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٧٣٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٢٥، مادة (جيف).

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٢.

(٤) فيض القدير، ٥/ ٦٣٠.

(٥) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ١٣/ ١٣٨.

فضل مجالس الذكر، وحلقات العلم، ثبت في ذلك أحاديث كثيرة، منها الأحاديث الآتية:

١٩- الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتُكُمْ»، قَالَ: «فَيَحْفُوفُهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» قَالَ: «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ» قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» ^(٢).

٢٠- الحديث الثاني: لفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(٣)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضُلًا يَسْبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، برقم ٦٤٠٨، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر، برقم ٢٦٨٩.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ ﷻ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مَنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جِئْتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جِئْتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جِئْتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَزْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فَلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(١).

٢١- الحديث الثالث: عَنِ الْأَعْرَبِيِّ أَبِي مُسْلِمٍ^(٢)، أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ^(٣)، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ^(٤) هُنِيئَةً أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ»^(٥)، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٦).

(١) مسلم، برقم ٢٦٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الأعرابي بن يسار المزني ﷺ، ويقال: الجهني، له صحبة، وهو من المهاجرين، روى عنه أهل البصرة، وقد روى عنه عبد الله بن عمر، ومعاوية بن قرة المزني ﷺ، وقد أخرج له مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي. انظر: الاستيعاب، ١/ ١٠٢، والإصابة ١/ ٥٥.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٤) أبو سعيد الخدري ﷺ، الإمام المجاهد مفتي المدينة سعد بن مالك بن سنان الخدري، هو وأبوه صحابيان، واستشهد أبوه يوم أحد، وكان سعد بن مالك أحد الفقهاء المجتهدين، حدث عن النبي ﷺ فأكثر وأطال، وبلغ مسنده ألفاً ومائة وسبعين حديثاً، وحدث عن أبي بكر وعمر وطائفة، وتوفي ﷺ عام ٧٤ هـ. سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ١٦٨، ترجمة رقم (٢٨).

(٥) قال القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٦٩: «والسكينة: مأخوذة من السكون، وهو الوقار والطمأنينة، وهي ها هنا اسم للملائكة؛ كما فسرهما في الرواية الأخرى، وسماه بذلك لشدة وقارهم وسكونهم».

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم، ٦/ ٨٢: «فقال النبي ﷺ: (تلك السكينة نزلت للقرآن)،

٢٢- الحديث الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُزْبَةً مِنْ كُزْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُزْبَةً مِنْ كُزْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» (٣).

٢٣- الحديث الخامس: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه (٤)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ

في الرواية الأخيرة: (تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم)، قد قيل في معنى السكينة هنا أشياء، المختار منها: أنها شيء من مخلوقات الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة، ومعه الملائكة، والله أعلم، وفي هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة الملائكة، وفيه فضيلة القراءة، وأنها سبب نزول الرحمة، وحضور الملائكة، وفيه فضيلة استماع القرآن لقوله ﷺ: (اقرأ فلان)، وفي الرواية الأخرى: (اقرأ) ثلاث مرات معناه: كان ينبغي أن تستمر على القرآن، وتغتني ما حصل لك من نزول السكينة، والملائكة، وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها. قاله النووي تعليقا على حديث البراء رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَاطِئَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَذُنُّ، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنْزَلُ لِلْقُرْآنِ» رواه مسلم، برقم ٧٩٥.

وأما قول النبي ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاتموا، فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة» مسلم، برقم ٦٠٢ فيه النذب الأكيد إلى إتيان الصلاة بسكينة ووقار، والنهي عن إتيانها سعيًا، سواء فيه صلاة الجمعة وغيرها، سواء خاف فوت تكبيرة الإحرام أم لا. شرح النووي على صحيح مسلم، ٩٨/٥.

وأما قول النبي ﷺ: «السكينة السكينة» مرتين متصوباً مسلم، برقم ١٢١٨، أي: الزموا السكينة، وهي الرفق والطمأنينة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨٦/٨.

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، برقم ٢٧٠٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، برقم ٢٦٩٩.

(٤) أنس بن مالك رضي الله عنه: الإمام، المفتي، المحدث، أبو حمزة الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ وآخر الصحابة موتاً بالمدينة، شهد بدرًا مع النبي ﷺ وهو غلام يخدمه، دعا له رسول الله ﷺ بقوله: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه» مسلم، كتاب المساجد، باب جواز الجماعة في النافلة، برقم ١٤٩٩، فكان نخله يحمل في السنة مرتين، ورزقه الله من صلبه

اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ^(١).

٢٤- الحديث السادس: عَنْ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ فِيهِ، فَيَقُومُونَ حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ قُومُوا، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ»^(٣).

٢٥- الحديث السابع: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ^(٤)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ^(٥)، فَارْتَعُوا^(٦)» قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ»^(٧).

-
- مائة وستة نفس، أمه هي أم سليم الصحابية المشهورة، مسنده ألفان ومئتان وستة وثمانون حديث، توفي عام ٩٣ هـ وقد جاوز المائة بثلاث وقيل: بسبع سنين. سير أعلام النبلاء، ٣٩٥/٢، ترجمة رقم (٦٢).
- (١) أخرجه أحمد، ٤٣٧/١٩، برقم ١٢٤٥٣، وأبو يعلى، ١٦٧/٧، برقم ٤١٤١، وشعب الإيمان للبيهقي، ٤٠١/١، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٢٣٥/٧، برقم ٢٦٧٧، وحسنه، وصححه لغيره محققو المسند، ٤٣٧/١٩، وصححه لغيره أيضاً الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٩٨/٢، برقم ١٥٠٤.
- (٢) في شعب الإيمان للبيهقي، وبعض نسخ الطبراني ذكر أنه سهل بن الحنظلية، وبعضها: الحنظلة، والذي في صحيح الترغيب، ونسخ أخرى للمعجم الكبير: سهل، وهذا ما ذكره الحافظ في التقريب عند ذكره في الرجال، وقال في ترجمته: سهل بن الحنظلية، صحابي، أنصاري أوسي، والحنظلية أمه، أو من أمهاته. انظر: تقريب التهذيب، ١٨١/٢.
- (٣) المعجم الكبير، للطبراني، ٦/٢١٢، برقم ٦٠٣٩، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٩٩/٢، برقم ١٥٠٦.
- (٤) تقدمت ترجمته في الحديث ٢٣ من أحاديث الشرح.
- (٥) الرياض: جمع مفردة: روضة، والروضة: الموضع المغجّب بالزهور. انظر: المصباح المنير، ٢٤٥/١، مادة (روض).
- (٦) قال الإمام ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤٧٢/٢، مادة (رتع): «ومنه الحديث: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا» أراد برياض الجنة: ذكر الله، وشبه الخوض فيه بالرتع في الخضب... يطوف به ويدور حوله... حتى يشبّعوا في المَرْتَع».
- (٧) أخرجه أحمد (٩٨/١٩)، برقم ١٢٥٢٣، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا إبراهيم بن يعقوب، برقم ٣٥١٠، وأبو يعلى، ١٥٥/٦، برقم ٣٤٣٢، والبيهقي في شعب الإيمان، ٣٩٨/١، والطبراني في الدعاء، ٥٢٨/١، برقم ١٨٩٠، وأبو نعيم في الحلية، ٢٦٨/٦، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ١٠٠/٢، برقم ١٥١١. وفي رواية في المعجم الكبير للطبراني، ٩٥/١١، برقم ١٥٨، عن ابن عباس بلفظ: «مجالس العلم» وهي ضعيفة.

٢- ذكر العلامة ابن القيم رحمته الله في كتابه «مدارج السالكين»^(١): أن الذكر ورد في القرآن الكريم على عشرة أوجه ودل على ذلك فقال ما ملخصه:
الأول: الأمر به مطلقاً ومقيداً. كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٢).

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان، كقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٣).
الثالث: تعليق الفلاح بكثرته واستدامته، كقوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤).
الرابع: الثناء على أهله والجزاء على ذلك. كقوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٥).

الخامس: الإخبار عن خسران من لها عنه غيره، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٦).
السادس: أن الله جعل ذكره لهم جزاءً لذكرهم له. قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾^(٧).

السابع: الإخبار أن ذكر الله أكبر من كل شيء. كقوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٨).

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها قال الله تعالى في شأن

(١) ٢ / ٤٢٤ وما بعدها.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٦) سورة المنافقون، الآية: ٩.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٨) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

الصيام: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).
وفي شأن الحج قال جل ذكره: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْ أَنْسِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ
كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾^(٢).

وفي شأن الصلاة قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾^(٣).
وفي شأن صلاة الجمعة قال ﷺ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤).

التاسع: الإخبار عن أهله أنهم أهل الانتفاع بآياته. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ
يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٥).

العاشر: أن ذكر الله هو قرين الأعمال الصالحة وروحها فمتى عدمته كانت كالجسد بلا
روح. قال تعالى في شأن الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٦)، وفي الجهاد قال تعالى: ﴿يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٧).

فوائد الذكر وثمراته، ومنافعه في الدين والدنيا والآخرة:

للذكر فوائد، وثمرات، ومنافع، ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله منها ثلاثاً
وسبعين فائدة، وملخصها على النحو الآتي:

-
- (١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
 - (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.
 - (٣) سورة النساء، الآية: ١٠٣.
 - (٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
 - (٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠ - ١٩١.
 - (٦) سورة طه، الآية: ١٤.
 - (٧) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

- ١- يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.
- ٢- يرضي الرحمن ﷻ.
- ٣- يزيل الهم والغم عن القلب.
- ٤- يجلب للقلب: الفرح، والسرور، والبسط.
- ٥- يقوّي القلب والبدن.
- ٦- ينوّر الوجه والقلب.
- ٧- يجلب الرزق.
- ٨- يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.
- ٩- يورث محبة الله للعبد التي هي روح الإسلام وقطب رحي الدين.
- ١٠- يجلب مراقبة العبد لربه حتى يدخله في باب الإحسان.
- ١١- يورث الإنابة، وهي: الرجوع إلى الله ﷻ، فيبقى الله ﷻ مفرّعه وملجأه.
- ١٢- يورث قرب الذاكر من ربه، فعلى قدر ذكره لله ﷻ يكون قرب منه.
- ١٣- يفتح الله به للذاكر باباً عظيماً من أبواب المعرفة.
- ١٤- يورث الهيبة لربه ﷻ وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله ﷻ.
- ١٥- يورث ذكر الله تعالى للذاكر، ولو لم يكن فيه إلا هذه لكفى بها فضلاً وشرفاً.
- ١٦- يجلب حياة القلب، وهو مثل الماء للسّمك.
- ١٧- الذكر قوت القلب والروح، فإذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.
- ١٨- يورث جلاء القلب من صدئه، وصدأ القلب هو: الغفلة، والذنب.
- ١٩- يحط الخطايا ويذهبها؛ فإنه من أعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات.
- ٢٠- يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه ﷻ، فالغفلة وحشة تزول بالذكر.
- ٢١- الذكر يُذكر به صاحبه حول العرش.
- ٢٢- إذا تعرّف العبد إلى الله بذكره في الرخاء عرفه الله في الشدة.

- ٢٣- ينجي من عذاب الله تعالى، فما عمل آدمي عملاً أنجي من عذاب الله ﷻ من ذكر الله.
- ٢٤- يسبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر.
- ٢٥- يشغل اللسان عن: الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل.
- ٢٦- مجالس الذكر: مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة: مجالس الشياطين.
- ٢٧- يسعد الذاكر بذكره، ويسعد به جلسيه، وهذا هو المبارك أين ما كان.
- ٢٨- يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة، فإن كل مجلس لا يذكر الله فيه يكون حسرة على صاحبه.
- ٢٩- الذكر مع البكاء في الخلوة سبب لإزالة الله العبد في ظله يوم الحر الأكبر.
- ٣٠- الاشتغال بالذكر سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين.
- ٣١- الذكر أيسر العبادات، وهو من أفضلها؛ فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح.
- ٣٢- الذكر غراس الجنة، فالجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وغراسها الذكر.
- ٣٣- العطاء والفضل الذي رتب على الذكر لم يرتب على غيره من الأعمال.
- ٣٤- دوام ذكر الرب يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد.
- ٣٥- الذكر يُسّر العبد وهو قاعد في فراشه وفي حال صحته وسقمه وفي حال نعيمه ولذته.
- ٣٦- الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده.
- ٣٧- الذكر رأس الأمور فمن فُتِحَ له فيه فقد فُتِحَ له باب الدخول على الله ﷻ.
- ٣٨- في القلب خلة وفاق لا يسدها شيء البتة إلا ذكر الله ﷻ.
- ٣٩- الذكر يجمع المتفرق، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه، وإرادته وهمومه.
- ٤٠- الذكر يبتّ القلب من نومه، ويوقظه من سته، والقلب إذا كان نائماً فاتته الأرباح.
- ٤١- الذكر شجرة تثمر المعارف، والأحوال التي شمر إليها السالكون.
- ٤٢- الذاكر قريب من الله، والله معه، وهذه المعية معية خاصة بالقرب، والمحبة، والنصرة.
- ٤٣- الذكر يعدل: عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله ﷻ.
- ٤٤- الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره.

- ٤٥- أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطباً بذكره.
- ٤٦- في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.
- ٤٧- الذكر شفاء القلب، ودواؤه، والغفلة مرضه.
- ٤٨- الذكر أصل موالاة الله ﷻ، ورأسها، والغفلة أصل معاداته، ورأسها.
- ٤٩- ما استجلبت نعم الله ﷻ واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله تعالى.
- ٥٠- الذكر يوجب صلاة الله ﷻ، وملائكته على الذاكر.
- ٥١- من أراد أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليجلس في مجالس الذكر.
- ٥٢- مجالس الذكر: مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه.
- ٥٣- إن الله ﷻ يباهي بالذاكرين ملائكته.
- ٥٤- مدمن الذكر يدخل الجنة...
- ٥٥- جميع الأعمال إنما شرعت لإقامة لذكر الله تعالى.
- ٥٦- أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً لله ﷻ...
- ٥٧- إدامة الذكر تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها؛ سواء كانت بدنية أو مالية.
- ٥٨- ذكر الله ﷻ من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها إلى العبد، ويلذذها له.
- ٥٩- ذكر الله ﷻ يسهل الصعب، ويسير العسير، ويخفف المشاق.
- ٦٠- ذكر الله ﷻ يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن.
- ٦١- الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يطق فعله بدونه.
- ٦٢- عمال الآخرة كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم.
- ٦٣- الذكر سبب لتصديق الرب ﷻ عبده؛ فإنه أخبر عن الله بأوصاف كماله.
- ٦٤- دور الجنة تبني بالذكر.
- ٦٥- الذكر سد بين العبد وبين جهنم.
- ٦٦- الملائكة تستغفر للذاكر.

٦٧- الجبال، والقفار تتباهى، وتستبشر بمن يذكر الله ﷻ عليها.

٦٨- كثرة ذكر الله ﷻ أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله ﷻ.

٦٩- للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء.

٧٠- الذكر يكسو الوجه نُصرةً في الدنيا، ونوراً في الآخرة.

٧١- في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والباق تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة.

٧٢- في الاشتغال بالذكر اشتغال عن الكلام الباطل من الغيبة، واللغو.

٧٣- الذكر يطرد الشياطين عن العبد^(١)، فعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إني رأيت البارحة عَجَباً رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اخْتَوَشَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَجَاءَهُ وَضُوءُهُ فَاسْتَقْدَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ بَسَطَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَاسْتَقْدَتْهُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ اخْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ، فَجَاءَهُ ذِكْرُ اللَّهِ فَخَلَّصَهُ مِنْهُمْ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ عَطْشًا، فَجَاءَهُ صِيَامُ رَمَضَانَ، فَسَقَاهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ شِمَالِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ، فَجَاءَتْهُ حَجَّتُهُ وَعُمْرَتُهُ، فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَجَاءَهُ بَرُّهُ لَوَالِدَيْهِ، فَرَدَّهُ عَنْهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَكْلُمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكْلُمُونَ، فَجَاءَتْهُ صَلَةُ الرَّحِمِ، فَقَالَتْ: إِنْ هَذَا كَانَ وَاصِلًا لِرَحِمِهِ، فَكَلَّمَهُمْ وَكَلَّمُوهُ، وَصَارَ مَعَهُمْ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي النَّيِّينَ، وَهُمْ حَلَقٌ كُلُّمَا مَرَّ عَلَى حَلَقَةٍ طُرِدَ، فَجَاءَهُ اغْتِسَالُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِي، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي وَهَجَ النَّارِ بِيَدَيْهِ عَنْ وَجْهِهِ، فَجَاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فَصَارَتْ ظِلًّا عَلَى رَأْسِهِ، وَسِتْرًا عَنْ وَجْهِهِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَاءَتْهُ زَانِيَةٌ الْعَذَابِ، فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاسْتَقْدَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا

(١) انظر: الوابل الصيب، للإمام ابن القيم رحمته الله، ص ٨٤ - ١٦٩.

مِنْ أُمَّتِي هَوَى فِي النَّارِ، فَجَاءَتْهُ دُمُوعُهُ اللَّاتِي بِكَى بِهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنَ النَّارِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ هَوَتْ صَحِيفَتُهُ إِلَى شِمَالِهِ، فَجَاءَهُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَجَعَلَهَا فِي يَمِينِهِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ خَفَّ مِيزَانُهُ، فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ فَتَقَلَّلُوا مِيزَانَهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَجَاءَهُ وَجَلُّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَاسْتَقْدَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْعَدُ كَمَا تَزْعَدُ السَّعْفَةُ، فَجَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَسَكَنَ رِغْدَتَهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ مَرَّةً، وَيَخْبُو مَرَّةً، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ عَلَيَّ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَأَقَامَتْهُ عَلَى الصِّرَاطِ حَتَّى جَازَ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إِلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَغُلِقَتْ الْأَبْوَابُ دُونَهُ، فَجَاءَتْهُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ»^(١).

فالذكر له فوائد، وثمرات، ومنافع لا تحصى، ومما يدل على ذلك إضافة إلى ما تقدم من الآيات والأحاديث: حديث الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَكَادَ أَنْ يُطْغَى، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ تَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أَبْلِغَهُنَّ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي،

(١) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال، ص ٨٤، برقم ٣٩، وذكره الحكيم الترمذي في نواحر الأصول، ٣/ ١٥١، وابن عساكر في تاريخ دمشق، ٣٤/ ٤٠٥، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، ٧/ ١٨٠، والألباني في ضعيف الجامع الصغير، برقم ٢٠٨٤. واستشهد به الإمام ابن القيم في عدة مواضع من كتبه، فقال في الوابل الصيب، طبعة المؤيد، تحقيق بشير عيون، ص ١٦٩: «رواه الحافظ أبو موسى المدني في كتاب الترغيب في الخصال المنجية، والترهيب من الخلال المردية، وبنى كتابه عليه، وجعله شرحاً له، وقال: هذا حديث حسن جداً، رواه عن سعيد بن المسيب عمرو بن آزر، وعلي بن زيد بن جدعان، وهلال أبو جبلة، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شأن هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه» وقال ابن القيم في كتابه الروح، ص ٨٣: «وسمعت شيخ الإسلام يعظم أمر هذا الحديث وقال: أصول السنة تشهد له، وهو من أحسن الأحاديث» وأيد ذلك العلامة العيني في عمدة القاري، ١١/ ١٨٠، وقال الإمام الصنعاني رحمه الله في التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٢٣١: «قال ابن القيم: كان شيخنا -يعني ابن تيمية- يعظم أمر هذا الحديث، ويفخم شأنه، ويعجب به، ويقول: أصول السنة تشهد له، وروى كلام النبوة يلوح عليه، وهو من أحسن الأحاديث، وقال القرطبي: هو حديث عظيم ذكر فيه أعمال خاصة».

إِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ، أَوْ يُخَسَّفَ بِي، قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّىٰ امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، وَقَعَدَ عَلَى الشَّرَفِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمُرَّكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ:

أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَىٰ عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بَوْرَقٍ، أَوْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَىٰ غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيَّكُمْ يَسْرُهُ، أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَأَمَرَّكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا. وَأَمَرَّكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ ضُرَّةٌ مِنْ مِسْكِ فِي عِصَابَةٍ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنْ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. وَأَمَرَّكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَىٰ عُقْبِهِ، وَقَرَّبُوهُ لِيَضْرِبُوا عُقْبَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ، فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ، وَالكَثِيرِ، حَتَّىٰ فَكَ نَفْسَهُ.

وَأَمَرَّكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَىٰ حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَخَصَّنَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَمُرُّكُمْ بِخَمْسٍ، اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهَجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُقْبِهِ، إِلَىٰ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِمَا سَمَّاهُمْ اللَّهُ: الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ»^(١).

(١) مسند أحمد، ٢٩ / ٣٣٥، برقم ١٧٨٠٠، والترمذي، كتاب الأمثال، باب ما جاء مثل الصلاة والصيام والصدقة، برقم ٢٨٦٧، و٢٨٦٨، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه إسناده محققو المسند، ٢٩ / ٣٣٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١ / ١٣٢، برقم ٥٥٢، واستشهد به ابن القيم في كتابه: الوابل الصيب، ص ٨٣.

١- أذكار الاستيقاظ من النوم

١- (١) «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٦- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، وَإِذَا قَامَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»، وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ^(٣).

٢٧- وَفِي لَفْظٍ آخَرَ لِلْبُخَارِيِّ: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(٤).

٢٨- وَلَفْظُ الْحَدِيثِ عِنْدَ مُسْلِمٍ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه^(٥)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ» وَإِذَا

(١) البخاري كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، برقم ٦٣١٢، وباب وضع اليد اليمنى تحت الخد اليمنى، برقم ٦٣١٤.

(٢) حذيفة بن اليمان، هو وأبوه صحابيَان رضي الله عنهما، واسم اليمان: حسيل، ويقال: حسيل، وقد قُتِلَ اليمان غلظاً يوم أحد على أيدي الصحابة رضي الله عنهم وحذيفة هو صاحب سر رسول الله ﷺ، لأن النبي ﷺ كان يُسر له بأسماء المنافقين ويأمر الفتن التي أطلعها الله عليها، وقد ندبه النبي ﷺ ليلة الأحزاب ليجس له خبر العدو. ولي إمارة المدائن لعمر رضي الله عنه فبقى عليها إلى ما بعد مقتل عثمان، وتوفي بها بعد مقتل عثمان بأربعين ليلة سنة ستة وثلاثين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٢/ ٣٦١، ترجمة رقم ٧٦.

(٣) البخاري، برقم ٦٣١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، برقم ٦٣١٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) البراء بن عازب رضي الله عنه: أبو عمارة الأنصاري، هو وأبوه صحابيَان رضي الله عنهما، وهو من أعيان الصحابة رضي الله عنهم، غزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، ومسنده ثلاثمائة، وخمسة أحاديث، توفي سنة اثنتين. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٩٤، ترجمة رقم ٣٩.

اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الحمد لله»: هو الشاء على الله بصفات الكمال ونعوت الجلال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل. قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: ... فهو جلّ وعلا محمود في ابتداء الخلق، وانتهاء الخلق، واستمرار الخلق، ومحمود على ما أنزل على عبده من الشرائع، محمود على كل حال؛ ولهذا كان النبي ﷺ يحمد الله على كل حال، وما يقوله بعض الناس اليوم الحمد لله الذي لا يحمد على مكروهه سواء فهو خطأ غلط؛ لأنك إذا قلت: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروهه سواء، فهو عنوان على أنك كاره لما قدره عليك، وقد حمد الله نفسه، وأمر بحمده، فأمرنا أن نحمده جل وعلا، بل جعل حمدنا إياه من أركان الصلاة، لا تتم الصلاة إلا به، فحمد الله تعالى واجب على كل إنسان، وكذلك الشكر: الشكر على إنعامه، كم أنعم عليك من نعمة عقل، وسلامة بدن، ولو لم يكن من نعمته عليك إلا هذا النَّفْس الذي لو منعته لفقدت الحياة، مع أنه يخرج بدون أي كلفة، وبدون أن تتعب له، وانظر الذين ابتلوا بضيق النفس، كيف يتكلفون عند إدخال النفس، ونعمه لا تحصى أبداً: العقل، والأولاد، والمال، والدين كل هذه نعم عظيمة، يستحق جل وعلا أن يشكر عليها، والشكر قال أهل العلم: هو القيام بطاعة المنعم، ولا سيما جنس هذه النعمة، فإذا أنعم الله عليك بمال، فليكن عليك أثر هذا المال في لباسك في بيتك، في مركوبك، في صدقاتك، في نفقاتك، ليرى أثر نعمة الله عليك في هذا المال، في العلم إذا أنعم الله عليك بعلم، فيرى عليك أثر هذا العلم، من نشره بين الناس: تعليمه الناس، والدعوة إلى الله ﷻ، وغير ذلك، فالشكر يكون من جنس النعمة التي أنعم الله بها عليك

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم ٢٧١١.

أو بأعم، إذا فمن عصى الله فإنه لم يقم بشكر نعمة الله، كافر بنعمة الله والعياذ بالله، فالعاصي لم يقم بشكر نعمة الله ﷻ، وينقص من شكره بقدر ما أتى من المعصية، حتى لو قال الإنسان بلسانه أشكر الله، الشكر لله وهو يعصي الله! فإنه لم يصدق فيما قال، فالشكر القيام بطاعة المنعم، والشكر له فائدتان عظيمتان: منها الاعتراف بالله تعالى في حقه، وفضله، وإحسانه، ومنها أنه سبب لمزيد النعمة، كلما شكرت زادت نعم الله عليك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١)، إذا شكر الإنسان زاده الله، وإذا كفر عرض نفسه لعذاب الله، وعذاب الله تعالى شديد، وشكر الله تعالى على النعم التي أنعمها، وسهل الوصول إليها، فوصلت إلينا من غير حول ولا قوة منّا، هذه الطيبات التي نأكلها، لو شاء الله تعالى لم نقدر عليها، إما لعسر فينا، وإما لفقد لهذه النعم، فالمهم علينا أن نشكر نعمة الله، ويكون الشكر من جنس النعمة، فنبدل من العلم والمال بحسب ما أعطانا الله ﷻ^(٢).

٢- قوله: «الذي أحياناً» أي: قدر لنا أن نستيقظ بعد الموتة الصغرى وهي: النوم، وقال الصنعاني رحمه الله: «أيقظنا بعد نومنا، وردّ أرواحنا بعد قبضها؛ فإن النوم هو الموت الأصغر»^(٣).

٣- قوله: «بعد ما أماتنا»: سمي النوم موتاً لاشتراكهما في انقطاع تعلق الروح بالبدن، وقال الطيبي رحمه الله: «سمي النوم موتاً؛ لأنه يزول معه العقل والحركة، تمثيلاً وتشبيهاً، وقيل: الموت في كلام العرب يطلق علي السكون، يقال: ماتت الريح إذا سكنت، ويستعمل في زوال القوة العاقلة»^(٤)، وقال القاضي عياض رحمه الله: «يريد بالموت هنا: النوم. وأصل الموت في كلام العرب: السكون، فبه ﷻ

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، بعد شرح الحديث ١٣٩٢ في بدء شرح كتاب الحمد والشكر.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣١٤.

(٤) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٣.

بإعادة اليقظة بعد النوم على إثبات البعث بعد الموت»^(١).

٤- قوله: «وإليه النشور»: إعادة الأرواح إلى الأجساد للعرض والحساب. ونشر الميِّت يُنشر نُشوراً: إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله: أي أحياه، وأرض المنشَر: أي موضع النشور، وما أنشر اللحم وأثبت العظم، أي: شدّه وقوّاه من الإنشَار: الإحياء^(٢)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فتحمد الله الذي أحياك بعد الموت، وتذكر أن النشور يعني من القبور، والإخراج من القبور يكون إلى الله ﷻ، فتذكر ببعثك من موتك الصغرى، ببعثك من موتك الكبرى، وتقول: الحمد لله الذي أحيانا بعد إذ أماتنا، وإليه النشور... وهذا يزيدك إيماناً بالبعث، والإيمان بالبعث أمر مهم، لولا أن الإنسان يؤمن بأنه سوف يبعث ويجازى على عمله ما عمل؛ ولهذا نجد كثيراً أن الله يقرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به ﷻ»^(٣).

٥- قوله: «إذا أوى إلى فراشه»: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «إذا أوى إلى فراشه: أي: دَخَلَ فِيهِ»^(٤).

٦- قوله: «اللهم»: «قَالَ الْخَلِيل، وسيبويه، وَجَمِيعُ النَّحْوِيِّينَ الْمُؤَثَّقُونَ بِعِلْمِهِمْ: اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، وَإِنَّ الْمِيمَ الْمُشَدَّدَةَ عَوَضَ مِنْ يَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا يَا مَعَ هَذِهِ الْمِيمِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَوَجَدُوا اسْمَ اللَّهِ مُسْتَعْمَلًا بِيَا، إِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ، فَعَلِمُوا أَنَّ الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَوَّلِهَا، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ، وَالْمِيمُ مَفْتُوحَةٌ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الْمِيمِ قَبْلَهَا؛ قَالَ الْفَرَّاءُ: وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ إِذَا طَرَحَ الْمِيمَ: يَا اللَّهُ اغْفِرْ لِي، بِهَمْزَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: يَا اللَّهُ بِغَيْرِ هَمْزٍ، فَمَنْ حَذَفَ الْهَمْزَةَ فَهُوَ عَلَى السَّبِيلِ،

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢١٢ / ٨.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٢٨ / ٥، مادة (نشر).

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٤٦.

(٤) فتح الباري، ١١٣ / ١١.

لأنها ألف ولَامٌ مِثْلُ لَامِ الْحَرْثِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَأَشْبَاهِهِ، وَمَنْ هَمَزَهَا تَوَهَّمِ الْهَمْزَةُ مِنَ الْحَرْفِ إِذْ كَانَتْ لَا تَسْقُطُ مِنْهُ الْهَمْزَةُ»^(١)، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «لا خلاف أن لفظة: (اللهم) معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني، واختلف النحاة في الميم المشددة من آخر الاسم، فقال سيويو: زيدت عوضاً من حرف النداء؛ ولذلك لا يجوز عنده الجمع بينهما في اختيار الكلام، فلا يقال يا اللهم إلا فيما ندر... ويُسمَّى ما كان من هذا الضرب عوضاً إذ هو في غير محل المحذوف، فإن كان في محله سمي بدلاً، كالألف في قام وباع، فإنها بدل عن الواو والياء، ولا يجوز عنده أن يوصف هذا الاسم أيضاً، فلا يقال: يا اللهم الرحيم ارحمني، ولا يبدل منه، والضممة التي على الهاء ضمة الاسم المنادى المفرد، وفتحت الميم لسكونها، وسكون الميم التي قبلها، وهذا من خصائص هذا الاسم، كما اختص بالتاء في القَسَمِ، ويدخل حرف النداء عليه مع لام التعريف، ويقطع همزة وصله في النداء، وتفخيم لأمه وجوباً، غير مسبوقه بحرف إطباق، هذا ملخص مذهب الخليل وسيويو.

وقيل الميم عوض عن جملة محذوفة، والتقدير: يا الله أُمَّنَّا بخير، أي اقصدنا، ثم حذف الجار والمجرور، وحذف المفعول فبقي في التقدير: يا الله أمّ، ثم حذفوا الهمزة لكثرة دوران هذا الاسم في الدعاء على ألسنتهم، فبقي: يا اللهم، وهذا قول الفراء، وصاحب هذا القول يجوز دخول (يا) عليه... ورد البصريون هذا بوجه»^(٢)، ثم ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ منها عشرة وجوه، ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: «وقيل: زيدت الميم للتعظيم والتفخيم»، ثم اختار ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أن الميم في «اللهم» تكون علماً

(١) لسان العرب، ١٣ / ٤٧٠، مادة (أله).

(٢) جلاء الأفهام، ص ١٤٤.

على الجمع، فقال ﷺ: «... الميم حرف شفهي، جمع الناطق به شفتيه، فوضعتة العرب عِلْماً على الجمع، فقالوا للواحد: أنت، فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا: أنتم، وقالوا للواحد الغائب: هو، فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا: هم، وكذلك في المتصل، يقولون: ضربت، وضربتم، وإيّاك، وإيّاكم، وإيّاها، وإيّاهاهم...» إلى أن قال ﷺ: «وإذا علم هذا من شأن الميم، فهم ألحقوها في آخر هذا الاسم الذي يُسأل الله سبحانه به في كل حاجة، وكل حال، إيذاناً بجميع أسمائه، وصفاته، فالسائل إذا قال: اللَّهُمَّ إني أسألك، كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنی، والصفات الغلا بأسمائه، وصفاته، فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم، إيذاناً بسؤاله تعالى بأسمائه كلّها، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «ما أصاب عبداً قط هَمٌّ، ولا حُزْنٌ، فقال: اللَّهُمَّ إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عنده، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي وغمي، إلا أذهب الله همه، وعمّه، وأبدله مكانه فرحاً»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتعلّمهن؟ قال: «بلى، ينبغي لمن سمِعهن أن يتعلّمهن»^(١).

فالداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه، وصفاته، كما في الاسم الأعظم: «اللَّهُمَّ إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنان، المَنَّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيّ، يا قيّوم»^(٢).

(١) أخرجه أحمد، برقم ٣٧١٢، وابن حبان، برقم ٢٣٧٢، والحاكم، ٥٠٩ / ١، من حديث ابن مسعود، قال شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط في تحقيقهما لجلاء الأنفهام: «إسناده صحيح».

(٢) أخرجه أبو داود، برقم ١٤٩٥، والنسائي، ٥٢ / ٣، وابن ماجه، برقم ٣٨٥٨، من حديث أنس بن مالك، وصححه ابن حبان، برقم ٢٣٨٢ (موارد)، والحاكم، ٥٠٣ / ١، ٥٠٤، ووافقه الذهبي، وقال شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط: «إسناده صحيح» وقال الألباني في التعليقات الحسان

وهذه الكلمات تَتَضَمَّنُ الأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، كما ذُكِرَ في غير هذا الموضع.
والدعاء ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يسأل الله تعالى بأسمائه، وصفاته، وهذا أحد التأويلين في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١).

والثاني: أن تسأله بحاجتك، وفقرك، وذُلك، فتقول: أنا العبد، الفقير، المسكين، البائس، الذليل، المستجير، ونحو ذلك.

والثالث: أن تسأل حاجتك، ولا تذكر واحداً من الأمرين، فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث؛ فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة، كان أكمل، وهذه عامة أدعية النبي ﷺ^(٢).

٧- قوله: «بِاسْمِكَ أُمُوتَ وَأَحْيَا»: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أي: بِذِكْرِ اسمِكَ أَحْيَا مَا حَيَّيْتَ، وَعَلَيْهِ أُمُوتَ... وقوله: «بِاسْمِكَ أُمُوتَ» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الاسمَ هُوَ الْمُسَمَّى، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٣)، أي: سَبِّحْ رَبَّكَ، وَمَعْنَى آخَرٍ وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى نَفْسَهُ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَمَعَانِيهَا ثَابِتَةٌ لَهُ، فَكُلُّ مَا صَدَرَ فِي الْوُجُودِ فَهُوَ صَادِرٌ عَنِ تِلْكَ الْمُقْتَضِيَّاتِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: بِاسْمِكَ الْمُحْيِي أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ الْمُمِيتِ أُمُوتَ»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- حرص النبي ﷺ على ذكر الله في جميع أحواله، حتى عند النوم واليقظة؛

على صحيح ابن حبان، ٢/ ٢٤٩: «صحيح لغيره»، (صحيح أبي داود) ١٣٤٢، (الصحيحة)، برقم ٣٤١١، دون اسم (الحنان)، وقوله: (يا حي يا قيوم)».

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) جلاء الأفهام، ص ١٥٣.

(٣) سورة الأعلى، الآية: ١.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١١٤.

ولهذا قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»^(١).

٢- استسلام النبي ﷺ لله رب العالمين، وأنه سبحانه الذي بيده كل شيء: الحياة، والموت، وغير ذلك؛ ولهذا قال: «باسمك أموت وأحيا».

٣- النوم من أعظم الآيات الدالة على لطف الله بخلقه.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

٤- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «الحمد لله الذي أحيانا بعد إذ أماتنا، وإليه النشور، وفي هذا دليل على الحكمة العظيمة في هذا النوم الذي جعله الله راحة للبدن عما سبق، وتنشيطاً للبدن فيما يستقبل، وأنه يذكر أيضاً بالحياة الأخرى، تذكر بذلك إذا قمت من قبرك بعد موتك حياً إلى الله ﷻ، وهذا يزيدك إيماناً بالبعث، والإيمان بالبعث أمر مهم لولا أن الإنسان يؤمن بأنه سوف يبعث ويجازى على عمله ما عمل؛ ولهذا نجد كثيراً أن الله يقرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به ﷻ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣)، وآيات كثيرة في هذا، فالمهم أنه ينبغي لك إذا أويت إلى فراشك أن تقول باسمك اللهم أحيا، وأموت، وإذا استيقظت تقول: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور والله الموفق»^(٤).

٥- حاجة الخلق إلى النوم الذي هو صفة نقص دليل على استحقاق أفراد الله بالعبادة فهو حي لا يموت، قَيُّوم لا ينام.

(١) مسلم، كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، برقم ٣٧٣، وأورده البخاري معلقاً في كتاب الحيض، باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت، قبل الحديث رقم ٣٠٥، فقال: «وكان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه».

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٤٦.

٦- النوم يشبه الموت لتوقف الحركة وذهاب التميز فيهما، ولذلك رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ.

٧- الاستيقاظ بعد النوم برهان على قدرة الله ﷻ على الإحياء بعد الموت والفناء.

٨- الأرواح بيد الله وحده فإن شاء أمسكها وإن شاء أرسلها، فله الحكمة البالغة.

٩- جاء ذكر الوفاتين الكبرى ثم الصغرى في سورة الزمر من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١).

وجاء ذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى في سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾^(٢).

٢- (٢) «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، رَبِّ اغْفِرْ لِي»^(٣).

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٠.

(٣) من قال ذلك غُفِرَ له، فإن دعا استجيب له، فإن قام فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته، البخاري، أبواب التهجد، باب فضل من تعاز من الليل فصل، برقم ١١٥٤، وغيره، واللفظ لابن ماجه، أبواب الدعاء، باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل، برقم ٣٨٧٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣٣٥/٢.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٩- عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ^(١)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» وهذا لفظ البخاري ^(٢).

٣٠- ولفظ ابن ماجه: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ حِينَ يَسْتَيْقِظُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، ثُمَّ دَعَا: رَبِّ اغْفِرْ لِي، غُفِرَ لَهُ». قَالَ الْوَلِيدُ: أَوْ قَالَ: «دَعَا اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ قَامَ فتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى، قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» ^(٣).

٣١- عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ ^(٤)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ

(١) عبادة بن الصامت ﷺ: الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري، أحد النقباء ليلة العقبة ومن أعيان البدرين، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو واحد من خمسة من الأنصار جمعوا القرآن في زمن النبي ﷺ، مسنده مائة واحد وثمانين حديثاً. مات بالرملة سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء، ٥ / ٢، ترجمة رقم (١).

(٢) البخاري، برقم ١١٥٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن ماجه، برقم ٣٣٧٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣٣٥ / ٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) معاوية بن أبي سفيان ﷺ، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، كان هو وأبوه وأخوه من مسلمة الفتح، وقد روي عنه أنه قال: أسلمت يوم القضية، ولقيت النبي ﷺ مسلماً، وقيل كان أبوه من المؤلفة قلوبهم، وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ، وولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد سنة تسع عشرة، بعد غزوة قيسارية، وكتب إليه بولايته الشام، فأقام أربع سنين ومات عمر ﷺ، فأقره عثمان عليها اثنتي عشرة سنة إلى أن مات عثمان ﷺ، ثم كانت الفتنة فحارب معاوية علياً خمس سنين، والصواب أربع سنين، وتوفي معاوية ﷺ سنة ستين، وقيل إنه أول من جعل ابنه ولي العهد خليفة بعده في

دَعَا بِهِؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لا إله إلا الله»: لا معبود بحق إلا الله، وقال المناوي في تعليقه على حديث من قال: «لا إله إلا الله»: من مات معتقداً لها، فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئاً^(٢)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله الله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لا بد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ولهذا تجد الذين ينكرون صفات الله ﷻ عندهم نقص عظيم في العبودية؛ لأنهم يعبدون لا شيء، فالرب لا بد أن يكون كامل الصفات، حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٣)، أي: تعبدوا له، وتوسلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»^(٤).

صحته، وهو أول من اتخذ ديوان الخاتم، واتخذ المقاصير في الجوامع، وأول من أقام على رأسه حرساً، وأول من بلغ درجات المنبر خمس عشرة مرقاة، وكان يقول أنا أول الملوك روى عنه من الصحابة طائفة، وجماعة من التابعين بالحجاز والشام والعراق، قال الأوزاعي: أدركت خلافة معاوية جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ لم يتزعوا يداً من طاعة، ولا فارقوا جماعة، وكان زيد بن ثابت يأخذ العطاء من معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. انظر: الاستيعاب، ٣/ ١٤١٦، الإصابة، ٦/ ١٥١.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ١٩/ ٣٦١، برقم ٨٤٩، وفي المعجم الأوسط، ٨/ ٢٧٩، برقم ٨٦٣٤، وذكره في (مجمع البحرين)، ٨/ ١٩، برقم ٤٦٣٨، والطبراني أيضاً في الدعاء، برقم ١٢٥، وحسن إسناده المنذري في الرغيب والترهيب، برقم ٢٥٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٥٦-١٥٧: «وإسناده حسن» وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، برقم ١٠٢١.

(٢) فيض القدير، ١/ ١٣٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠.

٢- قوله: «وحده لا شريك له»: تأكيد للوحدانية، وأنه المتفرد بالخلق، والرزق، والتدبير، والمستحق للعبادة وحده لا شريك له، قال المناوي رحمته الله: «وحده: نصب على الحال، أي لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، وأما الأول: فلأن وجود إلهين محال، كما تقرر في الأصول، وأما الثاني: فلقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(١)، وذلك يقتضي أن لا شريك له، وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»^(٢).

٣- قوله: «لَهُ الْمُلْكُ»: في جميع العوالم العلوية منها، والسفلية، ويملك كل شيء، وقال الباجي رحمته الله: «تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ، وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»^(٣).

٤- قوله: «وله الحمد» أي: في الأولى والآخرة؛ لأنه الحميد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»^(٤).

٥- قوله: «وهو على كل شيء قدير» أي: يفعل ما يريد من غير ممانع، ولا معارض، قال ابن جرير: «وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذر عليه شيء أراده، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من الأمور»^(٥)، وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «يسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخر ما يشاء تأخيرها، فأزمنة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠.

(٣) المتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧.

(٤) بدائع الفوائد، ٢/ ٥٣٧.

(٥) تفسير الطبري، ٢٣ / ١٦٥.

الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»^(١).

٦- قوله: «سبحان الله» أي: تنزهه وتقديسه عن كل عيب ونقص، فهو صاحب الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»^(٢).

٧- قوله: «الحمد لله»: على نعمه التي لا تعد، ولا تحصى، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «التَّحْمِيدُ: الثَّناء بِجَمِيلِ الْفِعَالِ، وَالتَّمْجِيدُ الثَّناء بِصِفَاتِ الْجَلَالِ، وَيُقَالُ: أَثْنَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ»^(٣)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: ... فهو جَلَّ وعلا محمود في ابتداء الخلق، وانتهاء الخلق، واستمرار الخلق، ومحمود على ما أنزل على عبده من الشرائع، محمود على كل حال^(٤)، وقال أيضاً: «إذا فنعم الله عظيمة كثيرة، لا تعدُّ، ولا تحصى؛ لذلك يجب علينا أن نحمد الله تعالى، وأن نشكره على نعمه التي أسبغها علينا»^(٥)، وهو يحمد ﷻ، على أسمائه، وصفاته، وأفعاله^(٦).

٨- قوله: «والله أكبر» أي: أكبر ممن سواه تعظيماً، وإجلالاً، ومحبة، وثناء، ورغبة، ورهبة. قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «معناه الله الكبير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»^(٧).

٩- قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بالله» أي: لا حيلة لأحد في جلب نفع

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠.

(٣) شرح النووي على مسلم، ٤/ ١٠٤.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، بعد شرح الحديث ١٣٩٢، وبدء شرح كتاب الحمد والشكر، وتقدم في شرح حديث المتن السابق، برقم ١ في المتن، المفردة رقم ١، بتوسّع فانظره هناك.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث ١٣٩٦.

(٦) انظر: عدة الصابرين، للإمام ابن قيم الجوزية، ص ١٢٤.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٥٢، مادة (كبر).

أو دفع ضرر إلا بإرادته وتوفيقه، وإحسانه، وكرمه، وجوده، وقال العلامة ابن رجب رحمته: «لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة، وهي كثر من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا، وعند الموت، وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه»^(١).

١٠- قوله: «العلي» أي: أنه عز وجل عالٍ على جميع خلقه، بائن منهم، رقيب عليهم فله علو: الذات، وعلو الصفات، وعلو القدر، وقال البغوي رحمته: «الْعَلِيُّ: الرَّفِيعُ فَوْقَ خَلْقِهِ»^(٢).

١١- قوله: «العظيم»: الذي اتصف بجميع معاني الجلال والكمال، والعظمة، وقال البغوي رحمته: «الْعَظِيمُ: الْكَبِيرُ الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْهُ»^(٣).

١٢- قوله: «رب اغفر لي»: أي استرني بمحو ذنوبي مع التجاوز عن المؤاخذه ومناقشة الحساب، قال ابن منظور: «الْعَفْوُ الْعَفَّارُ، جَلَّ ثَنَاهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ، يُقَالُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً، وَغَفْرًا، وَغُفْرَانًا، وَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَفْوُ الْعَفَّارُ، يَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ، وَأَصْلُ الْعَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّرُّ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا ... وَقَدْ غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا ... وَالْعَفْرُ، وَالْمَغْفِرَةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَالْعَفْوُ عَنْهَا»^(٤).

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ١٩٢.

(٢) تفسير البغوي، ١ / ٣٤٩.

(٣) تفسير البغوي، ١ / ٣٤٩.

(٤) لسان العرب، ٥ / ٢٥، مادة (غفر).

١٣- قوله: «تعار من الليل»: تقلب على فراشه مع كلام، وقيل: استيقظ من نومه، وقال ابن الأثير: «تعار: الرجل من نومه: إذا انتبه وله صوت»^(١)، وقال القاضي عياض: «قوله: «كان إذا تعار من الليل»: مشدد الراء، قيل: استيقظ، وقيل: تكلم، وقيل: تمطى وأن، وقيل: انتبه، وفي البارع: التعار: هو السهر، والتقلب في الفراش، قال الحربي: ولا يكون إلا ومعه كلام، أو دعاء، قال غيره: أو صوت، يقال: تعار في نومه، يتعار تعاراً، وجعله بعضهم من عرار الظلم؛ لأنه يشبه صوت القائم من النوم، وقال بعضهم: معناه: تمطى بصوت، وهو أبين وأشبه بالمعنى، والتفسير، والعادة»^(٢).

١٤- قوله: «ثم دعا»: قال القرطبي في المفهم رحمته: «أي: إظهاراً للعجز والافتقار، وعلماً منه: بأن الله هو الكاشف للكرب، والأضرار، وقياماً بعبادة الدعاء عند الاضطرار»^(٣).

١٥- قوله: «غفر له»: قال ابن علان رحمته: «أي: الصغائر المتعلقة بحق الله بالعفو عنها، وعدم المؤاخذه بها»^(٤).

١٦- قوله: «فإن قام فتوضاً ثم صلى قبلت صلاته»: قال الحافظ ابن حجر رحمته: «(وَعَدَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ أَنْ مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ لِهَجَا لِسَانَهُ بِتَوَحُّيدِ رَبِّهِ، وَالِإِذْعَانِ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالاعْتِرَافِ بِنِعْمَةِ يَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيُزَرِّهُهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ تَسْبِيحِهِ، وَالْخُضُوعِ لَهُ بِالتَّكْبِيرِ، وَالتَّسْلِيمِ لَهُ بِالْعِزِّ عَنِ الْقُدْرَةِ إِلَّا بِعَوْنِهِ، أَنَّهُ إِذَا دَعَا أَجَابَهُ، وَإِذَا صَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ، فَيَنْبَغِي لِمَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيثُ أَنْ يَغْتَنِمَ الْعَمَلَ بِهِ وَيُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِرَبِّهِ ﷻ)»^(٥).

(١) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤ / ٢٧٠.

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض بن موسى، ٢ / ٧٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٨ / ٥٩.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٧ / ١٠.

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٣ / ٤١.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث :

١- من اجتهد في ذكر ربه حال اليقظة وفقه الله لذكره في جميع الأحوال، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَعْجَزَ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ، وَأَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ» ^(٢)، ولفظ عبد الله بن مغفل رضي الله عنه ^(٣) مرفوعاً: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ فِي الدُّعَاءِ، وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخَلَ بِالسَّلَامِ» ^(٤).

٢- الإشارة إلى أهمية التوحيد الذي هو دعوة جميع الرسل.

٣- الإرشاد إلى الاستعانة بالله وحده وتفويض الأمر إليه في قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بالله».

٤- الحث على الاجتهاد في الطاعة وإسراع المسير إلى الله وذلك يتحقق إذا قام المسلم للصلاة والدعاء بعد قوله هذا الذكر.

٥- قال أبو عبد الله الفربري الراوي عن البخاري ^(٥): أجريت هذا الذكر على لساني عند انتباهي، ثم نمت فأتاني آت - أي: في المنام فقراً: ﴿وَهْدُوا إِلَيَّ

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء مرفوعاً، ٢ / ٨١١، برقم ٦٠، وأبو يعلى موقوفاً، برقم ٦٦٤٩، وابن حبان موقوفاً، برقم ٤٤٩٨، وعبد الغني المقدسي في الترغيب في الدعاء مرفوعاً، برقم ٢٠، وصححه الألباني مرفوعاً في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١ / ١٥٢، برقم ٦٠١.

(٣) عبد الله بن مغفل - بضم الميم، وفتح الغين المعجمة، والفاء المشددة، الصحابي رضي الله عنه، أبو سعيد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وغيره، من أهل بيعة الرضوان، سكن المدينة، ثم تحول إلى البصرة، وكان أحد البكائين، وأحد العشرة الذين بعثهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى البصرة يفتقون الناس، روى عنه جماعات من التابعين، وتوفي بالبصرة سنة ستين، وقيل: سنة تسع وخمسين. انظر: الاستيعاب، ٣ / ٦٩٦، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١ / ٤١٢، وسير أعلام النبلاء، ٢ / ٤٨٣، ترجمة رقم ٩٩.

(٤) أخرجه الطبراني في الدعاء، ٢ / ٨١١، برقم ٦١، وقال محقق الدعاء للطبراني محمد بن سعيد البخاري: «إسناده حسن...» قلت: هذا شاهد لحديث أبي هريرة السابق.

(٥) فتح الباري، ٣ / ٤٩.

الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ^(١).

٦- قال ابن بطال: وعد الله على لسان نبيه أن من استيقظ من نومه لهجاً لسانه بالتوحيد، والحمد، والتسبيح، والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه، أنه إذا دعاه أجابه، وإن صلى قبلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتني العمل به ويخلص النية لربه تعالى^(٢).

٧- لو تسوك بعد قول هذا الذكر كان أفضل لقول ابن عمر رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ لا يتعار من الليل إلا أجرى السواك على فيه»^(٣).

* * *

٣- (٣) «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»^(٤).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٥)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فَرَاشِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنْفَةِ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَذْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي، وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ

(١) سورة الحج، الآية: ٢٤.

(٢) انظر: فتح الباري، ٣/ ٤٩.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ١٢/ ٤٣٨، برقم ١٣٥٩٨، وأبو يعلى، ١٠/ ٣٣، برقم ٥٦٦١، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٣/ ٢٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٨٤٢.

(٤) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، برقم ٣٤٠١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٤٤.

(٥) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه، تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَأَرْحَمَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتُهَا فَأَحْفَظُهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الحمد لله»: قال النووي رحمته الله: «التَّحْمِيدُ: الثَّنَاءُ بِجَمِيلِ الْفِعَالِ، وَالتَّمْجِيدُ الثَّنَاءُ بِصِفَاتِ الْجَلَالِ، وَيُقَالُ: أَثْنَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ»^(٢).

٢- قوله: «الذي عافاني في جسدي»: أي: كتب لي العافية من الأوجاع والأسقام، وحفظني في فراشي من لسع حية أو لدغ عقرب أو غيره من المهلكات.

٣- قوله: «ورد علي روعي»: قال المناوي: «رد علي روعي: إحساسي وشعوري، والنوم أخو الموت، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾»^(٣) الآية، ومن ثم قيل النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل»^(٤).

٤- قوله: «أذن لي بذكره»: أي: قدره، ويسره لي فضلاً منه ونعمة، والإذن هو الرخصة والإباحة بالشيء «أَذِنَ بِالْشَيْءِ إِذْنًا، وَأَذْنًا، وَأَذَانَةً، عَلِمَ ... وَأَذَنَهُ الْأَمْرَ، وَأَذَنَهُ بِهِ أَعْلَمَهُ... وَأَذِنَ لَهُ فِي الشَّيْءِ إِذْنًا، أَبَاحَهُ لَهُ، وَاسْتَأْذَنَهُ طَلَبَ مِنْهُ الْإِذْنَ، وَأَذِنَ لَهُ عَلَيْهِ أَخَذَ لَهُ مِنْهُ الْإِذْنَ»^(٥)، وقال العلامة الشوكاني: «رَخَّصَ لَنَا عَنْ أَذِنَ لَا أَنَّهُ أَرَادَ الرُّخْصَةَ الْإِضْطِلَاحِيَّةَ الْحَادِثَةَ بَعْدَ زَمَنِ الصَّحَابَةِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْعِبَارَتَيْنِ (أَذِنَ) وَ (رَخَّصَ) فِي لِسَانِ الصَّحَابَةِ»^(٦).

(١) الترمذي، برقم ٣٤٠١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٤/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) شرح النووي على مسلم، ١٠٤/٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من حديث المتن رقم ٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣٥٩/١.

(٥) لسان العرب، ٩/١٣، مادة (أذن).

(٦) نيل الأوطار، للشوكاني، ١٢/٣.

٥- قوله: «فليَنفُضْهُ»: النَّفْضُ: مَضَرُ نَفَضْتُ الثَّوبَ وَالشَّجَرَ وَغَيْرَهُ، أَنْفَضُهُ نَفْضًا إِذَا حَرَّكَتَهُ لِيَنْتَفِضَ، وَنَفَضْتُهُ شُدِّدَ لِلْمُبَالَغَةِ، وَالنَّفْضُ - بِالْتَّحْرِيكِ - مَا تَسَاقَطَ مِنَ الْوَرَقِ وَالشَّمْرِ، وَهُوَ فَعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، كَالْقَبْضِ بِمَعْنَى الْمُقْبُوضِ، وَالنَّفْضُ: مَا وَقَعَ مِنَ الشَّيْءِ إِذَا نَفَضْتَهُ. وَالنَّفْضُ: أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِكَ شَيْئًا فَتَنْفُضْهُ: تُرْغِزُهُ، وَتُزْتَرِيهِ، وَتَنْفُضُ الثَّرَابَ عَنْهُ^(١).

٦- قوله: «بِصِنْفَةِ إِزَارِهِ»: صِنْفَةُ الْإِزَارِ - بِكسر النون - طَرْفُهُ مِمَّا يَلِي طَرْتَهُ^(٢)، وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: «وَصِنْفَةُ الْإِزَارِ - بِكسرِ النُّونِ - طَرْتُهُ الَّتِي عَلَيْهَا الْهُدْبُ، وَقِيلَ: هِيَ حَاشِيَتُهُ، أَيْهَ كَانَتْ، الْجَوْهَرِيُّ: صِنْفَةُ الْإِزَارِ - بِالْكَسْرِ - طَرْتُهُ، وَهِيَ جَانِبُهُ الَّذِي لَا هُدْبَ لَهُ، وَيُقَالُ: هِيَ حَاشِيَةُ الثَّوبِ، أَيْ جَانِبُ كَانَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «فَلْيَنْفُضْهُ بِصِنْفَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ»، وَصِنْفَةُ الثَّوبِ: زَاوِيَتُهُ، وَالْجَمْعُ صِنْفٌ، وَلِلثَّوبِ أَرْبَعُ صِنْفَاتٍ، وَسُمِّيَ الْإِزَارُ إِزَارًا لِحِفْظِهِ صَاحِبَهُ وَصِيَانَتِهِ جَسَدَهُ، أَخَذَ مِنْ آرَزْتُهُ أَيْ عَاوَنْتُهُ، وَيُقَالُ إِزَارًا وَإِزَارَةً. اللَّيْثُ: الصِّنْفَةُ وَالصِّنْفَةُ قِطْعَةٌ مِنَ الثَّوبِ»^(٣).

٧- قوله: «فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعد»: قَالَ الطَّبِيبِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا خَلْفَهُ: مَا: مُبْتَدَأٌ، وَيَدْرِي مُعَلَّقٌ عَنْهُ لَتَضَمُّنُهُ مَعْنَى الْاسْتِفْهَامِ، خَلْفَهُ: أَيْ: أَقَامَ مَقَامَهُ بَعْدَهُ عَلَى الْفَرَاشِ، يَعْنِي لَا يَدْرِي مَا وَقَعَ فِي فِرَاشِهِ بَعْدَ مَا خَرَجَ هُوَ مِنْهُ، مِنْ: تَرَابٍ، أَوْ قَذَاةٍ، أَوْ هَوَامٍ»^(٤).

٨- قوله: «اضْطَجَعَ»: الْاضْطِجَاعُ: وَهُوَ النَّوْمُ، كَالْجُلُوسَةِ مِنَ الْجُلُوسِ، وَبِفَتْحِهَا الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ^(٥)، وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاضْطَجَعَ: نَامَ، وَقِيلَ: اسْتَلَقَى، وَوَضَعَ جَنْبَهُ بِالْأَرْضِ... وَالْمَضَاجِعُ: جَمْعُ الْمَضْجَعِ؛ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ

(١) لسان العرب، ٧/ ٢٤٠، مادة (نفض).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٣/ ٥٦، مادة (صنف).

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١٣/ ٣٨٠، ولسان العرب، ٩/ ١٩٨، مادة (صنف).

(٤) شرح المشكاة للطبيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٣.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٧٣)، مادة (ضطجع).

الْمُضَاجِعِ»^(١)؛ أَي: تَجَافَى عَنْ مُضَاجِعِهَا الَّتِي اضْطَجَعَتْ فِيهَا»^(٢).

٩- قوله: «باسمك ربي وضعت جنبي»: «بإقدارك إياي على وضع جنبي وضعت، وبإقدارك إياي على رفعه أرفعه... ثم قال: «وبك أرفعه»، فذكر الاسم مرة، ولم يذكره أخرى، فدلَّ أن معنى قوله: باسمك معنى قوله: بك»^(٣).

١٠- قوله: «وضعت جنبي وبك أرفعه» قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: أَضَافَ الْوَضْعَ إِلَى الْاسْمِ، وَالرَّفْعَ إِلَى الذَّاتِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْاسْمِ الذَّاتِ، وَبِالذَّاتِ يُسْتَعَانَ فِي الرَّفْعِ وَالْوَضْعِ، لَا بِاللَّفْظِ^(٤).

١١- قوله: «أمسكت نفسي فارحمها»: أَي: لَا أَسْتَغْنِي عَنْكَ بِحَالٍ؛ فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، أَيْ قَبَضْتَ رُوحِي فِي النَّوْمِ (فَارْحَمَهَا) أَيْ بِالْمَغْفِرَةِ وَالتَّجَاوُزِ عَنْهَا^(٥).

١٢- قوله: «وإن أرسلتها فاحفظها»: وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا بِأَنْ رَدَدْتَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ وَأَيْقِظْتَنِي مِنَ النَّوْمِ فَاحْفَظْهَا أَيْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُخَالَفَةِ بِمَا تَحْفَظُ بِهِ أَيْ: مِنَ التَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ وَالْأَمَانَةِ^(٦).

١٣- قوله: «بما تحفظ به عبادك الصالحين»: قَالَ الطَّيْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْبَاءُ [فِي كَلِمَةِ بِهِ] مِثْلُهَا فِي: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ، وَ(مَا) مَوْصُولَةٌ مَبْهَمَةٌ، وَيَبَانُهَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ صَلَاتُهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا يَحْفَظُ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَمَنْ أَنْ لَا يَهْنُوا فِي طَاعَتِهِ، وَعِبَادَتِهِ، بِتَوْفِيقِهِ وَلَطْفِهِ»^(٧)، وَقَالَ الْمَنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَي:

(١) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٢) لسان العرب، ٢١٩/٨، مادة (ضجع)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤، من حديث متن المقدمة رقم ٧.

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٤٢٣/١٠.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ٣٨٠/١٣.

(٥) تحفة الأحوذى، ٢٤٥/٩.

(٦) تحفة الأحوذى، ٢٤٥/٩.

(٧) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٨٧٤/٦، وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٢٧/١١.

القائمين بحقوقك، وذكر المغفرة للميت، والحفظ عند الإرسال لمناسبته له... لأنه تعالى إنما يحفظ عباده الصالحين من المعاصي، وأن لا يهنوا في طاعته بتوقيفه، وفيه ندب هذه الأذكار عند الأوي إلى الفراش ليكون نومه على ذكر، وتختتم يقظته بعبادة»^(١)، وقال الصنعاني رحمته الله: «المراد: إن رددتها فاحفظها عند الرد وبعده من كل آفة من آفات الأبدان، والحديث مشتق من الآية: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾^(٢). الآية»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- من علامات التوفيق أن يبدأ المسلم يومه بحمد ربه والإقرار له بالعبودية.
- ٢- الحمد لله أفضل من «حمداً لله» لأن الإتيان باللام دليل على استحقاق الله للحمد المطلق الكامل^(٤).
- ٣- من تمام يقظة العبد وعلو همته أن يستثمر نعمة المعافاة في الجسد فيما ينفعه يوم القيامة.
- ٤- «وأذن لي بذكره» هو الإذن القدري؛ لأن الإذن الوارد في نصوص الكتاب وصحيح السنة على قسمين:
 - أ - الإذن القدري وهو الكوني ويراد به مشيئة الله السابقة وإرادته النافذة التي لا يخرج عنها أحد البتة.
 - دليل ذلك قوله ﷺ: ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾^(٥).

ب - الإذن الشرعي وهو الديني والذي يتعلق بما يحبه الله ويرضاه.

(١) فيض القدير، للمناوي، ١/ ٣٠٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٦١٠.

(٤) انظر: فقه الأدعية والأذكار، تأليف/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص ٨٥، القسم الثالث.

(٥) سورة البروج، الآية: ١٦.

دليل ذلك قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

٤- ^(٤) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ * لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ * وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

(١) سورة النساء، الآية: ٢٦.

(٢) الآيات من سورة آل عمران، ١٩٠-٢٠٠، والحديث أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، برقم ٤٥٦٩، وفي كتاب الوضوء،

باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره، برقم ١٨٣. ومسلم، كتاب الطهارة، باب السواك، برقم ٢٥٦.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه (١)، قَالَ: بَثُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ»، ثُمَّ «قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنْ فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً» ثُمَّ أَذَنَ بِلَالٍ، «فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ» وهذا لفظ البخاري (٢).

٣٤- وفي لفظ آخر للبخاري: عَنْ كُرَيْبٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه (٣) أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ خَالَتُهُ، فَاضْطَجَعَتْ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنْ مُعَلَّقَةٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، فَأَحْسَنَ وُضُوئَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَ

(١) عبد الله بن عباس رضي الله عنه: حبر الأمة، وإمام التفسير وابن عم رسول الله ﷺ، أمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية وهي أخت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها. دعا له النبي ﷺ بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» مسند الإمام أحمد، ٤/ ٢٢٥، برقم ٢٣٩٧، وصحيح ابن حبان، ١٥/ ٥٣١، برقم ٧٠٥٥، والحاكم، ٣/ ٥٣٤، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وفي لفظ قال ابن عباس رضي الله عنه: «ضمني رسول الله ﷺ وقال: «اللهم! علمه الحكمة وتأويل الكتاب» وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ١٦٦، وفي رواية: «اللهم علمه الحكمة» البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «اللهم علمه الكتاب» برقم ٣٧٥٦. قال الحافظ: والحكمة هي الإصابة من غير نبوة. كان عمر يدخله مع أشياخ بدر وهو شاب تقديراً له، وكان ذا علم غزير، وناقش الخوارج فيهمتهم. مسنده (١٦٦٠) حديثاً. توفي عام (٦٨ هـ). وكان عمره (٧١) سنة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ترجمة رقم (٢٧٤).

(٢) البخاري، برقم ٤٥٦٩، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٢ من أحاديث الشرح.

ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ»^(١).

٣٥- ولفظ مسلم عن ابن عباس بأنه باتَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَخَرَجَ فَتَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ فِي آلِ عِمْرَانَ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، ثُمَّ اضْطَجَعَ، ثُمَّ قَامَ، فَخَرَجَ فَتَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، ثُمَّ رَجَعَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الآيات الكريمات والحديث:

١- قوله: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»: أي: إيجادهما من العدم، وقال ابن كثير رحمه الله: «تِلْكَ فِي لَطَافَتِهَا، وَازْتِفَاعِهَا وَاتِّسَاعِهَا، وَكَوَاكِبُهَا السَّيَّارَةِ، وَالثَّوَابِتِ، وَدَوْرَانِ فَلَكِهَا، وَهَذِهِ الْأَرْضُ فِي كَثَافَتِهَا، وَانْخِفَاضِهَا، وَجِبَالِهَا، وَبِحَارِهَا، وَقَفَارِهَا، وَوَهَادِهَا، وَعُمْرَانِهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ»^(٣).

٢- قوله: «واختلاف الليل والنهار»: تعاقب الليل بظلامه والنهار بنوره، قال ابن كثير رحمه الله: «أَيُّ: تَعَاقُبُهُمَا، وَتَقَارُضُهُمَا الطُّوْلَ وَالْقَصْرَ، فَتَارَةً يَطُولُ هَذَا، وَيَقْصُرُ هَذَا، ثُمَّ يَغْتَدِلَانِ، ثُمَّ يَأْخُذُ هَذَا مِنْ هَذَا، فَيَطُولُ الَّذِي كَانَ قَصِيْرًا، وَيَقْصُرُ الَّذِي كَانَ طَوِيْلًا»^(٤).

٣- قوله: «لآيات لأولي الأبواب»: أي: دلائل واضحة على قدرة الله يفهمها أصحاب العقول، قال ابن كثير رحمه الله: «(لأولي الأبواب)»: أَيِ: الْعُقُولِ النَّامَةِ الذَّكِيَّةِ

(١) البخاري، برقم ١٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٢٥٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٤٧٤.

(٤) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٨٤.

الَّتِي تُذَكِّرُ الْأَشْيَاءَ بِحَقَائِقِهَا عَلَى جَلِّيَّاتِهَا، وَلَيْسُوا كَالصُّمِّ الْبُكْمِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ»^(١).

٤- قوله: «الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم»: يدخل في ذلك الصلاة قائمًا فإن لم يستطع فقاعداً فإن لم يستطع فعلى جنب^(٢).

٥- قوله: «ويتفكرون في خلق السموات والأرض»: قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودلّ هذا على أن التفكير عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثاً»^(٣).

٦- قوله: «ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك»: قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق»^(٤).

٧- قوله: «فقنا عذاب النار»: قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار، ويتضمن ذلك سؤال الجنة؛ لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم»^(٥).

٨-، قوله: «ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته» أي: فضحته وأشقيته، وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي: أهنته، وأظهرت خزيه لأهل الجمع»^(٦)، وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملائكته، وأوليائه، ووقوع الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها»^(٧).

٩- قوله: «وما للظالمين من أنصار»: قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «ينقذونهم من

(١) تفسير ابن كثير، ٢ / ١٨٤.

(٢) انظر: تفسير السعدي، ص ١٦١.

(٣) تفسير السعدي، ص ١٦١.

(٤) تفسير السعدي، ص ١٦١.

(٥) تفسير السعدي، ص ١٦١.

(٦) تفسير ابن كثير، ٢ / ١٨٤.

(٧) تفسير السعدي، ص ١٦١.

عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم»^(١)..

١٠- قوله: «ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان»: هو محمد ﷺ يدعو الناس للقرآن، قال السعدي رحمه الله: «وهو محمد ﷺ، أي: يدعو الناس إليه، ويرغبهم فيه، في أصوله وفروعه»^(٢).

١١- قوله: «أن آمنوا بربكم فآمنّا»: قال السعدي رحمه الله: «أي: أجنبناه مبادرة، وسارعنا إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم، ويكفر سيئاتهم؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات، والذي من عليهم بالإيمان، سيمنّ عليهم بالأمان التام»^(٣).

١٢- قوله: «رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا»: أي: استرها وامحها بفضلك، وقال القرطبي رحمه الله: «تأكيد، ومبالغة في الدعاء، ومعنى اللَّفْظَيْنِ وَاحِدٌ، فَإِنَّ الْغُفْرَ وَالْكَفْرَ: الشَّرُّ»^(٤).

١٣- قوله: «وتوفنا مع الأبرار»: الأبرار: هم المتمسكون بالشرعية: قولاً، وعملاً، واعتقاداً، وقال السعدي رحمه الله: «الأبرار: وهم الذين برت قلوبهم بما فيها من محبة الله ومعرفته، والأخلاق الجميلة، فبرت جوارحهم، واستعملوها بأعمال البر»^(٥)، وقال السعدي رحمه الله أيضاً: «وتوفنا مع الأبرار: يتضمن هذا الدعاء التوفيق لفعل الخير، وترك الشر، الذي به يكون العبد من الأبرار، والاستمرار عليه، والثبات إلى الممات»^(٦).

١٤- قوله: «ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك»: أي: من النصر والتأييد

(١) تفسير السعدي، ص ١٦١.

(٢) انظر: تفسير السعدي، ص ١٦١.

(٣) تفسير السعدي، ص ١٦١.

(٤) تفسير القرطبي، ٤/ ٣١٧.

(٥) تفسير السعدي، ص ٩٠.

(٦) تفسير السعدي، ص ١٦١.

والتمكين، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «فهذا طلب للخير المعدوم أن يؤتيهم إياه»^(١)، وقال العلامة السعدي رحمته الله: «ولما ذكروا توفيق الله إياهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة، سألوه الثواب على ذلك، وأن ينجز لهم ما وعدهم به على السنة رسله من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز برضوان الله وجنته في الآخرة، فإنه تعالى لا يخلف الميعاد»^(٢).

١٥- قوله: «وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: قال العلامة ابن القيم رحمته الله: «فهذا طلب أن لا يوقع بهم الشر المعدوم، وهو خزي يوم القيامة»^(٣).

١٦- قوله: «إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ»: قال العلامة السعدي رحمته الله: «فأجاب الله دعاءهم، وقبل تضرعهم»^(٤).

١٧- قوله: «فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى»: قال السعدي رحمته الله: «أي: أجاب الله دعاءهم، دعاء العبادة، ودعاء الطلب، وقال: إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى، فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملاً موفراً»^(٥).

١٨- قوله: «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ»: قال السعدي رحمته الله: «أي: كلكم على حد سواء في الثواب والعقاب»^(٦).

١٩- قوله: «فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا»: أي: تركوا الديار والأموال فراراً بدينهم، وقال السعدي رحمته الله:

(١) تفسير القرآن الكريم لابن قيم الجوزية، ص ٦١٢.

(٢) تفسير السعدي، ص ١٦١.

(٣) تفسير القرآن الكريم لابن قيم الجوزية، ص ٦١٢.

(٤) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

(٥) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

(٦) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

«فجمعوا بين الإيمان، والهجرة، ومفارقة المحبوبات من الأوطان، والأموال، طلباً لمرضاة ربهم وجاهدوا في سبيل الله»^(١).

٢٠- قوله: «لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «لأكفر عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله { الذي يعطي عبده الثواب الجزيل على العمل القليل }»^(٢).

٢١- قوله: «وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ» قال السعدي رحمه الله: «مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن أراد ذلك، فليطلبه من الله بطاعته، والتقرب إليه، بما يقدر عليه العبد»^(٣).

٢٢- قوله: «لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ» أي: تصرفهم فيها بالتجارة، والزراعة، وغير ذلك، وقال السعدي رحمه الله: «هذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات، والمكاسب، واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات»^(٤).

٢٣- قوله: «مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَيُبْسُ الْمِهَادُ»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «فإن هذا كله متاع قليل: ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلاً ويعذبون عليه طويلاً هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه»^(٥).

٢٤- قوله: «لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ»، قال السعدي رحمه الله:

(١) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

(٢) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

(٣) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

(٤) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

(٥) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

«أما المتقون لربهم، المؤمنون به- فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها «لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها»، فلو قدر أنهم في دار الدنيا، قد حصل لهم كل بؤس، وشدة، وعناء، ومشقة، لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور، والحبور، والبهجة نزرأً يسيراً، ومنحة في صورة محنة؛ ولهذا قال تعالى: «وما عند الله خير للأبرار» وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من برة أجراً عظيماً، وعطاء جسيماً، وفوزاً دائماً»^(١).

٢٥- قوله: «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ»: القرآن والسنة، وقال ابن كثير رحمته الله: «يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَقَّ الْإِيمَانِ، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ^(٢)»، وقال الشوكاني رحمته الله: «يجمعون بين الإيمان بالله، وبما أنزل الله على نبينا محمد صلوات الله عليه وما أنزله على أنبيائهم»^(٣)، وقال العلامة السعدي رحمته الله: «أي: وإن من أهل الكتاب طائفة موفقة للخير، يؤمنون بالله، ويؤمنون بما أنزل إليكم، وما أنزل إليهم، وهذا الإيمان النافع لا كمن يؤمن ببعض الرسل والكتب، ويكفر ببعض»^(٤).

٢٦- قوله: «وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ»: التوراة والإنجيل قبل التحريف، وقال ابن كثير رحمته الله: «يُؤْمِنُونَ بِهِ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ»^(٥).

٢٧- قوله: «خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»: قال العلامة السعدي رحمته الله: «ولهذا -لما كان

(١) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

(٢) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٩٣.

(٣) تفسير فتح القدير، ١/ ٤١٤.

(٤) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

(٥) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٩٣.

إيمانهم عاماً حقيقياً - صار نافعاً، فأحدث لهم خشية الله، وخضوعهم لجلاله الموجب للانقياد لأوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده، وهؤلاء أهل الكتاب والعلم على الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١)، ومن تمام خشيتهم لله، أنهم «لا يشترُونَ بآيات الله ثمناً قليلاً» فلا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون ما أنزل الله، ويشترُونَ به ثمناً قليلاً، وأما هؤلاء فعرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران، الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ النفس السفلية، وترك الحق الذي هو: أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فأثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فثأبهم الله على ذلك بأن وعدهم الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطنون ما وعدهم الله، لأن ما هو آت محقق حصوله، فهو قريب»^(٢).

٢٨ - قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا»: احبسوا أنفسكم على الطاعة، وقال ابن كثير رحمته الله: «أَمُرُوا أَنْ يُصْبِرُوا عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لَهُمْ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، فَلَا يَدْعُوهُ لِسَرَاءٍ، وَلَا لَضُرَاءٍ، وَلَا لَشِدَّةٍ، وَلَا لِرِخَاءٍ، حَتَّى يَمُوتُوا مُسْلِمِينَ»^(٣)، وقال العلامة السعدي رحمته الله: «ثم حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح - وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك»^(٤).

٢٩ - قوله: «وَصَابِرُوا» اثبتوا أمام العدو، وقال ابن كثير رحمته الله: «وَأَنْ يُصَابِرُوا

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ٢ / ١٩٥.

(٤) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

الْأَعْدَاءَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ دِينَهُمْ»^(١)، وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «والمصابرة: أي: الملازمة، والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال»^(٢).

٣٠- قوله: «وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»: أي: الزموا الشُّرُورَ منعاً للعدو من التسرب لديار المسلمين، ويدخل في ذلك انتظار الصلاة بعد الصلاة، «وَاتَّقُوا اللَّهَ»: قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أَي: فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ»^(٣)، وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ أيضاً: «الْمُرَادُ بِالْمُرَابَطَةِ هَاهُنَا مُرَابَطَةُ الْعَزْوِ فِي نُحُورِ الْعَدُوِّ، وَحِفْظُ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ وَصِيَانَتُهَا عَنْ دُخُولِ الْأَعْدَاءِ إِلَى حَوْزَةِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ»^(٤)، وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «والمرابطة: وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوه من الوصول إلى مقاصدهم، لعلهم يفلحون: يفوزون بالمحسوب الديني والدنيوي والأخروي، وينجون من المكروه كذلك، فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحداً الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها»^(٥).

٣١- قوله: «شَنَّ مَعْلَقَةً»: الشَّنُّ الْقِرْبَةُ الَّتِي تَبَدَّتْ لِلْبَلَاءِ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ «مُعْلَقَةً»، فَأَنَّ لِلْإِرَادَةِ الْقِرْبَةَ»^(٦).

٣٢- قوله: «سَوَاك» - بالكسر -، والمسواك ما تُدْلِكُ بِهِ الْأَسْنَانُ مِنَ الْعِيدَانِ، يُقَالُ سَاكَ فَاهِ يَسُوكُهُ، إِذَا دَلَكَهُ بِالسَّوَكِ، فَإِذَا لَمْ تَذْكُرِ الْفَمَ قُلْتَ اسْتَكَ، وَتَسُوكٌ»^(٧).

(١) تفسير ابن كثير، ٢ / ١٩٥.

(٢) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ٢ / ٢٠٣.

(٤) تفسير ابن كثير، ٢ / ١٩٧.

(٥) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

(٦) فتح الباري، ١ / ٢٨٨.

(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٤٢٤، مادة (سوك).

٣٣- قوله: «يفتلها»: أَخَذَ بِأُذُنِهِ أَوَّلًا لِإِدَارَتِهِ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ إِلَى الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ ، وَذَلِكَ مِنْ مَصْلَحَةِ الصَّلَاةِ. ثُمَّ أَخَذَ بِهَا أَيْضًا لِتَأْنِيْسِهِ لِكُونَ ذَلِكَ لَيْلًا كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ فِي أَبْوَابِ الصُّفُوفِ ^(١).

٣٤- قوله: «فاستن» : يَسْتَنُّ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ، وَسُكُونِ الْمُهِمْلَةِ، وَفَتْحِ الْمُثَنَاءِ وَتَشْدِيدِ الثَّوْنِ مِنَ السِّنِّ بِالْكَسْرِ أَوْ الْفَتْحِ إِمَّا لِأَنَّ السَّوَاكَ يُمْرُ عَلَى الْأَسْنَانِ أَوْ لِأَنَّهُ يَسْنُهَا أَيْ يَحْدِّدُهَا ^(٢).

٣٥- قوله: «فخرج فنظر إلى السماء»، أي: عندما يستيقظ في الليل يفعل ذلك؛ ولهذا علق الإمام النووي رحمته الله على هذه الجملة: «يُسْتَحَبَّ قِرَاءَتُهَا أَيْ: آيَاتُ آلِ عِمْرَانَ عِنْدَ الْإِسْتِيقَازِ فِي اللَّيْلِ مَعَ النَّظَرِ إِلَى السَّمَاءِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ التَّدَبُّرِ ، وَإِذَا تَكَرَّرَ نَوْمُهُ وَاسْتِيقَازُهُ وَخُرُوجُهُ أُسْتَحَبَّ تَكَرُّرُهُ قِرَاءَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ كَمَا ذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ . وَاللَّهُ عَلَّمَ» ^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث والآيات:

١- قال العلامة السعدي رحمته الله: في هذه «الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه، وما فيها من المنافع للخلق، يدل

(١) فتح الباري، ٣/ ٧٢.

(٢) فتح الباري، ١/ ٣٥٥.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ١٤٥.

- على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره»^(١).
- ٢- مشروعية رفع البصر إلى السماء، وقراءة هذه الآيات عند الاستيقاظ من النوم للتهجد في آخر الليل.
- ٣- مشروعية التوسل إلى الله بالإيمان والعمل الصالح.
- ٤- المساواة بين المؤمن والمؤمنة في العمل والجزاء.
- ٥- استحباب طلب الوفاة بين الأبرار والصدق في طلب ذلك.
- ٦- بسط الدنيا للكفار ليس دليلاً على محبة الله لهم؛ لأن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن أحب.
- ٧- شرف مؤمني أهل الكتاب وبشارة القرآن لهم بالجنة وعلى رأسهم عبد الله بن سلام والنجاشي^(٢).
- ٨- جواز نوم الرجل مع امرأته من غير مواجهة بحضرة بعض محارمها وإن كان مميزاً^(٣).
- ٩- استحباب مسح أثر النوم من الوجه باليد وأن هذا من السنة.
- ١٠- جواز قراءة القرآن للمحدث الحدث الأصغر؛ لأن النبي ﷺ قرأ قبل الوضوء^(٤).
- ١١- مما حث عليه رسول الله ﷺ حال استيقاظ المسلم من نومه بعد ذكر الله الوضوء والصلاة، وذلك لحديث: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس،
-
- (١) تفسير السعدي، ص ١٦١.
- (٢) انظر: تفسير الجزائري، ص ٢٧٤.
- (٣) قال النووي: «قال القاضي: وجاء في بعض روايات الحديث أن ابن عباس قال: بت عند خالتي ميمونة في ليلة كانت فيها حائضاً وهذه الكلمة وإن لم تصح إلا أنها حسنة المعنى جداً إذ لم يكن لابن عباس أن يطلب المبيت في ليلة للنبي ﷺ فيها حاجة لأهله، ولا أن يرسله أبوه إلا إذا علم عدم حاجه النبي لأهله في هذه الليلة، انظر: شرح النووي، ٦/ ٢٩٨.
- (٤) انظر: المصدر السابق، صحيح مسلم بشرح النووي، ٤/ ٦٨.

ولأصبح خبيث النفس كسلان»^(١).

١٢- ويستحب الاستئثار ثلاث مرات لحديث: «إذا استيقظ أحدكم من منامه، فتوضأ فليستثر ثلاثاً، فإن الشيطان يبيت على خيشومه»^(٢)،^(٣).

١٣- اعلم أن المستيقظ بالليل على حالين:

أحدهما: من لا ينام بعده. وهذا يستحب له قول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»^(٤)، وكذلك: «الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد علي روحي، وأذن لي بذكره»^(٥).

والثاني: من يريد النوم بعده كأن يتقلب في فراشه أو يتعار من الليل فهذا يسن له قول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له...» إلى آخره^(٦)،^(٧).

١٤- الخروج من البيت، والنظر إلى السماء بعد الاستيقاظ من النوم ليلاً، وقراءة أواخر سورة آل عمران سنة مهجورة؛ حيث أشار الإمام النووي رحمته الله إلى استحباب قراءة آيات آل عمران، مع النظر إلى السماء بعد الاستيقاظ^(٨).

(١) البخاري، أبواب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، برقم ١١٤٢، واللفظ له، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، برقم ٧٧٦.

(٢) الخيشوم هو الأنف وقيل: المنخر.

(٣) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٩٥، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الإيتار في الاستئثار والاستجمار، برقم ٢٣٨.

(٤) البخاري، برقم ٦٣١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١.

(٥) الترمذي، برقم ٣٤٠١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٤/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٣.

(٦) البخاري، برقم ١١٥٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢، وانظر: كتاب الأذكار للإمام النووي، ص ١٣٧.

(٧) انظر: كتاب الأذكار للإمام النووي، ص ١٣٧.

(٨) انظر: ما سبق نقله في شرح مفردات هذا الحديث: آخر مفردة رقم ٢٥ عن الإمام النووي في شرح صحيح مسلم، ١٤٥/٣.

٢- دعاء لبس الثوب

٥- «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا (الثَّوبَ) وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ...»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٦- لفظ أبي داود: عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢)، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ» قَالَ: وَمَنْ لَبَسَ ثَوْبًا فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»^(٤).

٣٧- ولفظ الترمذي: عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ

(١) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، برقم ٤٠٢٣، واللفظ له، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٥٠٢/٢ دون زيادة «وما تأخر» وينحوه الترمذي، كتاب الدعوات، باب إذا فرغ من الطعام، برقم ٣٤٥٨، ولفظه: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» بدون دعاء لبس الثوب، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب إذا فرغ من الطعام، برقم ٣٢٨٥، ولفظه مثل لفظ الترمذي، وحسنه الألباني في: إرواء الغليل، ٤٧/٧.

(٢) سهل بن معاذ بن أنس الجهني، روى عن أبيه معاذ، نزيل مصر، لا بأس به، إلا في روايات زيان عنه من الرابعة. انظر: تهذيب الكمال للحافظ المزي، ١٠/١٦٨ ذكره في ترجمة أبيه، وتقريب التهذيب، ١٨٤/٢.

(٣) معاذ بن أنس الجهني معدود في أهل مصر وهو والد سهل بن معاذ، حليف الأنصار، صحابي كان بمصر والشام، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وله رواية عن أبي الدرداء، وكعب الأحبار، روى عنه ابنه سهل بن معاذ وحده، بقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان. انظر: الاستيعاب، ٣/١٤٠٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ٦/١٣٦.

(٤) أبو داود، برقم ٤٠٢٣، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٥٠٢/٢ دون زيادة «وما تأخر» وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ. غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »^(١).

٣٨- ولفظ ابن ماجه: عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الحمد لله»: الحمد هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له، وهذه اللفظة لا تصلح على هذا الوجه، ولا تنبغي إلا للحميد المجيد^(٣)، وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّحْمِيدُ: الثَّنَاءُ بِجَمِيلِ الْفِعَالِ، وَالتَّمْجِيدُ الثَّنَاءُ بِصِفَاتِ الْجَلَالِ، وَيُقَالُ: أَثْنَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ»^(٤).

٢- قوله: «الذي كساني» أي: ألبسني، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْكِسْوَةُ وَالْكُسْوَةُ: اللَّبَاسُ، ... يُقَالُ: كَسَوْتُ فُلَانًا، أَكْسُوهُ كِسْوَةً: إِذَا أَلْبَسْتَهُ ثَوْبًا، أَوْ ثِيَابًا، فَانْكَسَى، وَانْكَسَى فُلَانٌ إِذَا لَبَسَ الْكِسْوَةَ»^(٥).

٣- قوله: «هذا الثوب» أي: يسميه باسمه، فإن كان قميصاً قال: القميص، وهكذا، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بأن يقال: عمامة، أو قميصاً، أو رداء، أي هذه العمامة»^(٦).

٤- قوله: «ورزقنيه» أي: أنعم به علينا؛ لأنه هو المتكفل بالرزق لجميع خلقه، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فضرورة الخلق إلى الرزق دائماً أمرٌ باهرٌ علماً، وذوقاً ووجدًا... فلا يطعمه أحدٌ بوجهٍ من الوجوه، فلا يكون

(١) الترمذي، برقم ٣٤٥٨، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، ٤٧/٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن ماجه، برقم ٣٢٨٥، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، ٤٧/٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) انظر: بدائع الفوائد، ٥٣٧/٢.

(٤) شرح النووي على مسلم، ١٠٤/٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من حديث المتن رقم ٢.

(٥) لسان العرب، ٢٢٣/١٥، مادة (كسا).

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٢٨٩٩/٩.

أحذَّ محسناً إليه، ولا مكافئاً له على هذه النعمة»^(١).

٥- قوله: «من غير حول مني» أي: طاقة وحيلة، قال الإمام النووي رحمته الله: «الحول: الحركة، والحيلة، أي: لا حركة، ولا استطاعة، ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى، وقيل: معناه: لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة على طاعته «إلا به» رحمته الله»^(٢).

٦- قوله: «ولا قوة»: قال ابن العربي رحمته الله: «ليس في حولي، ولا قوتي ... إلا بحولك، وقوتك، وأن ذلك ليس من حولي ولا قوتي»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- استحقاق الله ﷻ لجميع أنواع المحامد والثناء؛ لأنه أهل لها فهو صاحب النعم المتوالية، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٤)، ورغم ذلك فهو يرضى من عباده باليسير من الحمد.

٢- اللباس من جملة النعم التي أنعم الله ﷻ بها على خلقه فالواجب شكر هذه النعمة، ومن ذلك عدم الإسبال، وعدم لبس الحرير للرجال، وعدم لبس ثوب الشهرة، ونحو ذلك.

٣- الاعتراف بالعجز والتقصير، وعدم القدرة على تحصيل نعمة اللباس، ونحوها لولا توفيق الله لعبده وتفضله عليه.

٤- من تمام فضل الله ﷻ وجميل إحسانه إلى خلقه أن ينعم عليهم بأنواع النعم، ثم يحثهم على حمده وشكره، ويرتب على ذلك الأجور العظيمة، ومن ذلك قوله ﷻ في نهاية هذا الحديث: «غفر له ما تقدم من ذنبه» أي: لقائله، فسبحان الشكور الودود»^(٥).

(١) جامع المسائل لابن تيمية، ١/ ١٢٠.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٢٦، أضفت كلمة «إلا به» رحمته الله لإتمام المعنى.

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، ٢/ ٣١٦.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٥) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٤٢.

٣- دُعَاءُ لِبَسِ الثَّوْبِ الْجَدِيدِ

٦- «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا ضَنَعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا ضَنَعَ لَهُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث

٣٩- لفظ أبي داود: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ^(٢)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ إِمَّا قَمِيصًا، أَوْ عِمَامَةً ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا ضَنَعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا ضَنَعَ لَهُ» قَالَ أَبُو نَضْرَةَ: «فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا لَبَسَ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا جَدِيدًا قِيلَ لَهُ: تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَى»^(٣).

٤٠- ولفظ الترمذي: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ؓ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ: عِمَامَةً، أَوْ قَمِيصًا، أَوْ رِدَاءً، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرِ مَا ضَنَعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا ضَنَعَ لَهُ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ»: «بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ

(١) أبو داود، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، برقم ٤٠٢٠، والترمذي، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، برقم ١٧٦٧، والبخاري، ٤٠ / ١٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٦٦٤، وفي مختصر شمائل الترمذي للألباني، ص ٤٧، وفي صحيح سنن أبي داود، ٥٠١ / ٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح

(٣) أبو داود، برقم ٤٠٢٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٦٦٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، برقم ١٧٦٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٦٦٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يَجِدُوا يَا مَعَ هَذِهِ الْمِيمِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَوَجَدُوا اسْمَ اللَّهِ مُسْتَعْمَلًا بَيًّا...»^(١)، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خلاف أن لفظة: (اللهم) معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»^(٢).

٢- قوله: «لك الحمد»: الحمد: الشاء على صفات الله، وعطائه، قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى: الحميد، أي: المحمود على كل حال، والحمد والشكر مُتَقَارِبَانِ، والحمد أَعْمُّهَا، لَأَنَّكَ تَحْمَدُ الْإِنْسَانَ عَلَى صِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ، وعلى عطائه، ولا تَشْكُرُهُ عَلَى صِفَاتِهِ، والشُّكْرُ فِيهِ إِظْهَارُ النِّعْمَةِ، والإِشَادَةُ بِهَا؛ وَلأنَّهُ أَعَمُّ مِنْهُ، فَهُوَ شُكْرٌ وَزِيَادَةٌ^(٣).

٣- قوله: «أنت كسوتني»: أي أنت يا ربي كسوتني هذا الملبوس الجديد، فلك كل حمدي وشكري، «كما كسوتني: مرفوع المحل مبتدأ، وخبره: أسألك من خيره، وهو المشبه، أي: مثل ما كسوتني»^(٤)، أي: كما أنعمت علي بلبسه وارتدائه، والكاف في كما للتشبيه، كما هو الظاهر، يعني اختصاص الحمد كاختصاص الكسوة بك، أو لك الحمد منا كالكسوة لنا، بمعنى كما أن كسوتنا لا لغرض، ولا لعوض؛ بل لاستحقاقنا إليك بفقرنا، وحاجتنا لك نحمدك، ولا نستغني عنك^(٥).

٤- قوله: «أسألك من خيره وخير ما صنع له» أي: باستعماله في طاعة رازقه ومعطيه وهو الله ﷻ، قال المباركفوري: «خَيْرُ الثَّوْبِ بَقَاؤُهُ، وَنَقَاؤُهُ، وَكَوْنُهُ مَلْبُوسًا لِلضَّرُورَةِ، وَالْحَاجَةِ، وَخَيْرُ مَا صُنِعَ لَهُ: هُوَ الضَّرُورَاتُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يُصْنَعُ اللَّبَاسُ: مِنَ الْحَرِّ، وَالْبَرْدِ، وَسِتْرِ الْعَوْرَةِ، وَالْمَرَادُ سُؤَالُ الْخَيْرِ فِي هَذِهِ

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله).

(٢) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم شرح المفردة مستوفى في المفردة رقم ٦ من الحديث رقم ١ من أحاديث المتن.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٥، مادة (حمد).

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٢٤.

(٥) انظر: دستور العلماء، للقاضي النكري، ٣/ ١٠٤.

الْأُمُورِ، وَأَنْ يَكُونَ مُبَلِّغًا إِلَى الْمَطْلُوبِ الَّذِي صُنِعَ لِأَجْلِهِ الثَّوْبُ: مِنَ الْعَوْنِ عَلَى الْعِبَادَةِ، والطاعة لموليه»^(١).

٥- قوله: «وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له» أي: باستخدامه في معصية الله، ومخالفة أمره، والتخصيص للتمثيل، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «وأعوذ بك من شره، وشر ما صنع له: فربما يكون هذا سبب شر عليك، ربما تأكل النار طرفه، ثم تتقد حتى تشمل هذا اللباس، وتقضي عليك أنت أيضاً، وربما تكون فيه أشياء سامة، ما تعلم عنها شيئاً، فالمهم أنك تقول: اللهم إني أعوذ بك من شره، وشر ما صنع له؛ لأنه قد يصنع ويكون سبباً للشر، كأن يحمل صاحبه على الكبر، والترفع على الناس، أو قد يكون سبباً للفتنة، وهي من أعظم الشر والفساد، كذلك الألبسة التي تتفنن النساء في صنعها؛ مضاهاة لغيرهن من نساء الغرب الكافرات»^(٢).

٦- قوله: «استجد ثوباً» أي: لبس ثوباً جديداً، «جَدَّ الشيء، يَجِدُّ، بالكسر جِدَّةً، فهو جَدِيدٌ، وهو خلاف القديم، وَجَدَّ فلان الأمر، وأَجَدَّهُ، واستَجَدَّهُ، إذا أحدثه فَتَجَدَّدَ»^(٣).

٧- قوله: «سماه باسمه» أي: الثوب والمراد به الجنس، فيستحب أن يذكر اسم ما يلبس، قال العلامة بن عثيمين رحمته الله: «فإذا من الله عليك بلباس جديد: قميص، أو سروال، أو غترة، أو مشلح، أو نحوها، ولبستها، فقل: اللهم لك الحمد، أنت كسوتني، وتسميه باسمه: اللهم لك الحمد أنت كسوتني هذا القميص، أنت كسوتني هذا السروال، أنت كسوتني هذه الغترة، أنت كسوتني

(١) تحفة الأحوذى في شرح الترمذى، ٥ / ٣٧٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨١٣.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ٩٢، مادة (جد).

هذه الطاقية، أنت كسوتني هذا المشلح، أي شيء تلبسه وهو جديد»^(١).

٨- قوله: «عمامة»: قال ابن منظور: «والعمامة: مِنْ لِبَاسِ الرَّأْسِ، مَعْرُوفَةٌ، وَرُبَّمَا كُنِيَ بِهَا عَنِ الْبَيْضَةِ، أَوِ الْمَغْفَرِ، وَالْجَمْعُ عِمَائِمٌ، وَعِمَامٌ؛ ... قَالَ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ لَمَّا وَضَعُوا عِمَامَهُمْ عَرَفْنَاهُمْ»^(٢).

٩- قوله: «قميص»: نوع من الألبسة، وهو دون الثوب في الطول، قال ابن منظور: «الْقَمِيصُ الَّذِي يُلبَسُ، مَعْرُوفٌ مُذَكَّرٌ، وَقَدْ يُعْنَى بِهِ الدَّرْعُ»^(٣)، وقال الزبيدي: «الْقَمِيصُ: ثَوْبٌ مَخِيطٌ بِكُمَيْنِ، غَيْرُ مُفْرَجٍ، يُلبَسُ تَحْتَ الثِّيَابِ، أَوْ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ قُطْنٍ، أَوْ كَتَانٍ... وَأَمَّا مِنَ الصُّوفِ فَلَا»^(٤).

١٠- قوله: «أو رداء»: الرداء ما يلبس فوق الثياب، قال ابن الأثير: «الرِّدَاءُ: وهو الثَّوبُ، أَوِ الْبُرْدُ الَّذِي يَضَعُهُ الْإِنْسَانُ عَلَى عَاتِقَيْهِ، وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ فَوْقَ ثِيَابِهِ»^(٥).

١١- قوله: «تبلي، ويخلف الله تعالى»: قال العظيم أباذي ﷺ: «تبلي: من الإبلاء، بمعنى الإخلاق، وهذا دعاء للابس بأن يعمر، ويلبس ذلك الثوب حتى يبلى، ويصير خلقاً، ويخلف الله تعالى عطف على تبلي، من أخلف الله عليه، أي: أبدلهما: ذهب عنه، وعوضه عنه، والمقصود الدعاء بطول الحياة»^(٦).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب حمد الله عند لبس الثوب الجديد ونحوه وقد امتن الله على خلقه بهذه النعمة بقوله ﷺ: «يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨١٣.

(٢) لسان العرب، ١٢ / ٤٢٤، مادة (عمم).

(٣) تاج العروس، ١٨ / ١٢٧، مادة (قمص).

(٤) لسان العرب، ٧ / ٨٢، مادة (قمص).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٢١٦، مادة (ردا).

(٦) عون المعبود، ١١ / ٤٤.

وَرِيْشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكْ خَيْرٌ ذَلِكْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ»^(١).

٢- من عظيم شر اللباس أن يلبسه صاحبه على وجه الكبر والتعالي على خلق الله، قال النبي ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم» قالها ثلاثاً قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» وفي رواية: «والمسبل إزاره»^(٢) وقوله ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»^(٣).

٣- خير الثوب بقاءه ونقاؤه وكونه ملبوساً للضرورة والحاجة، وخير ما صنع له هو الضرورات التي من أجلها يصنع اللباس من الحر والبرد وستر العورة، والمراد سؤال الخير في هذه الأمور، وأن يكون مبلغاً إلى المطلوب الذي صنع لأجله الثوب من العون على العبادة والطاعة لمولاه وفي الشر عكس هذه المذكورات^(٤).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، برقم ١٠٦، و١٠٧.

(٣) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» برقم ٣٦٦٥.

(٤) عون المعبود، ٦/ ١٢٥.

٤- الدعاء لمن لبس ثوباً جديداً

٧- (١) «تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَى» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه (٢) قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ إِمَّا قَمِيصًا أَوْ عِمَامَةً ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ» قَالَ أَبُو نَضْرَةَ فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا لَبَسَ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا جَدِيدًا قِيلَ لَهُ: تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَى، هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ (٣).

٤٢- ولفظ البخاري: عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ رضي الله عنها (٤): أَتَنِ النَّبِيَّ ﷺ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ؟» فَسَكَتَ الْقَوْمُ، قَالَ: «اثْنُونِي بِأَمِّ خَالِدٍ» فَاتِي بِهَا تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا، وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلَقِي» وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَاءٌ»، وَسَنَاءٌ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ (٥).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب في ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، برقم ٤٠٢٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٧٦٠/٢، وقد جاء بنحوه عند البخاري مرفوعاً، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء، برقم ٥٨٢٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٤٠٢٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥٠١/٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أم خالد بنت أبي خالد هي: أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص، تكنى أم خالد، مشهورة بكنيتها، ولدت بأرض الحبشة مع أخيها سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص، وأمها أميمة، الخزاعية، تزوج أمة بنت خالد الزبير بن العوام، وولدت له عمرو بن الزبير، وخالد بن الزبير وبه كانت تكنى، روت عن النبي ﷺ، وروى عنها موسى وإبراهيم ابنا عقبة، وقال البخاري: «لم تعش امرأة ما عاشت هذه» أي لدعاء النبي ﷺ لها. انظر: الاستيعاب، ٤/ ١٧٩٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ٧/ ٥٠٦.

(٥) البخاري، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء، برقم ٥٨٢٣.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١ - قوله: «تبلي»: من الإبلاء، بمعنى الإخلاق، وهذا دعاء لللبس الثوب بأن يعمر، ويلبس ذلك الثوب حتى يبلى، ويصير خلقاً^(١).
- ٢ - قوله: «ويخلف الله تعالى» أي: يبدلك بعد ذهاب هذا الثوب ويعوضك عنه، والمقصود هو الدعاء بطول الحياة^(٢).
- ٣ - قوله: «خميصة سوداء»، نوع من الألبسة والأردية، قال ابن الأثير: «الخميصة: كساء أسود له علم، فإن لم يكن له علم، فليس بخميصة»^(٣)، والسواد لون من الألوان.
- ٤ - قوله: «علم أخضر»: العلم إشارات ورسوم مما يوضع على الأقمشة والثياب، وحدد هنا لون هذه الرسوم بالأخضر، قال ابن منظور: «العلم: رَسْم الثوب، وعَلَمُهُ رَقْمُهُ فِي أَطْرَافِهِ، وَقَدْ أَعْلَمَهُ: جَعَلَ فِيهِ عِلَامَةً، وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا، وَأَعْلَمَ الْقَصَارُ الثوبَ، فَهُوَ مُعْلَمٌ، وَالثوبُ مُعْلَمٌ»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١ - مشروعية قول هذا الدعاء للمسلم إذا لبس شيئاً جديداً؛ لما في ذلك من أشاعة المحبة بين المسلمين.
- ٢ - المسلم اللبيب هو الذي يقصد بعمله وجه الله ويحوّل العادة إلى عبادة فيقصد بلبس ثوبه الجديد أو غيره إظهار آثار نعمة الله عليه، وغير ذلك من النيات الصالحة. قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(٥).

(١) عون المعبود، ٦/ ١٢٥.

(٢) عون المعبود، ٦/ ١٢٥.

(٣) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٦٧٧.

(٤) لسان العرب، ١٢/ ٤٢٠، مادة (علم).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء أن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، برقم ٢٨١٩، والحاكم، ٤/ ١٣٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٧).

٣- يستحب أن يُدعى بهذا الدعاء لمن لبس شيئاً جديداً.

٤- تَلَفُّفَهُ ﷺ مع الصغار، ورحمته بهم، وجواز تَكْنِيَةِ الصَّغِيرِ، والخميصة ثوب من صوف وقيل: غير ذلك.

٨- (٢) «الْبَسَ جَدِيداً وَعِشَ حَمِيداً وَمُتَّ شَهِيداً»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٣- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٢)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: رَأَى عَلَى عُمَرَ قَمِيصًا أَيْضُ فَقَالَ: «ثوبك هذا غسيل أم جديد؟» قَالَ: لَا، بَلْ غَسِيلٌ، قَالَ: «الْبَسَ جَدِيداً، وَعِشَ حَمِيداً، وَمُتَّ شَهِيداً»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الْبَسَ جَدِيداً»: دعاء في صيغة الأمر أن يلبسه الله ثوباً جديداً. «جديد» أي: لبس ثوباً جديداً، «الجَدِيدُ» هو خلاف القديم، وَجَدَّدَ فلان الأمر، وَأَجَدَّهُ، وَاسْتَجَدَّهُ، إِذَا أَحْدَثَهُ فَتَجَدَّدَ»^(٤).

(١) ابن ماجه، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، برقم ٣٥٥٨، والبخاري، ٤١/١٢، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢٧٥/٢.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الإمام القدوة، أبو عبد الرحمن القرشي، أسلم وهو صغير، وهاجر مع أبيه وهو لم يحتلم، واستصغر يوم أحد، وكانت أول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، مسنده ألفان وستمائة وثلاثون حديثاً، قال عنه مولاه نافع: كان يحيي الليل صلاةً ثم يقول: يا نافع، أسحرنا فأقول لا، فيعاود الصلاة والاستغفار حتى يصبح، وكان يحيي بين الظهر إلى العصر بالصلاة، توفي عام ٧٣ وهو ابن سبع وثمانين سنة. سير أعلام النبلاء للذهبي، ترجمة رقم (٢٦٨).

(٣) ابن ماجه، برقم ٣٥٥٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢٧٥/٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٩٢/١، مادة (جد)، وتقدم شرحه مفصلاً في شرح مفردات حديث المتن رقم ٦، مفردة رقم ١.

٢- قوله: «وعش حميداً» أي: حامداً لربك على نعمه، ومحموداً عند ربك بتقواه، وعند الناس بالإحسان إليهم، وقال ابن منظور رحمته الله: «أَحْمَدَ الرجلُ إِذَا رَضِيَ فِعْلَهُ، وَمَذْهَبَهُ، وَلَمْ يَنْشُرْهُ... حَمْدَهُ جَزَاءُ، وَقَضَى حَقَّهُ، وَأَحْمَدَهُ اسْتَبَانَ أَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِلْحَمْدِ... وَأَحْمَدَ الرجلُ: فَعَلَ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ، وَأَحْمَدَ الرجلُ: صَارَ أَمْرُهُ إِلَى الْحَمْدِ، وَأَحْمَدْتُهُ: وَجَدْتُهُ مَحْمُوداً»^(١).

٣- قوله: «ومت شهيداً»: دعاء بنيل الموت شهيداً في سبيل الله ﷻ، قال ابن منظور رحمته الله: «الشَّهِيدُ فِي الْأَصْلِ مَنْ قُتِلَ مُجَاهِداً فِي سَبِيلِ اللَّهِ... وَسُمِّيَ شَهِيداً لِأَن مَلَائِكَتَهُ شُهِدُوا لَهُ بِالْجَنَّةِ؛ وَقِيلَ: لِأَنَّهُ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ، كَأَنَّهُ شَاهِدٌ أَيْ حَاضِرٌ، وَقِيلَ: لِأَن مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةِ تَشْهَدُهُ، وَقِيلَ: لِإِقْيَامِهِ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ فِي أَمْرِ اللَّهِ حَتَّى قُتِلَ»^(٢).

٤- قوله: «قميص»: «الْقَمِيصُ: ثَوْبٌ مَخِيطٌ بِكُمَيْنِ، غَيْرُ مُفْرَجٍ، يُلْبَسُ تَحْتَ الثَّيَابِ»^(٣).

٥- قوله: «ثوبك هذا غسيل»: الثوب هو: «ما يلبسه الناس من: كتان، وحرير، وخز، وصوف، وفرو، ونحو ذلك»^(٤)، والغسيل: هو المغسول بالماء، والمطهر به، قال الفيومي: «الْغُسْلُ: تَمَامُ الطَّهَارَةِ، وَهُوَ اسْمٌ مِنَ الْاِغْتِسَالِ، وَغَسَلْتُ الْمِيتَ... فَهُوَ مَغْسُولٌ، وَغَسِيلٌ»^(٥).

٦- قوله: «أم جديد»: قال الزبيدي رحمته الله: «جَدِيدٌ، وَجَدِيدَةٌ، وَثَوْبٌ جَدِيدٌ: كَمَا جَدَّهُ الْحَائِكُ، وَهُوَ فِي مَعْنَى مَجْدُودٍ، يُرَادُ بِهِ حِينَ جَدَّهُ الْحَائِكُ، أَيْ قَطَعَهُ، وَيُقَالُ: ثَوْبٌ جَدِيدٌ: قُطِعَ حَدِيثاً»^(٦).

(١) لسان العرب، ٣/ ١٥٦، مادة (حمد).

(٢) لسان العرب، ٣/ ٢٤٢، مادة (شهد).

(٣) لسان العرب، ٧/ ٨٢، مادة (قمص)، وتقديم شرحه مفصلاً في شرح مفردات حديث المتن رقم ٦، مفردة رقم ٩.

(٤) المصباح المنير، ١/ ٨٧، مادة (ثوب).

(٥) المصباح المنير، ٢/ ٤٤٧، مادة (غسل).

(٦) تاج العروس، ٧/ ٤٧٤، مادة (جدد).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- حسن خلق النبي ﷺ، وتواضعه مع أصحابه، والدعاء لهم بخيري الدنيا والآخرة، وهكذا يكون المسلم.
- ٢- قال ابن العربي: «ويخرج من هذا الحديث ما يدل على أن الزهد في الدنيا والعبادة ليس بلباس الخشن الوسخ من الثياب، وفي رسول الله ﷺ وما ندب إليه الأسوة الحسنة»^(١).
- ٣- اقتداء الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ وذلك بلبسهم الأبيض من الثياب لقوله ﷺ: «البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم»^(٢)، وهو أحب اللباس إلى النبي ﷺ وقد ثبت أنه لبس غيره من الألوان.
- ٤- الإسلام يربط أتباعه بالآخرة في كافة شؤونهم، ويذكرهم بأسباب رضوان الله عليهم.

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، للقاظمي ابن العربي، ٧/ ٢٧٦.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في لبس البياض، برقم ٢٨١٠، والنسائي، كتاب الزينة، الأمر بلبس البياض من الثياب، برقم ٥٣٢٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢١٨، برقم ٢٠٢٧.

٥- مَا يَقُولُ إِذَا وَضَعَ ثَوْبَهُ

٩- ((بِسْمِ اللَّهِ))^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٤- لفظ الطبراني: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَرُ مَا

بَيْنَ أَغْنَيْنِ الْجَنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا وَضَعُوا ثِيَابَهُمْ - أَنْ يَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ»^(٣).

٤٥- وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه^(٤)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَتَرُ مَا بَيْنَ أَغْنَيْنِ الْجِنِّ

(١) الترمذي، أبواب السفر والكسوف، باب ما ذكر في التسمية عند دخول الخلاء، برقم ٦٠٦، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، برقم ٢٩٧، والطبراني في الأوسط، ٣/ ٦٧، برقم ٢٥٠٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٦١٠، والعظمة لأبي الشيخ، ٥/ ١٦٦٨، والدعاء لابن فضيل، ص ٢٩٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم ٥٠، وفي صحيح الجامع، ٣/ ٢٠٣، وفي مشكاة المصابيح، برقم ٣٥٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الطبراني في الأوسط، ٣/ ٦٧، برقم ٢٥٠٤، و٧/ ١٢٨، برقم ٧٠٦٦، وأبو الشيخ في العظمة، ٥/ ١٦٦٧، وابن عدي في الكامل، ٣/ ١٩٨، برقم ٦٩٩، وتما في فوائده، ٢/ ٢٦٨، برقم ١٧١٠، والبيهقي في الدعوات الكبير، ١/ ١١٣، برقم ٥٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٢/ ١٢٢، برقم ٣٦١٠.

(٤) علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم النبي ﷺ: أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين أبو الحسن القرشي الهاشمي ويكنى أيضاً بأبي تراب وهو أحب إليه من غيره، وذلك لأنه لما كان بينه وبين زوجته فاطمة شيء، ذهب إلى المسجد ونام فأتاه النبي ﷺ وقال له: «قم أبا تراب» البخاري، كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد، برقم ٤٤١، لأنه كان نائماً على التراب فلصق بجنبه ﷺ، ومناقبه تطول منها أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وقد أخبر النبي ﷺ علياً بذلك يوم خيبر البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم ٣٧٠٢، وقوله ﷺ: «أنت مني وأنا منك» البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، برقم ٤٢٥١. وقوله ﷺ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَثَلِ هَازُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي» البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، وهي غزوة العشيرة، برقم ٤٤١٥، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رضي الله عنه، برقم ٢٤٠٤. قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ١/ ٣٤٨، وسير أعلام النبلاء طبعة بيت الأفكار الدولية، ١/ ٤٣١، ترجمة رقم ٤٠، والإصابة لابن حجر، ١/ ٣٠٠.

وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الْخَلَاءَ، أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ^(١).
٤٦- ولفظ ابن ماجه: عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سِتْرُ مَا بَيْنَ الْجَنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ الْكِنِيفَ أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللَّهِ^(٢)».

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «بِسْمِ اللَّهِ»: قال السعدي رحمته الله: «أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ «اسم» مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنی»^(٣).
- ٢- قوله: «ستر»: الستر هو الحجاب والمانع، قال الشوكاني رحمته الله: «بالكسر: الحجاب، وبالفتح مصدر سترت الشيء أستره: إذا غطيته»^(٤).
- ٣- قوله: «وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ»، «سُكُونِ الْوَاوِ، إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الْخَلَاءَ» أَيِ وَقْتُ دُخُولِ أَحَدِ بَنِي آدَمَ الْخَلَاءَ (أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللَّهِ) خَبَرٌ لِقَوْلِهِ سِتْرُ مَا بَيْنَ أَغْنِ الْجَنِّ، قَالَ الْمُنَاوِي: وَذَلِكَ لِأَنَّ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى كَالطَّابِعِ عَلَى بَنِي آدَمَ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْجَنُّ فَكَّهُ، وَقَالَ: قَالَ بَعْضُ أَئِمَّتِنَا الشَّافِعِيَّةِ: وَلَا يَرِيدُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ؛ لِأَنَّ الْمَحَلَّ لَيْسَ مَحَلَّ ذِكْرٍ، وَوُقُوفًا مَعَ ظَاهِرِ هَذَا الْخَبَرِ انْتَهَى^(٥).
- ٤- قوله: «الكنيف»: هو موضع قضاء الحاجة، قال الصنعاني رحمته الله: «محل قضاء الحاجة سمي به لما فيه من الستر إذ معنى الكنيف الساتر»^(٦).
- ٥- قوله: «الخلاء»: قال ابن منظور: «يقال لموضع قضاء الحاجة الخلاء بالمد وأصله المكان الخالي، ثم نقل إلى موضع قضاء الحاجة»^(٧).

(١) الترمذي، برقم ٦٠٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٦١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن ماجه، برقم ٢٩٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٦١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تفسير السعدي، ص ٣٩.

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٦٨.

(٥) تحفة الأحوذى، ٣ / ١٨٤.

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨ / ٣٨٢.

(٧) تاج العروس، للزبيدي، ٣٨ / ١٣، مادة (خلو).

٦- قوله: «إذا وضعوا ثيابهم»: الوَضْعُ: الإلقاء والرمي، قال ابن منظور: «الوضْعُ: ضِدُّ الرَّفْعِ، وَضَعَهُ يَضَعُهُ وَضْعاً وَمَوْضُوعاً... وَضَعَ الشَّيْءَ مِنْ يَدِهِ يَضَعُهُ وَضْعاً إِذَا أَلْقَاهُ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾^(١)، قَالَ الزَّجَّاجُ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ مَعْنَاهُ أَنْ يَضَعْنَ الْمِلْحَفَةَ وَالرِّدَاءَ»^(٢).

٧- قوله: «أعين الجن»: قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «عنى الشيء الذي يحصل به عدم قدرتهم على النظر إليها»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قول هذا الذكر عند إرادة دخول الكنيف، وعند رفع الثوب لقضاء الحاجة في الخلاء، كما في حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والحكمة من ذلك هو الاستعانة بالله؛ كي لا يطلع الشيطان على عورة العبد حال قضائه لحاجته.

٢- المسلم عبد لله في كل أحواله، وهذا من كمال هذا الشرع الحنيف، فحري للمسلم أن يتعلم آداب هذا الدين الذي تستوعب سنته الليل والنهار.

٣- إثبات وجود الجن والشياطين وأنهم يطلعون على بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

٤- ويقال هذا الذكر عند وضع الثوب كما في حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) سورة النور، الآية: ٦٠.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ٨/ ٣٩٦، مادة (وضع).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ١٢٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

٦ - دَعَاءُ دُخُولِ الْخَلَاءِ

١٠- «بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٧- عن أَنَسٍ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» تَابِعَهُ ابْنُ عَزْرَةَ، عَنْ شُعْبَةَ، وَقَالَ غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ «إِذَا أَتَى الْخَلَاءَ» وَقَالَ مُوسَى عَنْ حَمَّادٍ «إِذَا دَخَلَ» وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ «إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ»، وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ^(٣).

٤٨- وفي لفظ مسلم: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، حَدِيثِ حَمَّادٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ وَحَدِيثِ هُشَيْمٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْكَنِيفَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»^(٤).

٤٩- وفي لفظ آخر لمسلم: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»^(٥).

٥٠- ولفظ ابن ماجه: عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه^(٦)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سِتْرُ مَا بَيْنَ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء، برقم ١٤٢، ومسلم، كتاب الحيض، باب ما يقول إذا دخل الخلاء، برقم ٣٧٥، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، برقم ٢٩٧، وزيادة: «بسم الله» في أوله أخرجه سعيد بن منصور. انظر فتح الباري، ٢٤٤/١، وفي مصنف ابن أبي شيبة، ١١/١، برقم ٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٧١٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ١٢٢- (٣٧٥)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسلم، برقم (١٠٠)- (٣٧٥)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

الْجَنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ، إِذَا دَخَلَ الْكَئِيفَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ»^(١).

٥١- وفي لفظ لابن ماجه أيضاً: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضِرَةٌ، فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»^(٢).

٥٢- وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ إِذَا دَخَلَ مِرْفَقَهُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرَّجَسِ النَّجِسِ، الْخَبِيثِ الْمُخْبِتِ، الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(٣).

٥٣- ولفظ ابن أبي شيبة: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْكَئِيفَ، قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»^(٤).

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة وسنتها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، برقم ٢٩٧، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢٤٣، ٢٩٩، وفي إرواء الغليل، برقم ٥١.

(٢) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الأنصاري الخزرجي، غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، نزل الكوفة وسكنها، وفيها كانت وفاته في سنة ثمان وستين، شهد صفين مع علي رضي الله عنه، وهو معدود في خاصة أصحابه، وروى عن زيد بن أرقم جماعة، منهم أبو إسحاق السبيعي، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو حمزة مولى الأنصار. انظر: الاستيعاب، ٢/ ٥٣٥، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥٨٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة وسنتها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، برقم: ٢٩٦، صححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢٤١.

(٤) صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه، أبو أمامة، سكن حمص، روي له عن رسول الله ﷺ مائتا حديث وخمسون حديثاً، مات بالشام سنة إحدى وثمانين، وقيل ست وثمانين، وقيل إنه هو آخر الصحابة موتاً بالشام، روى له الجماعة. أسد الغابة، ٣/ ٢٤٩٥، والإصابة ٤/ ٢٨٨٢.

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة وسنتها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، برقم ٢٩٩، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه، برقم ٥٩، وكذلك أحمد شاکر في تفسير الطبري، ٢/ ٢١٧، عن ابن عباس، وهو عند ابن ماجه عن أبي أمامة، ولكن الطبري بعد أن أورده عن ابن عباس أورد له سنداً عن أنس رضي الله عنه، فقال أحمد شاکر معلقاً: «وهذا إسناد صحيح، ولكنني لم أجد هذا الخبر في حديث أنس، في المسند أو غيره، ووجدته بهذا اللفظ في حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف». ا.هـ.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة، ١/ ١١، برقم ٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٧١٤، وقال الحافظ في فتح الباري، ١/ ٢٤٤: «وَقَدْ رَوَى الْغَمَرِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُخْتَارِ

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «بسم الله»: قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: ابتدئ بكل اسم لله تعالى»^(١).
- ٢- قوله: «إِذَا دَخَلَ»: «مَعْنَاهُ إِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ، وَكَذَا جَاءَ مُصَرِّحاً بِهِ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ، قَالَ: كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ»^(٢). ،.
- ٣- قوله: «اللَّهُمَّ»: يا الله حذف حرف النداء «يا» وعوض عنه الميم المشددة وهو خاص بنداء الله تعالى^(٣) وهي تجمع الدعاء.
- ٤- قوله: «إني أعوذ بك»: أي: ألجأ وأستجير وأتحصن بالله وحده.
- ٥- قوله: «(من الخُبْثِ)»: جمع خبيث يريد ذكران الشياطين^(٤)، وقال القرطبي في المفهم: قال ابنُ الأعرابي: الخبيث في كلام العرب: المكروه، وهو ضد الطيب، والخُبْث - بالضم - جمع خبيث، وهو الذَّكْرُ من الشياطين، والخبائث: جمع الخبيثة، وهي الأنثى منهم، يعني: أنه تعوذ من ذكورهم وإناثهم، ونحوه، وأيضاً: الخبيث: الشيطان، والخبائث: المعاصي، وأما [الخُبْث] بسكون الباء فقليل فيه: إنه المكروه مطلقاً، وقيل: إنه الكفر، والخبائث: الشياطين، وقيل: الخبائث: البول والغائط^(٥)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «الخُبْث والخبائث: يعني: الشياطين، والشر، فالمهم أن الإنسان يكره له أن يطلق ألفاظاً مكروهة على معانٍ صحيحة؛

عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ ضَهَبٍ يَلْفِظُ الْأَمْرَ قَالَ: «إِذَا دَخَلْتُمُ الْخَلَاءَ فَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَفِيهِ زِيَادَةُ التَّسْمِيَةِ، وَلَمْ أَرَهَا فِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ.

(١) تفسير السعدي، ص ٣٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٠ / ٤.

(٣) تفسير الجزائري: أيسر التفاسير، ٣٠٣ / ١.

(٤) عمدة الأحكام من كلام خير الأنام عليه الصلاة والسلام، ص: ٧.

(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأحمد القرطبي، ٣٠ / ٤.

بل يبدلها بالفاظ محبوبة للنفوس»^(١).

٦- قوله: «والخبائث»: جمع خبيثة يريد إناث الشياطين^(٢).

٧- قوله: «الخلاء»: وهو المكان المستتر، البعيد عن الناس، والمكان الذي لا شيء به^(٣)، وقال ابن الأثير: «الخلاء: وهو قضاء الحاجة، يعني يستحيون أن ينكشفوا عند قضاء الحاجة تحت السماء»^(٤).

٨- قوله: «الحشوش»: يكنى بالحشوش عن موضع الغائط^(٥).

٩- قوله: «محتضرة»: محضرة، أي: إن هذه الحشوش محتضرة، أي: يحضرها الجن والشياطين^(٦).

١٠- قوله: «مرفقه»: يريد الكنف والحشوش واحدا مرفق بالكسر^(٧).

١١- قوله: «الرجس»: القذر، وقد يعبر به عن الحرام، والفعل القبيح، والعذاب، واللعنة، والكفر، ومنه الحديث: نهى أن يستنجى بروثة، وقال إنها رجس أي مستقذرة^(٨).

١٢- قوله: «النَّجَس»: الرجس، قال ابن منظور رحمته الله: «النَّجَسُ، والنَّجَسُ، والنَّجَسُ: القَذَرُ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَذِرْتَهُ... إِذَا بَدَّوْا بِالنَّجِيسِ وَلَمْ يَذْكُرُوا الرَّجْسَ فَتَنَحُّوا الثُّونَ وَالْجِيمَ، وَإِذَا بَدَّوْا بِالرَّجْسِ ثُمَّ أَتَبَعُوهُ بِالنَّجِيسِ كَسَرُوا الثُّونَ»^(٩).

(١) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين رحمته الله، شرح الحديث رقم ١٧٤١.

(٢) عمدة الأحكام من كلام خير الأنام عليه الصلاة والسلام، ص: ٧.

(٣) انظر: مختار الصحاح، ص ١٩٦، مادة (خلا).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٧٥، مادة (خلو).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٣٨٩، مادة (حشش).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٣٩٨، مادة (حضر).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٢٤٦، مادة (رفق).

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ١٩٩، مادة (رجس).

(٩) لسان العرب، ٦ / ٢٢٦، مادة (نجس).

١٣- قوله: «الخبث المخبث»: الخبيث هو ذو الخبث في نفسه؛ والمخبث هو الذي أصحابه وأعوانه خبثاء، وهو مثل قولهم: فلان قوي مُقوٍ، فالقوي في بدنه، والمقوى أن يكون دابته قوية - قال ذلك الأحمر، وقد يكون أيضاً: المخبث أن يخبث غيره - أي يعلمه الخبث ويفسده^(١).

١٤- قوله: «الكنيف»: هو محل قضاء الحاجة^(٢).

١٥- قوله: «ستر ما بين الجن وعورات بين آدم»: أي «أن اسمه تعالى كالطابع على ابن آدم فلا تستطيع الجن فك ذلك الطابع قالوا: ويتأكد للنساء عند دخول الخلاء وفي كل خلاء فإن الجن يشركون الإنس فيهن فيتعين طردهم بالمحافظة على التسمية»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- تمام حرص النبي ﷺ ورعايته لأمره بتعليمهم هذه الآداب.
- ٢- إظهار العبودية لله رب البرية في كافة الحركات والسكنات.
- ٣- استحباب قول هذا الذكر جهراً قبل دخول المكان المعد لقضاء الحاجة كالحمام والكنيف ونحوهما.
- ٤- إذا كان قضاء الحاجة في صحراء أو مكان غير مُعد لذلك فإن الذكر يقال حال تشمير الثياب وهو مذهب الجمهور^(٤).
- ٥- الشياطين لا تسكن إلا الأماكن المتسقذرة التي لا يذكر فيها اسم الله.
- ٦- ذكر الحافظ في «الفتح» رواية بلفظ الأمر: «إذا دخلتم الخلاء فقولوا:

(١) غريب الحديث لابن سلام، ٢/ ١٩٢، مادة (نجس).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، للإمام الصنعاني، ٨/ ٣٨٢.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ١٢٧.

(٤) فتح الباري، ١/ ٣٠٨.

بسم الله، أعوذ بالله من الخبث والخبائث» وإسناده على شرط مسلم، وفيه زيادة التسمية، ولم أرها في غير هذه الرواية^(١). وقال القاضي ابن العربي رحمه الله: «يحض على الاستعاذة في هذا الموضع لمعنيين أحدهما أنه خلاء وللشيطان قدرة في الخلاء ليست له في الملاء يصل بها إلى العبد قال رسول الله ﷺ: «الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب»^{(٢)(٣)}.

٧- قولك: أعوذ بالله: يكون للاستجارة بالله من المكروه.

وقولك: ألوذ بالله: يكون لطلب المحبوب.

ويشهد لهذا قول الشاعر:

يا من ألوذ به فيما أوّله ومن أعوذ به مما أحذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ولا يهيضون عظمًا أنت جابره^(٤)

(١) أخرجه سعيد بن منصور. انظر فتح الباري، ٢٤٤/١.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، ١٤٢٥/٥، برقم ٣٥٨٦، وأحمد، ٣٦٠/١١، برقم ٦٧٤٨، وأبو داود، في كتاب الجهاد، باب في الرجل يسافر وحده، برقم ٢٦٠٧، والترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في كراهية أن يسافر الرجل وحده، برقم ١٦٧٤، وحسنه محققو المسند، ٣٦٠/١١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١١٢/٣.

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، لابن العربي، ٥٨٩/٢.

(٤) تفسير الجزائري، سورة الفاتحة، ص ١٠.

٧- دعاء الخروج من الخلاء

١١- «غُفْرَانُكَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٤- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها^(٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ قَالَ: «غُفْرَانُكَ». وهذا لفظ أبي داود^(٣).

٥٥- ولفظ الترمذي: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ، قَالَ: «غُفْرَانُكَ»^(٤).

٥٦- ولفظ النسائي: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ

(١) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي، فقد أخرجه في السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا خرج من الخلاء، برقم ٩٩٠٧: أبو داود، كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا خرج من الخلاء، برقم ٣٠، واللفظ له، والترمذي، أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، برقم ٧، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، برقم ٣٠٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٩/١.

(٢) عائشة بنت الصديق رضي الله عنها: أم المؤمنين، وأفقه نساء الأمة، هاجرت مع أبيها وهي صغيرة، تزوجها النبي ﷺ قبل الهجرة بعامين بعد وفاة خديجة ودخل بها في شوال بعد منصرفه من غزوة أحد سنة اثنتين للهجرة، وهي ابنة تسع، مناقبها كثيرة جداً. منها أنها كانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات السلاسل، برقم ٤٣٥٨، وأن جبريل أقرأها السلام البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، برقم ٣٧٦٨، ونزلت من أجلها آية التيمم البخاري، كتاب التيمم، باب حدثنا عبد الله بن يوسف، برقم ٣٣٤، وأن الله برأها من الإفك في القرآن البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا...﴾، برقم ٤٧٥٠، ومات النبي ﷺ بين سحرها ونحرها البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٥١، والمراد أن النبي مات ورأسه بين حنكها وصدرها، ماتت بالمدينة سنة ٥٧ هـ وصلى عليها أبو هريرة. انظر: سير أعلام النبلاء ترجمة، ١٣٥/٢ (١٩).

(٣) أبو داود، برقم ٣٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٩/١، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، برقم ٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٩/١، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الْغَائِطِ إِلَّا قَالَ: «غُفْرَانُكَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «غفرانك» أي: أسألك غفرانك الذي يترتب عليه ستر الذنب، والتجاوز عنه، وقال الإمام النووي رحمته الله: «أي: أسألك غفرانك، أو اغفر غفرانك، والغفران: مصدر بمعنى المغفرة، وأصله السّتر، والمراد بغفران الذنب: إزالته وإسقاطه، قال الخطابي وغيره: في سبب قوله ﷺ هذا الذكر في هذا الموطن قولان:

أحدهما: إنه استغفر من ترك ذكر الله تعالى حال لبثه على الخلاء، وكان لا يهجر ذكر الله تعالى إلا عند الحاجة ونحوها.

والثاني: إنه استغفر خوفاً من تقصيره في شكر نعمة الله التي أنعمها عليه، فأطعمه، ثم هضمه، ثم سهّل خروجه، فرأى شكره قاصراً عن بلوغ حق هذه النعم، فاستغفر»^(٢).

٢- قوله: «كان ﷺ إذا خرج من الخلاء»: أي إذا خرج من قضاء حاجته في الخلاء المستتر، «وَلَفْظَةُ (خَرَجَ) تُشْعِرُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَكَانِ كَمَا سَلَفَ فِي لَفْظِ دَخَلَ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ أَعْمُ مِنْهُ، وَلَوْ كَانَ فِي الصَّحْرَاءِ»^(٣).

٣- قوله: «الغائط»: الغائط المظمتن من الأرض ثم صار عبارة عن الخارج المعروف من دبر آدمي^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- ما كان عليه النبي ﷺ من تمام تعلق قلبه بذكر الله ومحبته وطلب مغفرته.

(١) النسائي، في السنن الكبرى، برقم ٩٩٠٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ١٩، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الإيجاز في شرح سنن أبي داود للنووي، ص ١٦٧.

(٣) نيل الأوطار للشوكاني، ١/ ٢٤٩.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ١٥٤.

- ٢- تنزيه الله ﷻ من أن يذكر في مثل هذه الأماكن ولو برّد السلام^(١).
- ٣- إثبات صفة «المغفرة» لله تعالى، وأن المغفرة هي على الوجه اللائق به ﷻ.
- ٤- يسن لمن أراد قضاء حاجته أن يدخل باليسرى ويخرج باليمنى عكس المسجد ولبس النعل وغيره.
- ٥- مناسبة قول النبي ﷺ: «غفرانك» هي أن الإنسان لما تخفف من أذية الجسم، تذكر أذية الإثم، فدعا الله أن يخفف عنه أذية الإثم، كما منّ عليه بتخفيف أذية الجسم، أما من قال: إن النبي ﷺ سأل المغفرة لانقطاعه عن الذكر ففيه نظر؛ لأنه انقطع عن الذكر بأمر الله ولذلك فإن الحائض لا تصلي ولا تصوم ولا يسن لها الاستغفار بتركها الصوم والصلاة^(٢).
- ٦- قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «مَعْنَى الْإِسْتِغْفَارِ: قِيلَ: وَاسْتَغْفَرَهُ ﷻ مِنْ تَرْكِهِ لِذِكْرِ اللَّهِ وَقَتَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ، فَجَعَلَ تَرْكَهُ لِذِكْرِ اللَّهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ تَقْصِيرًا، وَعَدَّهُ عَلَى نَفْسِهِ ذَنْبًا، فَتَدَارَكُهُ بِالْإِسْتِغْفَارِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ التَّوْبَةُ مِنْ تَقْصِيرِهِ فِي شُكْرِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ، فَطَاعَمَهُ ثُمَّ هَضَمَهُ، ثُمَّ سَهَّلَ خُرُوجَ الْأَذَى مِنْهُ، فَرَأَى شُكْرَهُ قَاصِرًا عَنْ بُلُوغِ حَقِّ هَذِهِ النِّعْمَةِ، فَفَرَعَ إِلَى الْإِسْتِغْفَارِ مِنْهُ، وَهَذَا أَنْسَبُ»^(٣).
- ٧- حديث: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى وَعَافَانِي»^(٤) حديث ضعيف سندًا، ومعناه صحيح، ولم يثبت عن النبي ﷺ غير قوله: «غفرانك» بعد قضاء الحاجة.

(١) مسلم (٨٢١)، لقول ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلًا مر، ورسول الله ﷺ يبول، فسلم، فلم يرد عليه.
 (٢) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين ١/ ١١٦.
 (٢) نيل الأوطار، للعلامة الشوكاني، ١/ ٢٤٩.
 (٤) أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، برقم ٩٨٢٥، وابن ماجه، أبواب الطهارة وسنتها، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، برقم ٣٠١، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم ٣٧٤، وفي ضعيف الجامع، برقم ٤٣٧٨.

٨- يكره إطالة المكث بعد قضاء الحاجة لسببين:

أ - أن في ذلك كشفًا للعورة بلا حاجة.

ب - أن المراحيض مأوى للشياطين والنفوس الخبيثة^(١).

* * *

(١) انظر: الشرح الممتع، ١ / ١١٧.

٨- الذِّكْرُ قَبْلَ الْوُضُوءِ

١٢- «بِسْمِ اللَّهِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

- ٥٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ»^(٣).
- ٥٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه^(٤) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ»^(٥).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «بِسْمِ اللَّهِ» أي: أبتدئ وضوئي متبركاً باسم الله راجياً القبول والستداد، قال السعدي رحمته الله: «أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ «اسم» مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنی»^(٦).

- (١) أبو داود، كتاب الطهارة، باب في التسمية على الوضوء، برقم ١٠١، وابن ماجه، أبواب الطهارة وسننها، باب ما جاء في التسمية في الوضوء، برقم ٣٩٩، وأحمد، ٢٤٣/١٥، برقم ٩٤١٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١٠١، وفي إرواء الغليل ١٢٢/١.
- (٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
- (٣) أخرجه أحمد، ٢٤٣/١٥، برقم ٩٤١٨، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب في التسمية على الوضوء، برقم ١٠١، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في التسمية في الوضوء، برقم ٣٩٩، والحاكم، ٢٤٥/١، برقم ٥١٨، وقال: «صحيح الإسناد» وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٤٨/١، برقم ٢٠٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
- (٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.
- (٥) ابن ماجه، أبواب الطهارة وسننها، باب ما جاء في التسمية في الوضوء، برقم ٣٩٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١٠١، وإرواء الغليل ١٢٢/١.
- (٦) تفسير السعدي، ص ٣٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٩.

٢- قوله: «لا صلاة لمن لا وضوء له»: قال المناوي: «لا صلاة صحيحة لمن لا وضوء له، وفي لفظ: «لا صلاة إلا بوضوء»... هذه الصيغة حقيقة في نفي الشيء، ... لا صلاة إلا بطهور، أو كماله»^(١)، ويمثله قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هُوَ لِنَفْيِ الْفِعْلِ، فَلَا يُجْزِئُ مَعَ هَذَا النَّفْيِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ لِنَفْيِ الْكَمَالِ، يُرِيدُونَ نَفْيَ الْكَمَالِ الْمُسْنُونِ، وَأَمَّا تَفْسِيرُهُ بِمَا كَمَلَ بِالْوَجِبِ فَهُوَ فِي غُزْفِ الشَّارِعِ، لَكِنَّ الْمَوْجُودَ فِيهِ كَثِيرًا لَفْظُ التَّمَامِ، هُوَ أَمْرٌ مُطْلَقٌ بِالْإِتْمَامِ وَاجِبُهُ وَمُسْتَحَبُّهُ، فَمَا كَانَ وَاجِبًا فَلَا أَمْرَ بِهِ إِيْجَابًا، وَمَا كَانَ مُسْتَحَبًّا فَلَا أَمْرَ بِهِ اسْتِحْبَابًا»^(٢).

٣- قوله: «ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»: قال النووي: «إنه الذي يتوضأ ويغتسل، ولا ينوي وضوءاً للصلاة، ولا غسلًا للجنابة»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- التسمية عند الوضوء مستحبة وهو مذهب الجمهور، وعند الإمام أحمد تجب مع الذكر، وتسقط مع النسيان قال ابن قدامة: «وَإِنْ قُلْنَا بِوُجُوبِهَا فَتَرَكَهَا عَمْدًا، لَمْ تَصِحَّ طَهَارَتُهُ؛ لِأَنَّهُ تَرَكَ وَاجِبًا فِي الطَّهَارَةِ، أَشْبَهَ مَا لَوْ تَرَكَ الْيَتَةَ، وَإِنْ تَرَكَهَا سَهْوًا صَحَّتْ طَهَارَتُهُ، نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ فَإِنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ: إِذَا نَسِيَ التَّسْمِيَةَ فِي الْوُضُوءِ؟ قَالَ: أَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهَذَا قَوْلُ إِسْحَاقَ، فَعَلَى هَذَا إِذَا ذَكَرَ فِي أَثْنَاءِ طَهَارَتِهِ أَتَى بِهَا حَيْثُ ذَكَرَهَا؛ لِأَنَّهُ لَمَّا عَفِيَ عَنْهَا مَعَ السَّهْوِ فِي جُمْلَةِ الْوُضُوءِ فَفِي بَعْضِهِ أَوَّلَى، وَإِنْ تَرَكَهَا عَمْدًا حَتَّى غَسَلَ غُضُوًّا لَمْ يَتَعَدَّ بِغُسْلِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ مَعَ الْعَمْدِ»^(٤).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٤٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٩/ ٢٩٢.

(٣) الإيجاز في شرح سنن أبي داود للنووي، ص ٣٩٢.

(٤) المغني شرح مختصر الخرقي، ١/ ٧٣.

وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «قوله: «وتجبُ التَّسميةُ في الوُضوءِ مع الذِّكرِ»، أي يقول: بسم الله، ويكون عند ابتدائه؛ لقوله ﷺ: «لا وُضوءَ لِمَنْ لم يَذْكُرِ اسمَ الله عليه»، فدلَّ هذا على أنَّها واجبةٌ، وأنها في البداية، وهذا المشهور؛ لأن التَّسمية على الشيء تكون عند فعله... وهذا المشهور من المذهب؛ بناء على القاعدة المعروفة: «أن النَّفي يكون أولاً لنفي الوجود، ثم لنفي الصِّحة، ثم لنفي الكمال»، فإذا جاء نَصٌّ في الكتاب أو السُّنة فيه نفيٌ لشيء؛ فالأصل أن هذا النفي لنفي وجود ذلك الشيء، فإن كان موجوداً فهو نفي الصِّحة، ونفي الصِّحة نفي للوجود الشرعي، فإن لم يمكن ذلك بأن صَحَّت العبادة مع وجود ذلك الشيء، صار النَّفي لنفي الكمال لا لنفي الصِّحة: - مثال نفي الوجود: «لا خالق للكون إلا الله».

- مثال نفي الصِّحة: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب»^(١).

- ومثال نفي الكمال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢).

فإذا نزلنا حديث التَّسمية في الوُضوء على هذه القاعدة فإنَّها تقتضي أن التسمية شرطٌ في صِحَّة الوُضوء، لا أنَّها مجرد واجب؛ لأن نفي الوُضوء لانتفاء التَّسمية معناه نفي الصِّحة، وإذا انتفت صِحَّة العبادة بانتفاء شيء كان ذلك الشيء شرطاً فيها، ولكنَّ المذهب أنَّها واجبة فقط وليست شرطاً، وكأنَّهم عدَّلوا عن كونها شرطاً لصِحَّة الوُضوء؛ لأنَّ الحديث فيه نظر؛ ولهذا ذهب الموفق رحمته الله إلى أنَّها ليست واجبة بل سُنَّة؛ لأن الإمام أحمد رحمته الله قال:

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، برقم ٧٥٦، ومسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، برقم ٣٩٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم ١٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، برقم ٤٥.

«لا يثبت في هذا الباب شيء»، وإذا لم يثبت فيه شيء فلا يكون حُجَّةً؛ ولأن كثيراً من الذين وصفوا وضوء النبي ﷺ لم يذكروا فيه التسمية، ومثل هذا لو كان من الأمور الواجبة التي لا يصحُّ الوضوء بدونها لذكرت»^(١).

٢- من نسي التسمية في أول الوضوء ثم ذكرها في أثناؤه سمى ولا إعادة عليه.

٣- ذهب بعض أهل العلم إلى القول بالوجوب إذا كان المتوضئ عالماً بالحكم والذكر^(٢)، فعلى هذا تستحب مع الذكر، وتسقط مع النسيان، والله ﷻ أعلم.

٤- من تمام الوضوء وكماله المحافظة على التسمية في أوله.

لقول النبي ﷺ: «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»^(٣)، وهذا محمول على التمام والكمال وإلا فإن الوضوء صحيح لمن لم يأتِ بالتسمية.

٥- الدعاء عند غسل أعضاء الوضوء لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ

ولا عن الصحابة رضي الله عنهم، بل هو من البدع المنكرة مثل قولهم:

أ - عند غسل الوجه: «اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه».

ب - قولهم عند غسل اليدين: «اللهم أعطني كتابي بيمينتي».

ج - قولهم عند غسل الرجلين: «اللهم ثبت قدمي على الصراط» ونحوه^(٤).

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١/ ١٥٨.

(٢) انظر: مجموع فتاوى الشيخ: عبد العزيز بن باز رحمه الله، ٧/ ١٠٠.

(٣) أخرجه أحمد، ١٥/ ٢٤٣، برقم ٩٤١٨، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب في التسمية على الوضوء، برقم ١٠١، وابن ماجه، أبواب الطهارة وستنها، باب ما جاء في التسمية في الوضوء، برقم ٣٩٩، والحاكم، ١/ ٢٤٥، وقال: «صحيح الإسناد» وقد جاء الحديث عن ستة من الصحابة رضي الله عنهم، لا يخلو شيء منها من ضعف، وليس في هذه الطرق متهم ولا متروك؛ ولذا فقد صححه ابن القيم، وابن الصلاح، وابن كثير، والعراقي، والألباني وغيرهم، وانظر: صحيح الجامع، برقم ٧٥١٤.

(٤) انظر: فقه الأدعية والأذكار، ص (١١٤).

٦- قال بعض الفقهاء بالتسمية عند الغسل؛ لأنه طهارة كبرى والوضوء طهارة صغرى^(١).

٧- التسمية في الشريعة تأتي على معان:

أ - شرط لصحة الفعل كال�سمية عند الذبح لقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^(٢).

ب - مستحبة: مثل التسمية عند الوضوء والطعام.

ج - بدعة: مثل التسمية قبل قراءة التشهد في الصلاة.

(١) الشرح الممتع لابن عثيمين، ١/ ١٦٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

٩- الذِّكْرُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْوُضُوءِ

١٣- (١) «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ...»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٩- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ^(٢)، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ، فَجَاءَتْ نَوْبَتِي، فَرَوَّحْتُهَا بَعْشِي، فَأَذْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَأَذْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجُودَ هَذِهِ! فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجُودُ، فَتَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ، قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ أَنْفًا، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيَسْبِغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(٣).

٦٠- وفي لفظ لمسلم: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَذَكَرَ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «أشهد» أي: أقر وأعترف قولاً باللسان واعتقاداً بالجنان - وهو القلب -

(١) مسلم، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، برقم ٢٣٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم (...) - ٢٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وعملاً بالجوارح والأركان، وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأَبِينُ،... وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيُّ: حُضُورِهِ^(١).

٢- قوله: «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: نفي الألوهية عن غيره ثم أثبت لها وحده، فلا معبود بحق إلا هو، قال المناوي رحمته الله: «من مات معتقداً لها، فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئاً»^(٢)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «ألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لا بد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات...، حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات»^(٣).

٣- قوله: «وحده لا شريك له»، قال المناوي: «وحده: نصب على الحال، أي لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، وأما الأول: فلأن وجود إلهين محال، كما تقرر في الأصول، وأما الثاني: فلقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾»^(٤)، وذلك يقتضي أن لا شريك له، وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»^(٥).

٤- قوله: «وأشهد أن محمداً»: قال العيني رحمته الله: «أي: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وهو اسم مأخوذ من الحمد، يقال: حمدت الرجل فأنا أحمده إذا أثنت عليه بجلائل خصاله، وأحمدته، وحمدته محموداً، ويقال: رجل محمود، فإذا بلغ النهاية في ذلك وتكامل فيه المناقب والمحاسن فهو محمد، وهذا البناء أبداً يدل على الكثرة، وبلوغ النهاية، فتقول في المدح: محمد، وفي الذم: مذمم، وفعلك المحمود منك غير المذموم أن تفعل كذا،

(١) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠.

(٢) فيض القدير، ١/ ١٣٦.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠.

والفرق بين محمد وأحمد: أن الأول مفعول، والثاني اسم تفضيل، والمعنى: إذا حمدتُ أحداً فأنت محمدٌ، وإذا حمدني أحدٌ فأنت أحمدٌ»^(١).

٥- قوله: «عبده»: أي الذي حقق العبودية على أكمل الوجوه وجاهد في دعوة الناس إليها، وقال العيني رَحِمَهُ اللهُ: «العبدُ: الإنسان حراً كان أو رقيقاً... وجعل بعضهم العبادَ لله، وغيره من الجَمْع لله والمخلوقين... ليس شيء أشرف من العبودية، ولا اسم أتم للمؤمن من الوصف بالعبودية»^(٢).

٦- قوله: «رسوله»: أي الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وهو رسول الله ﷺ للجن والإنس، لا نبي بعده ﷺ، وقال العيني رَحِمَهُ اللهُ: «الرسول الذي أرسل لتبليغ رسالات الله»^(٣)، وقال الزين العراقي رَحِمَهُ اللهُ: «الذي دعانا إلى الملة الزهراء الحنفية وتركنا على محجة بيضاء نقية ﷺ وعلى آله وأصحابه ذوي المقادر العلية والمآثر الجليلة»^(٤).

٧- قوله: «كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوبتي»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «كَانُوا يَتَنَاقَبُونَ رَعِي إِبِلِهِمْ، فَيَجْتَمِعُ الْجَمَاعَةُ، وَيَضُمُّونَ إِبِلَهُمْ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَيَزَعَاهَا كُلُّ يَوْمٍ وَاحِدٌ مِنْهُمْ لِيَكُونَ أَزْفَقَ بِهِمْ، وَيَنْصَرِفَ الْبَاقُونَ فِي مَصَالِحِهِمْ، وَالرِّعَايَةُ بِكُسْرِ الرَّاءِ وَهِيَ: الرَّعْيُ»^(٥).

٨- قوله: «روحتها بعشي»: أي: رَدَدْتُهَا إِلَى مَرَاحِهَا فِي آخِرِ النَّهَارِ، وَتَفَرَّغَتْ مِنْ أَمْرِهَا، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٦).

(١) شرح سنن أبي داود للعيني، ١/ ٣٩٤.

(٢) شرح سنن أبي داود للعيني، ٤/ ٢٣٩.

(٣) شرح سنن أبي داود للعيني، ١/ ٣٩٥.

(٤) طرح الثريب في شرح التقريب، ١/ ١٧.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٨٥.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٨٥.

٩- قوله: «مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ»: هَكَذَا هُوَ فِي الْأُصُولِ (مُقْبِلٌ) أَيُّ: وَهُوَ مُقْبِلٌ، وَقَدْ جَمَعَ ﷺ بِهَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ أَنْوَاعَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ؛ لِأَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْأَعْضَاءِ، وَالْخُشُوعَ بِالْقَلْبِ عَلَى مَا قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ^(١).

١٠- قوله: «وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»: أَي لَزِمَتْ، وَصَارَتْ لَهُ حَقًّا بِنَاءً عَلَى عَمَلِهِ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: «وَجِبَ الشَّيْءُ يَجِبُ وَجُوبًا إِذَا ثَبَتَ وَلَزِمَ ، ... يُقَالُ : أَوْجَبَ الرَّجُلُ إِذَا فَعَلَ فِعْلًا وَجِبَتْ لَهُ بِهِ الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ»^(٢)، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ صَاحِبُ الْمَفْهَمِ: «أَيُّ: مَنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا بَدَّ لَهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ قِطْعًا، وَلَوْ أُدْخِلَ النَّارَ فِي كِبَائِرِ عَلَيْهِ، فَمَالَهُ إِلَى الْجَنَّةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٣).

١١- قوله: «مَا أَجُودَ هَذِهِ»: يَغْنِي: هَذِهِ الْكَلِمَةُ، أَوْ الْفَائِدَةُ، أَوْ الْبَشَارَةُ، أَوْ الْعِبَادَةُ، وَجَوْدَتِهَا مِنْ جِهَاتٍ، مِنْهَا: أَنَّهَا سَهْلَةٌ مُتَيَسِّرَةٌ، يَقْدِرُ عَلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ بِلَا مَشَقَّةٍ، وَمِنْهَا: أَنَّ أَجْرَهَا عَظِيمٌ^(٤).

١٢- قوله: «جِئْتُ أَنْفَاءً»: أَيُّ قَرِيبًا ، وَهُوَ بِالْمَدِّ عَلَى اللَّغَةِ الْمَشْهُورَةِ وَبِالْقَصْرِ عَلَى لُغَةِ صَحِيحَةِ قُرَيْشٍ بِهَا فِي السَّنْعِ^(٥).

١٣- قوله: «فِيَبْلَغُ أَوْ فَيَسْبِغُ الْوُضُوءَ»: هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ أَيُّ : يَتِمُّهُ وَيُكْمِلُهُ فَيُؤَوِّضِلُهُ مَوَاضِعُهُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَسْنُونِ^(٦).

١٤- قوله: «فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ»: أَيُّ أَنَّ الْجَنَّةَ لَهَا أَبْوَابٌ تَفْتَحُ لَطَالِبِيهَا إِكْرَامًا لَهُمْ، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَتَحَهَا اللَّهُ لَهُمْ «وَهَذَا أَبْلَغُ وَأَعْظَمُ فِي تَمَامِ

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١ / ٣٨٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ٣٣١، مادة (وجب).

(٣) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٢ / ٢٨.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١ / ٣٨٥.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١ / ٣٨٥.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ١ / ٣٨٥.

النعمة، وحصول الفرح والسرور، مما يقدر بخلاف ذلك؛ لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء، فجنة الله غالية، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به»^(١).

١٥- قوله: «أبواب الجنة»: وَدُخُولُهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ يَكُونُ خُصُوصًا لِمَنْ قَالَ مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَرَنَ بِالشَّهَادَتَيْنِ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ الَّذِي وَرَدَ فِي حَدِيثِهِ، فَيَكُونُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مَا يَزْجَحُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، وَيُوجِبُ لَهُ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ، وَدُخُولَ الْجَنَّةِ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- حرص الصحابة على ملازمة رسول الله ﷺ وتفرغ الوقت لذلك.
- ٢- إسباغ الوضوء ثم صلاة ركعتين بخشوع القلب وخضوع الأعضاء من موجبات الجنة فضلاً من الله ومنة.
- ٣- فرح عقبه ﷺ بهذه البشرى وعبر عن ذلك بقوله: «ما أجود هذه»، وهي كلمة محمودة.
- ٤- كلمة التوحيد هي مجموع الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله، ومعناها: الاعتقاد الجازم أن محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي، هو رسول الله حقاً للجن والإنس لا نبي بعده، فلا تغني واحدة عن الأخرى.
- ٥- فضل هذا الذكر بعد الوضوء الكامل وأنه سبب لدخول الجنة من أي باب من أبوابها الثمانية.

٦- الصواب والمسنون قول هذا الذكر مرة واحدة خلافاً لمن قال بقوله ثلاث

(١) حادي الأرواح إلى دار الأفراح، لابن القيم، ص ٣٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ١٠٠.

مرات؛ لأن الحديث الوارد في الثلاث ضعيف جداً^(١).

٧- هل من المسنون أن يرفع المسلم نظره إلى السماء بعد وضوئه ويقول هذا الذكر يحتاج إلى تأمل^(٢).

١٤- (٢) «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦١- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه^(٤)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ

(١) ابن ماجه، أبواب الطهارة وستنها، باب ما يقال بعد الوضوء، برقم ٤٦٩، وقد ضعفه النووي والألباني وغيرهما.
(٢) أخرجه الإمام أحمد، ١/ ٢٧٤، برقم ١٢١: «عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: «مَنْ قَامَ إِذَا اسْتَقَلَّتِ الشَّمْسُ فَتَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، غَفَرَ لَهُ خَطَايَاهُ فَكَانَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»، قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه: فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي أَنْ أَسْمَعَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَكَانَ تَجَاهِي جَالِسًا: أَتَعْجَبُ مِنْ هَذَا؟ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَجَبٌ مِنْ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَأْتِي، فَقُلْتُ: وَمَا ذَاكَ يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ فَقَالَ عُمَرُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ رَفَعَ نَظْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَتَحْتُ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»، وَصَحَّحَهُ لغيره محققو المسند، ١/ ٢٧٤.

(٣) الترمذي، أبواب الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء، برقم ٥٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٨/١.
(٤) عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أمير المؤمنين - أبو حفص القرشي العدوي، الفاروق، أسلم في السنة السادسة من الهجرة وله سبع وعشرون سنة، وله فضائل كثيرة، منها: دعوة النبي ﷺ له أن يعز به الإسلام الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، برقم ٣٦٨١، قال العدوي في «الصحيح المسند من فضائل الصحابة»: صحيح لشواهد، كان صمام أمان للأمة من الفتن البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، برقم ٥٢٥، مات عنه النبي ﷺ وهو عنه راض البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، برقم ٣٦٩٢، الشيطان يخاف ويفر منه هيبه له البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، برقم ٣٦٨٣، له موافقات مع ربه ﷻ مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنه، باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، برقم ٢٣٩٩، محدث هذه الأمة وملهمها البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، برقم ٣٦٨٩، عبقري هذه الأمة البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، برقم ٣٦٨٢، أشد الأمة في دين الله مسند أحمد، ٢١/ ٤٠٦، برقم ١٣٩٩٠، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب،

الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فَتَحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم اجْعَلْنِي»: قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «طَلَبَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى غَايَةَ الْمُنَاسَبَةِ فِي طَلَبِ أَنْ يَكُونَ السَّائِلُ مُحِبُّوًّا بِاللَّهِ، وَفِي زُمْرَةِ الْمُحِبُّوبِينَ لَهُ»^(٢).

٢- قوله: «من التَّوَّابِينَ» أي: من الذين إذا أذنبوا سارعوا بالعودة والإنابة إلى ربهم، و(التَّوَّابِينَ) صفة مبالغة، وهي جمع تَوَّابٍ، وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّوَّابُ: أي: الكثير التوبة، أي: الذي يتوب، ثم يعود، ثم يتوب، ثم يعود، ثم يتوب، ثم يعود... وهذا تأنيس لقلوب المجروحين من معاودة الذنب بعد التوبة منه»^(٣).

٣- قوله: «من الْمُتَطَهِّرِينَ»: جمع متطهر وهم الذين يطهرون أنفسهم من الخبث الحسي والمعنوي، وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما كانت التوبة طهارة الباطن عن أدران الذنوب، والوضوء طهارة الظاهر عن الأحداث المانعة عن التقرب إليه تعالى، ناسب الجمع بينهما»^(٤).

٤- قوله: «من تَوْضِئاً فَأَحْسَنَ الْوُضُوءِ»: أي أتى به على خير وجه، وأتمه، قال

وأبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم ٣٧٩٠، وابن ماجه، المقدمة، باب فضائل خباب، برقم ١٥٤، وصحح إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٢٥، قتله أبو لؤلؤة المجوسي عام ٢٣ هـ بعد ما عاد من الحج وهو يوم المسلمين في صلاة الفجر. الاستيعاب، ٣/ ١١٤٤، وسير أعلام النبلاء، مجلد الخلفاء الراشدين، ص ٧١، والإصابة، ٤/ ٥٨٨.

(١) الترمذي، برقم ٥٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) نيل الأوطار، للعلامة الشوكاني، ١/ ١٦٣.

(٣) فيض القدير، ٢/ ٣٦٧.

(٤) تحفة الأحوذى، ١/ ١٥٠.

الباجي: «يُقَالُ أَحْسَنَ فَلَانٌ كَذَا بِمَعْنَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَتَى بِهِ عَلَى أَكْمَلِ هَيْئَةٍ وَالثَّانِي أَنَّهُ عَلِمَ كَيْفَ يَأْتِي بِهِ يُقَالُ فَلَانٌ يُحْسِنُ صَنْعَةَ كَذَا أَيُّ يَعْلَمُ كَيْفَ يَصْنَعُ»^(١).

٥- قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله»: وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأَبَيِّنُ،... وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيُّ: حُضُورِهِ»^(٢).

٦- قوله: «(وحده لا شريك له)»: تأكيد وحدانيته جل وعلا، وأنه لا مشارك له في ألوهيته^(٣).

٧- قوله: «وأن محمداً عبده ورسوله»: هو عبد كغيره من العباد مربوب، والله هو المعبود، وهو الرب ﷻ^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الحث على أن يطهر المسلم نفسه من كل ذنب وإن كان صغيراً.

٢- دعوة الإسلام إلى التطهر من الأنجاس والأحداث؛ لأنه دين النظافة، والنزاهة: الحسية، والمعنوية.

٣- محبة الله لمن اتصف بمثل هذه الصفات لقوله ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»^(٥).

٤- استحباب جمع هذا الذكر مع الذي قبله بعد الوضوء.

٥- مناسبة قول هذا الذكر بعد الوضوء، هو أن الوضوء تطهير للبدن، وهذا الذكر تطهير للقلب، فناسب الجمع بين طهارة القلب وطهارة البدن بقول هذا الدعاء.

٦- معنى التواب: الذي يتوب على عبده ويقبل توبته، كلما تكررت التوبة تكرر

(١) المنتقى شرح الموطأ، للباجي، ١/ ٢١٨.

(٢) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤١٧.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

القبول. ومعنى التوبة: عود العبد إلى الطاعة بعد المعصية^(١).

٧- قال الشيخ ابن عثيمين رحمته: ومراتب التوبة ثلاثة:

أ - التوبة من الكفر إلى الإيمان.

ب - التوبة من كبائر الذنوب.

ج - التوبة من صفائر الذنوب^(٢).

١٥- (٣) «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه (٤) عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ،

(١) شأن الدعاء للخطابي، ص (٩٠).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٤٣.

(٣) النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا فرغ من وضوئه، برقم ٩٩٠٩، ومصنف عبد الرزاق، ١/ ١٨٦، برقم ٧٣٠، ومصنف ابن أبي شيبة، ١/ ١٣، برقم ١٩، ورواه مرفوعاً البيهقي في الدعوات الكبير، ١/ ٢١٨، برقم ٥٩، والطبراني في الدعاء، ص ١٤٠، وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٥٤، برقم ٢٢٥: «رواه الطبراني في الأوسط، ورواه رواة الصحيح، واللفظ له، والطحاوي في شرح معاني الآثار، ١/ ٢٣٤، والطبراني في المعجم الصغير، ١/ ٣٧٠، وفي كتاب الدعاء، ١/ ١٤٠، برقم ٣٨٨، والحاكم، ١/ ٥٦٤، وشعب الإيمان للبيهقي، ٤/ ٢٦٨، برقم ٥٤٩٩، وهو في مسند أحمد، ٣٣/ ١٥، برقم ١٩٧٦٩، وصححه محققو المسند، ٣٣/ ١٥، وصححه إسناده الألباني في إرواء الغليل، ٣/ ٩٤، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٤٤٠.

(٤) سبقت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

كُتِبَ فِي رَقٍّ ثُمَّ طُبِعَ بِطَابَعٍ فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، هذا لفظ النسائي^(١).
 ٦٣- وفي لفظ آخر للنسائي: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَفَرَّغَ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، طُبِعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِطَابَعٍ، ثُمَّ رُفِعَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَلَمْ تُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

٦٤- ولفظ الحاكم: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أُنْزِلَتْ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَمَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا ثُمَّ خَرَجَ الدَّجَالُ لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، كُتِبَ فِي رَقٍّ، ثُمَّ طُبِعَ بِطَابَعٍ فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

٦٥- ولفظ الطبراني: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا تَوَضَّأَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَإِذَا فَرَّغَ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، طُبِعَ عَلَيْهَا بِطَابَعٍ ثُمَّ وُضِعَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَمْ تُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٤).

(١) النسائي في السنن الكبرى، برقم ٩٩٠٩، وصحح إسناده الألباني في إرواء الغليل، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) النسائي في السنن الكبرى، برقم ٩٩١١، هكذا رواه موقوفاً، وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٥٤: «ورواه رواة الصحيح... ورواه النسائي وقال في آخره: «ختم عليها بخاتم، فوضعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة» وصوب وقفه على أبي سعيد، وله حكم المرفوع» وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الحاكم، ١/ ٥٦٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٣٣٢، برقم ٢٣٣٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الصغير، ١/ ٣٧٠، وفي كتاب الدعاء، ١/ ١٤٠، برقم ٣٨٨، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٥٤، برقم ٢٢٥، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «سبحانك اللهم» أي: أنزهك عن كل نقص وعيب فأنت صاحب الأسماء الحسنى والصفات العُلا، قال الإمام الطبري رحمته الله: تنزيهاً لك، يا رب، مما أضاف إليك أهل الشرك بك، من الكذب عليك والفِرْية... وإبراء الله عن السوء، وهي كلمة رضيها الله لنفسه، وهي تنزيهه من كل سوء^(١)، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَوْلَادِ، كَمَا أَنَّهُ مُسَبِّحٌ عَنْ ذَلِكَ، وَتَعَالِيهِ سُبْحَانُهُ عَنِ الشَّرِيكِ هُوَ تَعَالِيهِ عَنِ السَّمِيِّ، وَالنِّدِّ، وَالْمِثْلِ، فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِثْلَهُ... وَنَفْيُ الْمِثْلِ عَنْهُ يَفْتَضِي أَنَّهُ أَعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا شَيْءَ مِثْلَهُ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ أَفْضَلُ، وَخَيْرٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، كَمَا أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(٢).

٢- قوله: «وبحمدك» أي: لك الثناء الجميل الخالص على نعمائك التي لا تحصى، قال النووي رحمته الله: «وقوله: «سبحانك اللهم وبحمدك»، قال الخطابي: أخبرني بن خلاد قال: سألت الزجاج عن الواو في قوله: وبحمدك، فقال: معناه سبحانك اللهم، وبحمدك: سبحتك»^(٣). وقال في موضع آخر: «وقوله: «وبحمدك»: أي: وبحمدك سبحتك، ومعناه بتوفيقك لي، وهدايتك، وفضلك عليّ سبحتك، لا بحولي وقوتي، ففيه شكر الله تعالى على هذه النعمة، والاعتراف بها، والتفويض إلى الله تعالى، وأن كل الأفعال له»^(٤).

٣- قوله: «أشهد أن لا إله إلا أنت»: وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأَبْيَنُ... وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ حُضُورِهِ»^(٥)، أي: لا معبود بحق إلا أنت.

(١) انظر: تفسير الطبري، ٣٠ / ١٥.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٦ / ١٢٠.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ١١٢.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٢٠٢.

(٥) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢ / ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.

٤- قوله: «أستغفرُكَ»: أطلب منك مغفرة الذنوب صغيرها وكبيرها فأنت غافر الذنب وقابل التوب، قال الطيبي رحمته الله: «الاستغفار استفعال من الغفران، وأصله من الغفر، وهو إلباس الشيء بما يصونه عن الدنس... الغفران والمغفرة من الله، هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب»^(١).

٥- قوله: «أتوب إليك» أي: أعود إليك نادماً على اقتراف الذنب مقلعاً عنه غير مصر على العودة إليه، قال الطيبي رحمته الله: «التوبة: ترك الذنب على أحمد الوجوه، وهو أبلغ ضروب الاعتذار،... ثم التوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعادة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة؛ فمتى اجتمع هذه الأربع فقد كمل شرائط التوبة، وتاب إلى الله... وإن كان الذنب يتعلق ببني آدم، فلها شرط آخر، وهو رد الظلامة إلى صاحبها، أو تحصيل البراءة منه، والتوبة أهم قواعد الإسلام»^(٢).

٦- وقوله: «كتبت في رقي»: الرق: جلد رقيق يكتب فيه^(٣).

٧- قوله: «ثم طَبَعَ بِطَابِعٍ الطابِعُ -بالفتح-: الخاتم، يريدُ أنه يُخْتَم عليها، وتُزَع كما يفعل الإنسان بما يَعَزُّ عليه»^(٤).

٨- قوله: «فلم يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»: قال الزبيدي رحمته الله: «لأن الذي يُطْبَع يبقى مُقْفَلاً، فالطبع: «الختم»، يقال: طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِ الْكَافِرِ، أَي خَتَمَ فَلَا يَعِي، وَلَا يُوفِّقُ لِحَيْرٍ... الطَّبْعُ وَالْخَتْمُ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّغْطِيَةُ عَلَى الشَّيْءِ، وَالِاسْتِثْقَاءُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَهُ شَيْءٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن (٦/ ١٨٣٤)

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن (٦/ ١٨٣٤)

(٣) القاموس المحيط، ص: ١١٤٥، مادة (رقي).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١١١، مادة (طبع).

أَقْفَالُهَا^(١)، وقال ﷺ: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ»^(٢) مَعْنَاهُ: غَطَّى عَلَى قُلُوبِهِمْ، قال ابن الأثير: كانوا يَرَوْنَ أَنَّ الطَّبْعَ هو الرِّينُ، قال مُجَاهِدٌ: الرِّينُ أَيْسَرُ مِنَ الطَّبْعِ، والطَّبْعُ أَيْسَرُ مِنَ الإِقْفَالِ، والإِقْفَالُ: أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، قلتُ [القائل الزبيدي]: والذي صَرَّحَ بِهِ الرَّاعِبُ أَنَّ الطَّبْعَ أَعَمُّ مِنَ الْخَتَمِ^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- الله ﷻ هو المستحق للتسبيح لذاته؛ لأنه منزّه عن الصاحبة والولد والشريك، وعن كل نقص وعيب، المتصف بصفات الكمال والجلال.
- ٢- الله تعالى هو الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، قال ابن القيم رحمه الله: وهو الحميد فكل حمد واقع أو كان مفروضاً مدى الأزمان ملاً الوجود جميعه ونظيره من غير ما عدّ ولا حسابان هو أهله سبحانه ويحمده كل المحامد وصف ذي الإحسان^(٤)
- ٣- استحباب قول هذا الذكر مع ما قبله بعد الفراغ من الموضوع.
- ٤- فضل هذا الذكر فضل عظيم؛ ولأهميته أنه يكتب في رِقِّ، ثم يطبع بطابع، وهو الخاتم، فلا يكسر إلى يوم القيامة.

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٢) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٣) انظر: تاج العروس، ٢١/٤٣٧، مادة (طبع).

(٤) الكافية الشافية، لابن القيم، ص (٢٠٧).

١٠- الذِّكْرُ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَنْزِلِ

١٦- (١) «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٦- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه (٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حَيْثُذِ: هُدَيْتَ، وَكُفَيْتَ، وَوُقِيَتْ، فَتَسْتَحْيِ لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ، وَكُفِيَ، وَوُقِيَ؟» هذا لفظ أبي داود (٣).

٦٧- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٤) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ كَانَ مَعَهُ مَلَكَانِ مُوَكَّلَانِ بِهِ، فَإِذَا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، قَالََا: هُدَيْتَ، فَإِذَا قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالََا: وَوُقِيَتْ، فَإِذَا قَالَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، قَالََا: كُفَيْتَ، فَتَلَقَّاهُ قَرِينَاهُ فَيَقُولَانِ: مَا نُرِيدُ مِنْ رَجُلٍ قَدْ هُدِيَ، وَوُقِيَ، وَكُفِيَ» (٥).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «بِسْمِ اللَّهِ»: «أي: خرجتُ، أو أستعينُ به، وبذكره في حكمه،

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، برقم ٥٠٩٥، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته، برقم ٣٤٢٦، ورواه المقدسي في الأحاديث المختارة، ٢/ ٢٣٨، وابن المنذر في الأوسط، ٣/ ٦٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٨، وفي تحقيق الكلم الطيب، برقم ٤٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٥٠٩٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) الطبراني في الدعاء، ١٤٦، برقم ٤٠٩. وأشار الألباني إلى صحته في السلسلة الصحيحة، برقم ٣١٦٣.

وأمره، وقضائه، وقدره»^(١).

٢- قوله: «توكلت على الله»، أي اعتمدت عليه في جميع أموري»^(٢)، أي: «توكلت على الله» أي: اعتمدت عليه وحده بالقلب مع تفويض الأمر إليه، وعملت بالأسباب المشروعة، وقال النووي رحمته الله: «التوكل: الاعتماد، يقال توكلت على الله تعالى، أو على فلان توكلأً، أي: اعتمدت عليه،... وهذا الأمر موكول إلى فلان، ووكلت الأمر إليه وكلاً، ووكلأً: إذا فوّضته إليه، وجعلته نائباً»^(٣).

٣- قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بالله» أي: لا حول لي في جلب منفعة ولا قوة لي في دفع مضرة إلا بالله وهي كلمة إسلام واستسلام، وقال العلامة ابن رجب رحمته الله: «لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله... فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله... فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه»^(٤).

٤- قوله: «إذا خرج من بيته»: أي: إذا بدأ بالخروج من الباب، قال الخطابي رحمته الله: «إذا خرج من بيته غادياً في بعض حاجته»^(٥).

٥- قوله: «يقال»: يجوز أن يكون القائل هو الله ويجوز أن يكون ملك من الملائكة»^(٦).

٦- قوله: «كفيت» أي: من كل مكروه وسوء، قال الفيومي رحمته الله: «كفى الشيء، يكفي كفايةً، فهو كافٍ، إذا حصل به الاستغناء عن غيره، واكتفيت بالشيء: استغنيت به، أو قنعت به»^(٧).

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لملا علي القاري، ٨ / ٣٣١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥ / ١٥٦.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، ٤ / ١٩٥.

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ١٩٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٥) معالم السنن، للخطابي، ٤ / ٢٨٥.

(٦) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب للإمام العيني، ص ٢٢٠.

(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢ / ٥٣٧، مادة (كفي).

٧- قوله: «ووقيت» أي: من شر الشياطين الإنسية والجنية، قال ابن علان رحمته الله: «ووقيت: أي: حفظت من شر كل عدو، وبواسطة صدقك في تفويض جميع الأمر لبارئه، وسلبك الحول والقوة عن كل أحد، وإثباتهما له تعالى»^(١).

٨- قوله: «هديت» أي: إلى الطريق الموصلة إلى محبة الله، قال الطيبي رحمته الله: «إذا استعان العبد بالله، وباسمه المبارك، فإن الله تعالى يهديه، ويرشده، ويعينه في الأمور الدينية والدنيوية»^(٢).

٩- قوله: «تنحى» أي: ابتعد عنه، فلا سلطان له عليه، قال ابن منظور رحمته الله: «نَحَاه فَتَنَحَّى: أزاله... نَحْتُهُ، عَنْ يَدَيْهِ... أي: باعَدْتُهُ، وَنَحْتُهُ عَنْ مَوْضِعِهِ تَنْحِيَةً فَتَنَحَّى»^(٣).

١٠- قوله: «ملكان موكلان»: الملكان وكلا بالآدمي عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ، أحدهما: وهو ذو اليمين يهديه، والآخر يقويه على رد جند باعث الشهوة^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- بيان أن من أسماء الله الوكيل ومعناه الحافظ الذي توكل بالقيام بأمر الخلق جميعاً.
- ٢- التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب التي أباحها الله لخلقه.
- ٣- الحول والطول والقوة والرعاية والعناية أمور لا يملكها إلا رب البرايا.
- ٤- كفالة الله وحفظه لمن فوض الأمر إليه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٥).
- ٥- الشيطان لا يقوى على إغواء عبد استعصم بالله والتجأ إليه ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾^(٦).

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/ ٣٤٦.

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٥.

(٣) لسان العرب، ١٥/ ٣١٢، مادة (نحا).

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٢٥٠.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

(٦) سورة النساء، الآية: ٧٦.

٦- التوكل على الله هو الاعتماد عليه والتفويض إليه مع الأخذ بالأسباب، وهو من أعمال القلوب وليس من أعمال الجوارح ولا يجوز أن يصرف لغير الله بل يخلص فيه لله وحده وهو شرط الإيمان لقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

٧- التوكل على الله هو أجمع أنواع العبادة وأعلى مقامات التوحيد، فمن صحّ توكله وإخلاصه ومتابعته للرسول ﷺ كفاه الله كل الهموم، وكل شر؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢).

٨- فضل هذا الذكر، وأن من قاله عند خروجه من منزله: كفاه الله، وهداه، ووقاه.

١٧- (٢) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أَضِلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أَزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أَظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٨- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها (٤)، قَالَتْ: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٣) أخرجه أهل السنن: أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، برقم ٥٠٩٤، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته، برقم ٣٤٢٧، والنسائي، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الضلال، برقم ٥٥٠١، وابن ماجه، أبواب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته، برقم ٣٨٨٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٥٢/٣، وفي صحيح ابن ماجه، ٣٣٦/٢.

(٤) أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: السيلة الطاهرة، هند بنت أبي أمية المخزومية، توفي عنها زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة، وله منها أربعة أولاد: سلمة، وعُمَر، وذُرَّة، وزينب، وهي بنت عم خالد بن الوليد رضي الله عنه، من المهاجرات الأول، دخل بها النبي ﷺ سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء، وأشرفهن نسباً، وقالت للنبي ﷺ عندما طلبها للزواج: «إني امرأة قد أدبر مني سني، وإني أم أيتام» وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين، وكان السبب في وفاتها مقتل الحسين رضي الله عنه، فوجمت لذلك، ولها أولاد صحابيون: عمرو، وسلمة، وزينب رضي الله عنها، وكانت وفاتها عام إحدى وستين، وقد عاشت نحواً من تسعين عاماً. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٩٠/٨، وأسد الغابة لابن الأثير، ٣٧١/٧، وسير أعلام النبلاء، ٢/٢٠١، ترجمة رقم (٢٠).

طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أَضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَ، أَوْ أَظْلَمَ، أَوْ أَظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ». هذا لفظ أبي داود وغيره^(١).

٦٩- ولفظ الترمذي: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ، أَوْ نُضِلَّ، أَوْ نَظْلَمَ، أَوْ نُظْلَمَ، أَوْ نَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا»^(٢).

٧٠- ولفظ النسائي: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَزِلَّ، أَوْ أَضِلَّ، أَوْ أَظْلَمَ، أَوْ أَظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُتَنَادِي الْمُفْرَدِ»^(٤)، والعود: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعدته بالله أعيده، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه^(٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يَوْجَدْ بَعْدَ، وَنَوْعٌ مَقْشُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ، مِثَالُ الْأَوَّلِ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وَمِثَالُ الثَّانِي: التَّعَوُّدُ مِنَ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضِلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ، ... وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنْ

(١) أبو داود، برقم ٥٠٩٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٥٢/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الترمذي، برقم ٣٤٢٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٥٢/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النسائي، برقم ٥٥٠١، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٨/١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) لسان العرب، ١٣/٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ١٣٦/٢.

الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»^(١).

٢- قوله: «أَنْ أَضِلَّ» أي: أضل عن طريق الهداية وأنسلخ عنه، قال القاري رحمته الله: «من الضلالة أي عن الهدى»^(٢).

٣- قوله: «أَوْ أَضِلَّ» أي: بتزيين القبيح وتجميل المنكر من قراء السوء.

٤- قوله: «أَوْ أَزِلَّ»: أنزلق إلى المعصية من غير قصد وعمد، قال الطيبي رحمته الله: «الزلة في الأصل: استرسال الرجل من غير قصد، يقال: زلت رجله تزل، والمزلة المكان الزلق، وقيل للذنب من غير قصد له: زلة تشبيهاً بزلة الرجل»^(٣).

٥- قوله: «أَوْ أَزِلَّ»: أَنْ يوقعني غيري في الزلل بسبب غفلة أو شهوة محرمة، قال ابن الأثير رحمته الله: أَي: يَحْمِلُنِي عَلَى الزَّلَلِ، وَهُوَ الْخَطَأُ وَالذَّنْبُ^(٤).

٦- قوله: «أَوْ أَظْلَمَ» قال العيني رحمته الله: أي: أظلم غيري بأي أنواع الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه»^(٥).

٧- قوله: «أَوْ أَظْلَمَ» قال العيني رحمته الله: «أَوْ أَظْلَمَ - بضم الهمزة وفتح اللام - أي: أو يظلمني غيري، والمعنى: وأعوذ بك من أن كون ظالماً، أو مظلوماً»^(٦).

٨- قوله: «أَوْ أَجْهَلَ» أي: أكون جاهلاً بحق الله علي من توحيدهِ والاستقامة على شرعه، وكذا حقوق الخلق، قال الطيبي رحمته الله: «أي نفعل بالناس فعل الجاهل من الإيذاء، وإيصال الضرر إليهم»^(٧).

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، ١٨ / ٢٨٨.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٣٣٣.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠٤.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٣١٠، مادة (زلل).

(٥) انظر: شرح أبي داود للعيني، ٥ / ٤٥٥.

(٦) شرح أبي داود للعيني، ٥ / ٤٥٥.

(٧) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠٤.

٩- قوله: «أو يُجهل علي» أي: من قبل السفهاء وأهل الجدل بالباطل، والبدع، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «يفعل الناس بنا فعل الجهال من إيصال الضرر إلينا»^(١).

١٠- قوله: «ما خرج من بيتي قط»: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ الطَّيْبِيُّ: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ لَا بُدَّ أَنْ يُعَاشِرَ النَّاسَ، وَيُزَاوِلَ الْأَمْرَ، فَيَخَافُ أَنْ يَغْدِلَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي أَمْرِ الدِّينِ، فَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَضِلَّ، أَوْ يَضِلَّ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، فَإِمَّا بِسَبَبِ جَرَيَانِ الْمُعَامَلَةِ مَعَهُمْ، بِأَنْ يَظْلَمَ، أَوْ يُظْلَمَ، وَإِمَّا بِسَبَبِ الْإِخْتِلَاطِ وَالْمُصَاحَبَةِ، فَإِمَّا أَنْ يَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ، فَاسْتُعِيدَ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ كُلِّهَا بِلَفْظٍ سَلِسٍ، مُوجِزٍ، وَرُوعِي الْمُطَابَقَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَالْمُشَاكَلَةِ اللَّفْظِيَّةِ»^(٢).

١١- قوله: «إلا رفع طرفه إلى السماء»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «الطَّرْفُ طَرْفُ الْعَيْنِ، وَالطَّرْفُ إِطْبَاقُ الْجَفْنِ عَلَى الْجَفْنِ... الطَّرْفُ اسْمُ جَامِعٍ لِلْبَصَرِ لَا يَتَنَى وَلَا يُجْمَعُ»^(٣)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي شَرْحِ الْإِمَامِ: رَفَعَ الطَّرْفُ إِلَى السَّمَاءِ لِلتَّوَجُّهِ إِلَى قِبَلَةِ الدُّعَاءِ، وَمَهَابِطِ الْوُحْيِ، وَمَصَادِرِ تَصَرُّفِ الْمَلَائِكَةِ»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- المسلم الصادق يعلم علم اليقين أنه لا غنى له عن الله طرفه عين.
- ٢- أهمية الاستعاذة التي هي في حقيقتها اعتصام بالله والتجاء إليه.
- ٣- التحذير من الوقوع في مثل هذه الأمور أو مباشرة أسبابها.
- ٤- أهمية المواظبة على هذا الدعاء؛ لأن الإنسان إذا خرج من بيته معرض

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠٤.

(٢) تحفة الأحوذى شرح الترمذى، ٩ / ٢٧٢.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ٩ / ٢١٣، مادة (طرف).

(٤) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (١ / ٣٠٠).

لمخالطة من لا أمان لهم.

٥- مشروعية رفع النظر إلى السماء عند قول هذا الذكر؛ لِمَا جاء في رواية أبي داود: أن النبي ﷺ كان يرفع طرفه - أي: نظره - إلى السماء ثم يقول هذا الدعاء^(١)، وهذا دليل على علو الله وأنه مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله بائن من خلقه ﷻ.

٦- مواظبة النبي ﷺ على التعوذ من هذه الأمور، رغم عصمته منها يحمل على أمرين^(٢):

أ - أن المراد منه الدوام والثبات على ما هو عليه من العصمة.

ب - تعليم للأمة لأنه كما قال: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد، أعلمكم...»^(٣).

(١) أبو داود، برقم ٥٠٩٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٥٢/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) انظر: العلم الهيب للإمام العيني، ص (٢٢٣).

(٣) أبو داود، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، برقم ٨، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٣٤٦).

١١ - الذِّكْرُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَنْزِلِ

١٨- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لَيْسَلَمَ عَلَى أَهْلِهِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧١- عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لَيْسَلَمَ عَلَى أَهْلِهِ»، هذا لفظ أبي داود^(٢).

٧٢- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٤) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا دخل بيته، برقم ٥٠٩٦، والبيهقي في الدعوات الكبير، ٢ / ٧١، والطبراني في المعجم الكبير، ٣ / ٢٩٦، برقم ٣٤٥٢، وفي مسند الشاميين، ٢ / ٤٤٧، برقم ١٦٧٤، وحسنه ابن مفلح في الآداب الشرعية، ١ / ٤٢٦، وصحح إسناده العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١ / ٣٩٤، ثم ضعفه في ضعيف سنن أبي داود، برقم ١٠٩١، وحسن إسناده العلامة الإمام ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٢٨.

(٢) أبو مالك الأشعري رضي الله عنه: ممن قدم في السفينة مع الأشعرين على النبي ﷺ، واختلف في اسمه فقيل: كعب بن مالك، وقيل: ابن عاصم، وقيل غير ذلك، وهو معدود في الشاميين. تهذيب الكمال، ٦ / ٢٦٧.

(٣) أبو داود، برقم ٥٠٩٦، وحسنه العلامة ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٢٨، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، الإمام الكبير، المجتهد الحافظ، أبو عبد الله من أهل بيعة الرضوان وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً، وكان والده من النقباء البدرين واستشهد يوم أحد وأحياه الله تعالى وكلمه كفاحاً مسند أحمد، ٢٣ / ١٦٣، برقم ١٤٨٨١، وحسن إسناده محققو المسند، وحسنه الألباني في التعليق الرغيب، ٢ / ١٩٠، ١٩١، شهد جابر الخندق بعد ما أطاع أباه يوم أحد وقعد لأجل إخوته، وتوفي عام ٧٨ هـ بعد ما شاخ، وذهب بصره، وقد قارب التسعين. سير أعلام النبلاء، ٣ / ١٨٩ ترجمة (٣٨).

عَشَاءً، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَيِّتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَيِّتَ وَالْعَشَاءَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمَيِّمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(٢)، قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعود: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعدته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه»^(٣)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يَوْجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ، مِثَالُ الْأَوَّلِ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وَمِثَالُ الثَّانِي: التَّعَوُّذُ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أَزَلَ، ... وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يَوْجَدَ»^(٤). قال القاري: إذا دخل، أو أراد أن يدخل بيته، فليقل: «اللهم إني أسألك خير المولج»: بفتح الميم، وكسر اللام، كالموعد، ويفتح «وخير المخرج» كذلك، وفيه إيماء إلى قوله تعالى تعليماً له: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾^(٥)، وهو يشمل كل دخول وخروج حتى الدخول في القبر، والخروج عنه، قال الطيبي على ما في الخلاصة: المولج بكسر اللام، ومن الرواة من فتحها،

(١) مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، برقم ٢٠١٨.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ١٣٦/ ٢.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ٢٨٨/ ١٨.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٠.

والمراد المصدر، أي الولوج والخروج، أو الموضع، أي: خير الموضع الذي يولج فيه، ويخرج منه، والمولج بفتح الميم، وإسكان الواو، وكسر اللام، ومن فتح هنا فإما أنه سها، أو قصد مزاجته للمخرج، وإرادة المصدر بهما أتم من إرادة الزمان والمكان؛ لأن المراد الخير الذي يأتي من قبل الولوج والخروج»^(١).

٢- قوله: «بسم الله»: أي نبداً عملنا هذا، أو ابتداء عملنا هذا باسم الله، قال الإمام ابن كثير رحمته الله: «من قدره باسم، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمراً، وخبراً نحو: أبداً بيسم الله أو ابتدأت بيسم الله، فكلاهما صحيح، فإن الفعل لا بُدَّ له من مصدر، فلك أن تقدر الفعل ومصدره، فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركاً، وتيمناً، واستعانة على الإتمام والتقبل»^(٢).

٣- قوله: «ولجنا» أي: دخلنا، والمولج هو الدخول. قال الله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾^(٣)، والوُلُوجُ الدخول. وَلَجَ البيتُ وُلُوجاً وَلِجَةً^(٤).

٤- قوله: «وبسم الله خرجنا» أي: من بيوتنا للسعي في الأرض، وطلب الرزق وإعمال كل سبب شرعي، قال ابن منظور رحمته الله: «الخروج: نَقِيضُ الدُّخُولِ، خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجاً وَمَخْرَجاً، فَهُوَ خَارِجٌ وَخُرُوجٌ وَخَرَّاجٌ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ وَخَرَجَ بِهِ، الْجَوْهَرِيُّ: قَدْ يَكُونُ الْمَخْرَجُ مَوْضِعَ الْخُرُوجِ. يُقَالُ: خَرَجَ مَخْرَجاً حَسَناً، وَهَذَا مَخْرَجُهُ»^(٥)، وقال الحجاوي رحمته الله: «ولو لغير الصلاة»^(٦).

(١) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لملا علي القاري، ١/ ٣٥٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ١٢١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٧.

(٤) لسان العرب، ٢/ ٣٩٩، مادة (ولج).

(٥) لسان العرب، ٢/ ٢٤٩، مادة (خرج).

(٦) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ١/ ١١٠.

٥- قوله: «وعلى الله ربنا توكلنا» أي: بقلوبنا؛ لأن التوكل عمل قلبي: كالخشية والإنابة، وغيرهما، ولا بد من عمل الأسباب، وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «التوكل: الاعتماد، يقال توكلت على الله تعالى، أو على فلان توكلًا، أي: اعتمدت عليه، ... ، ووكلت الأمر إليه وكلاً، ووكلًا: إذا قَوَّضْتَهُ إِلَيْهِ، وجعلته نائباً»^(١).

٦- قوله: «يسلم على أهله»: أي بقوله تحية الإسلام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «المراد الذي يسلم على أهله إذا دخل بيته، والمضمون به أن يبارك عليه، وعلى أهله»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- دوام ذكر الله سبب لحفظ العبد من مكر الشيطان وكيدِهِ، وكذا من الهواجس، والوساوس.

٢- الغفلة عن الذكر طريق مواصلة لمشاركة الشيطان: في المال، والأهل، والولد.

٣- مشروعية إلقاء السلام عند دخول المنزل - منزله أو منزل غيره - لعموم قوله ﷺ: «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ»^(٣).

٤- تحية الإسلام كلها خير؛ لأن الله وصفها بأوصاف جميلة وهي:
أ - أن هذه التحية من عنده ﷺ.

ب - أنها مباركة؛ لاشتغالها على السلام والرحمة والبركة.

ج - أنها طيبة أي: تطيب بها النفوس، وتجلب المودة، والحب بين المسلمين^(٤).

٥- ذهب البعض إلى قول: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) عند

(١) تهذيب الأسماء واللغات، ٤/ ١٩٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٦.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٢١٤.

(٣) سورة النور، الآية: ٦١.

(٤) انظر: تفسير السعدي، ص ٥٧٥.

دخول البيت إذا كان غير مسكون^(١).

٦- من بركة قول هذا الذكر أن قائله ضامن على الله أي: صاحب ضمان أن يحفظه الله ويرعاه - فضلاً منه وكرماً - جاء في الحديث: «ثلاثة كلهم ضامن على الله، إن عاش رُزِقَ وكُفِيَ، وإن مات أدخله الجنة: من دخل بيته فسلم هو ضامن على الله، ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله»^(٢).

٧- إذا كان في البيت أيقاظ ونيام، فعلى الداخل أن يسلم سلاماً متوسطاً في

(١) أخرجه في الموطأ بلاغاً، ٥/ ١٤٠١، برقم ٣٥٣٥، وفي مصنف عبد الرزاق، ١٠/ ٣٨٩، برقم ١٩٤٥١: عن مجاهد، وعن قتادة قال: «إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد، فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فإن الملائكة ترد عليك»، وفي مصنف ابن أبي شيبة، ٨/ ٤٦٠، عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: «إِذَا دَخَلْتَ بَيْتًا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»، برقم ٢٦٣٥٢، وبرقم ٢٦٣٥٣، وَ«عَنْ ابْنِ عُمَرَ؛ فِي الرَّجُلِ يَدْخُلُ فِي الْبَيْتِ، أَوْ فِي الْمَسْجِدِ لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، قَالَ: يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»، وفيه أيضاً عدة روايات أخرى، رواية ابن عمر في الأدب المفرد، ص ٣٦٣، برقم ١٠٥٥، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٤١٧، برقم ٨١٠، وقد ذكر الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ١٣/ ٤٠٩، قائلاً: «روى البخاري في الأدب المفرد، ١٠٥٥ بسند حسن عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ الْبَيْتَ غَيْرَ الْمَسْكُونِ، فَلْيَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»، ورواه ابن أبي شيبة أيضاً، ٨/ ٥٨٨٦/ ٦٤٨/ ٨. وحسن إسناده الحافظ في الفتح، ١١/ ٢٠. قلت أي الشيخ الألباني: ففي هذه الآثار مشروعية السلام ممن دخل بيتاً ليس فيه أحد؛ وهو من إفشاء السلام المأمور به في بعض الأحاديث الصحيحة، ولظاهر قوله تعالى: «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»، وقد استدلل الحافظ بها، وبأثر ابن عمر على ما ذكرت، فقال عقبهما: «فيستحب إذا لم يكن أحد في البيت؛ أن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، وأما قول: (بسم الله) عند دخول البيت، فثبت من حديث جابر مرفوعاً: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه؛ قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء ...»، الحديث أخرجه مسلم، ٦/ ١٠٨، والبخاري في الأدب المفرد، ١٠٩٦ وغيرهما، وقد صرح ابن جريج بالتحديث عن أبي الزبير، وهذا كذلك عن جابر في رواية لمسلم، وكذا الأول عند النسائي في عمل اليوم والليلة، رقم (١١٨).

(٢) أخرجه ابن حبان، ٢/ ٢٥١، برقم ٤٩٩، وينحوه أبو داود، كتاب الجهاد، باب فضل الغزو في البحر، برقم ٢٤٩٤، وصححه محقق ابن حبان، ٢/ ٢٥١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٢١.

الصوت، فيسمع به اليقظان، ولا يزعج به النائم، وهذا من هديه عليه الصلاة والسلام؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن المقداد، قال: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا، فَاتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةٌ أَعْزَزَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اِحْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا»، قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ، وَنَزْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ، قَالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، قَالَ: ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ، فَآتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي، فَقَالَ: مُحَمَّدٌ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيَتَحِفُّونَهُ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ، فَاتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا، فَلَمَّا أَنْ وَعَلْتُ فِي بَطْنِي، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ، قَالَ: نَدَمَنِي الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، مَا صَنَعْتَ أَشْرَبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ، فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ، وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمِي خَرَجَ رَأْسِي، وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ، وَجَعَلَ لَا يَجِئُنِي النَّوْمُ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَضَعَا مَا صَنَعْتُ، قَالَ: فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: الْآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ، أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي»، قَالَ: فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَأَنْطَلَقْتُ إِلَى الْأَعْزَزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ، فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ، وَإِذَا هُنَّ حُفْلٌ كُلُّهُنَّ، فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لِأَلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ، قَالَ: فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عُلِّتْ رَغْوَةً، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَشْرَبْتُمْ شَرَابَكُمْ اللَّيْلَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشْرَبْتُ، ثُمَّ نَاولني، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشْرَبْتُ، فَشَرِبْتُ، ثُمَّ نَاولني، فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوَى وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ، ضَحَكْتُ حَتَّى أُلْقَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِحْدَى سَوَاتِكَ يَا مُقْدَادُ»، فَقُلْتُ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذًا وَكَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، أَفَلَا كُنْتَ آذَنْتَنِي فَنُوقِظَ صَاحِبَيْهَا فَيُصَيِّيانِ مِنْهَا»، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أُبَالِي إِذَا أَصَبْتُهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ^(١).

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، برقم ٢٠٥٥.

١٢- دُعَاءُ الذَّهَابِ إِلَى الْمَسْجِدِ

١٩- «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا، وَعَظِّمْ لِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا، وَاجْعَلْنِي نُورًا، اللَّهُمَّ اعْطِنِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي عَصِيي نُورًا، وَفِي لَحْمِي نُورًا، وَفِي دَمِي نُورًا، وَفِي شَعْرِي نُورًا، وَفِي بَشْرِي نُورًا»^(١)،
اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَبْرِي... وَنُورًا فِي عِظَامِي^(٢)، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا^(٣)، وَهَبْ لِي نُورًا عَلَى نُورٍ»^(٤).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٥)، قَالَ: بَثُّ عِنْدَ مَيْمُونَةٍ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَى حَاجَتَهُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَتَى الْقِرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ

(١) انظر جميع هذه الألفاظ في البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل، برقم ٦٣١٦، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٦٣.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، برقم ٣٤١٩، وهو عند الطبراني في المعجم الكبير، ١٠ / ٢٨٣، برقم ١٠٦٦٨.

(٣) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٩٦، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥٨: «صحيح الإسناد» وقال في الحاشية: «سكت عنه الحافظ في الفتح، ١١ / ١١٧، إشارة منه إلى توثيقه كما في قاعدته».

(٤) ذكره ابن حجر في فتح الباري، ١١ / ٦١٨، وعزاه إلى ابن أبي عاصم في كتاب الدعاء، قال الحافظ في فتح الباري، ١١ / ١١٨: «ويجتمع من اختلاف الروايات، كما قال ابن العربي: خمس وعشرون خصلة».

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

تَوَضَّأَ وَضُوءًا بَيْنَ وَضُوءَيْنِ لَمْ يُكْثِرْ وَقَدْ أُبْلَغَ، فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ، كَرَاهِيَةً أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَتَّبِعُهُ، فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَنَامْتُ صَلَاتُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَأَذَنَهُ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا» قَالَ كُرَيْبٌ: وَسَبَّحَ فِي الثَّابُوتِ، فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ، فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ، فَذَكَرَ عَصْبِي، وَلَحْمِي، وَدَمِي، وَشَعْرِي، وَبَشْرِي، وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ. هذا لفظ البخاري^(١).

٧٤- ولفظ مسلم: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَثُّ لَيْلَةٍ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَتَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الْقَرْيَةَ، فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، وَلَمْ يُكْثِرْ، وَقَدْ أُبْلَغَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةً أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَتَّبِعُهُ لَهُ، فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَنَامْتُ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَأَتَاهُ بِلَالٌ فَأَذَنَهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَامَ فَصَلَّى، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَكَانَ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَعَظْمٌ لِي نُورًا». قَالَ كُرَيْبٌ: وَسَبَّحًا فِي الثَّابُوتِ، فَلَقِيتُ بَعْضَ وَلَدِ الْعَبَّاسِ، فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ، فَذَكَرَ: عَصْبِي، وَلَحْمِي، وَدَمِي، وَشَعْرِي، وَبَشْرِي، وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ^(٢).

(١) البخاري، برقم ٦٣١٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ١٨١ - (٧٦٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٧٥- وفي لفظ آخر لمسلم: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه^(١)، قَالَ: بَثُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةٌ فَبَقِيتُ كَيْفَ يُصَلِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقَامَ فَبَالَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْقُرْبَةِ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ صَبَّ فِي الْجَفْنَةِ، أَوْ الْقَضْعَةِ، فَأَكَبَهُ بِيَدِهِ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءًا حَسَنًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَجِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَكَامَلْتُ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رُكْعَةً، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ وَكُنَّا نَعْرِفُهُ إِذَا نَامَ بِنَفْخِهِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى، فَجَعَلَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ، أَوْ فِي سُجُودِهِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا» أَوْ قَالَ: «وَاجْعَلْنِي نُورًا»^(٢).

٧٦- وفي لفظ لمسلم أيضاً: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَثُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةٌ، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلَ الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: ثُمَّ أَتَى الْقُرْبَةَ فَحَلَّ شِنَاقَهَا فَتَوَضَّأَ وَضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، ثُمَّ أَتَى فِرَاشَهُ فَنَامَ، ثُمَّ قَامَ قَوْمَةً أُخْرَى، فَأَتَى الْقُرْبَةَ فَحَلَّ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءًا هُوَ الْوُضُوءُ، وَقَالَ: «أَعْظِمْ لِي نُورًا» وَلَمْ يَذْكُرْ «وَاجْعَلْنِي نُورًا»^(٣).

٧٧- وفي لفظ لمسلم أيضاً: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه^(٤)، أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْقُرْبَةِ، فَسَكَبَ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ وَلَمْ يُكْثِرْ مِنَ الْمَاءِ، وَلَمْ يُقْصِرْ فِي الْوُضُوءِ وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ قَالَ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَلْتَمِذَ تِسْعَ عَشْرَةَ كَلِمَةً، قَالَ سَلَمَةُ: حَدَّثَنِيهَا كُرَيْبٌ، فَحَفِظْتُ

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ١٨٧ - (٧٦٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ١٨٨ - (٧٦٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

مِنْهَا ثِنْتِي عَشْرَةَ، وَنَسِيتُ مَا بَقِيَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا»^(١).

٧٨- وفي لفظ لمسلم أيضاً: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ رَفَدَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَقِظَ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢)، فَقَرَأَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، فَأَطَالَ فِيهِمَا الْقِيَامَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سِتَّ رَكَعَاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيَقْرَأُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ، ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلَاثٍ، فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَغْطِنِي نُورًا»^(٣).

٧٩- ولفظ الترمذي: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه^(٤)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَيْلَةً حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي، وَتُلْئِمُ بِهَا شَعْبِي، وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتُرَكِّبُ بِهَا عَمَلِي، وَتُلْهِمْنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَرُدُّ بِهَا أَلْفَتِي، وَتَعْصِمْنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، اللَّهُمَّ أَغْطِنِي إِيْمَانًا، وَبَقِيْنًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ فِي الْقَضَاءِ، وَنُزُلَ الشَّهَادَةِ، وَعَيْشَ السُّعْدَاءِ، وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، اللَّهُمَّ

(١) مسلم، برقم ١٨٩ - (٧٦٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٣) مسلم، برقم ١٩١ - (٧٦٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي، وَإِنْ قَصُرَ رَأْيِي، وَضَعُفَ عَمَلِي، افْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَاسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ الْأُمُورِ، وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ، اللَّهُمَّ مَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي، وَلَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ، فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ، وَأَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ ذَا الْحَبْلِ الشَّدِيدِ، وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ، أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ، مَعَ الْمُقَرَّرِينَ الشُّهُودِ الرُّكَّعِ، السُّجُودِ الْمُؤَفِّينَ بِالْعُهُودِ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَإِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، سَلَامًا لِأَوْلِيَائِكَ، وَعَدْوًا لِأَعْدَائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ، اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ، وَعَلَيْكَ الْإِجَابَةُ، وَهَذَا الْجُهْدُ وَعَلَيْكَ التَّكْلَانِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَنُورًا فِي قَبْرِي، وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي، وَنُورًا مِنْ تَحْتِي، وَنُورًا فِي سَمْعِي، وَنُورًا فِي بَصَرِي، وَنُورًا فِي شَعْرِي، وَنُورًا فِي بَشْرِي، وَنُورًا فِي لَحْمِي، وَنُورًا فِي دَمِي، وَنُورًا فِي عِظَامِي، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا، وَأَعْظِني نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا، سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ الْعِزُّ وَقَالَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَبَسَ الْمَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ، سُبْحَانَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(١).

٨٠- ولفظ البخاري في الأدب المفرد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى فَقَضَى صَلَاتَهُ، يُثْنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ كَلَامِهِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَاجْعَلْ لِي

(١) الترمذي، برقم ٣٤١٩، قال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي ليلى من هذا الوجه» والطبراني في الكبير ١٠/٢٨٣، برقم ١٠٦٦٨، وسكت عنه الحافظ ابن حجر عندما ذكره في فتح الباري، ١١/١١٨، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، برقم ١١٩٥، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير، برقم ١٥٧٧، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

نُورًا فِي سَمْعِي، وَاجْعَلْ لِي نُورًا فِي بَصَرِي، وَاجْعَلْ لِي نُورًا عَنْ يَمِينِي،
وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَاجْعَلْ لِي نُورًا مِنْ بَيْنَ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَزِدْنِي
نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا»^(١).

٨١- وعند ابن أبي عاصم في كتاب الدعاء من طريق عبد الحميد بن
عبد الرحمن عن كريب في آخر الحديث «وَهَبْ لِي نُورًا عَلَى نُورِ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم اجعل في قلبي نوراً» أي: نور الإيمان في قلبي وشرح
للإسلام صدري، قال ابن قرقول رَحِمَهُ اللهُ: «أي: هداية، وبياناً، وضياء للحق، ويحتمل
أن يريد الرزق الحلال حتى تقوى به هذه الأعضاء المذكورة للطاعة»^(٣).

٢- قوله: «وفي لساني نوراً» أي: بقول الحق ودوام الذكر وعدم الغفلة، وقال
المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «وفي لساني: يعني نطقي، نوراً: استعارة للعلم والهداية»^(٤)،
وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «فلا ينطق إلا بما ترضاه»^(٥).

٣- قوله: «وفي سمعي نوراً» أي: أسمع ما أنتفع به ويصل إلى قلبي، وقال المناوي رَحِمَهُ اللهُ:
«ليصير مظهراً لكل مسموع، ومدركاً لكل كمال، لا مقطوع ولا ممنوع»^(٦).

٤- قوله: «وفي بصري نوراً»: لتأمل في بديع لي نوراً شاملاً صنعك وأدل
الناس به على توحيدك، قال القسطلاني رَحِمَهُ اللهُ: «يكشف الأدلة العقلية والنقلية»^(٧).

(١) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٩٦، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥٨: «صحيح الإسناد»
وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن أبي عاصم في كتاب الدعاء، كما في فتح الباري، ١١ / ١١٨، وابن أبي الدنيا في كتاب التهجد
وقيام الليل، ٢٨٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ٤ / ٢٣٣.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢ / ١٧٢.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣ / ١٥٢.

(٦) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي، ١ / ٤٤١.

المبصرات»^(١)، وقال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «لَا تُهْمَا آلَتَا وَأَطْنَابِ المفاصل»^(٢).

٥- قوله: «وفي بشري نورًا»: البشر هو ظاهر^(٣).

٦- قوله: «واجعل في نفسي نورًا» أي: نور الإيمان والمعرفة حتى أصل إلى مرضاتك، قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: اجعل للأنوار السابقة، وغيرها»^(٤).

٧- قوله: «واجعل في عصبي نورًا»: العصب هـ

٨- الجسد ويكون ذلك بالتمسك بالسنة، قال العيني رَحِمَهُ اللهُ: «هو ظاهر الجسد... فإن قلت ما المراد بالنور هنا قلت بيان الحق والتوفيق في جميع حالاته وقال الطيبي معنى طلب النور للأعضاء عضواً عضواً أن تتحلى بأنوار المعرفة، والطاعة، وتتحرى عما عداهما، فإن الشياطين تحيط بالجهات الست بالوساوس، فكان التخلص منها بالأنوار السادة لتلك الجهات»^(٥).

٩- قوله: «وفي قبري نورًا»: أي اجعله روضة من رياض الجنة حتى أنام فيه نومة العروس، وقال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «أستضيء به في ظلمة اللحد»^(٦).

١٠- قوله: «اللهم اجعل لي في قلبي نورًا»: أي عظيمًا كما يفيد التذكير، «وفي لساني»: نطقي «نورًا»: استعارة للعلم والهدى، «وفي بصري نورًا»: ليتحلى بأنوار المعارف ويتجلى له صنوف الحقائق، «وفي سمعي نورًا»: ليصير مظهر الكل مسموع، ومدرَكًا لكل كمال لا مقطوع، ولا ممنوع، «وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا»: خصَّهما بـ(عن) إيدانًا يتجاوز الأنوار عن قلبه، وسمعه، وبصره إلى

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٩/ ١٨٤.

(٢) فتح الباري، ١١/ ١١٨.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٩٠٤.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٧٢.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٣/ ٦٦.

(٦) فيض القدير، ٢/ ١٤٥.

من عن يمينه، وشماله من أتباعه، «ومن فوقني نوراً، ومن تحتي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً»: لأكون محفوفاً بالنور من جميع الجهات، «واجعل لي في نفسي نوراً»: أي: اجعل لي نوراً شاملاً للأنوار السابقة وغيرها، «وأعظم لي نوراً»: أي: أجزل لي من عطائك نوراً عظيماً لا يكتنه كنهه لأكون دائم السير والترقي في درجات المعارف»^(١)، وقال ابن الأثير رحمته الله: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً» وَبَاقِي أَعْضَائِهِ، أَرَادَ ضِيَاءَ الْحَقِّ وَبَيَانَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ اسْتَعْمِلْ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ مِنِّي فِي الْحَقِّ، وَاجْعَلْ تَصَرُّفِي وَتَقَلُّبِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ الصَّوَابِ وَالْخَيْرِ»^(٢)، وقال ابن قرقول رحمته الله: «أي: هداية، وبياناً، وضياء للحق، ويحتمل أن يريد الرزق الحلال حتى تقوى به هذه الأعضاء المذكورة للطاعة»^(٣)، وقال النووي رحمته الله: «سَأَلَ النُّورَ فِي أَعْضَائِهِ، وَجِهَاتِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ بَيَانُ الْحَقِّ، وَضِيَاؤُهُ، وَالْهَدَايَةُ إِلَيْهِ، فَسَأَلَ النُّورَ فِي جَمِيعِ أَعْضَائِهِ، وَجِسْمِهِ، وَتَصَرُّفَاتِهِ، وَتَقَلُّبَاتِهِ، وَحَالَاتِهِ، وَجُمْلَتِهِ فِي جِهَاتِهِ السِّتِّ، حَتَّى لَا يَرِيعَ شَيْءٌ مِنْهَا عَنْهُ»^(٤).

١١- قوله: «سناقها»: - بِكَسْرِ الْمُعْجَمَةِ، وَتَخْفِيفِ الثُّونِ، ثُمَّ قَافٍ -: هُوَ رِبَاطُ الْقُرْبَةِ يَشُدُّ عُقْتَهَا، فَشَبَّهَ بِمَا يُشْنَقُ بِهِ، وَقِيلَ: هُوَ مَا تُعَلَّقُ بِهِ»^(٥).

١٢- قوله: «أبلغ»: يقال بالغ يبالغ مبالغة وبلاغاً، إذا اجتهد في الأمر، والبلاغ ما يتبلغ ويتوصل به إلى الشيء المطلوب»^(٦).

١٣- وقوله: «فبقيت كيف يصلي رسول الله ﷺ»: أي: رقبته، ونظرته، يقال:

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي، ١/ ٤٤١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، (١٢٥)، مادة (نور).

(٣) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ٤/ ٢٣٣.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٤٥).

(٥) فتح الباري، ١١/ ١١٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٥٢، مادة (بلغ).

بقيت، وبقوت، بمعنى: رقيت، ورمقت^(١).

١٤- قوله: «فتمطيت»: قال ابن منظور رحمته الله: «وَتَمَطَّى الرَّجُلُ: تَمَدَّدَ، وَالتَّمَطَّى: التَّبَحُّثُ، وَمَدُّ الْيَدَيْنِ فِي الْمَشْيِ، وَيُقَالُ: التَّمَطَّى مَأْخُذٌ مِنَ الْمَطِيطَةِ، وَهُوَ الْمَاءُ الْخَاضِرُ فِي أَسْفَلِ الْحَوْضِ؛ لِأَنَّهُ يَتَمَطَّطُ أَيَّ يَتَمَدَّدُ»^(٢).

١٥- قوله: «كراهية أن يرى أنني كنت أتقيه»: قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «أَتَقِيهِ - بِمُثَنَّةٍ ثَقِيلَةٍ، وَقَافٍ مَكْسُورَةٍ - كَذَا لِلنَّسْفِيِّ وَطَائِفَةٍ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: أَيَّ أَرْتَقِبُهُ، وَفِي رِوَايَةٍ بِتَخْفِيفِ الثُّونِ، وَتَشْدِيدِ الْقَافِ، ثُمَّ مُوَحَّدَةً [أُنْقِبُهُ] مِنَ التَّنْقِيبِ، وَهُوَ التَّفْقِيشُ، وَفِي رِوَايَةٍ الْقَاسِي (أَبْغِيهِ) بِسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ، بَعْدَهَا مُعْجَمَةٌ مَكْسُورَةٌ، ثُمَّ تَحْتَايَّةٌ أَيَّ: أَطْلُبُهُ، وَلِلْأَكْثَرِ (أَرْقُبُهُ)، وَهِيَ أَوْجَهٌ»^(٣)، وقال النووي رحمته الله: «أَنْتَبَهَ: بَنُونٌ ثُمَّ مُثَنَّةٌ فَوْقَ ثُمَّ مُوَحَّدَةٌ، وَوَقَعَ فِي الْبُخَارِيِّ (أُنْقِبُهُ) بِمُوَحَّدَةٍ ثُمَّ قَافٍ، وَمَعْنَاهُ: أَرْقُبُهُ، وَهُوَ مَعْنَى أَنْتَبَهَ لَهُ»^(٤).

١٦- قوله: «فتتامت»: بِمُثَنَّتَيْنِ أَيَّ تَكَامَلَتِ^(٥).

١٧- قوله: «فأَذَنُهُ» - بِالْمَدِّ -: أَيَّ أَعْلَمَهُ، وَلِلْمُسْتَمْلِي فَنَادَاهُ^(٦).

١٨- قوله: «التابوت»: أَرَادَ بِالتَّابُوتِ الْأَضْلَاعَ، وَمَا تَحْوِيهِ كَالْقَلْبِ، وَالْكَبِدِ وَغَيْرَهُمَا، تَشْبِيهًا لَهُ بِالصَّنْدُوقِ الَّذِي يَحْرَزُ فِيهِ الْمَتَاعُ، أَيَّ أَنَّهُ مَكْنُونٌ مَوْضُوعٌ فِي الصَّنْدُوقِ^(٧).

١٩- قوله: «خصلتين»: أَخَذَ مِنْ خُصْلِ الشَّعْرِ، وَمِنْ خُصْلِ الشَّجَرِ، وَهِيَ مَا تَدْلَى مِنْ أَطْرَافِهِ، وَالْخَصِيلَةُ: كُلُّ لَحْمَةٍ فِيهَا عَصَبٌ، وَأَحْرَزَ فَلَانُ خَصْلَةً إِذَا

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٦ / ٢٩٥.

(٢) لسان العرب، ١٥ / ٢٨٤، مادة (مط).

(٣) فتح الباري، ١١ / ١١٧.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦ / ٤٤.

(٥) فتح الباري، ١١ / ١١٧.

(٦) فتح الباري، ١ / ٢٣٩.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ١٧٩، مادة (تبت).

غلب، ومنه: خصلة حسنة، وخصال وخصلات كرام^(١).

٢٠- قوله: «فنام حتى نفخ»: قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «أي تنفس بصوت حتى يسمع منه صوت النفخ بالفم، كما يسمع من النائم... وهو صوت يسمع من تردد النَّفْس، أو النفخ عند الخفقة، أي تحريك الرأس»^(٢).

٢١- قوله: «الجفنة»: إناء الطعام، وكانت العرب تدعو السيد المطعام جفنة؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها^(٣).

٢٢- قوله: «القصة»: إناء من خَشَب، وهي قَصْعَةٌ مَبْسُوطَةٌ، وتَكُونُ مِنْ غَيْرِ الخَشَبِ^(٤).

٢٣- قوله: «سواك» - بالكسر -، والمسواك ما تُدْلِكُ به الأسنان من العيدان، يقال ساك فاه يسوكه، إذا دلّكه بالسواك، فإذا لم تذكر الفم قلت استاك، وتسوّك^(٥).

٢٤- قوله: «وتلم بها شعبي» أي تجمع، وتضم ما تفرق من أمري، ملتماً غير متفرق، وهو من اللم: الجمع، يقال: لملت الشيء جمعته^(٦).

٢٥- قوله: «وتجمع بها أمري» أي تضمه بحيث لا أحتاج إلى أحد غيرك^(٧).

٢٦- قوله: «وتصلح بها غائبتي» أي ما غاب عن باطني بالإيمان، والأخلاق المرضية، والملكات الرضية^(٨).

٢٧- قوله: «وترفع بها شاهدي» أي ظاهري بالأعمال الصالحة، والهيئات المطبوعة،

(١) انظر: أساس البلاغة للزمخشري، (ص: ١٦٥)، مادة (خصل).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح، ١ / ٣٠١.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٢٧٩، مادة (جفن).

(٤) انظر: فتح الباري، ٥ / ١٢٥.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٤٢٤، مادة (سوك).

(٦) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢ / ١٤٢.

(٧) المرجع السابق.

(٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢ / ١٤٢.

والخلال الجميلة: فالمراد تعميم الباطن، وإصلاح الظاهر، أو أراد بها في الأخرى بالرضا، والكون مع الملائة الأعلى، وفي الدنيا بالفوز والنصر على الأعداء^(١).

٢٨- قوله: «وترد بها ألفتي» بضم الهمزة وكسرهما، مصدر بمعنى اسم مفعول: أي: أليفي، أو مألوفي: أي: ما كنت آلفه^(٢).

٢٩- قوله: «وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ» بِضَمِّ الْمُثَلَّثَةِ، هُوَ الْهَلَاكُ، أَيْ أَجْزَنِي مِنْ أَنْ أَدْعُو ثُبُورًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾^(٣) «^(٤)».

٣٠- قوله: «وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ»: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِأَنْ تَرْزُقَنِي الثَّبَاتَ عِنْدَ سُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ»^(٥).

٣١- قوله: «سَلَمًا» بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ، وَفَتْحِهَا، وَشُكُونِ اللَّامِ، أَيْ صَلَاحًا لِأَوْلِيَائِكَ، أَيْ حَزْبِكَ، وَقَالَ الطَّيْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَلَمًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، سَاعِيًا فِي ذَبِّ الْمَضَارِّ، وَدَفْعِ الْمَعَاطِبِ عَنْهُمْ، وَمُسَلِّمًا عَنْ كُلِّ مَنْ يَرَاهُ عَرَفَهُ، أَوْ لَمْ يَعْرِفَهُ»^(٦).

٣٢- قوله: «وَعِدُوا لِأَعْدَائِكُمْ»: لِأَعْدَائِكَ مِمَّنْ اتَّخَذَ لَكَ شَرِيكًا، أَوْ نِدًّا، وَقَالَ الْمَنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِمَّنْ اتَّخَذَ لَكَ شَرِيكًا، أَوْ نِدًّا، أَوْ فَعَلَ مَعَكَ مَا لَا يَلِيقُ بِكَمَالِكَ»^(٧).

٣٣- قوله: «نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحْبَبَكَ»: أَيْ: بِسَبَبِ حُبِّنَا لَكَ نَحِبُّ مَنْ أَحْبَبَكَ، وَقَالَ الْمَنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: بِحَسَبِ حُبِّكَ مَنْ أَحْبَبَكَ حُبًّا خَالِصًا، وَفِي رَوَايَةٍ

(١) المرجع السابق.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٤٣.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ١٣.

(٤) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٦٠.

(٥) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٦٠.

(٦) شرح المشكاة للطيبى: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٧٧٤.

(٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٤٥.

البيهقي: «نحب بحبك الناس»^(١).

٣٤- قوله: «نُعَادِي بَعْدَاوَتِكَ مِنْ خَالَفَكَ»، أي: بِسَبَبِ حُبِنَا لَكَ نُعَادِي بَعْدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَ أَمْرَكَ^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قال القرطبي صاحب المفهم: هذه الأنوار التي دعا بها رسول الله ﷺ يمكن حملها على ظاهرها، فيكون سأل الله أن يجعل له في كل عضو من أعضائه نوراً يستضيء به يوم القيامة^(٣).

٢- قال النووي: قال العلماء: سأل النور في أعضائه وجهاته والمراد به بيان الحق وضيأؤه والهداية إليه^(٤).

٣- التضييق على الشيطان من جميع المنافذ التي يسلك بها للعبد. وهذا إشارة إلى قوله: «ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ»^(٥).

٤- هذا الدعاء له ارتباط وثيق بقول النبي ﷺ: «(والصلاة نور)»^(٦)؛ لأن المسلم يقول هذا الدعاء في أثناء توجهه إلى المسجد لأداء الصلاة في جماعة وهو يرجو بذلك أن تكون هذه الصلاة له نوراً. كما قال النبي ﷺ: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة...»^(٧).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١٤٥/٢.

(٢) انظر: تحفة الأحوذى، ٢٧٠/٩.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي، ٢٩/٧.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، ٢٨٧/٦.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧.

(٦) مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم ٢٢٣.

(٧) مسند أحمد، ١٤١/١١، برقم ٦٥٧٦، وصحيح ابن حبان، ٣٢٩/٤، برقم ١٤٧٦، وصحيح إسناده محققو

المسند، ١٤٢/١١، وحسن إسناده الشيخ ابن باز في مجموع فتاواه، ٢٧٨/١.

١٣ - دُعَاءُ دُخُولِ الْمَسْجِدِ

٢٠- «يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ الْيُمْنَى»^(١)، وَيَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(٢)، بِسْمِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ^(٣) وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ^(٤) «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَ^(٥) افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»^(٦).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه^(٧) أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مِنَ الشَّيْءِ إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُمْنَى، وَإِذَا خَرَجْتَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُسْرَى»^(٨)، هذا لفظ الحاكم^(١).

-
- (١) أخرجه الحاكم، ٢١٨/١، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي، ٤٤٢/٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦٢٤/٥، برقم ٢٤٧٨.
- (٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل عند دخول المسجد، برقم ٤٦٦، وصححه الألباني وفي صحيح سنن أبي داود، ٩٣/١، برقم ٤٤١، وفي صحيح الجامع، برقم ٤٥٩١.
- (٣) رواه ابن السني، برقم ٨٨، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب، ص ٦٠٧.
- (٤) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل عند دخول المسجد، برقم ٤٦٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٤٤٠، وفي صحيح ابن ماجه، برقم ٦٢٥.
- (٥) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وأخرجه إسماعيل القاضي، في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٢، برقم ٨٢، ولفظه: «عن فاطمة بنت النبي ﷺ قالت: قال لي رسول الله ﷺ: إذا دخلت المسجد فقل: بسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، واغفر لنا، وسهل لنا أبواب رحمتك، فإذا فرغت فقل: مثل ذلك، غير أن قل: وسهل لنا أبواب فضلك» وقال الألباني في تحقيقه: «حديث صحيح في شواهده» وصححه الألباني أيضاً في صحيح سنن ابن ماجه، ١/١٢٨ - ١٢٩.
- (٦) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد، برقم ٧١٣.
- (٧) تقدمت ترجمته في حديث الشرح رقم ٢٣.
- (٨) أخرجه الحاكم، ٢١٨/١، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي،

٨٣- ولفظ أبي داود: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه (٢)، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» قَالَ: أَقْطُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حَفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ» (٣).

٨٤- ولفظ ابن السني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: «بسم الله، اللهم صل على محمد» وإذا خرج قال: «بسم الله، اللهم صل على محمد» (٤).

٨٥- ولفظ ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه (٥) أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد - أو أتى إلى المسجد - فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم أعزني من الشيطان الرجيم». وقال ابن مكرم في حديثه: «واعصمني» (٦).

٢/ ٤٤٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٦٢٤، برقم ٢٤٧٨. السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (٢/ ٤٤٢)

(١) الحاكم، ١/ ٢١٨، وحسنه الألباني في سلسلة الصحيحة، برقم ٢٤٧٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أبو محمد، وقيل أبو عبد الرحمن؛ الإمام، الحبر، العابد، صاحب رسول الله ﷺ، وابن صاحبه، لم يكن بينه وبين أبيه كبير فرق في السن، وليس أبوه أكبر منه إلا بإحدى عشرة سنة، أو نحوها، استأذن النبي ﷺ أن يكتب عنه سوى القرآن فأذن له وكان الصحابة قد كرهوا ذلك مخافة الالتباس ثم زال المانع فكتبوا. له مقام راسخ في العلم والعمل والعبادة وكان يصوم النهار ويقوم الليل فنهأه النبي ﷺ عن ذلك وأرشده إلى صيام داود وأخبره «أن لجسدك عليك حقًا ولزوجه عليك حقًا...» البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، برقم ١٩٧٥، قال الإمام أحمد: مات ليالي الحرة سنة ٦٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم (٢٤٠).

(٣) أبو داود، برقم ٤٦٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٥٩١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) عمل اليوم والليلة لابن السني، ص ١٦٧، برقم ٨٨، وصححه الألباني في الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، ص ٦٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
(٦) عمل اليوم والليلة لابن السني، ص ١٦٣، برقم ٨٦، وهو في الحاكم، ١/ ٣٢٥، وحسنه الألباني في

٨٦- ولفظ أبي داود، في الرواية الثانية له: عن أبي حميد^(١)، أو أبي أسيد الأنصاري^(٢)، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»^(٣).

٨٧- ولفظ مسلم، عَنْ أَبِي حَمِيدٍ، أَوْ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»^(٤).

٨٨- وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عليها السلام، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا

=

التمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، ص ٦٠٨.

(١) أبو حميد الساعدي الأنصاري المدني، قيل: اسمه: عبد الرحمن، وقيل المنذر بن سعد، من فقهاء أصحاب النبي ﷺ وقع له في «مسند بقية بن مخلد» ستة وعشرون حديثاً، له حديث في وصف هيئة صلاة رسول الله ﷺ وقد توفي سنة ٦٠ هـ وقيل سنة بضعة وخمسين. سير أعلام النبلاء، ٢ / ٤٨١، ترجمة رقم (٩٧).

(٢) أبو أسيد: مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، أبو أسيد الأنصاري الساعدي، مشهور بكنيته، شهد بدرأً، وأحدأً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ومات بالمدينة سنة ستين، وقيل توفي سنة ثلاثين، ذكر ذلك الواقدي وخليفة، وهذا خلاف متباين جداً، وقيل مات وهو ابن خمس وسبعين سنة، وقيل بل كان أبو أسيد إذ مات ابن ثمان وسبعين سنة. انظر: الاستيعاب، ٣ / ١٣٥١، وأسد الغابة، ١ / ١٣٨.

(٣) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل عند دخوله المسجد، برقم ٤٦٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٤٤٠.

(٤) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد، برقم ٧١٣.

(٥) فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين؛ رسول الله محمد بن عبد الله، صلى الله على أبيها، وآله وسلم، ورضي عنها، كانت تكنى أم أبيها، سيدة نساء العالمين، كانت هي وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله ﷺ، ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، وأنكحها رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بعد وقعة أحد، وقيل إنه تزوجها بعد أن ابنتى رسول الله ﷺ بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف، وكان سنهما يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف، وكانت سن علي إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، روي أنه أمهرها درعه، وأنه لم يكن له في ذلك الوقت صفراء ولا بيضاء، وقيل: على أربعمائة وثمانين، وتوفيت بعد رسول الله ﷺ بيسير، وقيل بعد رسول الله ﷺ بثمانية أشهر، وقيل غير ذلك، وكانت أول أهله لحوقاً به، وصلى عليها علي بن أبي طالب، وهو الذي غسلها مع أسماء

=

دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» وَإِذَا خَرَجَ، قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يبدأ برجله اليمنى»: قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «يبدأ»: أي: في دخول المسجد»^(٢).

٢- قوله: «أعوذ بالله» أي: ألجأ إليه وأتحصن به»^(٣).

٣- قوله: «العظيم» أي: الموصوف بصفة العظمة فلا شيء أعظم منه: لا

بنت عميس، وهي سيدة نساء هذه الأمة، أو نساء العالمين، ولها فضائل كثيرة رَحِمَهُ اللَّهُ، وإليك طرفاً منها
أ- قول النبي ﷺ: «نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكٌ، فَاسْتَأْذَنَ اللَّهَ أَنْ يَسْلِمَ عَلَيَّ لَمْ يَنْزِلْ قَبْلَهَا، فَبَشَّرَنِي أَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» أخرجه الحاكم، ١٥١/٣، وصححه، ووافقه الذهبي، وذكره الحافظ في الفتح، ٤٧١/٦: وجوده.
ب- أول أهله لحوقاً به في الجنة أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٣٣، ولفظه: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَعَا النَّبِيَّ ﷺ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ فِي شَكْوَاهِ الَّذِي قَبِضَ فِيهِ، فَسَارَهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَهَا بِشَيْءٍ فَضَجَّكَتْ، فَسَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: «سَارَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يُقْبِضُ فِي وَجْعِهِ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ فَبَكَتْ، ثُمَّ سَارَنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ يَتَّبِعُهُ فَضَجَّكَتْ» حيث ماتت بعده بستة أشهر فقط.
ج- قول النبي ﷺ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي». البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب فاطمة عليها السلام، برقم ٣٧٦٧.

د- قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَذِيًّا وَدَلًّا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ» أي من النساء سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في القيام، برقم ٥٢١٧ وأن الرسول ﷺ كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبلها سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في القيام، برقم ٥٢١٧، وسنن النسائي الكبرى، كتاب المناقب، عبد الله بن مسعود، برقم ٨٢٦٥، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، ١٤/٣، برقم ٤٦٨٩، وهو جزء من الحديث السابق، وذكره في سير أعلام النبلاء، ١٢٠/٢.
قال الذهبي: وقد ماتت ليلة الثلاثاء ثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وهي بنت سبع وعشرين سنة أو نحوها ودفنت ليلاً سير أعلام النبلاء، ١٢٧/٢. انظر: الاستيعاب، ١٨٩٣/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ٥٣/٨.

(١) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١٢٨/١-١٢٩.

(٢) عمدة القاري، ١٧٠/٤.

(٣) عمدة القاري، ١٧٠/٤.

في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وقال البخوي رحمته الله:
«الْعَظِيمُ: الْكَبِيرُ الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْهُ»^(١).

٤- قوله: «وبوجهه الكريم»: وجه الله من الصفات الذاتية الثابتة له رحمته الله كالسمع والبصر وغير ذلك مما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله رحمته الله، ونحن نؤمن بهذه الصفات كما جاءت ونفوض كيفيتها إلى الله تعالى، وقال العيني رحمته الله: «معنى الكريم: الجواد، المُعْطِي الذي لا ينفد عطاؤه؛ وهو الكريم المُطْلَق، والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل»^(٢).

٥- قوله: «وسلطانه القديم»: لأن من صفاته السلطان الموصوف بالقدم وهو الأول الذي ليس قبله شيء^(٣).

٦- قوله: «من الشيطان» والشيطان: من الشطن: البعد، أي بُعد عن الخير»^(٤).

٧- قوله: «الرجيم» أي: الطريد المبعد عن رحمة الله رحمته الله، وقال الطبري رحمته الله: «وأما الرجيم، فهو: فَعِيل بمعنى مفعول... ملعون. وتأويل الرجيم: الملعون المشتوم، وكل مشتوم بقول رديء، أو سبٍّ، فهو مَرْجُوم، وأصل الرجم الرَّمْي، بقول كان أو بفعل»^(٥).

٨- قوله: «بسم الله»: الباء للاستعانة وكل فاعل يقدر الفعل المناسب لحاله عند البسملة والتقدير هنا بسم الله أدخل المسجد طالباً منه العون والإخلاص والقبول، وقال الإمام ابن كثير رحمته الله: «من قدره باسم، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمراً، وخبراً نحو: أبدأ بيسم الله، أو ابتدأت بيسم الله، فكلاهما صحيح ...

(١) تفسير البخوي، ١/ ٣٤٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من حديث المتن رقم ٢.

(٢) شرح أبي داود للعيني، ٢/ ٣٧٥.

(٣) فقه الأدعية والأذكار للشيخ/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ٣/ ١٢٢.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧.

من مفردات أحاديث متن المقدمة في فضل الذكر رقم ١.

(٥) تفسير الطبري، ١/ ١١٢.

فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركاً، وتيمناً، واستعانة على الإتمام والتقبل»^(١).

٩- قوله: «والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ» أي: أصلي وأسلم حال دخولي المسجد على رسول الله ﷺ وهذا من المواضع التي تستحب فيها الصلاة والسلام عليه ﷺ، ويدخل هذا في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢)، وصلاة الله على رسوله: هي الثناء عليه في الملائ الأعلى، كما قال أبو العالية: «صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ»^(٣).

١٠- قوله: «اللهم اغفر لي ذنوبي»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عَوْضٌ مِنْ يَا ... وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ إِذَا طَرَحَ الْمِيمَ: يَا اللَّهُ اغْفِرْ لِي»^(٤)، وقال: «الْغُفُورُ الْغَفَّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّائِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ ... غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»^(٥).

١١- قوله: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك» أي: أنواع رحمتك التي وسعت كل شيء وعمت كل حي، وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى ذلك: أن هذا المسجد محل الرحمة، وليست رحمة واحدة، وذلك أنك عندما تقول: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فأبواب الرحمة كثيرة: باب العلم، باب العمل»^(٦).

١٢- قوله: «أَقُطُّ؟»: بألف الاستفهام: أي أَحَسِبُ؟^(٧).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ١٢١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٣) صحيح البخاري، ٦/ ١٢٠، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧.

(٤) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.

(٥) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.

(٦) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ٣/ ٣٨٣.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٧٩، مادة (قطط).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عامة وفي هذا الموضع خاصة؛ لأن عدو الله يجتهد مع أعوانه على المصلي الذي يناجي ربه فيشوش عليه ليفوت عليه عظيم الأجور حتى يخرج من صلاته ولم يكتب له منها شيء.

٢- إثبات صفة الوجه لله ﷻ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١). وقد جاء وصف الوجه في القرآن بأجمل الصفات من قوله ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢). وجاء وصفه في السنة بالبهاء والعظمة من قوله ﷻ: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه^(٣) ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(٤)، وسبحات وجهه: هي عظمته وبهاؤه وجلاله ونوره ﷻ^(٥).

٣- يستحب للمسلم أن يتحلى بآداب الذهاب إلى المسجد ودخوله والمكوث فيه والخروج منه؛ لأن المساجد هي بيوت الله وهي أولى بالاحترام والتوقير، قال الله ﷻ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(٦).

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.

(٣) قال العلامة ابن عثيمين في شرح العقيدة الواسطية، ص ٢٨٤: «سبحات وجهه، يعني: بهاءه وعظمته وجلاله ونوره».

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله ﷻ: «إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، برقم ١٧٩.

(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين، ص ٢٨٤.

(٦) سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

١٤ - دَعَاءُ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ

٢١- «يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ الْيُسْرَى»^(١)، وَيَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ
وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي»^(٢) اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٩- لفظ الحاكم: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه^(٤)، أَنَّهُ كَانَ، يَقُولُ: «مِنَ السَّنَةِ إِذَا
دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُمْنَى، وَإِذَا خَرَجْتَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُسْرَى»^(٥).
٩٠- ولفظ ابن ماجه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٦) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ
أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَسْلِمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ،
وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَسْلِمْ عَلَى النَّبِيِّ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(٧).

-
- (١) الحاكم، ٢/١، ٢١٨، والبيهقي، ٢/٤٤٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/٦٢٤، برقم ٢٤٧٨، وتقدم تخريجه في الحديث رقم ٢٠ من متن حصن المسلم.
- (٢) ابن ماجه، كتاب المساجد، والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/١٢٨-١٢٩.
- (٣) انظر تخريج روايات الحديث السابق في دعاء دخول المسجد، حديث المتن رقم (٢٠) وزيادة: «اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم» لابن ماجه، أبواب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧٤. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/١٢٩.
- (٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.
- (٥) الحاكم، ١/٢١٨، وحسنه الألباني في سلسلة الصحيحة، برقم ٢٤٧٨، وتقدم تخريجه في حديث المتن.
- (٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
- (٧) ابن ماجه، برقم ٧٧٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/١٢٩، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

٩١- ولفظ مسلم، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ^(١)، أَوْ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»^(٣).

٩٢- وَعَنْ فَاطِمَةَ رضي الله عنها^(٤) بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» وَإِذَا خَرَجَ، قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»^(٥).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «بسم الله»: قال الإمام ابن كثير رحمته الله: «من قدره باسم، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمراً، وخبراً نحو: أبدأ بسم الله، أو ابتدأت بسم الله، فكلاهما صحيح ... فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركاً، وتيمناً، واستعانة على الإتمام والتقبل»^(٦).

٢- قوله: «والصلاة والسلام على رسول الله»: أي: اللهم أثنِ عليه، واذكره في الملائكة الأعلى، وقيل تعظيم الشرع الذي جاء به وإعلاء دعوته في الدنيا وفي الآخرة، وإعطائه المقام المحمود، والصواب كما قال أبو العالية: «صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ»^(٧).

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٦ من أحاديث الشرح.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٦ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد، برقم ٧١٣.

(٤) فاطمة رضي الله عنها تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٨٨ من أحاديث الشرح.

(٥) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وصححه

الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/١٢٨-١٢٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/١٢١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٨.

(٧) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧، وتقدم تخريجه.

وقال العلامة السخاوي رَحِمَهُ اللهُ: «وأولى الأقوال ما تقدم عن أبي العالية أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه: ثناؤه، وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم: طلب ذلك له من الله تعالى، والمراد: طلب الزيادة، لا طلب أصل الصلاة، وقيل: صلاة الله على خلقه تكون عامة، فصلاته على أنبيائه: هي ما تقدم من الشاء، والتعظيم، وصلاته على غيرهم الرحمة، فهي التي وسعت كل شيء، ونقل عياض عن بكر القشيري قال: الصلاة على النبي من الله تشریف، وزيادة تكرمة، وعلى من دون النبي رحمة»^(١).

٣- قوله: «اللهم اغفر لي ذنوبي»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا الله، وَالْيَمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عَوْضٌ مِنْ يَا ... وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ إِذَا طَرَحَ الْمِيمَ: يَا اللَّهُ اغْفِرْ لِي»^(٢)، وقال: «الْعَفُورُ الْغَفَّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّائِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ ... عَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: عَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»^(٣).

٤- قوله: «اللهم إني أسألك من فضلك»: أي من عظيم عطائك الواسع الذي لا حد له، فالفضل هو الزيادة. والتَّفَضُّلُ: التَّطَوُّلُ عَلَى غَيْرِكَ، وَالْمِفْضَالُ: كَثِيرُ الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ، وَفَضَّلَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ فِي دِينِهِ فَضَّلَهُ اللَّهُ فِي الثَّوَابِ، وَفَضَّلَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ فِي الدُّنْيَا بِالَّذِينَ، كَمَا فَضَّلَ اللَّهُ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَ رَسُولِهِ ﷺ^(٤)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ إِعْطَاءَ الرَّبِّ فَضْلٌ مِنْهُ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ حَقٌّ فِي نِعْمَةٍ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الشُّنَّةِ»^(٥).

(١) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للعلامة السخاوي، ص ٢١.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.

(٣) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.

(٤) انظر: لسان العرب، ١١/ ٥٢٥، مادة (فضل).

(٥) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ١١/ ١٨٦.

٥- قوله: «اللهم اعصمني من الشيطان»: أي احفظني من كيده ووسوسته، وَمَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ حَمَاهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْهَلَاكِ، أَوْ مَا يَجُرُّ إِلَيْهِ، يُقَالُ: عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَكْرُوهِ: وقاه، وحَفِظَهُ^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- مشروعية قول «بسم الله» عند دخول المسجد وعند الخروج منه، والحكمة من هذا هو طلب العون من الله بالتوفيق والقبول.
- ٢- إثبات أن الفضل بيد الله يؤتيه من شاء من عباده.
- ٣- طلب التحصن من العدو الأعظم عند دخول المسجد وعند الخروج منه؛ لأن الشيطان قاعد للطائع ليصده عن كل خير.
- ٤- طلب الرحمة عند دخول المسجد بيان لحاجة المصلي إلى رحمة الله بقبول صلاته، وأن تكون منهية له عن الفحشاء والمنكر وطلبه الفضل من الله عند الخروج إشارة إلى حاجة العبد إلى الرزق الحلال. وهو إشارة إلى قوله: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»^(٢).
- ٥- يستحب للمسلم أن يواظب على هذه الآداب العظيمة عند دخول المسجد، والخروج منه؛ ليحصل على الثواب العظيم.

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ٥٠١.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

١٥ - أذكار الأذان

٢٢- (١) يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ إِلَّا فِي «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ وَحَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» فَيَقُولُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٣- لفظ البخاري: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه (٢): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ»^(٣).

٩٤- وفي لفظ آخر للبخاري: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه (٤)، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ مُعَاوِيَةُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ»، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «وَأَنَا»، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «وَأَنَا»، فَلَمَّا أَنْ قَضَى التَّأْذِينَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى هَذَا الْمَجْلِسِ، «حِينَ أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ، يَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ مِنِّي مِنْ مَقَالَتِي»^(٥).

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول إذا سمع المنادي، برقم ٦١١، ورقم ٦١٣، وكتاب الجمعة، باب يجب الإمام على المنبر إذا سمع النداء، برقم ٩١٤، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦١١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري المدني، أبو أمامة، أمه حبيبة بنت أبي أمامة أسعد بن زرارَةَ النقيب، وكانت من المبايعات، ولد سنة ٨ هـ، مختلف في صحبته، توفي سنة ١٠٠ هـ، قال الحافظ ابن حجر: «له رؤية ولم يسمع من النبي ﷺ». انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ٢٣٨ / ١، وتقريب التهذيب، ١ / ١٥٧.

(٥) البخاري، كتاب الجمعة، باب يجب الإمام على المنبر إذا سمع النداء، برقم ٩١٤.

٩٥- ولفظ مسلم: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يقول مثل ما يقول المؤذن»، والمثلية هنا ليست في الهيئة والكيف، ولكن في اللفظ فقط؛ لأن المؤذن يقول بصوت مرتفع لسمع الآخرين، ولكن نحن إذا كنا في المسجد أو في الطريق أو في البيت أو في أي مكان إنما نحكي قول المؤذن لأنفسنا لا للغير؛ لأننا لا ننادي أحداً يأتي إلينا ^(٣).

٢- قوله: «حي على الصلاة» أي: هلموا إلى إقامة الصلاة بخشوع في قلوبكم وقوالبكم، وقال الطيبي رحمته الله: «والمعنى: هلموا إليها، وأقبلوا، وتعالوا مسرعين... لما قيل: حي، أي أقبل، قيل له: علي أي شيء؟ أجيب: على الصلاة» ^(٤).

٣- قوله: «حي على الفلاح» أي: أسرعوا إلى الفوز العاجل والنعيم الآجل، وقال ابن الأثير رحمته الله: «حي» بمعنى: هلم، وأقبل، وهي اسم لفعل الأمر، والفلاح: الفوز، وقيل البقاء» ^(٥).

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦١ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب استجاب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل له الوسيلة، برقم ٣٨٥.

(٣) شرح بلوغ المرام، للشیخ عطية محمد سالم، ٤٤ / ٥.

(٤) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩٠٥ / ٣.

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٢٧٧ / ٥.

٤- قوله: «لا حول ولا قوة إلا بالله»: هي كلمة استسلام وتفويض؛ لأن العبد لا يملك من أمره شيئاً فليلاً الحول والقوة، فلا تحوّل من حال إلى حال إلا بالله، وقال العلامة ابن رجب رحمته: «لا تحوّل للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله... فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله... فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه»^(١).

٥- قوله: «إذا سمعتم المؤذن»: السمع: قوة في الأذن به يدرك الأصوات، وفعله يقال له السمع أيضاً^(٢)، والمؤذن: كل من يعلم بشيء نداءً^(٣)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كَانَ هَذَا مُجْمَلًا، وَفَسَّرَهُ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ «أَنَّهُ يَقُولُ عِنْدَ الْحَيْعَلَةِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، فَإِنَّ الْحَاصَّ الْمُفَسَّرَ يَقْضِي عَلَى الْعَامِّ الْمُجْمَلِ»^(٤).

٦- قوله: «الله أكبر» قال ابن الأثير رحمته: «معناه الله الكبير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»^(٥).

٧- قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله»: أي أشهد أن لا شريك لله، ولا رب غيره، فأشهد: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ، وَأَقْضِي، وَحَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ، وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ حُضُورِهِ»^(٦)، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله عز وجل.

٨- قوله: «أشهد أن محمداً رسول الله»: القطع الجازم أن محمداً عبداً مرسل من قبل الله، ختم الله به الرسل، وأنه بلغ ما أرسله الله به، وما كتم من ذلك شيئاً، وأن رسالته عامة: للجن والإنس إلى قيام الساعة، قال العيني رحمته:

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ١٩٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، لعبد الحميد الفراهي، ١/ ٤٩٩، مادة (سمع).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، لعبد الحميد الفراهي، ١/ ٢٣، مادة (أذن).

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢١/ ١٢٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٥٢، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٦) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.

«أي: وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وهو اسم مأخوذ من الحمد، يقال: حمدت الرجل فأنا أحمده إذا أثنت عليه بجلال خصاله، فإذا بلغ النهاية في ذلك وتكامل فيه المناقب والمحاسن فهو محمد، ... والمعنى: إذا حمدتُ أحداً فأنت محمدٌ، وإذا حمدني أحدٌ فأنت أحمدٌ»^(١).

٩- قوله: «ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة»: قال القاضي عياض رحمته الله: «لأن في حكايته لما قال المؤذن من التوحيد والإعظام، والثناء على الله، والاستسلام لطاعته، وتفويض الأمور إليه بقوله عند الحيعلتين: «لا حول ولا قوة إلا بالله...»، وإذ هي دعاء وترغيب لمن سمعها، فإجابتها لا تكون بلفظها، بل بما يُطابقها من التسليم والانقياد، بخلاف إجابة غيرها من الثناء والتشهادين بحكايتهما، وإذا حصل هذا للعبد فقد حاز حقيقة الإيمان، وجماع الإسلام، واستوجب الجنة»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- استحباب إجابة المؤذن بالقول مثل قوله لكل من سمعه من متطهر، ومحدث، وجنب، وحائض مما لا مانع له من الإجابة كأن يكون في الخلاء أو في الصلاة.
- ٢- الأصل أن من سمع النداء من المكلفين من الرجال غير أولي الأعذار أن يسارعوا لأداء الصلاة في المسجد وفي الجماعة الأولى مع الإمام الراتب.
- ٣- إذا قال المؤذن في أذان الفجر: «الصلاة خير من النوم» أجابه السامع والمستمع بمثل ما يقول؛ لعموم الحديث ولا يقول صدقت وبررت كما يقول بعضهم؛ لعدم الدليل الصحيح.
- ٤- وكذلك عند إقامة الصلاة يكرر ألفاظ الإقامة لقول النبي ﷺ: «بين كل

(١) شرح سنن أبي داود للعيني، ١/ ٣٩٤، وتقدم في المفردة رقم ٤ من أحادي المتن رقم ١٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٥٣.

أذنين صلاة» ثم قال في الثالثة: «لمن شاء»^(١)، وهذا رد على من يقول عند الإقامة: «أقامها الله وأدامها» لضعف الحديث الوارد في ذلك^(٢).

٥- اتفق العلماء على استحباب الإنصات عند سماع الأذان ومشروعية إجابة المؤذن. وقال بعضهم بالوجوب والصحيح أنه سنة؛ لأن النبي ﷺ سمع مؤذناً، فلما كبر قال: «على الفطرة» فلما تشهد قال: «خرج من النار»^(٣)، فلما قال غير ما قال المؤذن كان الأمر مستحباً.

٦- ذكر بلال ؓ أنه أتى النبي ﷺ يؤذنه بصلاة الفجر. فقيل: هو نائم. فقال: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم. فأقرت في تأذين الفجر، فثبت الأمر على ذلك^(٤).

٧- قول المؤذن: «الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم» يعرف بـ«الثوب»، وهو في اللغة^(٥): العود ومنه الثواب، لأن منفعة عمله تعود إليه ومنه «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ»^(٦)؛ لأن الناس يعودون إليه وسميت المرأة ثيباً؛ لأنها ترجع إلى أهلها بوجه غير الأول. وفي الاصطلاح: هو العود إلى الإعلام بعد الإعلام.

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب بين كل أذنين صلاة لمن شاء، برقم ٦٢٧، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بين كل أذنين صلاة، برقم ٨٣٨.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع الإقامة، برقم ٥٢٨، وابن السني، ص ٤٩، برقم ١٠٢، والبيهقي، ٤١١/١، برقم ١٧٩٧، قال الحافظ في التلخيص الحبير، ٢١١/١: «هو ضعيف» وضعفه الألباني في إرواء الغليل، برقم ٢٤١.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب: الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان، برقم ٣٨٢.

(٤) ابن ماجه، أبواب الأذان والسنة فيها، باب بدء الأذان، برقم ٧٠٧، وصححه الألباني في تخريج فقه السيرة، ٢٠٣، وفي غيره.

(٥) انظر لسان العرب (١٤٤/٢)، والصحاح (١٤٦/١).

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

٨- ويطلق الثويب على الإقامة لقوله: «حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضي الثويب أقبل»^(١)، فسُمي الإقامة ثوبياً.

٩- إذا كان الجو ممطراً مطراً شديداً يشق على الناس، أو شديد البرد، يسن للمؤذن أن يقول: «الصلاة في الرحال أو صلوا في بيوتكم مكان حي على الصلاة. وهذا هو فعل ابن عباس مع مؤذنه، ولما استغرب الناس ذلك قال لهم: فعله من هو خير مني ﷺ»^(٢).

٢٣- (٢) يَقُولُ: «وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا»^(٣)، «يَقُولُ ذَلِكَ عَقِبَ تَشْهَدِ الْمُؤَذِّنِ»^(٤).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٦- عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه^(٥)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التأذين، برقم ٦٠٨، ومسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، برقم ٣٨٩.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب الكلام في الأذان، برقم ٦١٦.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم ٣٨٦.

(٤) ابن خزيمة، ٢٢٠/١، برقم ٤٢١، وقال محقق ابن خزيمة: «إسناده جيد».

(٥) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه؛ أبو إسحاق القرشي: أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتاً، وأحد السابقين الأولين، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد من شهد بدرًا والحديبية، ومن مناقبه أن فتح العراق كان على يديه واستأصل الله به الأكاسرة يوم جلولاء، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري، برقم ٣٧٢٨،

يَسْمَعُ الْمُؤَدِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» قَالَ ابْنُ رُمَحٍ فِي رِوَايَتِهِ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَدِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ» هذا لفظ مسلم^(١).

٩٧- ولفظ ابن خزيمة: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَدِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»^(٢).

٩٨- ولفظ آخر لابن خزيمة أيضاً: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَمِعَ الْمُؤَدِّنَ يَتَشَهَّدُ فَالْتَفَتَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «وأنا أشهد أن لا إله إلا الله»: مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ، وَمِنْ ذَلِكَ شَهِدَ

وفداه رسول الله ﷺ بأبويه يوم أحد البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري، برقم ٣٧٢٥، وكان مستجاب الدعوة ابن حبان، ١٥/ ٤٥٠، برقم ٦٩٩٠، وطبقات ابن سعد، ٣/ ١٤٢، والحاكم، ٣/ ٤٩٩، وصححه، وصححه إسناده محقق صحيح ابن حبان، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، برقم ٦٩٥١، وفيه نزلت: ﴿وَوَضَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِالْذِّكْرِ حُسْنًا...﴾ سورة العنكبوت، الآية: ٨، وهو عند مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنه، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، برقم ١٧٤٨، وقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...﴾ سورة الأنعام: ٥٢، وانظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنه، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، برقم ٢٤١٣، وكان ممن اعتزل الفتنة، توفي عام ٥٥ هـ، وكان آخر من مات من المهاجرين. سير أعلام النبلاء، ١/ ٩٢، ترجمة رقم (٥).

(١) مسلم، برقم ٣٨٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن خزيمة، برقم ٤٢١، وجوّد إسناده محقق ابن خزيمة، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن خزيمة، ١/ ٢٢٠، برقم ٤٢٢، وقال محقق ابن خزيمة: «إسناده جيد» وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الشَّاهِدُ عند الحاكم، معناه: قديين له، وَأَعْلَمَهُ الْخَبَرَ الَّذِي عِنْدَهُ، وَقَالَ أَبُو عبيدة: معناه أقضي كما في شهد الله مَعْنَاهُ قَضَى اللهُ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ لَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيُّ حُضُورِهِ^(١)، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله.

٢- قوله: «وحده لا شريك له»: قال فضيلة الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «هذا من باب التأكيد؛ تأكيد وحدانيته جل وعلا، وأنه لا مشارك له في ألوهيته»^(٢).

٣- قوله: «وأن محمداً عبده ورسوله»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فهو عبد كغيره من العباد مربوب، والله هو المعبود، وهو الرب، إذاً نقول لهؤلاء الذين نجدهم يغفلون برسول الله ﷺ، وينزلونه فوق منزلته التي أنزله الله، نقول لهم: إنكم لم تحققوا لا شهادة أن لا إله إلا الله، ولا شهادة أن محمداً رسول الله، فالمهم أن هاتين الشهادتين عليهما كل الإسلام؛ لذلك لو أراد الإنسان أن يتكلم على ما يتعلق بهما منطوقاً، ومفهوماً، ومضموناً، وإشارة، لاستغرق أياماً، ولكن نحن أشرنا إشارة إلى ما يتعلق بهما، ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يحققهما عقيدة، وقولاً، وفعلاً»^(٣).

٤- قوله: «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا» أي: متفرداً بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة، لا منازع له في ذلك كله، وهو المستحق للعبادة وحده، قال الإمام النووي: «مَعْنَى رَضِيتُ بِالشَّيْءِ قَنَعْتُ بِهِ، وَاکْتَفَيْتُ بِهِ، وَلَمْ أَطْلُبْ مَعَهُ غَيْرَهُ، فَمَعْنَى الْحَدِيثِ لَمْ يَطْلُبْ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى»^(٤)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والرضا بربوبية الله تتضمن الرضا بعبادته وحده، لا شريك له،

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، الحديث رقم ١٤١٧.

(٣) شرح رياض الصالحين، الحديث رقم ٦٠.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢.

وبالرضا بتدبيره للعبد، واختياره له»^(١).

٥ - قوله: «وبالإسلام ديناً» أي: ديناً قيماً ارتضاه الله لصلاح الخلق في كل زمان ومكان، قال الإمام النووي: «وَلَمْ يَسْلُكْ إِلَّا مَا يُوَافِقُ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ، فَقَدْ خَلَصَتْ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ إِلَى قَلْبِهِ، وَذَاقَ طَعْمَهُ، وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: مَعْنَى الْحَدِيثِ صَحَّ إِيْمَانُهُ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ نَفْسُهُ، وَخَامَرَ بَاطِنُهُ؛ لِأَنَّ رِضَاهُ بِالْمَذْكُورَاتِ دَلِيلٌ لِثُبُوتِ مَعْرِفَتِهِ، وَنَفَازِ بَصِيرَتِهِ، وَمُخَالَطَةِ بَشَاشَتِهِ قَلْبُهُ؛ لِأَنَّ مَنْ رَضِيَ أَمْرًا سَهْلًا عَلَيْهِ، فَكَذَا الْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ قَلْبُهُ الْإِيمَانَ سَهْلًا عَلَيْهِ طَاعَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَذَّتْ لَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٢).

٦ - قوله: «وبمحمد رسولاً» أي: للإنس والجن وخاتماً للرسول لا نبي بعده ﷺ، وأنه ما مات إلا وقد أتم الله به الدين، وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: «الرضا بمحمد رسولاً يتضمن الرضا بجميع ما جاء به من عند الله، وقبول ذلك بالتسليم والانسراح»^(٣).

قوله: «يقول ذلك عقب تشهد المؤذن»: فالعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «دليل على أنه يقولها عقب قول المؤذن: «أشهد أن لا إله إلا الله»، لأن الواو حرف عطف، فيعطف قوله على قول المؤذن. فإذا؛ يوجد ذكرٌ مشروع أثناء الأذان»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١ - من لوازم الرضا بالله رباً تحقيق العبودية له وحده في: الأقوال، والأفعال، والمعتقدات.

(١) كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية، ص ٥٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢ / ٢.

(٣) جامع العلوم والحكم، ١ / ٣٣.

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٢ / ٧٠.

- ٢- حقيقة دين الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، مع الخلوص من الشرك الأكبر والأصغر، وأهله.
- ٣- من تمام الإيمان بالرسول محمد ﷺ هو طاعته في كل ما جاء به، وتحكيمه فيما يشجر من خلاف مع التسليم لحكمه بانسراح الصدر وطمأنينة النفس والانقياد ظاهراً وباطناً، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).
- ٤- من بركة قول هذا الذكر هو مغفرة ذنوب قائله كما جاء في نهاية الحديث وهذه الذنوب يراد بها الصغائر أما الكبائر فتحتاج إلى توبة أو إقامة الحدود.
- ٥- الحكمة من قول هذا الدعاء أثناء الأذان: أن الأذان مشتمل على معاني عظام فأوله اعتراف بعظمة الله، وأنه يصغر دون جلاله كل كبير، ثم الشهادتين اللتين هما مفتاح كل خير ومغلاق كل شر، ثم الدعوة إلى الصلاة التي شرعت لذكر الله، ثم الدعوة إلى الفلاح والفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، ثم ختمت بالتكبير وإظهار التوحيد الخالص، والله تعالى أعلم.
- ٢٤- (٣) «يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ فَرَاعِهِ مِنْ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه^(٣)، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥، وراجع تفسير السعدي، ص ٧٠.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم ٣٨٤.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

«إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنَزَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ فَرَاحِهِ مِنْ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ»: قال الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله: «السنة بعد أن ينتهي سامع الأذان من حكاية المؤذن أن يصلي، ويسلم على النبي ﷺ سراً، كما حكى ألفاظ المؤذن، وكذلك المؤذن حينما يفرغ من الأذان بصوته العالي الذي ينادي به الناس، يصلي على النبي ﷺ سراً ليكون ممثلاً، وكما يقول السامع للأذان ذلك، كذلك أيضاً المؤذن»^(٢).

٢- قوله: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ»: السمع: قوة في الأذن به يدرك الأصوات، وفعله يقال له السمع أيضاً^(٣)، والمؤذن: كل من يعلم بشيء نداءً^(٤).

٣- قوله: «يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ»، والمثلية هنا ليست في الهيئة والكيف، ولكن في اللفظ فقط؛ لأن المؤذن يقول بصوت مرتفع ليسمع الآخرين، ولكن نحن إذا كنا في المسجد أو في الطريق أو في البيت أو في أي مكان إنما نحكي قول المؤذن لأنفسنا لا للغير؛ لأننا لا ننادي أحداً يأتي إلينا^(٥).

٤- «ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ» أي: بقولكم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما

(١) مسلم، برقم ٣٨٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) شرح بلوغ المرام، ٩/ ٤٤، مفرغ من محاضراته في المسجد النبوي.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، لعبد الحميد الفراهي، ١/ ٤٩٩، مادة (سمع).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، لعبد الحميد الفراهي، ١/ ٢٣، مادة (أذن)، وقد تقدم في شرح المفردة

رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٢٢.

(٥) شرح بلوغ المرام، للشيخ عطية محمد سالم، ٥/ ٤٤، وقد تقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢٢.

صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد^(١).

٥- قوله: «فإنه من صلى عليّ»: قال القاضي عياض رحمته الله: «هو - والله أعلم - لمن صلى عليه مُحْتَسِباً، مخلصاً، قاضياً حقه بذلك، إجلالاً لمكانه، وحباً فيه، لا لمن قصد بقوله ودعائه ذلك مجرد الثواب، أو رجاء الإجابة لدعائه بصلاته عليه، والحرص لنفسه، وهذا فيه عندي نظر»^(٢).

٦- قوله: «صلى الله عليه بها عشراً»: والصواب كما قال أبو العالية: «صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ»^(٣)، وقال العلامة السخاوي رحمته الله: «ثواب الصلاة على رسول الله ﷺ لمن صلى عليه من صلاة الله ﷻ، وملائكته، ورسوله، وتكفير الخطايا، وتركية قيراط مثل أحد من الأجر، والكيل بالمكيال الأوفى، وكفاية أمر الدنيا والآخرة؛ لمن جعل صلاته كلها صلاة عليه، ومحو الخطايا، وفضلها على عتق الرقاب، والنجاة بها من الأهوال وشهادة الرسول بها»^(٤).

٧- قوله: «الوسيلة»: قال القاضي عياض رحمته الله: «فَسَّرَهَا فِي الْحَدِيثِ أَنَّهَا مَنْزِلَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْوَسِيلَةُ: الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ الْمَلِكِ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنَ الْقَرَبِ، تَوْسَّلَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ بِكَذَا إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ، وَتَوْسَّلَ إِلَى رَبِّهِ بِطَاعَتِهِ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِهَا»^(٥).

٨- قوله: «فإنها منزلة في الجنة»: قال الطيبي رحمته الله: «لأن الواصل إليها يكون قريباً

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾، برقم ٤٧٩٧،

وهذه هي أفضل الصيغ وتعرف بالصلاة الإبراهيمية وهي التي تقال في النصف الثاني من التشهد الأخير وتجزئ صيغ أخرى، راجع ذلك في موطنه مثل جلاء الأفهام لابن القيم وغيره.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٥٣.

(٣) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧، وتقدم تخريجه.

(٤) القول البدیع فی الصلاة علی الحبيب الشفیع، للإمام السخاوي، ص ١٠٩.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٥٢.

من الله تعالى، فائزاً بِلِقَائِهِ، مخصوصاً من بين سائر الدرجات بأنواع المكرمات»^(١).

٩- قوله: «أرجو أن أكون أنا هو»: قال ذلك تواضعاً، وتذلاً لربه ﷻ، قال المناوي رحمه الله: «أي أنا ذلك العبد، وذكره على طريق الترجي، تأدباً، وتشريعاً؛ لأنه إذا كان أفضل الأنام، فلمن يكون ذلك المقام، قال الطيبي: قيل إن هو: خبر كان وضع بدل إياه، ويحتمل أن لا يكون أنا للتأكيد؛ بل مبتدأ، وهو خبر والجملة خبر أكون، ويمكن أن هذا الضمير وضع موضع اسم الإشارة: أي أن أكون أنا ذلك العبد»^(٢).

١٠- قوله: «حلت» أي: وجبت من غير إلزام على الله ﷻ، قال ابن الأثير رحمه الله: «هي بِمَعْنَى غَشِيَتْهُ وَنَزَلَتْ بِهِ»^(٣).

١١- قوله: «ثم سلوا الله لي الوسيلة»: قال ابن الملقن رحمه الله: «قيل: إنها الشفاعة، وقيل: القرب من الله تعالى»^(٤). وقال العيني رحمه الله: «سلوا الله لأجلي الوسيلة؛ الوسيلة: فعيلة؛ وهو في اللغة: ما يتقرب به إلى الغير؛ وجمعها: وسُل ووسائل؛ يقال: وسَل فلان إلى ربه وسيلةً وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل»^(٥).

١٢- قوله: «لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله»: قال العيني رحمه الله: «تنبغي، وينبغي من أفعال المطاوعة يقول: بغيته فانبغي، من بغيت الشيء طلبته، ويقال: انبغي لك أن تفعل كذا، أي: طوعك وانقاد لك فعل كذا، ... لا ينبغي... أي: لا يحصل ولا يتأتى؛ ولا يستعمل فيه غير هذين اللفظين، ويقال: معنى لا ينبغي: لا يسهل ولا يكون»^(٦).

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩١١.

(٢) فيض القدير، ١/ ٣٨٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٢، مادة (حل).

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٦/ ٣٤٠.

(٥) شرح سنن أبي داود للعيني، ٢/ ٤٨٢.

(٦) شرح سنن أبي داود للعيني، ٢/ ٤٨٢.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- استحباب الصلاة على النبي ﷺ بعد متابعة ألفاظ الأذان مع المؤذن على النحو السابق ذكره.
- ٢- صلاة العبد على نبيه تشریف وتعظيم لشأنه، ويدخل في ذلك نصر سنته بعد موته وإظهارها في زمن الغربة.
- ٣- مضاعفة الحسنات بالأعمال اليسيرة التي يصاحبها الإخلاص والمتابعة.
- ٤- إثبات شفاعة النبي ﷺ للخلق، والرد على من أنكرها من أهل الزيغ والأهواء والبدع.
- ٥- قول بعض المؤذنين أشهد أن سيدنا محمد رسول الله، وكذا قول بعضهم حي على خير العمل مرتين بعد الحيعلتين، كل هذا لا أصل له، وهو من المحدثات والبدع.
- ٦- صلاة الله على نبيه: هي ثناؤه ورضوانه عليه، وصلاة الملائكة على النبي ﷺ: هي دعاء له ورفع لذكره.
- ٧- صلاة المسلم على نبيه: اقتداءً بالله وملائكته^(١)، وجزاء له على بعض حقوقه على المسلمين، وتكميلاً لإيمانهم، وزيادة في حسناتهم، وتكفيراً لسيئاتهم^(٢).
- ٨- بصلاة الله وملائكته على النبي ﷺ في الملأ الأعلى، وبصلاة أهل التوفيق من المسلمين والمؤمنين في الأرض يجتمع للنبي ﷺ الثناء عليه في العالمين: السفلي والعلوي، وقال العلامة السخاوي رحمه الله: «فيظهر أن المراد به الملأ الأعلى، وهم الملائكة؛ لأنهم يسكنون السموات، والجن هو الملأ الأسفل؛ لأنهم سكان الأرض، وأما المصطفين... فهم المختارون من أبناء جنسهم، فعلى هذا هم من الرسل أربعة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى،

(١) إشارة إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الأحزاب: ٥٦.

(٢) انظر: تفسير السعدي، ص ٦٧١.

أولوا العزم، وهو أعني محمداً ﷺ سيدهم ومن الملائكة جماعة كثيرون كحملة العرش، وجبرئيل، وميكائيل، ومن شهد بداراً وغيرهم. وقيل: المصطفون هم الذين اتخذهم صفوة، فصفاهم من الأدناس، وقيل: هم الذين وُحِّدوه، وآمنوا به، قاله ابن عباس، وقيل: هم أصحابه، وقيل: هم أمته، أما المقربون فالمراد بهم: الملائكة، واختلف فيهم، فعن ابن عباس هم حملة العرش... وقيل: هم السابقون إلى الإسلام، وعن مقاتل: السابقون هم من سبق إلى الأنبياء بالإيمان، وقيل: هم الصديقون، والله أعلم^(١)، والسابقون من أمة النبي ﷺ هم الذين قاموا بالواجبات، وابتعدوا عن المحرمات، وعملوا المستحبات، وتركوا المكروهات^(٢).

٢٥- (٤) يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، [إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ]»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٠- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه (٤): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ

(١) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، ص ١٠٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، على قوله ﷺ: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ».

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، برقم ٦١٤، وما بين المعقوفين للبيهقي، ٤١٠/١، وحسن

إسناده العلامة عبد العزيز بن باز رحمته الله، في تحفة الأخيار؛ لأنها زيادة ثقة، ص ٣٨، وهو في الدعوات

الكبير للبيهقي أيضاً، ١٠٨ / ١، برقم ٤٩.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتٍ مُحَمَّدًا
الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ
الْقِيَامَةِ» هذا لفظ البخاري^(١).

١٠١- ولفظ البيهقي: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ،
وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتٍ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي
وَعَدْتُهُ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ رَبِّ»: الرب هنا بمعنى صاحب الدعوة التي شرعها؛ لأنها
لو جاءت بمعنى خالق أشكل علينا؛ لأن هذه الدعوة فيها أسماء الله، وهي
غير مخلوقة؛ لأنها من الكلام الذي أخبر به عن نفسه وكلامه غير مخلوق^(٣).

٢- قوله: «هذه الدعوة»: هي دعوة التوحيد، وقيل: إنها كلمات الأذان،
قال ابن الملقن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والمراد بالدعوة التامة: دعوة الأذان؛ سميت بذلك؛
لكمالها وعظم موقعها، فلا نقص فيها ولا عيب؛ لانتفاء الشراكة فيه»^(٤).

٣- قوله: «التامة»: لأن فيها أتم القول وهي الشهادتان وتعظيم الله والدعوة
إلى الخير، قال الطيبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنما وصف الدعوة بالتمام؛ لأنها ذكر الله ﷻ يدعى
بها إلى عبادته، وهذه الأشياء وما والاها هي التي تستحق صفة الكمال والتمام،
وما سوى ذلك من أمور الدنيا يعرض النقص والفساد، ويحتمل أنها وصفت

(١) البخاري، برقم ٦١٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الدعوات الكبير للبيهقي، برقم ٤٩، وحسن إسناده العلامة ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٣٨،

وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٨٧ / ٢.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٣٩ / ٦.

بالتمام؛ لكونها محمية عن النسخ والإبدال، باقية إلي يوم التناد»^(١).

٤- قوله: «والصلاة القائمة» أي: التي ستقام فهي قائمة باعتبار ما سيكون وقيل أي الدائمة التي لا تتغير ولا تنسخ، قال ابن الملقن رحمته الله: «أي: التي تقوم، أي: تقام وتفعل بصفاتها، وقيل: إنها الدعاء بالنداء؛ لأن الدعاء يُسمى صلاة»^(٢).

٥- قوله: «آت» أي: أعط فضلاً منك ونعمة، قال العيني رحمته الله: «آت: - بفتح الهمزة- أمرٌ من أتى يؤتي إيتاء، كأعطى يعطي إعطاء؛ وأصله: «أت»؛ لأنه من ثَوَاتِي بهمزيّن، فحذفت حرف الخطاب علامة للأمر، وحذفت الياء علامة للجزم»^(٣).

٦- قوله: «محمداً»: قال العيني رحمته الله: «اسم مأخوذ من الحمد، يقال: حمدت الرجل فأنا أحمدُه إذا أثّنت عليه بجلائل خصاله، وأحمدته، وحمدته محموداً، ويقال: رجل محمود، فإذا بلغ النهاية في ذلك وتكامل فيه المناقب والمحاسن فهو محمد، وهذا البناء أبداً يدل على الكثرة، وبلوغ النهاية»^(٤)، وقال الطيبي رحمته الله: «طلب عليه السلام من أمته الدعاء له بطلب الوسيلة افتقاراً إلى الله، وهضماً لنفسه؛ أو لتنفع أمته، وتثاب به، أو يكون إرشاداً لهم في أن يطلب كل منهم من صاحبه الدعاء له»^(٥).

٧- قوله: «الوسيلة»: هي أعلى منزلة في الجنة، أعطاه الله لنبيه محمد عليه السلام، قال ابن الملقن رحمته الله: «والوسيلة: القرية... منزلة في الجنة لا تبغي إلا لعباد من عباد الله... وقيل: إنها الشفاعة، وقيل: القرب من الله تعالى»^(٦).

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩١٣.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٦/ ٣٣٩.

(٣) شرح أبي داود للعيني، ٢/ ٤٩٢.

(٤) شرح سنن أبي داود للعيني، ١/ ٣٩٤، وتقدم مستوفي في شرح المفردة رقم ٤ من حديث المتن رقم ١٣.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١١/ ٣٦٥٠.

(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٦/ ٣٤٠.

٨- قوله: «والفضيلة» أي: المرتبة الزائدة على سائر الخلائق، ويحتمل أن تكون تفسير للوسيلة^(١).

٩- قوله: «وابعثه»: قال القاري رحمته الله: «وابعثه: أي: أرسله، وأوصله مقاماً محموداً، أي مقام الشفاعة الذي وعده»^(٢).

١٠- قوله: «مقاماً محموداً الذي وعده»: فسر النبي ﷺ بقوله: «هي الشفاعة»^(٣)، الشفاعة^(٤)، وإنما وصف بأنه محمود؛ لأن القائم فيه يحمده الأولون والآخرون، وإنما نكر للتفخيم وهذا إشارة إلى قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(٥)، وقال العيني رحمته الله: «يعني: المقام المحمود الذي يحمده القائم فيه، وكل من رآه وعرفه؛ وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات، وقيل: المراد: الشفاعة؛ وهي نوع مما يتناوله... مقاماً يحمذك فيه الأولون والآخرون، وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى، وتشفع فتشفع، ليس أحد إلا تحت لوائك»^(٦).

١١- قوله: «إنك لا تخلف الميعاد»: قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «فهو جل وعلا لا يخلف الميعاد؛ لكمال صدقه، وكمال قدرته جل وعلا، وإخلاف الوعد إما أن يكون عن كذب من الوعد، وإما أن يكون عن عجز منه، والله جل وعلا أصدق القائلين، وأقدر القادرين، فهو ﷻ وعد نبيه في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، وهو جل وعلا صادق في وعده، قادر على تنفيذه»^(٧).

(١) فتح الباري، ٢/ ١١٩.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ١١٣.

(٣) انظر: سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، برقم ٣١٣٧، وابن جرير في التفسير موقوفاً على سلمان، ١٧/ ٥٢٨، وحسنه الزيلعي في تخريج الكشاف، ٢/ ٢٨٥، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: «قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو كما قال» برقم ٢٦٣٩، و٢٣٧٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٥) شرح أبي داود للعيني، ٢/ ٤٩٣.

(٦) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٠٤١.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- استحباب الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان وسؤال الله له الوسيلة لما في ذلك من الأجر العظيم، وهو حلول شفاعته النبي ﷺ له، وذلك ثابت بالوعد الصادق.
- ٢- رسولنا الكريم مع كونه سيد ولد آدم ولا فخر إلا أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولذلك حثنا بالدعاء له، فهو لا يدعى مع الله ﷻ.
- ٣- قولنا بعد الأذان: «آت محمداً» وليس آت رسول الله لا يعارض قول الله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ لأن ذلك من باب الإخبار، أما مفهوم الآية فهو على قولين:
 أ - لا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضاً.
 ب - أنه إذ دعاكم يجب إجابته ولا خيار لكم في ذلك^(١).
- ٤- معنى: «اللهم ربّ» الرب هنا بمعنى صاحب الدعوة التي شرعها؛ لأنها لو جاءت بمعنى خالق أشكل علينا؛ لأن هذه الدعوة فيها أسماء الله وهي غير مخلوقة؛ لأنها من الكلام الذي أخبر به عن نفسه وكلامه غير مخلوق^(٢).
- ٥- شفاعته النبي ﷺ يوم القيامة لا تكون إلا بإذن الله لقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾^(٣).
- ٦- من أنواع الشفاعات للنبي:
 أ - الشفاعه العظمى، وهي المقام المحمود، وهي خاصة بالنبي ﷺ، لا يشاركه فيها أحد، وتقدمت أدلتها.

(١) انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين، ٢ / ٩١.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

ب - الشفاعة في استفتاح باب الجنة فيكون هو أول من يدخلها^(١)، وهذه الشفاعة خاصة به ﷺ.

ج - شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب^(٢)، وهذه خاصة به ﷺ. وهذه الثلاث الشفاعات السابقة خاصة بالنبي ﷺ، وأما الشفاعات الآتية، فيشاركه فيها غيره ﷺ.

د - شفاعته في رفع درجات أقوام من أمته^(٣).

هـ - شفاعته للعصاة من أهل التوحيد من أمته ولا يكون ذلك دفعة واحدة^(٤)، بل أربع مرات، ويشاركه في الشفاعة العامة: الأنبياء، والملائكة، والصالحون، والأفراط وغيرهم.

٧- قول بعضهم في هذا الدعاء آت سيدنا محمداً وقولهم بعد آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة أو العالية الرفيعة لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ^(٥).

* * *

٢٦- (٥) «يَدْعُو لِنَفْسِهِ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فَإِنَّ الدُّعَاءَ حَيْثُ لَا يُرَدُّ»^(٦).

(١) انظر كتاب ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة للحكمي - أبواب الشفاعة وكلها في الصحيحين.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) انظر إرواء الغليل للألباني، ١/ ٢٦١.

(٦) الترمذي، كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، برقم ٣٥٩٤، ورقم ٣٥٩٥، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة، برقم ٥٢١، وأحمد، ١٩/ ٢٣٤، برقم ١٢٢٠٠، وصححه الألباني في: إرواء الغليل، ١/ ٢٦٢، وصحيح الترمذي، برقم ٢١٢، و٢٨٤٣.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»، هذا لفظ الترمذي، والإمام أحمد ^(٢).

١٠٣- وفي لفظ آخر للترمذي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»، قَالُوا: فَمَاذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يدعو لنفسه»: قال العلامة ابن القيم رحمته الله: «يَدْعُو لِنَفْسِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهُ يُسْتَجَابُ لَهُ» ^(٤).

٢- قوله: «بين الأذان والإقامة»: قال العيني رحمته الله: «الأذان إعلام الغائبين؛ ولهذا لا يكون إلا على المواضع العالية، كالمناشر ونحوها، والإقامة إعلام الحاضرين من الجماعة للصلاة» ^(٥).

٣- قوله: «الدعاء» أي: مطلق الدعاء، ما لم يكن فيه إثم، ولا تعدٍ، ولا قطعية رحم، قال الفيومي رحمته الله: «دَعَوْتُ اللَّهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً: ابْتَهَلْتُ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ، وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ... وَدَعَا الْمُؤَذِّنُ النَّاسَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَهُوَ دَاعِي اللَّهِ... وَالنَّبِيُّ

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٢) الترمذي، برقم ٣٥٩٤، وأحمد، برقم ١٢٢٠٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ٣٥٩٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٤٣ وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢/ ٣٥٨.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٨/ ٧٠.

دَاعِي الْخَلْقِ إِلَى التَّوْحِيدِ»^(١).

٤- قوله: «لا يرد» أي: إذا تحققت فيه أسباب الإجابة وانتفت الموانع، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «لا يرد بينهما لشرف ذلك الوقت، وإذا كان الوقت أشرف كان ثواب العبادة فيه أكثر»^(٢).

٥- قوله: «سَلُّوا اللهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «الْأَمْرُ بِسُؤَالِ الْعَافِيَةِ، وَهِيَ مِنَ الْأَلْفَافِ الْعَامَّةِ الْمُتَنَوِّلَةِ لِدَفْعِ جَمِيعِ الْمَكْرُوهَاتِ: فِي الْبَدَنِ، وَالْبَاطِنِ فِي الدِّينِ، وَالْدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ الْعَامَّةَ لِي، وَلِأَحِبَّائِي، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- أهمية الدعاء، وأنه من أفضل العبادات؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة»^(٤).

٢- استحباب الصلاة على النبي ﷺ قبل الدعاء لقوله: «كل دعاء محجوب حتى يُصَلَّى على النبي»^(٥).

٣- على المسلم أن يتحرى أوقات الإجابة ومنها بين الأذان والإقامة.

٤- التبكير إلى المسجد لصلاة الجماعة، حتى يتسنى له الدعاء بخشوع وتضرع وتذل؛ لأن الدعاء بمنزلة السلاح بيد صاحبه. والسلاح بضاربه.

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٩٤، مادة (دعو).

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩١٥).

(٣) شرح النووي على صحيح سلم، ١٢/ ٤٦.

(٤) الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل الدعاء، برقم ٣٣٧٢، وصححه الألباني، أما حديث «الدعاء مخ العبادة» فهو حديث ضعيف وانظر المشكاة (٢٢٣١).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط، ٢٢٠/ ١، برقم ٧٢١، موقوفاً، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٢١٦، برقم ١٥٧٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٦٠: «رجاله ثقات» وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٣٤، برقم ٢٠٣٥: «وخلاصة القول: إن الحديث بمجموع هذه الطرق، والشواهد لا ينزل عن مرتبة الحسن».

٥- من أوقات الإجابة التي غفل عنها كثير من الناس غير ما مضى:

١ - الثلث الأخير من الليل^(١).

٢ - الساعة التي في يوم الجمعة^(٢).

٣ - الدعاء في السجود^(٣).

٤ - عند الخروج للجهاد في سبيل الله واشتداد البأس^(٤).

٦- شروط إجابة الدعاء:

١ - الإخلاص: لقوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٥).

٢ - أن يكون الدعاء لا عدوان فيه. لقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٦).

٣ - أن تدعو وأنت موقن بالإجابة وليس على سبيل التجربة لقول النبي ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»^(٧).

٤ - اجتناب الحرام لقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ طِيبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طِيبًا...»^(٨).

٥ - ألا يستعجل في الإجابة، ولا ييأس من ذلك؛ لقول النبي ﷺ:

(١) البخاري، أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم ١١٤٥.

(٢) البخاري، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، برقم ٩٣٥.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم ٤٧٩.

(٤) أخرجه ابن حبان، ٥/٥، برقم ١٧٢٠، والطبراني في الكبير، ١٥٩/٦، برقم ٥٨٤٧، وابن أبي شيبة،

٣٠/٦، برقم ٢٩٢٤٢، وعبد الرزاق، ٤٩٥/١، برقم ١٩١٠، والبيهقي، ٤١١/١، برقم ٦، وصححه

الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٥٨٧.

(٥) سورة غافر، الآية: ١٤.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

(٧) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله بن معاوية، برقم ٣٤٧٩، والحاكم، ٦٧٠/١،

وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٢٤٥.

(٨) مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، برقم ١٠١٥.

«يستجاب لأحدكم ما لم يعجل»^(١).

٧- الدعاء على قسمين:

أ - دعاء عبادة: وهي طلب رضا الله في فعله من الطاعات: كالصلاة والصيام والحج، وغير ذلك من العبادات؛ لأنه لم يعمل هذه الطاعات إلا طلباً للثواب من الله تعالى.

ب - دعاء مسألة: وهو سؤال العبد لربه أموراً يسعى إليها كالرزق والمغفرة والرحمة، وغير ذلك.

٨- الدعاء في القرآن يأتي على معانٍ^(٢):

١ - التوحيد لقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٣).

٢ - العبادة لقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾^(٤).

٣ - الاستغاثة لقوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٥).

٤ - السؤال والطلب لقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٦).

٥ - النداء لقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾^(٧).

٦ - الثناء لقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٨).

٧ - القول لقوله: ﴿دَعُواهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ...﴾^(٩).

(١) مسلم، كتاب الذِّكْرِ والدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ يُسْتَجَابُ لِلدَّاعِي مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجِبْ لِي، برقم ٢٧٣٤.

(٢) انظر بهجة الناظرين في شرح رياض الصالحين للهلالي، ٢ / ٤٨٢.

(٣) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٠٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٦) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٥٢.

(٨) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٩) سورة يونس، الآية: ١٠.

١٦ - دُعَاءُ الْاِسْتِفْتَاَحِ

٢٧- (١) «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ، بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرْدِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٤- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً - قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ: هُتَيَْةً - فَقُلْتُ: يَا أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ» هذا لفظ البخاري^(٢).

١٠٥- ولفظ مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ، سَكَتَ هُتَيَْةً قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي، أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنَ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرْدِ»^(٣).

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير، برقم ٧٤٤، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع

الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، برقم ٥٩٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٧٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٥٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «إِسْكَاتَةٌ»: - بِكَسْرِ أَوَّلِهِ - بِوزنِ إِفْعَالَةٍ: مِنَ الشُّكُوتِ، وَهُوَ مِنَ الْمَصَادِرِ الشَّاذَّةِ، نَحْوُ: أُبْثِثُهُ إِثْبَاتَةً، قَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ: سُكُوتٌ يَقْتَضِي بَعْدَهُ كَلَامًا مَعَ قِصَرِ الْمُدَّةِ فِيهِ، وَسِيَاقُ الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الشُّكُوتَ عَنِ الْجَهْرِ، لَا عَنِ مُطْلَقِ الْقَوْلِ، أَوِ الشُّكُوتَ عَنِ الْقِرَاءَةِ لَا عَنِ الذِّكْرِ^(١).
- ٢- قوله: «هُنْيَةٌ» - بِشَدِيدِ الْيَاءِ غَيْرِ مَهْمُوزٍ -: وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: (هُنْيَةٌ) - بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ، وَزِيَادَةِ هَاءٍ -: أَيْ شَيْئًا يَسِيرًا^(٢).
- ٣- قوله: «اللهم باعد»: والمراد بالمباعدة محو ما مضى من الذنوب السابقة، وعدم الوقوع في ذنوب لاحقة، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عَوْضٌ مِنْ يَا ...»^(٣).
- ٤- قوله: «بيني وبين خطاياي»: جمع خطيئة، وهو الذنب وهو ما له تبعة دنيوية، أو أخراوية^(٤). قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «أي باعد بيني وبين جزائها، ويحتمل حل بيني وبين واقعة الذنوب بِالطَّافِكِ، حَتَّى لَا أَقْرِبَهَا»^(٥).
- ٥- قوله: «كما باعدت بين المشرق والمغرب»: أي: باعد بيني وبين الذنوب ما أحيطتني، وإنما عبر بذلك لاستحالة التقاء المشرق والمغرب، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «أي: لا يبقى لها اتصال بي كما لا يتصل المشرق بالمغرب»^(٦).
- ٦- قوله: «اللهم نقني»: هو مجاز عن زوال الذنوب ومحو آثارها، قال

(١) فتح الباري، ٢/ ٢٢٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠/ ١٢٥.

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.

(٤) انظر: العلم الهيب، ص ٢٥٨.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٣٦.

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٣٦.

ابن الأثير رحمته الله: «التَّنْقِيَةُ: وهو إفراد الجَيِّد من الرَّدِيء»^(١).

٧- قوله: «من خطاياي»: قال الطيبي رحمته الله: «الخطايا: الصغائر»^(٢)، وقال العيني رحمته الله: «قوله: خطاياي جمع خطيئة، وأصل خطاياي خطائتي على وزن فعائل»^(٣).

٨- قوله: «الثوب الأبيض»: إنما خص النبي ﷺ الثوب الأبيض؛ لأنه يظهر فيه من الدنس ما لا يظهر في غيره، قال ابن الأثير رحمته الله: «إشباع في بيان التطهير، وتأکید له»^(٤)؛ لأن التنقية هي تنظيف الإنسان من ذنوبه وخطاياها، كما يفعل ذلك بالثوب الذي دنسته الأدناس، والأقذار، وإذا كان الثوب بلون أبيض فتظهر فيه الأقذار أوضح ما يكون، خلاف غيره من الألوان، ف«التَّنْقِيَةُ: وهو إفراد الجَيِّد من الرَّدِيء»^(٥).

٩- قوله: «الدنس»: - بفتح الدال والنون -: والمراد به الأدران، والأوساخ ف«الدَّنَسُ فِي الثِّيَابِ: لَطَخُ الْوَسَخِ وَنَحْوِهِ، حَتَّى فِي الْأَخْلَاقِ، ... وَدَنَسَ الرَّجُلُ رِجْلَهُ إِذَا فَعَلَ مَا يَشِينُهُ»^(٦).

١٠- قوله: «اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد»: البرد: هو حَبّ الغمام^(٧)، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «جَعَلَ الْخَطَايَا بِمَنْزِلَةِ النَّارِ لِكَوْنِهَا تُؤَدِّي إِلَيْهَا، فَعَبَّرَ عَنْ إِطْفَاءِ حَرَارَتِهَا بِالْغَسْلِ تَأْكِيدًا فِي إِطْفَائِهَا، وَبَالَغَ فِيهِ بِاسْتِعْمَالِ الْمُبَرِّدَاتِ تَرْقِيًا عَنِ الْمَاءِ إِلَى أَبْرَدِ مِنْهُ، وَهُوَ الثَّلْجُ، ثُمَّ إِلَى أَبْرَدِ مِنْهُ، وَهُوَ الْبَرْدُ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ قَدْ يَجْمَدُ وَيَصِيرُ جَلِيدًا، بِخِلَافِ الثَّلْجِ فَإِنَّهُ يَذُوبُ»^(٨).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ١١٠، مادة (نقي).

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤ / ١١٢٠.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٣ / ١٢٣).

(٤) جامع الأصول، ٤ / ٣٤٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ١١٠، مادة (نقي).

(٦) لسان العرب، ٦ / ٨٨، مادة (دنس).

(٧) مختار الصحاح، ص ١٩، مادة (برد).

(٨) فتح الباري، لابن حجر، ١١ / ١٧٨.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- مشروعية قول هذا الدعاء وغيره من أدعية الاستفتاح الثابتة عن النبي ﷺ في صلاة الفريضة والنافلة على حد سواء.
- ٢- حرص الصحابة رضي الله عنهم على تتبع أحوال النبي ﷺ ونشرها؛ ليحققوا بذلك حسن الاقتداء به في كل الأمور.
- ٣- ذكر الماء والثلج والبرد: هو لطلب المبالغة في التطهر من الذنوب، والمعنى: كما جعلتها سبباً لحصول الطهارة فاجعلها سبباً لحصول المغفرة.
- ٤- قال بعض السلف - رحمهم الله تعالى -: لما كانت الذنوب لها حرارة ووهج وهي سبب لحرارة العذاب ناسب أن تغسل بما يبردها ويطفى حرارتها وهو الثلج والماء والبرد.
- ٥- الثوب الذي يتكرر غسله بثلاثة أشياء منقية يكون في غاية النظافة وهكذا كتكرار طلب المغفرة بقولنا: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾^(١).
- ٦- قال الكرمانى فيما نقله الحافظ في الفتح^(٢): يحتمل أن يكون في الدعوات الثلاث إشارة إلى الأزمنة الثلاث. فالمباعدة للمستقبل، والتنقية للحال، والغسل للماضي، والله تعالى أعلم.
- ٧- لا يستفتح بأي نوع من الاستفتاحات في صلاة الجنازة؛ لأنها مبنية على التخفيف فلا ركوع فيها ولا سجود ولا تشهد^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) فتح الباري، ٢/ ٢٨٦.

(٣) انظر: الشرح الممتع للشيخ/ ابن عثيمين، ٣/ ٥٣.

٢٨- (٢) «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٦- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه^(٢)، كَانَ يَجْهَرُ بِهِؤَلَاءِ الْكَلِمَاتِ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(٣).

١٠٧- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه^(٤)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ، ثُمَّ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا» ثَلَاثًا، «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمَزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ» ثُمَّ يقرأ، هَذَا لَفْظَ أَبِي دَاوُدَ^(٥).

١٠٨- وَفِي لَفْظِ أَبِي دَاوُدَ: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها^(٦)، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ، قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(٧).

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، برقم ٥٢ - (٣٩٩)، وأصحاب السنن الأربعة: أبو داود، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك الله وبحمدك، برقم ٧٧٥، واللفظ له، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، برقم ٢٤٢ و ٢٤٣، وابن ماجه، كتاب لصلاة، باب افتتاح الصلاة، برقم ٨٠٦، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة، برقم ٨٩٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٤٩، وفي صحيح ابن ماجه، ١/ ١٣٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦١ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٥٢ - (٣٩٩)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن..

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٥) أبو داود، برقم ٧٧٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمتها في الحديث ٥٣ من أحاديث الشرح.

(٧) أبو داود، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك الله وبحمدك، برقم ٧٧٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم ٧٠٢.

١٠٩- ولفظ الترمذي: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «سبحانك اللهم»: أي أنزهك يا الله عن النَّدِّ، والشَّيْبِ، والنظير، فأنت منزّه عن كل عيب سالم من كل نقص، مستحق لكل ثناء وحمد، فقوله: «سبحانك»: قال الإمام الطبري رحمته الله: «تنزيهاً لك يا رب، مما أضاف إليك أهل الشرك بك، من الكذب عليك والفُرية... وإبراء الله عن السوء، وهي كلمة رضيها الله لنفسه، وهي تنزيهه من كل سوء»^(٢).

٢- قوله: «وبحمدك»: الواو للعطف، والمعنى أن هذا التسبيح الذي أسبحك به هو محض جود منك، وتوفيق لي بفعله، قال القاضي عياض رحمته الله: «أي: بحمدك سبحتك، ومعنى هذا: أي: بفضلك، وهدايتك لذلك التي توجب حمدك سبحتك، واستعملتني لذلك، لا بحولي وقوتي»^(٣).

٣- قوله: «وتبارك اسمك»: أي كثرت بركته في السموات والأرض؛ فبه تجلب النعم وترفع النقم، ف«يراد به أن البركة في اسمك وفيما سمي عليه يدل على أن ذلك صفة لمن تبارك فإن بركة الاسم تابعة لبركة المسمى ولهذا كان قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٤) دليلاً على أن الأمر بتسبيح الرب بطريق الأولى فإن تنزيه الاسم من توابع تنزيه المسمى»^(٥).

٤- قوله: «وتعالى جدك»: جدُّ الله هو عظمتُه ﷻ أي: تعالت عظمتُه فوق

(١) الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، برقم ٢٤٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٤٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ١٥/ ٣٠، وتقدم شرحها مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٥.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٣٩٩.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٥٢.

(٥) جلاء الأفهام، للإمام ابن القيم، ص ٣٠٧.

كل عظمة، وتقدست أسماؤه من اتخاذ الصاحبة أو الولد. وهذا كقول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾^(١)، قال ابن قتيبة رحمه الله: «أي عظمته على كل شيء والجد العظمة يقال جد فلان في الناس أي عظم في عيونهم وجل في صدورهم»^(٢).

٥- قوله: «ولا إله غيرك»: أي: لا معبود بحق إلا أنت. قال الطيبي رحمه الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»^(٣).

٦- قوله: «إذا قام من الليل كبر»: كَانَ يَقُولُهُ أَوَّلَ مَا يَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَتَرَجَمَ عَلَيْهِ ابْنُ خُرَيْمَةَ: الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ هَذَا التَّحْمِيدَ بَعْدَ أَنْ يُكَبِّرَ...، عَنْ طَاوُوسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ لِلتَّهَجُّدِ قَالَ بَعْدَ مَا يُكَبِّرُ...»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- ما كان عليه النبي ﷺ من تمام تحقيق العبودية، والثناء على ربه بما يليق به.

٢- تَضَمَّنَ هذا الدعاء أنواع التوحيد الثلاثة وهي:

توحيد الربوبية - وتوحيد الألوهية - وتوحيد الأسماء والصفات.

٣- دحض وإبطال من دعا غير الله؛ سواء كان المدعو نبياً مرسلًا، أو ملكًا مقربًا، أو عبدًا صالحًا على زعمهم، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٥).

(١) سورة الجن، الآية: ٣.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة، ص ١٧٠.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠.

(٤) فتح الباري، ٣/ ٣.

(٥) سورة الحج، الآية: ٦٢.

٤- قال ابن القيم رحمه الله: «صَحَّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِهِ فِي مَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَجْهَرُ بِهِ وَيُعَلِّمُهُ النَّاسَ»، فهو في حكم المرفوع^(١).

٥- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الاستفتاحات الثابتة كلها سائغة باتفاق المسلمين، ولم يكن النبي ﷺ يداوم على استفتاح واحد قطعاً، والأفضل أن يأتي بالعبارات المتنوعة على وجوه متنوعة، كل نوع منها على حدته، ولا يستحب الجمع بينها^(٢).

٦- لا يجمع بين هذه الأنواع جميعاً؛ لأن النبي ﷺ أجاب أبا هريرة حين سألته بأنه يقول: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ...» ولم يذكر: «سبحانك اللهم وبحمدك» فدل على أنه لا يجمع بينها^(٣).

٢٩- (٣) «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَأَعْفُزُ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١ / ١٩٨.

(٢) أخرجه ابن خزيمة، ١ / ٢٤٠، برقم ٤٧١، وصححه، والطحاوي في شرح معاني الآثار، ١ / ١٩٨، والحاكم،

١ / ٢٣٥، وغيرهم، وينحوه مسلم، برقم ٣٩٩، وصححه الألباني في الإرواء (٣٤٠).

(٣) انظر فتاوى شيخ الإسلام، ٢٢ / ٣٤٣.

(٤) الشرح الممتع لابن عثيمين، ٣ / ٥٢.

وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ
وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١١٠- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام^(٢)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى
الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا
عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفُ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا
لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَيْتَنِكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ
إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ:
«اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمَخْيِي،
وَعَظْمِي، وَعَصْبِي» وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلءَ
الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ» وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ
لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوْرَهُ، وَشَقَّ
سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ الشَّهَادَةِ
وَالنِّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا
أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥، من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه مسلم، برقم ٢٠١ - (٧٧١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

١١١- وفي لفظ آخر لمسلم: عن علي عليه السلام قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي» وَقَالَ: «وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» وَقَالَ: وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» وَقَالَ: «وَصُورُهُ فَأَحْسَنَ صُورِهِ» وَقَالَ: وَإِذَا سَلَّمَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَقُلْ بَيْنَ الشَّهَادَةِ وَالتَّسْلِيمِ ^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «وجهت وجهي»: أي أخلصت ديني، وعملي، وقصدي لله وحده، قال القرطبي رحمته الله: «أي: صوّبت وجهي، وأخلصت في عبادتي» ^(٢)، وقال الرافعي رحمته الله: «وجهت وجهي: أي: قصدت بعبادتي وتوحيدي، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ ^(٣) أي: قصدك، ويقال: وجهي إليه أي: قصدي إليه» ^(٤).

٢- قوله: «الذي فطر السموات والأرض»: أي خلقهن، والمراد بذلك أنه خلق العالم كله ^(٥)، قال الإمام ابن كثير رحمته الله: «أَيُّ: خَلَقَهُمَا وَابْتَدَعَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ» ^(٦).

٣- قوله: «حنيفاً»: أصل الحنف الميل، والمراد هنا مائلاً إلى الدين الحق، وهو الإسلام، والحنيف عند العرب هو من كان على دين إبراهيم عليه السلام، قال ابن كثير رحمته الله: «حَنِيفًا: أَيُّ: فِي حَالٍ كَوْنِي حَنِيفًا، أَيُّ: مَائِلًا عَنِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ» ^(٧).

٤- قوله: «وما أنا من المشركين»: هذا إيضاح لمعنى الحنيف، وهذه

(١) أخرجه مسلم، برقم ٢٠٢- (٧٧١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣٤ / ٧.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٤) شرح مسند الشافعي، ١ / ٣١٤.

(٥) انظر: أيسر التفاسير مع نهر الخير للجزائري، ص ١٤٥٢.

(٦) تفسير ابن كثير، ٣ / ٢٩١.

(٧) تفسير ابن كثير، ٣ / ٢٩١.

الكلمة أي: كلمة المشرك تطلق على كل كافر من عابد وثن، وصنم، ويهودي، ونصراني، ومجوسي، ومرتد، وزنديق، وغيرهم^(١).

٥- قوله: «إن صلاتي ونسكي»: صلاتي: أي عبادتي: الفريضة، والنافلة، ويدخل في ذلك الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، قوله: «ونسكي»: ذبحي، وقيل مناسك الحج، ويطلق النسك على الذبح، وعلى مناسك الحج، على حسب ورود الكلام المراد، قال ابن كثير رحمته الله: «أَمَرَهُ تَعَالَى أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ، وَيَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اسْمِهِ، أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ صَلَاتَهُ لِلَّهِ، وَنُسُكُهُ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾»^(٢) أي: أخلص له صلاتك، وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والإنحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد، واليئة، والعزم على الإخلاص لله تعالى^(٣).

٦- قوله: «ومحيائي ومماتي»: أي وما آتية في حياتي، وأموت عليه من الإيمان، والعمل الصالح، قال الألوسي رحمته الله: «مَحْيَايَ وَمَمَاتِي: أي: ما يقارن حياتي وموتي من الإيمان، والعمل الصالح، وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالمحيا والممات ظاهر، والأول هو المناسب؛ لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ المراد به الخلوص بحسب الظاهر، وقيل: المراد به نظراً لهذا الاحتمال أن ذلك له تعالى ملكاً، وقدرة، لا شريك له، أي: في عبادتي، أو فيها، وفي الإحياء، والإماتة»^(٤).

٧- قوله: «الله رب العالمين»: أي أن هذه الأعمال خالصة لرب العوالم

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٣٠٠.

(٢) سورة الكوثر، الآية: ٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ٣/ ٣٨١.

(٤) تفسير الألوسي: روح المعاني، ٤/ ٣١٢.

كلها، ومدبر شأنها، قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «والعالمين: الخلق، وأصله من العلم، وقيل: من العلامة»^(١)، وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «على انفراده بالخلق، والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار»^(٢).

٨- قوله: «لا شريك له»: أي في الملك، والخلق، والتصريف، والتدبير ولا معبود بحقٍ سواه، ولا شريك له في ذلك كله، قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، وأما الأول: فلأن وجود إلهين محال، كما تقرر في الأصول، وأما الثاني: فلقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾»^(٣)، وذلك يقتضي أن لا شريك له»^(٤).

٩- قوله: «وبذلك أمرت»: أي من خلال الوحيين القرآن الكريم والسنة الصحيحة: ﴿قُلْ إِن صَّلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾»^(٥).

١٠- قوله: «وأنا من المسلمين»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «وأما قوله: «من المسلمين»، فذلك يقوله من هو بعد إبراهيم، لأن كل من دان بدين الإسلام كان من جملة المسلمين، وقد جاء في إحدى الروايات «أول المسلمين» وفي بعضها «من المسلمين» فجائز أن يكون النبي ﷺ لما قال: «وأنا أول المسلمين» حكى لفظ القرآن العزيز الذي أخبر به عن إبراهيم، فقال مثل إبراهيم محافظة على لفظ القرآن، وجائز أن يكون أراد أنه ﷺ هو أول المسلمين؛ لأنه الذي شرع الإسلام وأرسل به، وأما «من المسلمين» فلا لبس في أنه يريد أنه واحد

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧ / ٣٤.

(٢) تفسير السعدي، ص ٣٩.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٤) فيض القدير، ٥ / ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٢.

(٥) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢ - ١٦٣.

منهم، والمسلم: اسم فاعل من أسلم يسلم، إذا انقاد وخضع، هذا هو الأصل، ثم جعل اسماً جامعاً لأوصاف مخصوصة اشترطها الشارع، أولها: الإتيان بالشهادتين لفظاً^(١)، وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: مسلم من المسلمين المتمكنين في الاستسلام... وفوضوا جميع أمورهم للرحمن»^(٢).

١١- قوله: «اللهم أنت الملك»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا ...»^(٣)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «أنت الملك: لما دل عليه تعريف الخبر باللام، ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، طبق قوله تعالى: ﴿مَلِكُ النَّاسِ * إِلَهُ النَّاسِ﴾»^(٤)^(٥).

١٢- قوله: «لا إله إلا أنت»: أي: لا معبود بحقٍ غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك^(٦)، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى علي سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»^(٧)، وقال المناوي في تعليقه على حديث من قال: «لا إله إلا الله»: من مات معتقداً لها، فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئاً^(٨).

١٣- قوله: «أنت ربي وأنا عبدك»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «والرب: المالك، والسيد، والصاحب، والمدير، والخالق وغير ذلك إلا أنه لا يرد مطلقاً إلا على الله ﷻ غالباً، فأما غير الله فيقال فيه: رب كذا، على أنه قد جاء في الشعر على

(١) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٢.

(٢) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢/ ٤٠١.

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.

(٤) سورة الناس، الآيتان: ٢-٣.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠.

(٦) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.

(٧) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠.

(٨) فيض القدير، ١/ ١٣٦.

غير الله تعالى مطلقاً، والعبد: ضد الحر، وأصله الذل والخضوع، ومنه طريق مُعَبَّد أي مَذَلَّل^(١)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «وإنما آخر الربوبية في قوله: «أنت ربي» لتخصيص الصفة، وتقييدها بالإضافة إلى نفسه، وإخراجها عن الإطلاق»^(٢).

١٤- قوله: «ظلمت نفسي»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «والظلم: الجور، ومجاوزة الحد، وأخذ ما ليس لك، وأصله وضع الشيء في غير موضعه والنفس في اللغة: الروح يقال: خرجت نفسه إذا مات، وقد يطلق على الدم: سألت نفسه، وفي الحديث «ما ليس له نفس سائلة»^(٣) أي: ما لا دم له، وقد يطلق على الجسد، وجاء في الشعر، ومعنى «ظلمه نفسه»: يريد: بما ارتكبه من الذنوب والمعاصي، فإنه ظلمها، حيث قلدها الآثام، والأوزار، وأخرجها إلى أن تعاقب»^(٤).

١٥- قوله: «واعترفت بذنبي»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «يريد ظلمه نفسه، فإنه ذنب واحد؛ وإن كان قد ظلمها مرات كثيرة، إلا أنه يطلق على تلك المرات لفظة الظلم لجمعه إياها؛ ولأن الذنب معصية، والاعتراف به يورث الخجل، والفضيحة، لكنه لما علم أن الاعتراف بالذنب يمحوه، ويوجب العفو، والمغفرة، وأراد أن يعترف؛ وَحَدَّ الذَّنْبُ؛ لئلا يكون معترفاً بذنوب كثيرة؛ فتكبر فضيحته، على أن الذنب قد يقع على القليل والكثير»^(٥).

١٦- قوله: «فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»: قال ابن منظور: «الْغُفُورُ الْغَفَّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّائِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ ... غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ

(١) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ١ / ٥٣٢.

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣ / ٩٩٠.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي، ١ / ٣٨٤ موقوفاً على إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللهُ.

(٤) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ١ / ٥٣٣.

(٥) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ١ / ٥٣٣.

سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»^(١)، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يغفر الذنوب إلا أنت»: إقراراً منه، واعترافاً أنه قد قطع أمله، ورجاءه عن كل أحد سواه، وصرف رغبته إلى من لا توجد المغفرة إلا عنده»^(٢)، وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا رب غيرك، وإنه»: أي الشأن أنه «لا يغفر الذنوب إلا أنت» لأنك السيد المالك، إن غفرت فبفضلك، وإن عاقبت فبعدلك، وإنما كان هذا أوفق الدعاء لما فيه من الاعتراف بالظلم، وارتكاب الجرم، ثم الإلتجاء إليه تعالى مضطراً، لا يجد لذنبه غافراً غير ربه»^(٣).

١٧- قوله: «واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أسماء الله تعالى سبحانه: (الهادي) قال ابن الأثير: هو الذي بَصَّرَ عِبَادَهُ، وَعَرَّفَهُمْ طَرِيقَ مَعْرِفَتِهِ حَتَّى أَقْرَأُوا بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَهَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي بَقَائِهِ، وَدَوَامِ جُودِهِ، الْهُدَى: ضِدُّ الضَّلَالِ، وَهُوَ الرَّشَادُ، ... الْهُدَى: أَي الصِّرَاطُ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ هُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ»^(٤)، وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واهدني لأحسن الأخلاق» أي: لأكملها، وأفضلها، وهي: الخلق الصحيح، والكف عن القبيح، وقيل: القيام بالحقوق، والعفو عن العقوق؛ كما قال: أن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو»^(٥)، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «(والأخلاق): واحدها خُلُقٌ بِضَمِّ اللام وبسكونها- وهي السجية التي جُبِلَ الإنسان عليها من حسن وقبح، ولذلك طلب الهداية لأحسنها»^(٦).

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.

(٢) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٤.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٠٣.

(٤) لسان العرب، ١٥/ ٣٥٣، مادة (هدي).

(٥) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٥.

(٦) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٤.

١٨- قوله: «واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»: قال ابن فارس رحمه الله: الصَّادُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ مُعْظَمُ بَابِهِ يَدُلُّ عَلَى رَجْعِ الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ صَرَفْتُ الْقَوْمَ صَرْفًا، وَانْصَرَفُوا، إِذَا رَجَعْتَهُمْ فَرَجَعُوا»^(١)، وقال ابن منظور رحمه الله: «صرف: الصَّرَفُ: رَدُّ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ، صَرَفَهُ يَصْرِفُهُ صَرْفًا فَانْصَرَفَ. وَصَارَفَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّيْءِ: صَرَفَهَا عَنْهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾؛ أَي: رَجَعُوا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي اسْتَمَعُوا فِيهِ، وَقِيلَ: انْصَرَفُوا عَنِ الْعَمَلِ بِشَيْءٍ مِمَّا سَمِعُوا، ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾»^(٢)؛ أَي: أَضَلَّهُمُ اللَّهُ مُجَازَاةً عَلَى فِعْلِهِمْ؛ وَصَرَفْتُ الرَّجُلَ عَنِّي فَانْصَرَفَ... وَصَرَفْتُ الصَّبِيَّانِ: قَلْبْتُهُمْ، وَصَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ الْأَذَى، وَاسْتَصَرَفْتُ اللَّهَ الْمَكَارَةَ»^(٣)، قال العيني رحمه الله: «واصرف عني سيئها: أي: قبيحها»^(٤)، وقال القاري رحمه الله: «لَا يَصْرِفُ عَنِّي: وَلَا عَنْ غَيْرِي «سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»: فَإِنَّ غَيْرَكَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى شَيْءٍ»^(٥).

١٩- قوله: «إليك»: أي استجابة لندائك، وامثالاً لأمرِك إجابة بعد إجابة، وإقامة على طاعتك إقامة بعد إقامة، قال الفيروزآبادي رحمه الله: «لَبَّيْكَ، أَي: أَنَا مُقِيمٌ عَلَى طَاعَتِكَ إِبَاباً بَعْدَ إِبَابٍ، وَإِجَابَةً، أَوْ مَعْنَاهُ: اتِّجَاهِي وَقَصْدِي لَكَ»^(٦)، وقال القاضي عياض رحمه الله: «معناه إجابة لك... كأنه قال: إجابة لك بعد إجابة تأكيداً... ومعناه: إجابتي لك يا رب لازمة... من لب بالمكان وألب به إذا أقام، وقيل: معناه: قريباً منك، وطاعة... وقيل طاعة لك، وخضوعاً من قولهم: أنا

(١) مقاييس اللغة، ٣/ ٣٤٢، مادة (صرف).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٧.

(٣) لسان العرب، ٩/ ١٨٩، مادة (صرف).

(٤) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٦١.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/ ٦٧٣.

(٦) القاموس المحيط، ص ١٣٣، مادة (لب).

مطلب بين يديك، أي: خاضع، وقيل: اتجاهي لك وقصدي»^(١).

٢٠- قوله: «وسعديك»: أي ألزم طاعتك طاعة بعد طاعة حتى ألقاك، قال ابن الأثير رحمه الله: «سعديك: من الألفاظ المقرونة بلبيك، ومعناها: إسعاداً بعد إسعاد، والمراد: ساعدت على طاعتك مُساعدة بعد مساعدة»^(٢)، وقال الطيبي رحمه الله: «ومعنى (سعديك) ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة»^(٣).

٢١- قوله: «والخير كله في يديك»: أي أن خزائنه عندك تتصرف فيها كيف تشاء، وهو بيدك: تعطيه من تشاء، وتحرمه من تشاء، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، قال القاضي عياض رحمه الله: «معنى هذا الكلام: الإرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله، والمدح له بأن تضاف محاسن الأمور إليه دون مساوئها ومذامها»^(٤).

٢٢- قوله: «والشر ليس إليك»: أي لا ينسب إليك الشر بأي وجه؛ فإنه لا يحصل منك إلا كل خير، وأنت خالق كل شيء، وقال ابن الأثير رحمه الله: «والشر ليس إليك: معنى هذا الكلام الإرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله تعالى، ومدحه بأن تضاف محاسن الأشياء إليه دون مساوئها، وليس المقصود نفي شيء عن قدرته، وإثباته لها، فإن محاسن الأمور تضاف إلى الله عز وجل عند الثناء عليه دون مساوئها»^(٥)، وقال الرافعي رحمه الله: «والشر ليس إليك: قيل: لا يتقرب به إليك، وقيل: لا يصعد إليك؛ إنما يصعد الكلم الطيب، وقيل: لا يفرد

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١/ ٣٥٣.

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٣/ ٩١.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٢/ ٤٧٤.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ١٣٤.

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٤/ ٢٠٩.

بالإضافة إليك، كما لا يقال: يا خالق الحيات والحشرات»^(١)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «إن الشر المحض لا يكون بفعل الله أبداً، الشر المحض الذي ليس فيه خير لا حالاً، ولا مآلاً، هذا لا يمكن أن يوجد في فعل الله أبداً، هذا من وجه؛ لأنه حتى الشر الذي قدره الله شراً، لا بد أن يكون له عاقبة حميدة، ويكون شراً على قوم، وخيراً على آخرين، أرأيت لو أنزل الله المطر: مطراً كثيراً، فأغرق زرع إنسان؛ لكنه نفع الأرض، وانتفعت به أمة، لكان هذا خيراً بالنسبة لمن انتفع به، شراً بالنسبة لمن تضرر به، فهو خير من وجه، وشر من وجه، ثانياً: حتى الشر الذي يقدره الله على الإنسان، هو خير في الحقيقة؛ لأنه إذا صبر، واحتسب الأجر من الله نال بذلك أجراً، أكثر بأضعاف مضاعفة مما ناله من الشر؛ ولهذا ذكر عن بعض العابدات أنها أصيبت في إصبعها، أو يدها، فانجرحت، فصبرت، وشكرت الله على هذا، وقالت: «إن حلاوة أجرها أنستني مرارة صبرها»، ثم نقول: إن الشر حقيقة ليس في فعل الله نفسه؛ بل في مفعولاته، المفعولات هي التي فيها خير وشر، أما الفعل نفسه، فهو خير؛ ولهذا قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾^(٢)، أي من شر الذي خلقه الله، يدلك لهذا أنه لو كان عندك مريض، وقيل له: إن من شفائه أن تكويه النار، فكويته بالنار مؤلمة بلا شك، لكن فعلك هذا ليس بشر، بل هو خير للمريض؛ لأنك إنما تنتظر عاقبة حميدة بهذا الكي، كذلك فعل الله للأشياء المكروهة، والأشياء التي فيها شر، هي بالنسبة لفعله وإيجاده خير؛ لأنه يترتب عليه خير كثير، فإن قال قائل: كيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾^(٣).... نقول: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ يعني من فضله، هو

(١) شرح مسند الشافعي، ١ / ٣١٤.

(٢) سورة الفلق، الآيتان: ١ - ٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٩.

الذي منَّ عليك بها أولاً وآخرًا ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ أي: أنت سببها، وإلا فالذي قدرها هو الله، لكن أنت السبب، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(١)، وخلاصة الكلام: أن كل شيء واقع؛ فإنه بقدر الله، سواء كان خيراً أم شراً، أما الخير فأمره واضح أنه من الله، وأما الشر فإننا نقول: إن الشر ليس في فعل الله، بل في مفعولاته، ونقول أيضاً: هذه المفعولات التي فيها الشر، قد تكون خيراً من وجه آخر، إما للشخص المصاب بها نفسه، وإما لغيره... أو نقول هو شر لك من وجه، وخير لك من وجه آخر؛ لأن هذا الشر إن أصابك لك فيه أجر كثير، وربما يكون سبباً لاستقامتك، ومعرفتك قدر نعمة الله عليك، فتكون العاقبة حميدة»^(٢).

٢٣- قوله: «أنا بك وإليك»: أي قائم بك راجع إليك معتمد عليك في كل شيء، وقال الرافعي رحمته الله: «أنا بك وإليك: أي: بقدرتك حدثت، وإليك أعود»^(٣)، وقال الطيبي رحمته الله: «وأنا بك وإليك»: أي: بك وُجدت، وإليك أنتهي، أي أنت المبتدأ والمنتهى»^(٤).

٢٤- قوله: «تباركت وتعاليت»: قال الطيبي رحمته الله: «تباركت: تعاضمت، وتمجدت، أو جئت بالبركة، وأصل الكلمة الدوام والثبات، ولا تستعمل هذه الكلمة إلا لله تعالى، وتعاليت: عما تتوهمه الأوهام، وتتصوره العقول»^(٥).

٢٥- قوله: «أستغفرك وأتوب إليك»: قال ابن الأثير رحمته الله: «والاستغفار: طلب المغفرة، (والتوبة): الرجوع من الذنب والإخلاص في الترك، والندم

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠.

(٣) شرح مسند الشافعي، ١ / ٣١٤.

(٤) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣ / ٩٩٠.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣ / ٩٩٠.

على الفائت»^(١)، قوله: «تباركت» أي: استحققت الثناء عليك. وقيل: ثبت الخير عندك. وقال ابن الأنباري: تبارك العباد بتوحيده، وقوله: «وتعاليت» أي: تعاضمت عن متوهم الأوهام، ومتصور الأفهام»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- خص النبي ﷺ في قوله: «صلاتي ونسكي» بين عبادتين عظيمتين، هما الصلاة التي هي عمود الإسلام، وبين النسك، وهو الذبح بإراقة الدم؛ ابتغاء مرضاة الله، ويفهم من هذا أنه من أخلص لله في صلاته ونسكه، كان يسيراً عليه أن يخلص في باقي عمله، وهذا إشارة إلى قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾^(٣).

٢- قول النبي ﷺ: «الله رب العالمين» الرب: هو المربي جميع العالمين، وهم من سوى الله، وتربية الله لخلقه نوعان عامة، وخاصة:

أ - عامة: وهي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم؛ لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

ب - الخاصة: تربية لأوليائه، وحقيقتها تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، وهذا هو السر في كون أدعية الأنبياء بلفظ الرب^(٤).

٣- جاء في رواية صحيحة لفظ: «وأنا أول المسلمين»^(٥)، والنبي بالفعل هو أول المسلمين، فحق له أن يقولها، أما غيره فليقل: وأنا من المسلمين، والله أعلم.

٤- حسن مناجاة النبي ﷺ لربه يظهر من قوله: «ظلمت نفسي»، فقدم

(١) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٦.

(٢) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٦٢.

(٣) سورة الكوثر، الآية: ٢.

(٤) انظر: تفسير السعدي سورة الفاتحة، ص ٣٣.

(٥) انظر: مسند الشافعي، ص: ٥٩، صحيح ابن خزيمة، ١/ ٢٣٥، برقم ٤٦٢، وابن حبان،

٧٠/ ٧٠، برقم ١٧٧٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٣٤٢١.

الاعتراف بالذنوب - مع عصمته عنه ﷺ - على سؤال المغفرة تأدباً مع خالقه، وهذا كقوله ﷺ في شأن آدم وحواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١).

٥- تمام أدب النبي ﷺ مع ربه يظهر في قوله: «والشر ليس إليك» فلم ينسب إلى الله ما يكرهه، وإن كان هو خالق كل شيء، فالشر لا يتقرب به إلى الله، ولا يصعد إليه، والشر لا يكون من الله ﷻ، وما يحصل من المرض، وغيره مما يكرهه الإنسان؛ فإن الله يعطي عليه الثواب العظيم، والأجر الكبير، والشر في المقضي لا في القضاء، وهذا كقول الله حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشْرًا أُريدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾^(٢). قال الحكمي: «وأفعال الله كلها خير محض من حيث اتصافه بها وصدورها عنه وهو الحكم العدل، وما كان في نفس المقدور من شر فمن جهة إضافته إلى العبد لما يلحق به من المهالك بما كسبته يده، جزاءً وفاً، كما قال الله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾»^(٣)^(٤).

٣٠- (٤) «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٤) انظر: ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة: ص ١٥٢.

إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١١٢- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف^(٢)، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٣)، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم»: قال ابن منظور رحمته الله: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، وَالْمِيمُ الْمُسَدَّدَةُ عَوْضٌ مِنْ يَا ...»^(٥).

٢- قوله: «رب جبريل وميكائيل وإسرافيل»: جبريل: هو روح القدس الموكل بالوحي، ينزل به على رسل الله إلى خلقه، قال ابن الأثير رحمته الله: «والرب: المالك، والسيد، والصاحب، والمدبر، والخالق وغير ذلك إلا أنه لا يرد مطلقاً إلا على الله ﷻ غالباً، فأما غير الله فيقال فيه: رب كذا»^(٦).

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧٠.

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، ثقة، مكثّر، مات سنة أربع وتسعين، أو أربع ومائة. انظر: تقريب التهذيب، ٤/ ٤٦٨.

(٣) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ٧٧٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (ألّه)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.

(٦) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٣ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

وقوله: «وميكائيل»: هو الملك الموكل بنزول المطر من السماء، فلا تسقط قطرة إلا بعد أن يستأذن ربه، ويقال له: ميكال، قوله: «وإسرافيل»: هو الملك الموكل بالنفخ في الصور، وحينئذ تقوم القيامة إذا أذن الله وأمره بالنفخ في الصور، وقال الفيومي رحمته الله: «جبريل، وميكائيل»: هما من الملائكة، جبريل: عليه السلام فيه لغات: كسر الجيم والراء، وبعدها ياء ساكنة، والثانية كذلك إلا أن الجيم مفتوحة، والثالثة فتح الجيم والراء، وبهمزة بعدها ياء، يقال: هو اسم مركب من (جبر)، وهو العبد، و(إيل)، وهو الله تعالى، وفيه لغات غير ذلك^(١)، وقال ابن منظور رحمته الله: «إِسْرَافِيلُ، وإِسْرَافِينُ، وَكَانَ الْقَنَانِيُّ يَقُولُ: سَرَافِيلُ، وسَرَافِينُ، وإِسْرَائِيلَ وإِسْرَائِينَ، وَزَعَمَ يَغْقُوبُ أَنَّهُ بَدَلُ: اسْمِ مَلِكٍ، قَالَ: وَقَدْ تَكُونُ هَمْزَةٌ إِسْرَافِيلَ أَصْلًا فَهُوَ عَلَى هَذَا خُمَاسِيٌّ»^(٢)، وقال القاضي عياض رحمته الله: «رب جبريل، وإسرافيل، وميكائيل»: وتخصيصهم بربوبيته، وهو رب كل شيء، وجاء مثل هذا كثير من إضافة كل عظيم الشأن له، دون ما يستحضر عند الثناء والدعاء، مبالغة في التعظيم، ودليلاً على القدرة والملك، فيقال: رب السموات والأرض، ورب النبيين والمرسلين، ورب المشرق والمغرب، ورب العالمين، ورب الجبال والرياح، ورب البحار، ورب الناس، ومثله مما جاء في القرآن وفي الحديث^(٣)، وقال ابن أبي العز الحنفي رحمته الله: «فجبرائيل مُوَكَّلٌ بِالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْقُلُوبِ، وَمِيكَائِيلُ بِالْقَطْرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْأَبْدَانِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانِ، وَإِسْرَافِيلُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْعَالَمِ وَعَوْدِ الْأَرْوَاحِ إِلَى أَجْسَادِهَا، فَالتَّوَسَّلْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِرُبُوبِيَّةِ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ الْعَظِيمَةِ الْمُوَكَّلَةِ بِالْحَيَاةِ، لَهُ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ»^(٤).

(١) انظر: المصباح المنير، ١ / ٩٠، مادة (جبر).

(٢) لسان العرب، ١١ / ٣٣٥، مادة (سرف).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣ / ١٣٣.

(٤) شرح الطحاوية، ص ٢١٠.

٣- قوله: «فاطر السموات والأرض»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «وفاطر السموات والأرض»: أي مبدعهما ومخترعهما»^(١)، وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «أَي: خَلَقَهُمَا وَابْتَدَعَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ»^(٢).

٤- قوله: «عالم الغيب والشهادة»: أي: إنه يعلم ما غاب عن العباد من الجنود والمخلوقات التي لا يعلمها إلا هو وما يشاهدونه من المخلوقات^(٣). قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «الغيب»: ما غاب عنك، والشاهد: ما حضر لديك»^(٤).

٥- قوله: «أنت تحكم بين عبادك»: قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «تقضي وتبين الحق»^(٥)، أنت تحكم بين عبادك يوم القيامة بالتمييز بين المحق والمبطل بالثواب والعقاب «فيما كانوا فيه يختلفون» من أمر الدين في أيام الدنيا»^(٦)، قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «أنت تحكم بين عبادك في يوم معادك بموجب ميعادك بعد تقديرك وقضائك بالتمييز بين المحق والمبطل بالثواب والعقاب فيما كانوا فيه يختلفون أي من أمر الدين في أيام الدنيا»^(٧).

٦- قوله: «اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك»: أي: أقمني على الحق وثبتني عليه، وهذا كقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٨)، قال العيني رَحِمَهُ اللهُ: «أي: أرشدني لصوابها، ووفقني للتخلق به»^(٩).

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١١٩٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٩١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٣) تفسير السعدي، ص ٨٦٨.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١١٩٧.

(٥) عون المعبود، ٢/ ٣٣٤.

(٦) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٤.

(٧) مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٣٢٤.

(٨) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

(٩) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٦١.

٧- قوله: «لما اختلف فيه»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «اللام بمعنى (إلى)، يقال: هداه إلى كذا، ولكذا، و(ما) موصولة، والذي اختلف فيه عند مجيء الأنبياء، وهو الطريق المستقيم الذي دعوا إليه، فاختلفوا فيه... كأنه قيل: اهديني إلي الصراط المستقيم، وطلب الهداية - وهو فيها طلب للثبات عليها، أو الزيادة على ما منح من الألفاف، أو حصول المطالب المترتبة عليها»^(١).

٨- قوله: «ياذنك»: أي: بفضلك وممتك، فأنت صاحب كل الأفضال وجميع المنن، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «ومعنى (الإذن) التيسير والتسهيل علي سبيل التمثيل؛ فإن الملك المحتجب إذا رفع الحجاب كان إذناً منه بالدخول»^(٢). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَهُوَ ﷺ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ لِمَا أُخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَحْبُوبُ اللَّهِ عَدَمَ الْهُدَى فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾»^(٣)، وَمَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ النَّاسِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «زِدْنِي فِيكَ تَحِيْرًا» كَذَبٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِحَدِيثِهِ ﷺ، بَلْ هَذَا سُؤَالٌ مَنْ هُوَ حَائِرٌ، وَقَدْ سَأَلَ الْمَزِيدَ مِنَ الْحَيْرَةِ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْأَلَ وَيَدْعُو بِمَزِيدِ الْحَيْرَةِ إِذَا كَانَ حَائِرًا؛ بَلْ يَسْأَلُ: الْهُدَى، وَالْعِلْمُ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ هَادِي الْخَلْقِ مِنَ الضَّلَالَةِ؟ وَإِنَّمَا يُنْقَلُ مِثْلُ هَذَا عَنْ بَعْضِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ لَا يُقْتَدَى بِهِمْ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّ صَحَّ النَّقْلُ عَنْهُ»^(٤).

٩- قوله: «إنك تهدي من نشاء»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «(من) أسماء الله تعالى سبحانه: (الهادي) قال ابن الأثير: هو الذي بَصَّرَ عِبَادَهُ، وَعَرَّفَهُمْ طَرِيقَ مَعْرِفَتِهِ حَتَّى

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤ / ١١٩٧.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤ / ١١٩٧.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٤) مجموع الفتاوى، ٥ / ١٧٩.

أَقْرُؤُوا بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَهَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي بَقَائِهِ، وَدَوَامَ وَجُودِهِ، الْهُدَى: ضِدُّ الضَّلَالِ، وَهُوَ الرَّشَادُ، ... الْهُدَى: أَيْ الصِّرَاطُ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ هُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ»^(١).

١٠- قوله: «إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»: هُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ الَّذِي يُوصلُنَا إِلَى جَنَّتِكَ وَهُوَ: مَعْرِفَةُ الْحَقِّ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالِدَعْوَةُ إِلَيْهِ، وَقَالَ الْعَلَامَةُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ» هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرِهِ، وَقَالَ عَاصِمُ الْأَحْوَلِ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ» رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ، قَالَ عَاصِمٌ: فَقِيلَ لِلْحَسَنِ: إِنَّ أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ: الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَاهُ! قَالَ: صَدَقَ وَنَصَحَ»^(٢)، وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْمُتَضَمِّنُ: كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ، وَتَوْحِيدِهِ، وَعِبَادَتِهِ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَيْهِ»^(٣).

ثَالِثًا: مَا يَسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- مشروعية التوسل إلى الله بالربوبية العامة والخاصة لأفضل ملائكته، وهم على الترتيب: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل.

٢- إثبات صفة العلم لله تعالى، وهي من الصفات الذاتية، والإقرار بأن علم الله علم أزلي أبدي، لم يُسبق بجهل، ولا يطرأ عليه نسيان، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^(٤).

٣- الإقرار بأن الله هو الحكم بين الخلق يوم العرض الأكبر ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾^(٥)، وهذا الحكم مبني على القسط، والعدل، والحمد، فلا سبيل إلى القدح

(١) لسان العرب، ١٥/ ٣٥٣، مادة (هــي)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٧ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٢) تفسير القرطبي، ١/ ١٩١.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/ ١٩٨.

(٤) سورة طه، الآيتان: ٥١ - ٥٢.

(٥) سورة التين، الآية: ٨.

في حكمه ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾^(١).

٤- طلب الهداية من الله وحده؛ لأنه هو الهادي الذي يهدي القلوب إلى معرفته، ويهدي النفوس إلى طاعته.

٥- هذا الدعاء هو أحد الأدعية التي كان يستفتح بها النبي ﷺ صلاته بالليل، كما أخبر بذلك عائشة رضي الله عنها في أول حديث الباب.

٦- خصّ النبي ﷺ هؤلاء الملائكة لعظيم فضلهم، وأنهم أشرف الملائكة؛ فجبريل ينزل بالوحي الذي به حياة القلوب، وميكائيل موكل بالمطر الذي به حياة الأرض، وإسرافيل موكل بالنفخ؛ حيث الجمع والحساب.

٧- إسرافيل الملك الكريم الموكل بالنفخ في الصور في حالة تأهب دائم، ينتظر أمر ربه؛ قال النبي ﷺ: «إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان»^(٢).

٨- وقال النبي ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له» قالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»^(٣).

٩- أما ميكائيل، ففي حالة خوف وحزن دائمين، قال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام: «ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟ فقال جبريل: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»^(٤).

(١) سورة الرعد، الآية: ٤١.

(٢) أخرجه الحاكم ٥٥٩ / ٤، وقال: «صحيح الإسناد» وحلية الأولياء، ٩٩ / ٤، وقال الحافظ في فتح الباري، ٣٦٨ / ١١: «سنده حسن» وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٧٨).

(٣) أحمد، ١٤٥ / ٥، برقم ٣٠٠٨، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب ما جاء في الصور، برقم ٢٤٣١، والحاكم، ٥٥٩ / ٤، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٥٧١.

(٤) أحمد، ٥٥ / ٢١، برقم ١٣٣٤٣، وصفة النار لابن أبي الدنيا، ص ٢٣٠، والعظمة، لأبي الشيخ، ٨١٥ / ٣، وحسنه لغيره الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٥١١.

١٠- وهذا هو حال الملائكة كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(١).

١١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَهَذِهِ أَدْعِيَةٌ كَثِيرَةٌ، تَتَضَمَّنُ افْتِقَارَ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ فِي أَنْ يُعْطِيَهُ الْإِيمَانَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، فَهَذَا افْتِقَارٌ، وَاسْتِعَانَةٌ بِاللَّهِ قَبْلَ حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، فَإِذَا حَصَلَ بِدُعَاءٍ، أَوْ بِغَيْرِ دُعَاءٍ، شَهِدَ إِنْعَامَ اللَّهِ فِيهِ، وَكَانَ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ، وَالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ، وَأَنَّ هَذَا حَصَلَ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، لَا بِحَوْلِ الْعَبْدِ وَقُوَّتِهِ، فَشُهُودُ الْقَدَرِ فِي الطَّاعَاتِ مِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِلْعَبْدِ، وَغَيْبُهُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَضَرِّ الْأُمُورِ بِهِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدَرِيًّا مُنْكَرًا لِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدَرِيًّا بِالْإِعْتِقَادِ، كَانَ قَدَرِيًّا بِالْحَالِ، وَذَلِكَ يُوْرِثُ الْعُجْبَ، وَالْكِبْرَ، وَدَعَاى الْقُوَّةَ وَالْمِنَّةَ بِعَمَلِهِ، وَاعْتِقَادِ اسْتِحْقَاقِ الْجَزَاءِ عَلَى اللَّهِ بِهِ، فَيَكُونُ مَنْ يَشْهَدُ الْعُبُودِيَّةَ مَعَ الذُّنُوبِ، وَالْإِعْتِرَافِ بِهَا - لَا مَعَ الْإِحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ - عَلَيْهَا، خَيْرًا مِنْ هَذَا الَّذِي يَشْهَدُ الطَّاعَةَ مِنْهُ، لَا مِنْ إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَيْهِ، وَيَكُونُ أَوْلَيْكَ الْمُذْنِبُونَ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، أَفْضَلَ مِنْ طَاعَةٍ بِذُنُوبٍ هَذَا الْإِيمَانِ»^(٢).

٣١- (٥) «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» ثلاثاً «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ: مِنْ نَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ، وَهَمْزِهِ»^(٣).

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٢) مجموع الفتاوى، ٨ / ٣٣١.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، برقم ٧٦٤، قال الشيخ الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٥٥ / ٢: «لعله يتقوى بالطريق الأخرى التي ذكرها ابن حبان، وإن كنت لم أعرف ابن حمزة هذا، ولكنه على كل حال هو شاهد جيد» وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب الاستعاذة في الصلاة، =

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١١٣- عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه ^(١)، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي صَلَاةً - قَالَ عَمَرُو: لَا أَدْرِي أَيَّ صَلَاةٍ هِيَ - فَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَثِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَثِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ نَفَخَهُ، وَنَفَثَهُ، وَهَمَزَهُ» قَالَ: نَفَثَهُ الشَّعْرُ، وَنَفَخَهُ الْكَبِيرُ، وَهَمَزَهُ الْمَوْتَةُ» وهذا لفظ أبي داود ^(٢).

١١٤- ولفظ ابن ماجه: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَثِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَثِيرًا - ثَلَاثًا - الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا - ثَلَاثًا - سُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ: هَمَزِهِ، وَنَفَخِهِ، وَنَفَثِهِ». قَالَ عَمَرُو: هَمَزَهُ الْمَوْتَةُ، وَنَفَثَهُ الشَّعْرُ، وَنَفَخَهُ الْكَبِيرُ ^(٣).

برقم، ٨٠٧، وأحمد، ٣٠٢ / ٢٧، برقم ١٦٧٣٩، وقد صححه، بعد أن ذكر كتب السنة التي خرجته، ابن الملقن في البلر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ٥٣٤ / ٣، وقال عنه محققو المسند: «حسن لغيره» ٣٠٢ / ٢٧، وقال عبد القادر الأرناؤوط في تخريجه للكلم الطيب لابن تيمية، برقم ٧٨: «وهو حديث صحيح يشواهد» وذكره الألباني في صحيح الكلم الطيب، برقم ٦٢، وأخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه، وفيه قصة، ٤٢٠ / ١، برقم ٦٠١، ويأتي لفظه وتخرجه في أحاديث شرح حديث هذا المتن.

(١) جبير بن مطعم بن عدي رضي الله عنه، شيخ قريش في زمانه، أبو محمد، ويقال أبو عدي القرشي النوفلي ابن عم الرسول ﷺ، وهو من الطلقاء الذين حسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه، وكان موصوفاً بالحلم، ونبل الرأي، كأيّيه الذي قام في نقض الصحيفة، وأجار النبي ﷺ حين رجع من الطائف، توفي جبير بن مطعم عام ٥٩ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٩٥ / ٣، ترجمة رقم ١٨.

(٢) أبو داود، برقم ٧٦٤، وقواه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٥٥ / ٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن ماجه، برقم، ٨٠٧، وقواه بشواهد ومتابعاته في شرح ابن ماجه لمغلطاي، ص ١٣٧٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

١١٥- ولفظ أحمد: عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي التَّطَوُّعِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا» - ثَلَاثَ مَرَارٍ - «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا» - ثَلَاثَ مَرَارٍ - «وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» - ثَلَاثَ مَرَارٍ - «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمَزِهِ، وَنَفْثِهِ، وَنَفْخِهِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَمَزُهُ وَنَفْثُهُ وَنَفْخُهُ؟ قَالَ: «أَمَّا هَمَزُهُ، فَالْمَوْتَةُ الَّتِي تَأْخُذُ ابْنَ آدَمَ، وَأَمَّا نَفْخُهُ الْكَبِيرُ، وَنَفْثُهُ الشَّعْرُ»^(١).

١١٦- وفي لفظ آخر لمسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ الْقَائِلُ كَلِمَةً كَذَا وَكَذَا؟» قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مِنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا»: أي أعظم الله وأجله بعبادته وتوحيده وتقديسه، وقال ابن الأثير رحمته الله: «(الله أكبر) معناه الله الكبير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»^(٤).
- ٢- قوله: «الحمد لله كثيراً»: أي أحمده حمداً كثيراً يليق بجلاله، فله الحمد في الأولى والآخرة، وقال النووي رحمته الله: «التَّحْمِيدُ: الثَّنَاءُ بِجَمِيلِ الْفِعَالِ، وَالتَّمْجِيدُ الثَّنَاءُ بِصِفَاتِ الْجَلَالِ، وَيُقَالُ: أَثْنَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ»^(٥).
- ٣- قوله: «وسبحان الله»: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص،

(١) أحمد، برقم ١٦٧٣٩، وقال عنه محققو المسند: «حسن لغيره» وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، كتاب المساجد، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، برقم ٦٠١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٥٢، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم

٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٥) شرح النووي على مسلم، ٤/ ١٠٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من حديث المتن رقم ٢.

ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»^(١).

٤- قوله: «بكرة وأصيلًا»: أي في الغداة والعشي، وإنما خص هذين الوقتين لاجتماع ملائكة الليل والنهار فيهما، قال العيني رَحِمَهُ اللهُ: «بكرة: أي: غدوة، وأصيلًا: أي: عشيًا... وخص هذين الوقتين لاجتماع ملائكة الليل، والنهار فيهما»^(٢).

٥- قوله: «أعوذ بالله» أي: ألجأ إليه وأتحصن به»^(٣).

٦- قوله: «من الشيطان» والشيطان: من الشطن: البعد، أي بَعُدَ عن الخير»^(٤).

٧- قوله: «من نفخه»: النفخ هو الكبر؛ لأن العبد إذا غفل عن الذكر وسوس له الشيطان وتعاضم عليه، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «نفخه الكبر، وذلك لأن المتكبر ينتفخ، ويتعاضم، ويجمع نفسه ونفسه، فيحتاج إلى أن ينفخ»^(٥)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «النفخ كناية عن الكبر، كأن الشيطان ينفخ بالسوسة، فيعظمه في عينه، ويحقر الناس عنده»^(٦).

٨- قوله: «ونفثه»: هو الشعر: وهو إشارة إلى ذم من يهيم في أودية الشعر، فتارة يمدح، وتارة يقده، وتارة يمرح، وأخرى يتغزل، وهذا من تلاعب الشياطين، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «نفثه: الشعر؛ لأن الشعر مما يخرج من الفم، ويلفظ به اللسان، وينفثه كما ينفث الريق»^(٧)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «والنفث عبارة عن الشعر؛ لأنه ينفثه

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٢) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٧٢.

(٣) عمدة القاري، ٤/ ١٧٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٠.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات أحاديث متن مقدمة فضل الذكر، رقم ١.

(٥) جامع الأصول، ٤/ ١٨٦.

(٦) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٤.

(٧) جامع الأصول، ٤/ ١٨٦.

الإنسان من فيه كالرقية، قال: إن كان هذا التفسير من متن الحديث فلا معدل عنه، وإن كان من بعض الرواة، فالأنسب أن يراد بالنفث السحر»^(١).

٩- قوله: «وهمزه»: هي المؤتة أي الصرع والجنون الذي يعتري الإنسان وإنما سمي بذلك لأن كل شيء غمزته ودفعته فقد همزته، وقال ابن الأثير رحمته: «وهمزه: الموتة، والموتة: الجنون؛ لأن المجنون ينخسه الشيطان، والهمز والنخس أخوان»^(٢)، وقال الطيبي رحمته: «يراد بالهمز الوسوسة، لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾»^(٣)، وهمزات الشياطين خطراتها، وهي جمع الهمزة من الهمز، وفسرت الآية بأن الشياطين يحثون أولياءهم على المعاصي، ويغرونهم عليها، كما يهمز الركضة الدواب المهماز حثاً لها على المشي، قال أبو عبيدة: والموتة الجنون، سماها همزاً؛ لأنه جعل من النخس، والهمز، وكل شيء دفعته، فقد همزته»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- تكبير العبد لخالقه بعد دخوله في الصلاة، مع حمده، وتسييحه، إقرار بأن الله هو الموصوف بالجلال، وأنه يصغر أمام عظمته كل شيء.

٢- الاستعاذة قبل القراءة عنوان، وإعلام بأن ما بعدها هو قرآن كريم.

٣- الاستعاذة بالله حصن حصين، وركن ركين، لاسيما قبل قراءة القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور، فطرد الشيطان يجعل القلب محلاً خالياً لاستقبال الرحمات، ويقطع على الشيطان أن يجلب بخيله ورجله على العبد أثناء صلاته.

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٤.

(٢) جامع الأصول، ٤/ ١٨٦.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧.

(٤) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٤.

٤- قال الألباني رحمه الله: تفسير الهمز بالموثقة، والنفخ بالكبر، والنفث بالشعر، هو من كلام رسول الله ﷺ^(١). وقال أيضاً: وزيادة «السميع العليم» في الاستعاذة زيادة صحيحة^(٢).

٣٢- (٦) «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ^(٣)، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمَحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ إِلَهِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٤)».

(١) إرواء الغليل، حديث رقم (٣٤٢).

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني، ١٤ / ٥١.

(٣) كان النبي ﷺ يقول إذا قام من الليل يتهجد.

(٤) البخاري، أبواب التهجد، باب التهجد من الليل، برقم ١١٢٠، ورقم ٦٣١٧، ورقم ٧٣٨٥، ورقم ٧٤٤٢، ورقم ٧٤٩٩، ومسلم مختصراً بنحوه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٦٩.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١١٧- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ^(١)، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو مِنْ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ». هذا لفظ البخاري ^(٢).

١١٨- وفي لفظ آخر للبخاري: عن ابن عباس رضي الله عنه قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ» قَالَ سُفْيَانُ: وَزَادَ عَبْدُ الْكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ^(٣).

١١٩- وفي لفظ للبخاري أيضاً: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَكَ الْحَمْدُ،

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٢) البخاري، برقم ٧٣٨٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) البخاري، برقم ١١٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

أَنْتَ قَيِّمَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ». حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهِذَا وَقَالَ: «أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ»^(١).

١٢٠- وفي لفظ للبخاري أيضاً: عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه^(٢) يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٣).

١٢١- وفي لفظ آخر للبخاري أيضاً: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا

(١) البخاري، برقم ٧٣٨٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦٣١٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

أَخْرُتْ، وَأَسْرَزْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

١٢٢ - ولفظ مسلم: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قِيَامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَآخَّرْتُ، وَأَسْرَزْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١ - قوله: «اللهم»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، وَالْمِيمُ الْمُسَدَّدَةُ عَوْضٌ مِنْ يَا ...»^(٣).

٢ - قوله: «لَكَ الْحَمْدُ»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: الْحَمِيدُ، أَيُّ: الْمَحْمُودِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ مُتَقَارِبَانِ، وَالْحَمْدُ أَعْمُهَا، لِأَنَّكَ تَحْمَدُ الْإِنْسَانَ عَلَى صِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ، وَعَلَى عَطَائِهِ، وَلَا تَشْكُرُهُ عَلَى صِفَاتِهِ، وَالشُّكْرُ فِيهِ إِظْهَارُ النِّعْمَةِ، وَالْإِشَادَةُ بِهَا؛ وَلِأَنَّهُ أَعَمُّ مِنْهُ، فَهُوَ شُكْرٌ وَزِيَادَةٌ»^(٤).

٣ - قوله: «أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»: أَيُّ بَنُورِهِ يَهْتَدِي أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَعَ كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ هُوَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، قَالَ ابْنُ الْمَلِّقِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيُّ: بَنُورُكَ يَهْتَدِي مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَهُ ابْنُ بَطَالٍ، وَقَالَ ابْنُ التِّينِ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ

(١) البخاري، برقم ٧٤٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٧٦٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٥، مادة (حمد)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٦.

من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، قيل: معناه: ذو نور السموات والأرض، وروى عن ابن عباس معناه: هادي أهلها^(٢)، قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ: «نور السموات والأرض» [أي: النور]: «الحسي، والمعنوي، وذلك أنه تعالى بذاته نور، وحجابه -الذي لولا لطفه، لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه- نور، وبه استنار العرش، والكرسي، والشمس، والقمر، والنور، وبه استنارت الجنة، وكذلك النور المعنوي يرجع إلى الله، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور، فلولا نوره تعالى، لتراكت الظلمات؛ ولهذا: كل مَحَلٍّ، يفقد نوره، فَثَمَّ الظلمة، والحصر»^(٣).

٤- قوله: «قيم السموات والأرض»: أي القائم بتدبير الكون كله: العلوي منه، والسفلي، مع قيامه على كل نفس بما كسبت، والقيوم: هو القائم الدائم بلا زوال، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «أي: أنت القائم على كل نفس بما كسبت، وخالقها، ورزقها، ومميتها، ومحيتها، وقيل في معنى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٤)، أفمن هو حافظ على كل نفس لا يغفل ولا يمل، فالمعنى: الحافظ لهما ومن فيهن»^(٥).

٥- قوله: «رب السموات والأرض»: قال العيني رَحِمَهُ اللهُ: «خصهما بالذكر لأنهما من أعظم المشاهدات، ومعنى الرب في اللغة يطلق على: المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والمتمم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى»^(٦).

٦- قوله: «أنت مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»: أي: أن الله هو الملك، والمالك

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٧/٩.

(٣) تفسير السعدي، ص ٥٦٨.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٧/٩.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٩٧/٣٣.

على الحقيقة، وهذا يقتضي تصرفه كما يشاء ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(١)، أما غيره فيسأل لجهله، وعجزه، وكونه مربوباً، قال ابن الملقن رحمه الله: «أي: مالكهما، ومالك من فيهما، وخالقهما وما فيهما»^(٢).

٧- قوله: «أنت الحق»: قال الإمام النووي رحمه الله: الحق في أسمائه معناه: المتحقق وجوده، وكل شيء صح وجوده، وتحقق فهو حق^(٣)، قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾^(٤)، قال ابن بطلان رحمه الله: «أنت الحق: فالحق اسم من أسمائه، وصفة من صفاته»^(٥).

٨- قوله: «وقولك الحق»: أي لا عبث فيه، ولا مرية في صدقه: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾^(٦)، قال ابن الملقن رحمه الله: «وَقَوْلُكَ حَقٌّ: أي: صدق وعدل، وقال ابن التين: يقول: ووعدك صدق»^(٧)، وقال ابن بطلان رحمه الله: «يعني قولك الصدق والعدل»^(٨).

٩- قوله: «ووعدك الحق»: أي أن ما وعدت به في كتابك، وعلى ألسنة رسلك، واقع لا شك في ذلك، ولا مرية فيه، قال الله: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾^(٩)، وقال ابن بطلان رحمه الله: «يعني لا تخلف الميعاد، وتجزى الذين أسأؤوا بما عملوا، إلا ما تجاوز عنه، وتجزى الذين أحسنوا بالحسنى»^(١٠).

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٨ / ٩.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦ / ٢٩٧.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣٢.

(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطلان، ٣ / ١٠٩.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

(٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٩ / ٩.

(٨) شرح صحيح البخاري، لابن بطلان، ٣ / ١٠٩.

(٩) سورة يونس، الآية: ٥٥.

(١٠) شرح صحيح البخاري، لابن بطلان، ٣ / ١٠٩.

١٠- قوله: «ولقاؤك الحق»: أي على الوجه اللائق به ﷺ، فنشبت اللقاء ونفوض كيفيته إلى الله وحده، قال شيخ الإسلام^(١) ابن تيمية رحمه الله: «أما اللقاء، فقد فسرهُ طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة، والمشاهدة بعد السلوك والمسير، وهو متضمن رؤيته كقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٢)».

١١- قوله: «والجنة حق والنار حق»: هذا دليل على أنهما موجودتان، مخلوقتان، باقيتان بإبقاء الله لهما، لا تفنيان أبداً، قال العيني رحمه الله: «قوله: «والجنة حق والنار حق»: فيه الإقرار بهما، وبالأنباء، وقال ابن التين: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن خبره بذلك لا يدخله كذب، ولا تغيير، ثانيها: أن خبر من أخبر عنه بذلك، وبلغه حق، ثالثها: أنهما قد خلقتا»^(٣)، وقال ابن بطل رحمه الله: «وقوله [والجنة حق، والنار حق]: «فيه الإقرار بالبعث بعد الموت، والإقرار بالجنة والنار، والإقرار بالأنبياء عليهم السلام»^(٤)».

١٢- قوله «والنيون حق»: لأنهم جميعاً صادقون، وبالوحي مؤيدون، وأنهم بلغوا أمر الله وشرعه على أكمل وجه، فلم يكتموا، أو يغيروا، وأنهم اتفقوا جميعاً على الدعوة إلى التوحيد: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٥)، قال العيني رحمه الله: «بأنهم من عند الله»^(٦)، وقال ابن الملقن رحمه الله: «إنهم رسل الله»^(٧).

(١) مجموع الفتاوى، ٦ / ٤٦١ - ٤٧٥.

(٢) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١ / ٢٤٤.

(٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطل، ٣ / ١٠٩.

(٥) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١ / ٢٤٤.

(٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩ / ٢٠.

١٣- قوله: «ومحمد حق»: خصه بالذكر تعظيماً له، وعطفه على النبيين إيداناً بالتغاير بأنه فائق عليهم بأوصاف مختصة، وجردته عن ذاته مبالغة في إثبات نبوته، كما في التشهد^(١)، وقال العيني رَحِمَهُ اللهُ: «ومحمد حق: إنما خصّ محمداً من النبيين، وإن كان داخلاً فيهم، وعطفه عليهم، إيداناً بالتغاير، وأنه فائق عليهم بأوصاف مختصة به؛ فإن تغير الوصف ينزل منزلة تغيير الذات، ثم جرده عن ذاته كأنه غيره، فوجب عليه الإيمان به، وتصديقه، وهذا مبالغة في إثبات نبوته»^(٢).

١٤- قوله: «والساعة حق»: أي يوم القيامة، وأصل الساعة القطعة من الزمان، وإطلاق اسم الحق على ما ذكر معناه أنه متحقق لا محالة^(٣).

١٥- قوله: «لك أسلمت»: أي استسلمت، وانقدت لحكمك، قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «أي: استسلمت، وانقدت لأمرك، ونهيك، وسلمت، ورضيت، وأطعت، من قولهم: أسلم فلان لفلان: إذا انقاد، وعطف عليه»^(٤).

١٦- قوله: «وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ»: قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: «تبرأ إليه من الحول، والقوة، وصرف أموره إليه، قال الفراء: الوكيل: الكافي»^(٥)، وقال الزرقاني رَحِمَهُ اللهُ: «أي: فَوَضْتُ أُمُورِي تَارِكًا النَّظَرَ فِي الْأَسْبَابِ الْعَادِيَّةِ»^(٦).

١٧- قوله: «وبك آمنت»: أي آمنت بك، وبكل ما أخبرت به على ألسنة رسل الكرام، قال البيضاوي رَحِمَهُ اللهُ: «وبك آمنت: أي: صدقت، أو بك آمنت نفسي من عذابك»^(٧)، ولا شك

(١) انظر: فتح الباري، ٥ / ٣.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١ / ٢٤٤.

(٣) انظر: فتح الباري، ٥ / ٣.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩ / ٢٠.

(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٣ / ١٠٩.

(٦) شرح الزرقاني على الموطأ، ٢ / ٥٥.

(٧) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي، ١ / ٣٦٠.

أن الإيمان: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

١٨- قوله: «وإليك أنبت»: أي رجعت إليك في تدبير أمري مع تفويض الأمر إليك، قال ابن الأثير رحمته الله: «أنبت: الإنابة: الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة»^(١).

١٩- قوله: «وبك خاصمت»: أي بما أعطيتني من البرهان والحجة، قال ابن الملقن رحمته الله: «وَبِكَ خَاصَمْتُ: أي: بما آتيتني من البراهين، احتججت على من عاند فيك، وكفر، وجمعته بالحجة، وسواء خاصم فيه بلسان، أو سيف»^(٢).

٢٠- قوله: «وإليك حاكمت»: أي كل من جحد الحق جعلتك حكماً بيننا خلافاً لأهل الجاهلية الذين كانوا يتحاكمون إلى الأصنام والكهنة والشياطين، قال القاري رحمته الله: «وإليك حاكمت: أي: كل من جحد الحق حاكمته إليك، وجعلتك الحاكم بيني وبينه، لا غيرك، مما كانت تحاكم إليه الجاهلية، من: صنم، وكاهن، ونار، ونحو ذلك، والمحاكمة: رفع القضية إلى الحاكم، وقيل: ظاهره أن لا يحاكمهم إلا الله، ولا يرضى إلا بحكمه»^(٣).

٢١- قوله: «فَاغْفِرْ لِي»: قال ابن منظور رحمته الله: «الْمَغْفِرَةُ: تَغْطِيَةُ الذَّنْبِ وَكُلُّ مَا غَطَى فَقَدْ غَفَرَ وَمِنْهُ: الْمَغْفَرُ. «الْعَفُورُ الْعَفَّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّائِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ ... غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»^(٤)، وقال العيني رحمته الله: «إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ ﷺ مَعَ أَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ لَوْجَهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: لِلتَّوَاضُعِ، وَهَضَمِ النَّفْسِ، وَالْإِجْلَالِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالتَّعْظِيمِ لَهُ ﷻ، الثَّانِي: لِلتَّعْلِيمِ لِأُمَّتِهِ؛ لِيَقْتَدُوا بِهِ

(١) جامع الأصول، ٤ / ٢٣٤.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩ / ٢١.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١ / ٢٤٥.

(٤) لسان العرب، ٥ / ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.

فِي أَصْلِ الدُّعَاءِ، وَالْخُضُوعِ، وَحَسَنِ التَّضَرُّعِ، وَالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ»^(١).

٢٢- قوله: «ما قدمت، وما أخرت»: قال ابن هبيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَيُّ مَنْ ذُنُوبِي، أَوْ مَا قَدَمْتُ مِنْ شَهَوَاتِي عَلَى حَقُوقِكَ، وَمَا أَخَّرْتُ مِنَ الْحَقُوقِ الَّتِي تَجِبُ لَكَ»^(٢)، وَقَالَ الْقَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَمَا أَخَّرْتُ عَنْهُ أَمْرَ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِالْإِشْفَاقِ، وَالْدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ أَنْ يَغْفِرَ مَا يَكُونُ مِنْ غَفْلَةٍ تَعْتَرِي الْبَشَرَ، وَمَا قَدَمْتُ: مَا مَضَى، وَمَا أَخَّرْتُ: مَا يَسْتَقْبِلُ»^(٣).

٢٣- قوله: «وما أسررت، وما أعلنت»: أَيُّ: وَمَا أَخْفَيْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ: أَيُّ: وَمَا أَظْهَرْتُ، أَوْ الْمَعْنَى: مَا حَدَّثْتُ بِهِ نَفْسِي وَمَا تَحَرَّكَ بِهِ لِسَانِي»^(٤).

٢٤- قوله: «وما أنت أعلم به مني»: قال ابن الملقن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قِيلَ: إِنَّهُ قَالَهُ تَوَاضَعًا وَعَدَ عَلَى نَفْسِهِ فَوَاتِ الْكَمَالَ ذَنْبًا، وَقِيلَ: أَرَادَ مَا كَانَ عَنْ سَهْوٍ، وَقِيلَ: مَا كَانَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهُوَ مَغْفُورٌ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ، فَدَعَا بِهَذَا وَغَيْرِهِ؛ تَوَاضَعًا؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةً»^(٥)، وَقَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَذَا التَّغْمِيمُ وَهَذَا الشُّمُولُ لِتَأْتِي التَّوْبَةُ عَلَى مَا عَلِمَهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَا لَمْ يَعْلَمْهُ»^(٦).

٢٥- قوله: «أنت المقدم وأنت المؤخر»: أَيُّ: أَنَّ اللَّهَ قَدَمَ بَعْضًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ عَلَى بَعْضِ فِي الْخَلْقِ، وَالْإِيجَادِ وَمِنْ ذَلِكَ:

أ - تقديم خلق القلم^(٧).

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري / ٧ / ١٦٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٣ / ١٩.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧ / ١٦٧.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧ / ١٦٧.

(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩ / ٣٤٧.

(٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ١ / ٢٨٣.

(٧) لحديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَبِي دَاوُدَ، كِتَابُ السَّنَةِ، بَابُ فِي الْقَدْرِ، بِرَقْمٍ ٤٧٠٠: «إِنَّ أَوَّلَ

ب - تقديم خلق الملائكة على خلق الجن والإنس^(١).

ج - تقديم خلق الجن على خلق الإنسان ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾^(٢).

قال الشوكاني رحمه الله: «أي: المقدم لما شئت تقديمه، والمؤخر لما شئت تأخيره»^(٣).

٢٦- والتقديم والتأخير صفتان بين صفات الأفعال التابعة لمشيئة الله ﷻ، وحكمته هما أيضاً صفتان للذات؛ إذ قيامهما بالذات لا بغيرهما، ولا يجوز إفراد أحدهما عن الآخر^(٤)، وقال الطيبي رحمه الله: «(وقوله: «أنت المقدم»: أي: تقدم من تشاء من خلقك، بتوفيقك إلي رحمتك، وتؤخر من تشاء عن ذلك»^(٥).

٢٧- قوله: «لا إله إلا أنت»: أي: لا معبود بحق غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك^(٦)، قال الطيبي رحمه الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»^(٧).

٢٨- قوله: «أنت إلهي»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لا بد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ولهذا تجد الذين ينكرون صفات الله ﷻ عندهم نقص عظيم في العبودية؛ لأنهم يعبدون لا شيء، فالرب لا بد أن يكون كامل الصفات،

مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بَنِيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي» وصححه الألباني في المشكاة، برقم (٩٤).

(١) لقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ البقرة: ٣٠.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٧.

(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ١٨٧.

(٤) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي، ٣/ ٥٨.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٢٤.

(٦) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.

(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حليث المتن رقم ٢٩.

حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١)، أي: تعبدوا له، وتوسلوا بأسمائه إلى مطلوبكم^(٢).

٢٩- قوله: «إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ»: كان النبي ﷺ يدعو الله ﷻ في أوقات ليله، ونهاره، وعند نومه، ويقظته بنوع من الدعاء يصلح لحاله تلك ولوقته^(٣).

٣٠- قوله: «أَنْتَ قِيَامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وفي الرواية الثانية: «قِيَمٍ» قال العلماء من صفاته القيام، والقِيَم كما صرح به هذا الحديث، والقِيَم بنص القرآن، وقائم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾^(٤)، قال الهروي ويقال قوام قال ابن عباس: القيوم الذي لا يزول، وقال غيره: هو القائم على كل شيء، ومعناه مدبر أمر خلقه، وهما سائغان في تفسير الآية والحديث...»^(٥)، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «القيام: القيم، والقيوم، والقيام والقائم: بمعنى واحد، أي: حافظ السموات والأرض»^(٦).

٣١- قوله: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»: إشارة إلى أنه لا توجد قابضة حركة، ولا قابضة سكون في خير وشر إلا بأمر الله التابع لمشيئته ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٧)»^(٨).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٨٥ / ١٠.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥٤ / ٦.

(٦) جامع الأصول (٤ / ٢٣٤).

(٧) سورة يس، الآية ٨٢، وانظر: شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٨) فيض القدير للمناوي، ١٥١ / ٢.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- استحباب تقديم الحمد والثناء قبل المسألة اقتداءً بالرسول الكريم ﷺ.
- ٢- عظيم معرفة النبي ﷺ بربه وتحقيقه لأعلى درجات العبودية والتسليم.
- ٣- وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل جميعاً، فمن كذب بواحد منهم فقد كفر بالجميع. قال الله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١)، ونوح هو أول رسول، فلما كذبوا حكم الله عليهم بأنهم كذبوا الجميع.
- ٤- اشتمل هذا الحديث على صفات الربوبية، والقيومية، والنور، وهي صفات قائمة له لا تفارقه، وآثارها منفصلة عنه وهي مخلوقة^(٢) أي آثار هذه الصفات.
- ٥- واشتمل على توحيد الألوهية، والإقرار به، لقوله: «وأنت إلهي، لا إله إلا أنت».
- ٦- النور: صفة لله ﷻ وهذا النور على نوعين:
 - أ - نور حسي.
 - ب - نور معنوي.
 أما الحسي فهو ما اتصف به من النور العظيم الذي لا يفارق ذات الرب ﷻ وهو على ثلاثة أنواع:
 - ١- يضاف إليه كما قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^(٣). فإن إشراق الأرض يوم القيامة لا يكون بشمس ولا بقمر؛ لأن الشمس تكور والقمر يخسف ويذهب نورهما^(٤).
 - ٢ - إضافة نوره إلى السموات والأرض: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٥).

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة، ١٠٣٦/٣.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٩.

(٤) انظر: الوابل الصيب ص ١١٧.

(٥) سورة النور، الآية: ٣٥.

قال ابن القيم: «وَمَنْ تَعَدَّى أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ نُورٌ، فَقَدْ تَعَدَّى إِلَى غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ يُسَمَّى نَفْسَهُ لِعِبَادِهِ بِمَا لَيْسَ هُوَ بِهِ»^(١).

٣ - قول النبي ﷺ: «حجابه النور»^(٢). وهذا النور لا يعبر عنه إلا بمثل هذه العبارة؛ لأن جميع المخلوقات لا تثبت أمام نوره في الدنيا، أما أهل الجنة فيعطيه الله حياة كاملة حتى يتمكنوا من رؤيته، ويقوي أبصارهم لذلك. وأما النوع الثاني من النور - وهو المعنوي - فهو نور معرفته ومحبه الذي أكرم الله به رسله وأوليائه وأصفياه.

٧ - من الأدلة على أن الجنة والنار موجودات الآن قوله تعالى في شأن الجنة: «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»^(٣). وقوله في شأن النار: «أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ»^(٤). ومن الأدلة العامة قول النبي ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»^(٥). والأدلة على ذلك كثيرة جداً، تراجع في مظانها من كتب عقيدة أهل السنة والجماعة وهي الفرقة الناجية والطائفة المنصورة بإذن الله تعالى.



(١) مختصر الصواعق المرسلة، ١/ ٤٢٥.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَفِي قَوْلِهِ: حَجَابُهُ النَّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، برقم ١٧٩ عن أبي موسى ؓ.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣١.

(٥) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم ٣٠٦٩.

١٧- دَعَاءُ الرُّكُوعِ

٣٣- (١) «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ». ثلاث مرَّاتٍ^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٢٣- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه^(٢)، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» وَفِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» وَمَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَسَأَلَ، وَلَا بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا، فَتَعَوَّذَ، هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ^(٣).

١٢٤- وَلَفْظُ مُسْلِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَفْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَزْكُعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَزْكُعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم ٧٧٢ بذكر التسبيح في الركوع والسجود مرة واحدة، وأحمد، ٣٩٢ / ٣٨، برقم، ٢٣٣٧٥، بذكر التسبيح في الركوع والسجود مرتين، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧١ بذكر التسبيح في الركوع والسجود مرة واحدة، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود، برقم ٢٦٢، بذكر التسبيح في الركوع والسجود مرة واحدة، والنسائي، كتاب التطييق، باب الذكر في الركوع، برقم ١٠٤٦ بذكر التسبيح في الركوع والسجود مرة واحدة، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب التسبيح في الركوع والسجود، برقم ٨٨٨ بلفظ التسبيح في الركوع والسجود ثلاث مرات، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٨٣ / ١، وفي صحيح ابن ماجه، ١٦٨ / ١، وفي إرواء الغليل، برقم ٣٣٣، وصححه محققو المسند، ٣٨ / ٣٩٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٨٧١، وصححه الألباني في الإرواء، برقم ٣٣٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. قَالَ: وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ، فَقَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»^(١).

١٢٥- ولفظ أحمد عن حذيفة رضي الله عنه، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ، وَالْكَبِيرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ الْبَقْرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ، وَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «لِرَبِّي الْحَمْدُ، لِرَبِّي الْحَمْدُ» ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى، سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى» ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَانَ مَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنَ الشُّجُودِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي» قَالَ: حَتَّى قَرَأَ الْبَقْرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، وَالْأَنْعَامَ، شُعْبَةً الَّذِي يَشْكُ فِي الْمَائِدَةِ وَالْأَنْعَامِ^(٢).

١٢٦- ولفظ آخر لأبي داود عن حذيفة رضي الله عنه، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ - ثَلَاثًا - ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكَبِيرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقْرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، يَقُولُ: لِرَبِّي الْحَمْدُ، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى» ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الشُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي» فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقْرَةَ،

(١) أخرجه مسلم، برقم ٧٧٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أحمد، برقم ٢٣٣٧٥، وصححه محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَأَلْ عِمْرَانُ، وَالنِّسَاءُ، وَالْمَائِدَةُ، أَوْ الْأَنْعَامُ، شَكَ شُعْبَةً^(١).

١٢٧- ولفظ الترمذي عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» وَفِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» وَمَا أَتَى عَلَى آيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَأَلَ، وَمَا أَتَى عَلَى آيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ وَتَعَوَّذَ^(٢).

١٢٨- ولفظ ابن ماجه: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه^(٣)، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ إِذَا رَكَعَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٤)».

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «سبحان ربي»: أي أنزه ربي وأجله عن كل عيب أو نقص، قال ابن الأثير رحمته الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً، يقال: سبحته أسبحه تسبيحاً، وسبحاناً، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله، وهو نصب على المصدر بفعل مضمر، كأنه قال: أبرئ الله من السوء براءة^(٥)»، وفي قوله: «ربي»: قال ابن الأثير رحمته الله أيضاً: «الرب يطلق في اللغة على: المالك، والسيد المدبر، والمربي، والقيم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال رب كذا^(٦)».

٢- قوله: «العظيم»: أي الموصوف بكل صفة كمال؛ لأنه المستحق

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ، برقم ٨٧٤، وذكر فيه: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة أو الأنعام بالشك، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ١٦٦، برقم ٧٧٧.

(٢) الترمذي، برقم ٢٦٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٤) ابن ماجه، برقم ٨٨٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٦٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٧٨.

للتعظيم المطلق، قال السعدي رحمته الله: «العظيم، كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات، واحمده بقلبك ولسانك، وجوارحك، لأنه أهل لذلك، وهو المستحق لأن يشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى»^(١).

٣- قوله: «الأعلى»: هي صفة للرب العلي، وهي تدل على علوه على جميع خلقه، فالكل خاضع لأمره، وهو قاهر لهم، لا يخرج أحد عن قبضته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَذَلِكَ أَنَّ السُّجُودَ غَايَةُ الْخُضُوعِ وَالذَّلِّ مِنَ الْعَبْدِ، وَغَايَةُ تَسْفِيلِهِ وَتَوَاضُعِهِ: بِأَشْرَفِ شَيْءٍ فِيهِ لِلَّهِ - وَهُوَ وَجْهُهُ - بَأَنْ يَضَعَهُ عَلَى التُّرَابِ، فَتَنَاسَبَ فِي غَايَةِ سُفُولِهِ أَنْ يَصِفَ رَبَّهُ بِأَنَّهُ الْأَعْلَى، وَالْأَعْلَى أَبْلَغُ مِنَ الْعَلِيِّ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْءٌ؛ هُوَ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ عَدَمٌ مَحْضٌ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْكِبَرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ نَصِيبٌ، وَكَذَلِكَ فِي الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهِ حَقٌّ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَمٌّ مَنْ يُرِيدُ الْعُلُوَّ فِي الْأَرْضِ: كَفَرَعُونَ، وَإِبْلِيسَ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَحْضُلُ لَهُ الْعُلُوُّ بِالْإِيمَانِ؛ لَا يَزَادَتْهُ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، فَلَمَّا كَانَ السُّجُودُ غَايَةَ سُفُولِ الْعَبْدِ، وَخُضُوعِهِ، سَبَّحَ اسْمَ رَبِّهِ الْأَعْلَى، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْأَعْلَى، وَالْعَبْدُ الْأَسْفَلُ، كَمَا أَنَّهُ الرَّبُّ، وَالْعَبْدُ الْعَبْدُ، وَهُوَ الْغَنِيُّ وَالْعَبْدُ الْفَقِيرُ، وَلَيْسَ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ إِلَّا مَحْضُ الْعُبُودِيَّةِ، فَكُلَّمَا كَمَلَهَا قَرُبَ الْعَبْدُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ بَرٌّ، جَوَادٌ، مُحْسِنٌ، يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُنَاسِبُهُ، فَكُلَّمَا عَظُمَ فَقْرُهُ إِلَيْهِ كَانَ أَغْنَى؛ وَكُلَّمَا عَظُمَ ذُلُّهُ لَهُ كَانَ أَعَزَّ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ - لِمَا فِيهَا مِنْ أَهْوَائِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ، وَتَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ لَهَا - تَبْعُدُ عَنِ اللَّهِ حَتَّى تَصِيرَ مَلْعُونَةً بَعِيدَةً مِنَ الرَّحْمَةِ»^(٣).

٤- قوله: «اقرأ مترسلاً» غير مستعجل^(٤).

٥- قوله: «إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ

(١) انظر: تفسير السعدي، ص ٨٣٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

(٣) مجموع الفتاوى، ٥/ ٢٣٨.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٠٢.

تعوذ»، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «يستعذ عند آية الوعيد، ويسأل عند آية الرحمة، ويسبح عند آية التسبيح»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- وجوب تعظيم الله في حالة الركوع؛ لقول النبي ﷺ: «أما الركوع فعظموا فيه الرب»^(٢)، وذكر الثلاث تسيحات القصد منه الطمأنينة فعلاً، لا كمن ينقر الصلاة وهو لا يهتد قلبه، عابث في ثيابه وأعضائه.

٢- تعظيم الله من المصلي: يكون بالقلب، واللسان، والجوارح، وذلك ببذل الجهد في التعرف عليه للوصول إلى مرضاته.

٣- إبطال أفعال الجاهلين بشرع الله من: الانحناء للأشخاص على سبيل التحية، وهذا يجرحهم إلى الركوع، أو السجود لغير الله.

٤- السنة أثناء الركوع أن يكون ظهر المصلي مستوياً، وهذا يشمل استواء الظهر في المد، واستواءه في العلو والنزول، قال وابصة بن معين رحمته الله: «رأيت رسول الله ﷺ يصلي، فكان إذا ركع سوى ظهره، حتى لو صب عليه الماء لاستقر»^(٣).

٥- من السنة أثناء الركوع وضع الكفين على الركبتين مع تفريج أصابع اليدين^(٤).

٦- قولنا: «سبحان ربي العظيم» يتضمن أموراً:

أ - تنزيه الله عن مطلق النقص: كالجهل، والعجز، والضعف، والموت، والنوم، وما أشبه ذلك.

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٠٢.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم ٤٧٩.

(٣) ابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات، باب الركوع في الصلاة، رقم ٨٧٢، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٧١٢، وفي الروض النضر، ص ٧٨.

(٤) انظر ما ترجم له البخاري قبل الحديث رقم (٧٩٠).

ب - تنزيه الله عن النقص في كماله: فينزه عن التعب فيما يفعله، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(١)؛ لأن التعب والإعياء نقص في الكمال.

ج - التنزيه عن مماثلة المخلوقين؛ لأن مقارنة الكامل بالناقص يجعله ناقصاً.

قال الشاعر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا^(٢)

٧- حديث عقبة بن عامر عند أبي داود وغيره أنه لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال النبي ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزلت ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم»^(٣).

٣٤- (٢) «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(٤).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٢٩- لفظ البخاري: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٥)، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي

(١) سورة ق، الآية: ٣٨.

(٢) انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين. كتاب الصلاة، ص ٩٢.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٦٩، وصحيح ابن خزيمة، ٣٠٣/١، برقم ٦٠٠، ومسند أحمد، ٢٨/٦٣٠، برقم ١٧٤١٤، والحاكم وصححه، ١/٢٢٥، ورأى محققو المسند أنه يحتمل التحسين، وانظر: إرواء الغليل، برقم ٣٣٤، حيث أطال الحديث عنه.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع، برقم ٧٩٤، ومسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع، برقم ٤٨٤.

(٥) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(١).

١٣٠- وفي لفظ للبخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٢) إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(٣).

١٣١- وفي لفظ مسلم: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ^(٤).

١٣٢- وفي لفظ لمسلم: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحَدْتُهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ: «جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمِّي إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا» ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٥) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ^(٦).

١٣٣- ولفظ آخر لمسلم: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْذُ نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٧) يُصَلِّي صَلَاةً إِلَّا دَعَا. أَوْ قَالَ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبِّي وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(٨).

١٣٤- وفي لفظ لمسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: افْتَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَتَحَسَّسْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ، فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» فَقُلْتُ: يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي،

(١) البخاري، برقم، ٧٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) سورة النصر، الآية: ١.

(٣) البخاري، كتاب التفسير، باب سورة النصر، برقم، ٤٩٦٧.

(٤) مسلم، برقم، ٢١٦ - (٤٨٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) سورة النصر، الآية: ١.

(٦) مسلم، برقم، ٢١٨ - (٤٨٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٧) سورة النصر، الآية: ١.

(٨) مسلم، برقم، ٢١٩ - (٤٨٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

إِنِّي لَفِي شَأْنٍ وَإِنَّكَ لَفِي آخَرٍ^(١).

١٣٥- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ»، كَانَ يُكْثِرُ إِذَا قَرَأَهَا وَرَكَعَ أَنْ يَقُولَ «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» ثَلَاثًا^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك»: أي سبحتك، ونزهتك بحمدك، وتوفيقك لي، لا بحولي وقوتي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ التَّسْبِيحَ قَدْ خُصَّ بِهِ حَالُ الانْخِفَاضِ كَمَا خُصَّ حَالُ الْإِرْتِفَاعِ بِالتَّكْبِيرِ، فَذَكَرَ الْعَبْدُ فِي حَالِ انْخِفَاضِهِ وَذُلِّهِ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الرَّبُّ مُقَابِلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ فِي السُّجُودِ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»، وَفِي الرُّكُوعِ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ»، وَ«الْأَعْلَى» يَجْمَعُ مَعَانِيَ الْعُلُوِّ جَمِيعَهَا وَأَنَّهُ الْأَعْلَى بِجَمِيعِ مَعَانِيَ الْعُلُوِّ، وَقَدْ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ عَلَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، بِمَعْنَى أَنَّهُ قَاهِرٌ لَهُ، قَادِرٌ عَلَيْهِ مُتَصَرِّفٌ فِيهِ»^(٤).

٢- قوله: «اللهم اغفر لي»: طلب المغفرة منه لربه رغم مغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، تعليم للأمة وإظهار لأكمل مراتب العبودية.

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم، ٤٨٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٣) مسند أحمد، ٦/ ٢٠٧، برقم ٣٦٨٣، وأبو يعلى، ٩/ ١٤٨، برقم ٥١٢٣٠، ومختصر قيام الليل للمروزي، ص ١٨٢، وحسن إسناده لغيره محققو المسند، وقال الحافظ ابن رجب عن رواية الإمام أحمد هذه في فتح الباري، ٥/ ٦٠: «وأبو عبيدة، لم يسمع من أبيه، لكن رواياته عنه صحيحة» وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٨٣، برقم ٢٠٨٤: «قلت: ورجاله ثقات، رجال الشيخين غير أبي عبيدة، وهو ثقة، لكنه لم يسمع من أبيه على الراجح كما قال الحافظ، وقد صرح أبو إسحاق بسماحه من أبي عبيدة، في رواية شعبة عنه به نحوه».

(٤) مجموع الفتاوى، ١٦/ ١١٨.

٣- قوله: «يتأول القرآن»: أي يعمل ما أمر به في قوله الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^{(١)(٢)}.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- مشروعية هذا الذكر في الركوع، مع ضمه إلى «سبحان ربي العظيم».
- ٢- مشروعية الدعاء بهذا الدعاء في الركوع، والذي يتضمن طلب المغفرة يفهم منه الرد على من كره الدعاء في الركوع مطلقاً، ولذلك أورده البخاري تحت باب قال فيه: باب: الدعاء في الركوع.
- ٣- لما نزلت سورة النصر فهم النبي ﷺ أن أجله قد دنا؛ ولذلك كان يتهيأ للقاء ربه بكثرة قول هذا الدعاء، وقد تضمنت هذه السورة المباركة بشارة وإشارة: أما البشارة فهي النصر والتمكين، وأما الإشارة فهي استمرار هذا النصر بعد موته إذا أدى من جاء بعده شكر هذه النعمة بالاستغفار والتسبيح، وقد وقع هذا وعم الإسلام معظم العالم، والله الحمد.
- ٤- تأويل القرآن: تارة يراد به تفسير معناه بالقول، وتارة يراد به امثال أوامره بالفعل، وبهذا يقال: من ارتكب شيئاً من الرخص لتأويل سائغ أو غيره: أنه فعله متأولاً^(٣).

٣٥- (٣) «سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٤).

(١) سورة النصر، الآية: ٣.

(٢) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن رجب، ٥/ ١٣٠.

(٣) انظر: فتح الباري، لابن رجب، ٥/ ١٣٠.

(٤) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٧، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧٢، وأحمد، برقم ٢٥٦٠٦، وصححه إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ١٦٥، برقم ٧٧٥.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٣٦- عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ^(١)، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٢)، تَبَأَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»، هذا لفظ مسلم^(٣).

١٣٧- وفي لفظ للإمام أحمد عن عائشة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»، ثُمَّ شَكَّ يَحْيَى فِي ثَلَاثٍ^(٤).

١٣٨- ولفظ أبي داود: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٥).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ»: سُبُّوح: أي المبرأ، والمنزه عن النقائص والشريك، وكل ما لا يليق به ﷻ، وقوله: «قُدُّوسٌ»: أي المُطَهَّر من كل ما لا يليق به ﷻ؛ لأنه يُسَبِّح، ويُقَدَّس، وهو المستحق لذلك، قال القاضي عياض رحمته الله: «وقوله: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ»: بضم السين والقاف فيهما وفتحهما أيضاً، فسبوح من البراءة من النقائص والشريك: وما لا يليق بالإلهية والتنزيه عن

(١) مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير - بكسر الشين المعجمة، وتشديد الخاء المعجمة المكسورة، بعدها تحنانية ساكنة، ثم راء - العامري الحَرْشي - بمهملتين مفتوحتين، ثم معجمة -: أبو عبد الله البصري، ثقة، عابد، لَهُ فَضْلٌ، وَوَرَعٌ، وَعَقْلٌ، وَأَدَبٌ، مات سنة خمس وتسعين. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤/ ١٧٧، ترجمة (٧٧)، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٥٣٤.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٤٨٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أحمد، ٤٢/ ٣٨٨، برقم ٢٥٦٠٦، وصحح إسناده محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) أبو داود، برقم ٨٧٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٧٧٥ وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ذلك، وقدوس من التطهير عما لا يليق به، ومنه الأرض المقدسة، وهو بمعنى سُبُّوح، قال الهروي: وجاء في التفسير: القدوس: المبارك^(١).

٢- قوله: «رب الملائكة»: قال القرطبي صاحب المفهم: «أي: مالِكهم وخالقهم وربّهم؛ أي: مصلح أحوالهم»^(٢). وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «رب الملائكة، وهم جند الله ﷻ عالم لا نشاهدهم»^(٣).

٣- قوله: «والروح»: هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا كقوله: «تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا»^(٤). وقال ابن الأثير: «والروح: قيل: هو اسم ملك من الملائكة عظيم الشأن والخلق، وقيل: هو اسم جبريل، وقيل: هو روح الخلائق التي بها حياتهم وبقاؤهم»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الكون كله مسبح لخالقه ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٦)، وهذا التسبيح إما بلسان الحال، أو لسان المقال.

٢- إثبات أن القدوس من أسماء الله التي تعرّف بها إلى عباده، وهذا الاسم هو صفة لله يستحقها لذاته، قال ابن القيم:

هذا ومن أوصافه القدوس التنزيه بالتعظيم للرحمن^(٧)

٣- في الحديث بيان لربوبية الله للملائكة عموماً، وإنما خص جبريل لأنه

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٤٠٢.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥/ ٢١.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٢٧.

(٤) سورة القدر، الآية: ٤.

(٥) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ١٩٢.

(٦) سورة الجمعة، الآية: ١.

(٧) النونية، ٢/ ٢٣٣.

أفضلهم، فهو الروح الأمين؛ لقوله ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(١) وهو أيضًا روح القدس؛ لقول النبي ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ قَدْ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الْطَلَبِ...»^(٢).

٤- ذكر الملائكة والروح بعد قوله: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ» إشارة إلى تسييح الملائكة لخالقهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(٣)، وقال الله ﷻ: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٤)، وهذا بيان لجلال سلطان الله، وسعة ملكه، وكمال علمه ﷻ.

٥- ليس معنى تنزيه الله هو تعطيل صفاته، ونفي معاني أسمائه، كما قال أهل البدع؛ لأن تنزيه أهل السنة ليس فيه تعطيل، وإثباتهم ليس فيه تشبيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥).



٣٦- (٤) «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصْبِي، وَمَا اسْتَقَلْتُ بِهِ قَدَمِي»^(٦).

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.

(٢) ابن أبي شيبة (٧٩/٧)، رقم ٣٤٣٣٢، وهناد في الزهد، ٢٨١/١، برقم ٤٩٤، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٢٧/١٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ١/١٩٩، برقم ٢٠٨٥، وهو من حديث أبي أمامة ؓ.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

(٥) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٦) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧١، والأربعة إلا ابن ماجه: أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، برقم ٧٦٠، ورقم ٧٦١، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، برقم ٣٤٢١، والنسائي، كتاب التطبيق، باب نوع آخر من الذكر في الركوع، برقم ١٠٤٩، وما بين المعقوفين لفظ ابن خزيمة، ٣٠٦/١، برقم ٦٠٧، وابن حبان، ٢٢٨/٥، برقم ١٩٠١.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٣٩- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ^(١)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفُزْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُحْيِي، وَعَظْمِي، وَعَصْبِي» وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ» وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوْرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ الشَّهَادَةِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» هذا لفظ مسلم ^(٢).

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٧٧١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

١٤٠- ولفظ ابن خزيمة: عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ^(١)، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسَلَمْتُ، أَنْتَ رَبِّي، خَشَعَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصْبِي، وَمَا اسْتَقَلْتُ بِهِ قَدَمَيَّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» جَمِيعُهُمَا لَفْظًا وَاحِدًا، غَيْرُ أَنَّ مُحَمَّدًا، قَالَ: قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، وَقَالَ: «وَعِظَامِي» ^(٢).

١٤١- ولفظ ابن حبان: عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا رَكَعَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسَلَمْتُ، أَنْتَ رَبِّي، خَشَعَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصْبِي، وَمَا اسْتَقَلْتُ بِهِ قَدَمَيَّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ»: الركوع الانحناء في الظهر، والمقصود منه تعظيم الله تعالى، وفيه يجتمع التعظيم القولي والفعل، قال العيني رحمته الله: «تأخير الفعل [ركعت] للاختصاص، والركوع: الميلان والخرور، يقال: ركعت النخلة إذا مالت، وقد يذكر ويراد به الصلاة من إطلاق اسم الجزء على الكل» ^(٤).

٢- قوله: «وبك آمنت»: معنى الإيمان بالله هو التصديق الجازم بوجود الله، وأنه لم يسبق بضد، ولم يعقب به، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وتوحيده بالهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، والإيمان بما أنزل من الكتب، وأرسل من الرسل والإيمان بكل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، قال البيضاوي رحمته الله: «وبك آمنت: أي: صدقت، أو بك

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) صحيح ابن خزيمة، ١/ ٣٠٦، برقم ٦٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) صحيح ابن حبان، ٥/ ٢٢٨، برقم ١٩٠١، وصححه محقق ابن حبان، والألباني في التعليقات

الحسان، ٦/ ١٢٢١، برقم ١٨٩٨.

(٤) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٦٢.

آمنت نفسي من عذابك»^(١)، والإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

٣- قوله: «ولك أسلمت»: معنى الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، مع الخلوص التام من الشرك^(٢)، قال الله تعالى: ﴿فَالِهَكُمْ إِلَهَ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾^(٣). قال ابن الملقن رحمته الله: «أي: استسلمت، وانقدت لأمرك، ونهيك، وسلمت، ورضيت، وأطعت، من قولهم: أسلم فلان لفلان: إذا انقاد، وعطف عليه»^(٤).

٤- قوله: «خشع لك سمعي وبصري»: الخشوع في الصلاة هو حضور القلب بين يدي الله، وهذا يترتب عليه سكون الحركات، وقلة الالتفات، وتدبر الأقوال، والأفعال، وعلى قدر الخشوع يكون الأجر، وقال ابن الأثير رحمته الله: «خشع: الخشوع: الخضوع والذل»^(٥)، وقال الرافعي رحمته الله: «يمكن أن يراد به: خشعت لك بجملتي أجزائي: كالعظام، والشعر، وصفاتي: كالسمع، والبصر، وبأصول أعضائي: كالعظم، والعصب، وبزوائدها كالشعر، وبالبادي مني، وهو البشرة، وبالباطن كالمخ والعظم»^(٦).

قوله: «ومخي وعظمي وعصبي»: قال العيني رحمته الله: «وأما تخصيص المخ والعظم والعصب فلأن ما في أقصى قعر البدن المخ، ثم العظم، ثم العصب؛ لأن المخ يمسكه العظم، والعظم يمسكه العصب، وسائر أجزاء البدن مركبة

(١) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة لليضاوي، ١/ ٣٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٧ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.

(٢) انظر: ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة للحكمي، ص ٢٣.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٤. وتقدم في شرح المفردة رقم ١٥ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ٢٠.

(٥) جامع الأصول، ٤/ ١٩٤.

(٦) شرح مسند الشافعي، ١/ ٣٣٦.

عليها... وأما انقياد السمع، فالمراد به قبول سماع الحق، والإعراض عن سماع الباطل، وأما انقياد البصر فالمراد به صرف نظره إلى كل ما ليس فيه حرمة، والاعتبار به في المشاهدات العلوية والسفلية، وأما انقياد المخ، والعظم، والعصب، فالمراد به انقياد باطنه كانقياد ظاهره؛ لأن الباطن إذا لم يوافق الظاهر لا يكون انقياد الظاهر مفيداً معتبراً، وانقياد الباطن عبارة عن تصفيته عن دنس الشرك والنفاق، وتزيينه بالإخلاص والعلم والحكمة، وترك الغل، والغش، والحقْد، والحسد، والظنون، والأوهام الفاسدة، ونحو ذلك من الأشياء التي تخبث الباطن، وانقياد الظاهر عبارة عن استعمال الجوارح بالعبادات، كل جارحة بما يخصها من العبادة التي وضعت لها^(١).

٥- قوله: «وما استقلت به قدمي»: أي: جميع بدني، وهو من باب عطف العام على الخاص، وقال الإمام النووي رحمته الله: «أي: قامت به وحملته ومعناه جميع جسمي وإنما أتى بهذا بعد قوله خشع سمعي وبصري وعظامي وشعري وبشري للتوكيد»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- من علامات التوفيق استعمال الجوارح في طاعة الله، وكفها عن المعاصي التي بها تزول النعم، كما أن شكرها يبارك في النعمة الموجودة ويأتي بالنعمة المفقودة.
- ٢- تدبر هذه الأذكار وأمثالها يبعث في القلب خشية الله، ومراقبته، ويزيد الإيمان عند المسلم؛ لأن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، وهو يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.
- ٣- خص النبي ﷺ من الحواس السمع والبصر؛ لأن أكثر الآفات تقع بهما،

(١) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٦٣.

(٢) تحرير ألفاظ التنبيه، للنووي، ص ٦٧.

فإذا خشعنا قلت الهواجس والوساوس، وخص المخ والعظم والعصب؛ لأن سائر أجزاء البدن مركبة عليها، فإذا حصل الانقياد لها كان الباقي من باب أولى، وهذا انقياد باطن كما أن خشوع السمع والبصر انقياد ظاهر^(١).

٣٧- (٥) «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبَرِيَاءِ، وَالْعِظَمَةِ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٤٢- عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ^(٣)، قَالَ: قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبَرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ»، ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ بِآلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَرَأَ سُورَةَ سُورَةَ» هذا لفظ أبي داود^(٤).

١٤٣- ولفظ النسائي: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ^(٥)، قَالَ: قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ،

(١) انظر العلم الهيب للإمام العيني، ص ٢٨٠، ٢٨١.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧٣، والنسائي، كتاب التطبيق، باب الدعاء في السجود، ٧٥ نوع آخر، برقم ١١٣١، وأحمد، ٣٩/٤٠٥، برقم ٢٣٩٨٠، وقوى إسناده محققو المسند، وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٨٧٣.

(٣) عوف بن مالك الأشجعي: من نبلاء الصحابة رضي الله عنهم ومن شهد فتح مكة، وقبل ذلك غزوة مؤتة، نزل الشام، وسكن دمشق، روى عن رسول الله ﷺ سبعة وستين حديثاً، وروى له البخاري حديثاً واحداً، ومسلم خمسة أحاديث. مات سنة ثلاث وسبعين، انظر: أسد الغابة، ٤/٤١٢٤، والإصابة، ٤/٦١٠٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٢/٤٨٧ ترجمة رقم ١٠١.

(٤) أبو داود، برقم ٨٧٣، وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٨٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ بِآلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَرَأَ سُورَةَ سُورَةٍ، ففعل مثل ذلك^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ»: أي سأل الرحمة، أو طلب الجنة، وتعوذ بالله من العذاب، ومن النار، قال الكاساني رحمته: «وَلَوْ مَرَّ الْمُصَلِّي بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ، فَوَقَفَ عِنْدَهَا، وَسَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، أَوْ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ، فَوَقَفَ عِنْدَهَا، وَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي صَلَاةِ التَّطَوُّعِ، فَهُوَ حَسَنٌ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ»^(٢).

٢- قوله: «سبحان ذي الجبروت»: أي الذي تنفذ مشيئته على سبيل الإجماع في كل أحد ولا تنفذ فيه مشيئة أحد ولا يخرج أحد من قبضته؛ لأنه هو الجبار المطلق، قال ابن الأثير رحمته: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص ... فمعنى سبحان الله: تنزيه الله ... فكأنه قال: أبرئ الله من السوء براءة»^(٣)، وقال ابن الأثير رحمته: «الجبروت: يقال فيه: جبروة، وجبرية، وجبروت، أي: كثير»^(٤).

٣- قوله: «والملكوت»: أي أنه مالك كل شيء ومن تمام ملكه أنه قد دانت له الخلائق، واستسلمت له السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، من غير ممانعة ولا مدافعة، وقال ابن الأثير: «الملكوت: من الملك، كالرهبوت من الرهبة،

(١) النسائي، برقم ١١٣١، وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٨٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ٢/ ٤١٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١، من مفردات حديث المتن رقم ٣٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠.

والجبروت من الجبر»^(١)، والمَلَكُوتُ مُحَرَّكَةٌ مِنَ الْمَلِكِ كَرَهَبُوتٍ مِنَ الرَّهْبَةِ مُخْتَصَّ بِمَلِكِ اللَّهِ ﷻ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، وَيُقَالُ لِلْمَلَكُوتِ مَلَكُوتٌ مَثَلُ تَرْفُوعَةٍ بِمَعْنَى الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ يُقَالُ لَهُ مَلَكُوتُ الْعِرَاقِ، وَمَلَكُوتُهُ؛ أَي: عِزُّهُ وَمُلْكُهُ عَنِ الْإِخْيَانِيِّ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣) أَي: سُلْطَانُهُ وَعَظَمَتُهُ وَقَالَ الرَّجَّاجُ: أَي تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنْ أَنْ يُوصَفَ بِغَيْرِ الْقُدْرَةِ قَالَ: وَمَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ أَي: الْقُدْرَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»^(٤).

٤- قوله: «والكبرياء والعظمة»: هما وصفان متقاربان خاصان بالله تعالى لا يستحقهما أحد سواه؛ قال الله تعالى في الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»^(٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَجَعَلَ الْعِظَمَةَ كَالْإِزَارِ، وَالْكَبْرِيَاءَ كَالرِّدَاءِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرِّدَاءَ أَشْرَفُ، فَلَمَّا كَانَ التَّكْبِيرُ أَبْلَغَ مِنَ التَّعْظِيمِ صَرَّحَ بِلَفْظِهِ، وَتَضَمَّنَ ذَلِكَ التَّعْظِيمَ، وَفِي قَوْلِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، صَرَّحَ فِيهَا بِالتَّنْزِيهِ مِنَ الشُّوءِ الْمُتَضَمِّنِ لِلتَّعْظِيمِ، فَصَارَ كُلُّ مِنَ الْكَلِمَتَيْنِ مُتَضَمِّنًا مَعْنَى الْكَلِمَتَيْنِ الْآخَرَتَيْنِ مِنْ إِذَا أَفْرَدْتَا، وَعِنْدَ الْإِقْتِرَانِ تُعْطَى كُلُّ كَلِمَةٍ خَاصِيَّتُهَا. وَهَذَا كَمَا أَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَسْتَلْزِمُ مَعْنَى الْآخَرِ؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ، وَالذَّاتُ تَسْتَلْزِمُ مَعْنَى الْاسْمِ الْآخَرِ، لَكِنَّ هَذَا بِاللَّزُومِ. وَأَمَّا دَلَالَةُ كُلِّ اسْمٍ عَلَى خَاصِيَّتِهِ

(١) جامع الأصول، ٤/ ١٩٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٧٥.

(٣) سورة يس، الآية ٨٣.

(٤) تاج العروس، ٢٧/ ٣٤٩، مادة (ملك).

(٥) أبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، برقم ٤٠٩٠، وانظر السلسلة الصحيحة، برقم ٥٤١، ولفظ مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، برقم ٢٦٢٠: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَائُهُ، فَمَنْ يَنَازِعْنِي عَذْبَتُهُ».

وَعَلَى الذَّاتِ بِمَجْمُوعِهِمَا فَبِالْمُطَابَقَةِ، وَدَلَالَتِهَا عَلَى أَحَدِهِمَا بِالتَّصْمُنِ»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- معرفة الله بأسمائه الحسنی، وصفاته العلا طريق موصلة إلى الخشية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢).

٢- ما كان عليه الرسول الكريم ﷺ من الصبر على طاعة ربه وطول القيام بين يديه راجياً داعياً مفتقراً متذللاً.

٣- الجبار له معنيان: قال الإمام البيهقي رحمه الله: «والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمه، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله هذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفو، وليس كمثله شيء، فسبحان الله الواحد القهار»^(٣)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَالْجَبَّارُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي جَبْرُوتِهِ، وَالْعَالِمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي حِلْمِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمَلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ، وَهُوَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ صِفَةٌ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، لَيْسَ لَهُ كُفُوٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ ثَابِتٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْوَالِبِيِّ، لَكِنْ يُقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ التَّفْسِيرُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَكِنْ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ ثَابِتٌ عَنِ السَّلَفِ»^(٤)، فالجبار له معانٍ على النحو الآتي:

أ- الله هو العالي على خلقه، وبهذا المعنى يكون الجبار من الصفات الذاتية.

(١) الفتاوى الكبرى، ٥ / ٢٣١.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي، ١ / ١٥٦.

(٤) مجموع الفتاوى، ٨ / ١٥٠.

ب- الله هو المصلح للأمر: من جبر الكسر إذا أصلحه، وجبر الفقير إذا أغناه.

ج- الله القاهر خلقه على ما أراد من أمر أو نهى، وعلى المعنى الثاني

والثالث يكون «الجبار» صفة فعلية لله تعالى^(١).

٤- ورد اسم الجبار في القرآن مرة واحدة ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾^(٢).

٥- ذي الملكوت: هو الملك والمالك والمليك.

• أما الملك فلقوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾^(٣).

• وأما المالك فلقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٤).

• وأما المليك فلقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(٥).

(١) النهج الأسمى للنجدي، برقم (١٢).

(٢) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٥) سورة القمر، الآية: ٥٥.

١٨- دُعَاءُ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ

٣٨- (١) «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٤٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٢): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، هذا لفظ البخاري^(٣).

١٤٥- وفي لفظ لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» قَالَ ابْنُ شَهَابٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «آمِينَ»^(٤).

١٤٦- وفي لفظ آخر لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ: آمِينَ، وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ. فَوَافَقَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٥).

١٤٧- وفي لفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَزْكَعُ، ثُمَّ يَقُولُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» حِينَ يَرْفَعُ ضُلْبَهُ مِنَ الرُّكْعَةِ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»، قَالَ

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد، برقم ٧٩٦، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم ٤٠٩.

(٢) سبق ترجمته في رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٧٩٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٤٠٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسلم، برقم ٧٤- (٤١٠)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ اللَّيْثِ: «وَلَكَ الْحَمْدُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَهْوِي، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَسْجُدُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ كُلِّهَا حَتَّى يَقْضِيَهَا، وَيُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ مِنَ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْجُلُوسِ»^(١).

١٤٨- وفي لفظ آخر عند مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْكَعُ، ثُمَّ يَقُولُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ» حِينَ يَرْفَعُ صُلْبَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، ثُمَّ يَقُولُ: وَهُوَ قَائِمٌ «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَهْوِي سَاجِدًا، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَسْجُدُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ كُلِّهَا حَتَّى يَقْضِيَهَا وَيُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ مِنَ الْمَثْنَى بَعْدَ الْجُلُوسِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَبُو هُرَيْرَةَ «إِنِّي لَا أَشْبَهُكُمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «سمع الله لمن حمده»: أي أجاب دعاء من حمده، ومعنى يسمع الله لكم يستجب دعاءكم^(٣).

٢- قوله: «لمن حمده»: الحمد هو وصف المحمود بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم، وقال ابن الأثير رحمته الله: «في أسماء الله تعالى: الحميد، أي: المحمود على كل حال، والحمد والشكر مُتَقَارِبَانِ، والحمد أَعْمُّهَا، لِأَنَّكَ تَحْمَدُ الْإِنْسَانَ عَلَى صِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ، وَعَلَى عَطَائِهِ، وَلَا تَشْكُرُهُ عَلَى صِفَاتِهِ، وَالشُّكْرُ فِيهِ إِظْهَارُ النِّعْمَةِ، وَالْإِشَادَةُ بِهَا؛ وَلِأَنَّهُ أَعَمُّ مِنْهُ، فَهُوَ شُكْرٌ وَزِيَادَةٌ»^(٤).

٣- قوله: «من وافق قوله قول الملائكة»، ومن وافق تأمينه تأمين الملائكة

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب التكبير إذا قام من السجود، برقم ٧٨٩.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب إثبات التكبير في كل خفض ورفع في الصلاة إلا رفعه من الركوع، برقم ٣٩٢.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٢١.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٥، مادة (حمد)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٦.

معناه: وافقهم في وقت التأمين، فأتمن مع تأمينهم، فهذا هو الصحيح، والصواب، وحكى القاضي عياض قولاً أن معناه: وافقهم في الصفة، والخشوع، والإخلاص، واختلفوا في هؤلاء الملائكة، ف قيل: هم الحفظة، وقيل غيرهم؛ لقوله ﷺ: «فوافق قوله قول أهل السماء»^(١)، وأجاب الأولون عنه بأنه إذا قالها الحاضرون من الحفظة، قالها من فوقهم حتى ينتهي إلى أهل السماء^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- مشروعية قول هذا الذكر حال الرفع من الركوع، فلا يقال قبل الرفع، أو بعده.
- ٢- هذا الذكر يقوله المصلي إذا كان إماماً، أو كان يصلي منفرداً، أما المأموم فيقول: «ربنا ولك الحمد...»^(٣).
- ٣- يُسن عند قول هذا الذكر رفع اليدين حذو المنكبين، كما يفعل عند تكبيرة الإحرام^(٤).
- ٤- قال ابن القيم رحمه الله: «فعل السمع يراد به أربعة معانٍ:
الأول: سمع الإدراك ودليله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾^(٥).
وقوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا...﴾^(٦).
الثاني: سمع فهم وعقل: ودليله قوله: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾^(٧).
فليس المراد سمع مجرد الكلام بل سمع الفهم والعقل ومنه قوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾^(٨).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم ٤١٠.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ١٣٠.

(٣) انظر: تخرج حديث الباب.

(٤) انظر البخاري، كتاب الأذان، باب رفع اليدين في التكبيرة الأولى مع الافتتاح سواء، برقم ٧٣٥، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل ودليله: «سمع الله لمن حمده»^(١).

الرابع: سمع قبول وانقياد ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾^(٢). أي قابلون له ومتقادون غير منكرين^(٣).

٣٩- (٢) «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ»^(٤).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٤٩- عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرْقِيِّ رضي الله عنه^(٥)، قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكْعَةِ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «مَنْ الْمُتَكَلِّمُ» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةَ وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَتَدَرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ»، هذا لفظ البخاري^(٦).

١٥٠- وفي لفظ آخر للبخاري: عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٧)، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَزْكَعُ، ثُمَّ يَقُولُ:

(١) هو حديث الباب.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم، ٧٥/٢، ٧٦.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب حدثنا معاذ بن فضالة، برقم ٧٩٩، وكتاب الأذان، باب التكرير إذا قام من السجود، برقم ٧٨٩، وباب ما يقول الإمام ومن خلفه إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٧٩٤، ومسلم، كتاب الصلاة، باب اتمام المأموم بالإمام، برقم ٤١١، ورقم ٤١٣.

(٥) رفاعه بن رافع الزرقي؛ أبو معاذ: شهد بدرًا مع النبي ﷺ هو وأبوه، وكان أبوه نقييًا. روي له عن رسول الله ﷺ أربعة وعشرون حديثًا، روى له البخاري ثلاثة أحاديث، وروى له الجماعة إلا مسلم، مات في أول خلافة معاوية رضي الله عنه. انظر الاستيعاب، ٧٧٦/٢، والإصابة، ٢٦٦٦/٢.

(٦) البخاري، برقم ٧٩٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٧) سبقت ترجمته في رقم ٣ من أحاديث الشرح.

«سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، حِينَ يَرْفَعُ صَلْبُهُ مِنَ الرُّكْعَةِ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ اللَّيْثِ: «وَلَكَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَهْوِي، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَسْجُدُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ كُلِّهَا حَتَّى يَقْضِيَهَا، وَيُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ مِنَ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْجُلُوسِ»^(١).

١٥١- وفي لفظ للبخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَكَعَ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ يُكَبِّرُ، وَإِذَا قَامَ مِنَ السَّجْدَتَيْنِ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»^(٢).

١٥٢- وفي لفظ لمسلم: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَقَطَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ فَرَسٍ، فَجَحَشَ شِقُّهُ الْأَيْمَنُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ نَعُوذُهُ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى بِنَا قَاعِدًا، فَصَلَّيْنَا وَرَاءَهُ قُعُودًا، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا صَلَّى قَاعِدًا، فَصَلُّوا قُعُودًا أَجْمَعُونَ»^(٣).

١٥٣- وفي لفظ آخر لمسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ»^(٤).

(١) البخاري، برقم ٧٨٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ٧٩٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ٤١١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسلم، برقم ٨٦-٤١٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «ربنا ولك الحمد»، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بإثبات الواو ويحذفها، وكلاهما جاءت به روايات كثيرة، والمختار أنه على وجه الجواز، وأن الأمرين جائزان ولا ترجيح لأحدهما على الآخر^(١)، وقال ابن الأثير رحمه الله: «في أسماء الله تعالى: الحميد، أي: المحمود على كل حال... والحمد والشكر متقاربان، والحمد أعمّها؛ لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية، وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته، ... والحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبداً لا يحمده، كما أن كلمة الإخلاص رأس الإيمان، وإنما كان رأس الشكر لأن فيه إظهار النعمة، والإشادة بها؛ ولأنه أعم منه، فهو شكر وزيادة»^(٢).

٢- قوله: «حمداً كثيراً»: أي لا حصر له ولا عدد؛ لأن الله هو المستحق للمحامد كلها، وقال القاري رحمه الله: «أي: يترادف مدده، ولا تنتهي مدده»^(٣).

٣- قوله: «طيباً»: أي: حمداً لا نقص فيه ولا عيب؛ لأن الله طيب في: أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وقال العيني رحمه الله: «ومعنى طيباً: خالصاً، صالحاً، أو نظيفاً من الرياء»^(٤).

٤- قوله: «مباركاً فيه»: أي: دائماً متواصلاً؛ لأن كل خير في الدارين هو من آثار بركته، وقال العظيم أبادي رحمه الله: «مُبارَكًا: بفتح الراء: هو وما قبله صفات لـ (حمداً) مقدراً (فيه) الضمير راجع إلى الحمد، أي حمداً ذا بركة، دائماً لا ينقطع؛ لأن نعمة لا تنقطع عنا، فينبغي أن يكون حمداً غير منقطع

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ١٢١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٤٣٥، مادة (حمد).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣ / ٣٤٢.

(٤) شرح أبي داود للعيني، ٣ / ٣٦٩.

أَيْضًا، وَلَوْ نِيَّةً وَاعْتِقَادًا»^(١).

٥- قوله: «بضعة وثلاثين»: البضع: ما بين الثلاث إلى التسع، في الأشهر، وقال أبو عبيدة: ما بين الثلاث إلى الخمس، وقيل غير ذلك^(٢)، قوله بضعة وثلاثين: فيه رد على من زعم كالجوهري أن البضع يختص بما دون العشرين^(٣).

٦- قوله: «يتدرونها أيهم يكتبها»: أَيَّهِمْ يَرْفَعُهَا^(٤)، يعني يسبق بعضهم بعضاً في كُتِبَ هذه الكلمات، ورفَعُهَا إلى الله تعالى؛ لعظمتها، وعِظَم قدرها (أيهم يرفعها) مبتدأ وخبر، والجملة في موضع نصب، أي يتدرونها، ويستعجلون أيهم يرفعها^(٥).

٧- قوله: «جَحِشَ»: هُوَ بِجَحِمٍ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ أَيْ خُدِشَ^(٦).

٨- قوله: «يُعَوِّدُهُ»: أَي: يَزُورُهُ، وَكُلُّ مَنْ أَتَاكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَهُوَ عَائِدٌ، وَإِنْ اشْتَهَرَ ذَلِكَ فِي عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ مُخْتَصَّصٌ بِهِ، وَقَدْ تَكَرَّرَتِ الْأَحَادِيثُ فِي عِيَادَةِ الْمَرِيضِ^(٧).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- على المأموم أن يبادر إلى قول: «ربنا ولك الحمد» عقب تسميع الإمام؛ لقوله: «فقال رجل وراءه». والفاء للتعقيب.

٢- مسابقة الملائكة ومنافستهم في الخير، ومحبتهم لأهله.

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ١٠ / ٢٣٥.

(٢) فتح الباري، لابن رجب، ٥ / ٨٠.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٢ / ٢٨٦.

(٤) فتح الباري لابن حجر، ١٠ / ٦٠٠.

(٥) عون المعبود، ٢ / ٣٣٢.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ١٣٢.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٣١٦، مادة (عود).

٣- كتابة بعض الملائكة للطاعات، وإن كانوا غير الملائكة الحفظة، ويشهد لهذا قول النبي ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم...» الحديث^(١).

٤- خصوصية النبي ﷺ برؤيته لهؤلاء الملائكة دون من معه من الصحابة.

٥- إقرار الرسول ﷺ لقول هذا الرجل، وجعله من أذكار الرفع من الركوع هو أمر خاص بزمانه؛ لأن الوحي قد انقطع بعد موته بعد ما أتم الله به الشرع وأكمّله.

٦- الثابت عن النبي ﷺ في الذكر بعد الرفع من الركوع أربع صفات، وهي على النحو الآتي:

أ - ربنا ولك الحمد^(٢).

ب - ربنا لك الحمد^(٣).

ج - اللهم ربنا لك الحمد^(٤).

د - اللهم ربنا ولك الحمد^(٥).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وكل واحدة من هذه الصفات مجزئة، ولكن الأفضل أن يقول هذا أحياناً، وهذا أحياناً^(٦).

٧- قال الحافظ في الفتح: قال ابن بشكوال: هذا الرجل هو رفاعه بن رافع راوي الخبر،

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، برقم ٦٤٠٨.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب حدثنا معاذ بن فضالة، برقم ٧٩٩، ومسلم، كتاب الصلاة، باب اتمام المأموم بالإمام، برقم ٤١١.

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب التكبير إذا قام من السجود، برقم ٧٨٩.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد، برقم ٧٩٦، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم ٤٠٩.

(٥) البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول الإمام ومن خلفه إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٧٩٥.

(٦) انظر: الشرح الممتع، ٩٨ / ٣.

وإنما كنى عن نفسه بقصد إخفاء عمله، وكان ذلك في صلاة المغرب^(١).

٨- قال الحافظ: قيل الحكمة في اختصاص العدد المذكور من الملائكة

بهذا الذكر أن عدد حروفه مطابق للعدد المذكور، فإن البضع من الثلاث إلى التسع، وعدد الذكر المذكور ثلاثة وثلاثون حرفاً، ويُعَكَّرُ عَلَى هَذَا الزِّيَادَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي رِوَايَةِ رِفَاعَةَ بْنِ يَحْيَى، وَهِيَ قَوْلُهُ: «مُبَارَكًا عَلَيْهِ كَمَا يُحِبُّ رَبَّنَا وَيَرْضَى»، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْقِصَّةَ وَاحِدَةٌ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: الْمُتَبَادَرُ إِلَيْهِ هُوَ الثَّنَاءُ الزَّائِدُ عَلَى الْمُعْتَادِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِ: «حَمْدًا كَثِيرًا»... إلخ، دُونَ قَوْلِهِ: «مُبَارَكًا عَلَيْهِ»؛ فَإِنَّهُ كَمَا تَقَدَّمَ لِلتَّأَكِيدِ، وَعَدَدَ ذَلِكَ سَبْعَةً وَثَلَاثُونَ حَرْفًا^(٢).

٤- (٣) «مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٥٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه^(٤)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ

(١) انظر: فتح الباري، ٢ / ٢٨٧.

(٢) انظر: فتح الباري، ٢ / ٢٨٧.

(٣) مسلم، كتاب كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٤٧٧، ورقم ٤٧٨.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

بَعْدُ، أَهْلَ الشَّاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُنَّا لَكَ عَبْدٌ: اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا
أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْتَفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(١).

١٥٥- وفي لفظ لمسلم: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه^(٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ
رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ
الْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الشَّاءِ وَالْمَجْدِ، لَا
مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْتَفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٣).

١٥٦- وفي مسلم أيضاً عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ^(٤) يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ
كَانَ يَقُولُ «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاءِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ
شَيْءٍ بَعْدُ، اللَّهُمَّ طَهِّرْني بِالثلْجِ وَالْبَرْدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ، اللَّهُمَّ طَهِّرْني مِنَ الذُّنُوبِ
وَالْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ» وفي رواية مُعَاذٍ «كَمَا يُنْقَى
الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّرَنِ». وفي رواية يَزِيدُ «مِنَ الدَّنَسِ»^(٥).

١٥٧- ولأبي داود عن حُذَيْفَةَ ^(٦)، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ
يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ - ثَلَاثًا - ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبْرُوتِ وَالْكَبِيرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ
الْبَقْرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ
الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ،

(١) مسلم، برقم ٤٧٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، ورقم ٤٧٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه من أهل بيعة الرضوان، وخاتمة من مات بالكوفة من الصحابة رضي الله عنه، وكان أبوه
صحابياً، واسم أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث، وقد فاز عبد الله بالدعوة النبوية؛ حيث أتى النبي ﷺ
بزكاة والده، فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى» وهذا دعاء لهم بالرحمة، وقد غزا مع النبي
ﷺ سبع غزوات وهم يأكلون الجراد مسلم، برقم ١٩٥٢، وقد توفي رضي الله عنه سنة سبع وثمانين وقد قارب مائة
سنة. انظر: الاستيعاب، ٣/ ٨٧٠، برقم ١٤٧٨، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٢٨، ترجمة رقم (٧٦).

(٥) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٢٠٢ - (٤٧٦).

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

يَقُولُ: «لِرَبِّي الْحَمْدُ»، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقْرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، أَوْ الْأَنْعَامَ، شَكَ شُعْبَةً^(١).

١٥٨- وفي لفظ لأحمد عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ، وَالْكَبِيرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ الْبَقْرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ، وَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «لِرَبِّي الْحَمْدُ، لِرَبِّي الْحَمْدُ»، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى، سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَانَ مَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»، قَالَ: حَتَّى قَرَأَ الْبَقْرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، وَالْأَنْعَامَ، شُعْبَةً الَّتِي يَشْكُ فِي الْمَائِدَةِ وَالْأَنْعَامِ^(٢).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «ملء السموات وملء الأرض وما بينهما»: أي أن الله ﷻ محمود على كل مخلوق يخلقه، وعلى كل فعل يفعله، ومعلوم أن السموات والأرض بما فيهما كلها من خلق الله، فيكون الحمد حيثئذ مائلاً للسموات والأرض^(٣).
- ٢- قوله: «وملء ما شئت من شيء بعد»: أي حمداً يملأ ما يخلقه الله تعالى بعد ذلك، وما يشاؤه ﷻ، والمعنى أن حمد الله ملاء كل موجود، وملاء ما سيجد^(٤).

(١) أخرجه أبو داود، برقم ٨٧٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسند أحمد، ٣٨ / ٣٩٢، برقم ٢٣٣٧٥، وصحح إسناده محققو المسند.

(٣) الشرح الممتع لابن عثيمين، ٣ / ١٠١.

(٤) انظر: كتاب الصلاة لابن القيم، ص ١٧٧.

٣- قوله: «أهل الثناء والمجد»: الثناء هو المدح بكل وصف كامل، والمجد هو غاية الرفع، والشرف، والسؤدد، وقال النووي رحمته الله: «أَمَّا قَوْلُهُ أَهْلٌ: فَمَنْصُوبٌ عَلَى النَّدَاءِ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ، وَجَوَزَ بَعْضُهُمْ رَفْعَهُ عَلَى تَقْدِيرٍ: أَنْتَ أَهْلُ الثَّنَاءِ، وَالْمَخْتَارُ النَّصَبُ، وَالثَّنَاءُ: وَالْوَصْفُ الْجَمِيلُ، وَالْمَدْحُ، وَالْمَجْدُ: الْعِظَمَةُ، وَنَهَايَةُ الشَّرَفِ»^(١).

٤- قوله: «أحق ما قال العبد»: هذا من باب التقرير، والتأكيد لحمد الله وتمجيده، والثناء عليه، وبيان أن هذا حق واجب لصاحب العزة والجلال، وقال النووي رحمته الله: «لَفْظُ أَحَقُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لَهُ مَعْنَانِ: أَحَدُهُمَا: اسْتِعَابُ الْحَقِّ كُلِّهِ، كَقَوْلِكَ: فَلَانِ أَحَقُّ بِمَالِهِ، أَيْ: لَا حَقَّ لِأَحَدٍ فِيهِ غَيْرُهُ، وَالثَّانِي: عَلَى تَرْجِيحِ الْحَقِّ، وَإِنْ كَانَ لِلْآخِرِ فِيهِ نَصِيبٌ، كَقَوْلِكَ: فَلَانِ أَحْسَنَ وَجْهًا مِنْ فَلَانٍ، لَا تَرِيدُ بِهِ نَفْيَ الْحَسَنِ عَنِ الْأَوَّلِ، بَلْ تَرِيدُ التَّرْجِيحَ»^(٢)، وقال الإمام النووي رحمته الله أيضاً: «أَحَقُّ قَوْلِ الْعَبْدِ: لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيتَ، وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ إِلَى آخِرِهِ... وَإِنَّمَا كَانَ أَحَقُّ مَا قَالَهُ الْعَبْدُ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّفْوِيزِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِذْعَانِ لَهُ، وَالْاعْتِرَافِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَالتَّضَرُّعِ بِأَنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، وَأَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنْهُ، وَالْحَثَّ عَلَى الزَّهَادَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ»^(٣).

٥- قوله: «وكلنا لك عبد»: اعتراف، وإقرار بالعبودية، وأن الكل مربوب له، مسخر بتسخيره، مدبر بتدبيره، قال الله تعالى: «إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا»^(٤)، وقال الشيخ الجمل رحمته الله: «قال السبكي ولم يقل عبيد مع عود الضمير على جمع؛ لأن القصد أن يكون الخلق أجمعون بمنزلة

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ١٩٤.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، ٦٨ / ٣.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ١٩٦.

(٤) سورة مريم، الآية: ٩٣.

عبد واحد، وقلب واحد»^(١).

٦- قوله: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيتُ»: أي إن الله هو المتفرد بالعطاء، فلا راد له في ذلك، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وهذا تحقيق لوحديته لتوحيد الربوبية خلقاً، وقدرأً، وبداية، وهداية، هو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع؛ ولتوحيد الإلهية شرعاً، وأمرأً ونهياً»^(٢).

٧- قوله: «ولا معطي لما منعت»: أي لا أحد يستطيع إعطاء من حرمة بحكمتك وعدلك، قال الإمام البيهقي رحمته الله: «قَالَ الْحَلِيمِيُّ: فَأَلْمُعْطِي هُوَ الْمُتَمَكِّنُ مِنْ نِعَمِهِ، وَالْمَانِعُ هُوَ الْحَائِلُ دُونَ نِعَمِهِ، قَالَ: وَلَا يُدْعَى اللَّهُ تعالى بِاسْمِ الْمَانِعِ حَتَّى يَقَالَ مَعَهُ الْمُعْطِي، كَمَا قُلْتُ فِي الضَّارِّ وَالنَّافِعِ، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ [الخطابي]: فَهُوَ يَمْلِكُ الْمَنْعَ وَالْعَطَاءَ، وَلَيْسَ مَنَعُهُ بُخْلًا مِنْهُ، لَكِنَّ مَنَعَهُ حِكْمَةً، وَعَطَاءُهُ جُودٌ، وَرَحْمَةٌ»^(٣).

٨- قوله: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد»: الجد - بفتح الجيم في اللغة - بمعنى الحظ والسعادة، والمعنى أنه لا ينفع ذا الغنى والمال غناه وماله، وغير ذلك من حظوظ الدنيا، وإنما النافع هو التقرب إلى الله، وإيثار طاعته، ومرضاته على كل الحظوظ، قال ابن الأثير رحمته الله: «لا ينفع ذا الجد منك الجد: الجد: البخت، وقيل: الغنى، أي: لا ينفع المحبوب المسعود، أو الغني حظه وغناه للذات هما منك، إنما ينفعه العمل والطاعة والإخلاص»^(٤)، وقال النووي رحمته الله: «لَا يَنْفَعُ ذَا الْغِنَى وَالْحَظُّ مِنْكَ غِنَاهُ»^(٥).

(١) حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ٢/ ٢٨٠.

(٢) الحسنة والسيئة، ص ١٢٥.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي، ١/ ١٩٢.

(٤) جامع الأصول، ٤/ ٢٠٠.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٩٠، وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٣٢.

٩- قوله: «اللَّهُمَّ طَهِّرْني بالثلج، والبرد، والماء البارد»: قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «إنما خص الثلج، والبرد؛ لأنهما ماءان مفطوران على الطهارة الأولى، لم يمرسا بيد، ولم يخاضا برجل، وذلك أوفى لصفة الطهارة، وأبعد لها من مخالطة شيء من أنواع النجاسة، وقال غيره: هذه المذكورات صافية، فهي تنفي الأوساخ أكثر من الماء الكدر»^(١).

١٠- قوله: «اللَّهُمَّ طَهِّرْني مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا قَالَ الْخَطِيئَةُ الْمَعْصِيَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِثْمُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآدَمِيِّ»^(٢).

١١- قَوْلُهُ: «كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَفِي رِوَايَةٍ: «مِنَ الدَّرَنِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «مِنَ الدَّنَسِ»: كُلُّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَمَعْنَاهُ: اللَّهُمَّ طَهِّرْني طَهَارَةً كَامِلَةً مُغْتَنًى بِهَا، كَمَا يُغْتَنَى بِتَنْقِيَةِ الثَّوْبِ الْأَبْيَضِ مِنَ الْوَسَخِ»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- الحث على حمد الله بما هو أهله من صفات الكمال، والجلال والعظمة.
- ٢- فيه دليل ظاهر على فضيلة قول هذا الثناء والتمجيد؛ لإخبار النبي ﷺ أن هذا الدعاء هو أحق ما قاله العبد.
- ٣- الإقرار والإذعان بالعبودية لرب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك.
- ٤- تمام التسليم والتفويض لله في كل الأمور، وأن كل شيء من قضاء الله وقدره، وأنه لا يكون في ملك الله إلا ما يريد، قال الله ﷻ: «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ»^(٤).

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٤٤٦.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٤/٤.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٤/٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٨.

٥- قال النووي^(١) في قوله: «ذَا الْجَدِّ» ومنهم من قرأها بكسر الجيم الجَدِّ، وهو قول، ضعيف ومعناه لا ينفع ذا الاجتهاد منك اجتهاده، وإنما ينفعه وينجيه رحمتك، والصحيح فتح الجيم، وهو بمعنى الغنى والسلطان، وهذا كقوله ﷺ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٢).



(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٤١٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

١٩ - دعاء السجود

٤١- (١) «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» ثلاث مرَّاتٍ^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٥٩- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه^(٢)، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، وَفِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، وَمَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَسَأَلَ، وَلَا بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَتَعَوَّذَ، وَهَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيِّ^(٣).

١٦٠- وَفِي لَفْظِ آخِرِ أَبِي دَاوُدَ: عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ - ثَلَاثًا - ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبْرُوتِ وَالْكَبِيرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقْرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، يَقُولُ: «لِرَبِّي الْحَمْدُ»، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧١، ورقم ٨٧٤، وعند مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم ٧٧٢، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود، برقم ٢٦٢، والنسائي، كتاب الافتتاح، تعوذ القارئ إذا مر بآية عذاب، برقم ١٠٠٨، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب التسبيح في الركوع، برقم ٨٨٨، وأحمد، ٤٥٩/٥، برقم، ٣٥١٤، وحسن إسناده محققو المسند، ٤٦٠/٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٨٣/١، وانظر تخريج حديث المتن رقم ٣٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه أبو داود، برقم ٨٧١، والترمذي، برقم ٢٦٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٨٣/١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

السُّجُود، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقْرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، أَوِ الْأَنْعَامَ، شَكَّ شُعْبَةُ^(١).

١٦١- وفي لفظ مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَزْكُعُ عِنْدَ الْمَائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكَعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَزْكُعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النَّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. قَالَ: وَفِي حَدِيثٍ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ، فَقَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»^(٢).

١٦٢- ولفظ أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبْرُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ الْبَقْرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ، وَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «لِرَبِّي الْحَمْدُ، لِرَبِّي الْحَمْدُ»، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَانَ مَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»، قَالَ: حَتَّى قَرَأَ الْبَقْرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، وَالْأَنْعَامَ، شُعْبَةُ الَّذِي يَشْكُ فِي الْمَائِدَةِ وَالْأَنْعَامِ»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود، ورقم ٨٧٤، وصححه الألباني، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٨٧٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أخرجه أحمد، برقم ٣٥١٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

١٦٣- ولفظ ابن ماجه: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ^(١)، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَكَعَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «سبحان»: التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً، يقال: سبحته أسبحه تسبيحاً، وسبحاناً، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله، وهو نصب على المصدر بفعل مضمر، كأنه قال: أبرئ الله من السوء براءة ^(٣).

٢- قوله: «ربي»: الرب يطلق في اللغة على: المالك، والسيد المدبر، والمربي، والقيم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال رب كذا ^(٤).

٣- قوله: «الأعلى»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَذَلِكَ أَنَّ السُّجُودَ غَايَةُ الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ مِنَ الْعَبْدِ، وَغَايَةُ تَسْفِيلِهِ وَتَوَاضُعِهِ: بِأَشْرَفِ شَيْءٍ فِيهِ لِلَّهِ - وَهُوَ وَجْهُهُ - بِأَنْ يَضَعَهُ عَلَى التُّرَابِ، فَتَنَاسَبَ فِي غَايَةِ سُفُولِهِ أَنْ يَصِفَ رَبَّهُ بِأَنَّهُ الْأَعْلَى، وَالْأَعْلَى أَبْلَغُ مِنَ الْعَلِيِّ؛ ... فَلَمَّا كَانَ السُّجُودُ غَايَةَ سُفُولِ الْعَبْدِ، وَخُضُوعِهِ... فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْأَعْلَى، وَالْعَبْدُ الْأَسْفَلُ» ^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- ذكر العلو في السجود في غاية المناسبة؛ لأن لكل مقام مقال؛ ولأن

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٢) أخرجه ابن ماجه، برقم ٨٨٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٦٨، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٧٨.

(٥) مجموع الفتاوى، ٥/ ٢٣٨، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٣٣.

الله منزّه عن السفول، فهو سبحانه في العلو على العرش، مستوٍ عليه على الوجه اللائق به، فالاستواء معلوم، والإيمان به واجب، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة.

٢- إثبات صفة العلو لله ﷻ وعلوه على أقسام وكلها متلازمة:

أ - علو الذات: وهو أنه مستوٍ على عرشه، مطلع على أحوال العباد، ومدبر لأمرهم الظاهرة والباطنة، قال الله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١).

ب - علو القهر: أي إن نواصي الخلق كلهم بيده، لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، قال الله ﷻ: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٢).

ج - علو القدر: أي أن صفاته كلها غليا، ليس فيها نقص، ولا عيب، قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

قال ابن القيم:

وهو العلي فكل أنواع العلو له فثابتة بلا نكران^(٤)

٣- وقد ورد ذكر الأعلى في القرآن في موضعين:

١ - ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٥).

٢ - ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾^(٦).

وجاء المتعال مرة واحدة: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾^(٧).

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٠.

(٤) النونية، ٢/٢١٣، ٢١٤.

(٥) سورة الأعلى، الآية: ١.

(٦) سورة الليل، الآية: ٢٠.

(٧) سورة الرعد، الآية: ٩.

وجاء اسم العلي في أربعة مواضع:

١ - ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(١).

٢ - ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٢).

٣ - ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾^(٣).

٤ - ﴿إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾^{(٤)(٥)}.

٤ - الحكمة من السجود أنه من كمال التعبد لله، والذل له؛ فإن الإنسان

يضع أشرف ما فيه، وهو وجهه، بحذاء أسفل ما فيه، وهو قدمه، ومع هذا النزول يكون أقرب لله تعالى؛ لقول النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»^(٦)، وقول النبي ﷺ: «فما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»^(٧)؛ ولهذا ينبغي لنا أن تسجد قلوبنا قبل أن تسجد جوارحنا؛ ليتحقق المقصود من الصلاة^(٨).

٥ - من فضائل السجود ما ذكره النبي ﷺ: «إن الله حرم على النار أن تأكل

أثر السجود»^(٩)، وهذا في حق من دخل النار من عصاة المؤمنين لكي يتطهروا من ذنوبهم قبل دخول الجنة، وهذا يقع إذا لم يتب عليهم ربهم، ويعفو عنهم،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة الحج، الآية: ٦٢.

(٣) سورة غافر، الآية: ١٢.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٥) انظر النهج الأسنى للنجدي، ١/ ٣٢٣.

(٦) مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، برقم ٤٨٢.

(٧) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ اسْتِخْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُّعِ، برقم ٢٥٨٨.

(٨) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١١٨.

(٩) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، برقم ٨٠٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم ١٨٢.

إلا أنهم إذا دخلوا فلا تؤثر النار في أعضاء السجود كرامة لهذه الأعضاء.

قال بعضهم:

يا رب أعضاء السجود أعتقتها من فضلك الوافي وأنت الباقي
والعتق يسري في الغنى يا ذا الغنى فامنن على الفاني بعتق الباقي
وهذا الشاعر توسل إلى الله بعتق أعضاء السجود إلى أن يعتق جميع
البدن لسريان العتق إليه^(١).

٤٢- (٢) «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(٢).

* تقدم شرحه كاملاً في حديث المتن رقم ٣٤، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها.

٤٣- (٣) «سُبُوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٣).

* تقدم شرحه كاملاً في حديث المتن رقم ٣٥، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها.

٤٤- (٤) «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ،

سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ
اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»^(٤).

(١) الشرح الممتع لابن عثيمين، ٣/ ١١٩، ١٢٠.

(٢) البخاري، برقم، ٧٩٤، ومسلم، برقم ٤٨٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٣٤.

(٣) مسلم، برقم ٤٨٧، وأبو داود، برقم ٨٧٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٣٥.

(٤) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧١، وغيره.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٦٤- عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ^(١)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفُ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصْبِي»، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوْرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّسْهِدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» ^(٢).

١٦٥- وفي لفظ لمسلم: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَقْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ:

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٢٠١- (٧٧١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

«وَجَّهْتُ وَجْهِي»، وَقَالَ: «وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ»، وَقَالَ: وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ، قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، وَقَالَ: «وَصُورُهُ فَأَحْسَنَ صُورَةٍ»، وَقَالَ: وَإِذَا سَلَّمَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَقُلْ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ^(١).

١٦٦- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه^(٢) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سَجَدَ لَكَ سَوَادِي، وَخِيَالِي، وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِي، أَبُوءُ بِبِعَمَّتِكَ عَلَيَّ، هَذِهِ يَدَايَ، وَمَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي، أَوْ بِمَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم»: قال ابن منظور رحمته الله: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، وَالْمِيمُ الْمُسَدَّدَةُ عَوْضٌ مِنْ يَا ...»^(٤).

٢- قوله: «اللهم لك سجدت»: أي يَتَطَامَنُ العبد وَيُنَحْنِي، وَيَخْفِضُ رَأْسَهُ، يُقَالُ: أَسَجَدَ الرَّجُلُ: طَاطَأَ رَأْسَهُ وَانْحَنَى، أي خَضَعَ، وَمِنْهُ سُجُودُ الصَّلَاةِ، وَهُوَ وَضْعُ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا خُضُوعٌ أَكْثَرُ مِنْهُ^(٥).

٣- قوله: «وبك آمنت»: أي صدقت بك، وبكل ما أخبرت، وأمرت، ونهيت^(٦)، والمعنى: وبك صدقت تصديقاً جازماً بالقلب، واللسان، وعملت بما أوجبت.

(١) مسلم، برقم ٢٠٢- (٧٧١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٣) مسند البزار، ٤٠٣/٥، برقم ٢٠٣٤، وابن نصر المروزي في مختصر قيام الليل، ص ١٨٢، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ٤/١١٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٥٢/٢: «رواه البزار، ورجاله ثقات» وقال الألباني في صفة الصلاة، ص ١٤٦: «ابن نصر، والبزار، والحاكم، وصححه، ورَّده الذهبي، لكن له شواهد مذكورة في الأصل».

(٤) لسان العرب، ١٣/٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/٢٤١، مادة (سجد).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/٥٥.

- ٤- قوله: «ولك أسلمت»: استسلمت، وانقذت لأمرك ونهيك^(١).
- ٥- قوله: «سجد وجهي»: خص الوجه بالسجود لأنه أشرف الأعضاء. قال ابن العربي رحمه الله: «والمراد في هذا الحديث: سجدت جملتي ورأسي، وقد يكنى بالوجه عن الجملة، فكيف عن الرأس، قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢) قالوا في أحد التأويلات: إلا هو، أي ذاته»^(٣).
- ٦- قوله: «للذي خلقه وصوره»: أي جعله في صورة كريمة في أحسن شكل وأجمل هيئة، وهذا داخل في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾^(٤)، قال الفيومي رحمه الله: «خَلَقَ اللَّهُ الْأَشْيَاءَ خَلْقًا، وَهُوَ الْخَالِقُ وَالْخَلْقُ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَلَا تَجُوزُ هَذِهِ الصِّفَةُ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَضْلُ الْخَلْقِ التَّقْدِيرُ ... وَالْخَلْقُ الْمَخْلُوقُ»^(٥).
- ٧- قوله: «وشق سمعه وبصره»: أي فلق وهو من الشق بفتح الشين، أما الشق بكسرها فهو نصف الشيء، قال القرطبي رحمه الله: «أي: خلق فيه السمع والبصر»^(٦).
- ٨- قوله: «وصوره»: في أسماء الله تعالى: المصوّر، وهو الذي صوّر جميع الموجودات، وربّها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة، وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها^(٧).
- ٨- قوله: «تبارك الله أحسن الخالقين»: تَبَارَكَ اللَّهُ، أي: تعالى وتعاظم وكثر

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، ٢ / ١٣٢.

(٤) سورة الانفطار، الآية: ٧.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ١٨٠، مادة (خلق).

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧ / ٣٧.

(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٥٧، مادة (صور).

خير، ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ... فخلقه كله حسن، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق؛ ولهذا كان خواصه أفضل المخلوقات وأكملها، أي أن خلق الله كله حسن، والإنسان هو أفضل مخلوقاته ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١) أي تام الخلق متناسب الأعضاء، منتصب القامة لم يفقد مما يحتاج إليه شيئاً ظاهراً وباطناً^(٢)، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: «أي: أحسن المصورين والمقدّرين، والعرب تقول: قدّرت الأديم، وخلقته، إذا قصته لتقطع منه مزادة، أو قرية ونحوها، قال مجاهد: يصنعون، ويصنع الله، والله خير الصانعين، وقال الليث: رجل خالق: أي صانع، وهن الخالقات: للنساء، وقال مقاتل: يقول تعالى هو أحسن خلقاً من الذين يخلقون التماثيل وغيرها، التي لا يتحرك منها شيء، وأما الباري، فلا يصح إطلاقه إلا عليه سبحانه؛ فإنه الذي برأ الخليقة، وأوجد لها بعد عدمها، والعبد لا تتعلق قدرته بذلك، إذ غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ما أوجده الرب تعالى، وبراها، وتغييرها من حال إلى حال على وجه مخصوص، لا تتعداه قدرته، ليس من هذا: برئت القلم؛ لأنه معتل لا مهموز، ولا برأت من المرض؛ لأنه فعل لازم غير متعدٍ»^(٣).

وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «ففي خلق آدم وذريته آيات بينات على قدرة الخالق سبحانه، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وأنه سبحانه لا يعجزه شيء، ومن المشاهد المعلوم - أيضاً - البيضة، فإنها مخلوق جماد، ثم يجعل الله في ذلك الجماد الذي في داخلها - بالأسباب التي قدرها، وعلمها عباده - طائراً حياً سميعاً بصيراً، والشواهد من

(١) سورة التين، الآية: ٤.

(٢) انظر: تفسير السعدي، ص ٥٤٨، وص ٩٢٩.

(٣) شفاء العليل، ص ١٣١.

مخلوقاته ﷻ على قدرته العظيمة، وحكمته، وعلمه الشامل كثيرة لا تحصى، وبما ذكرنا يتضح - لطالب الحق - بطلان هذه الشبهة التي شبه بها القائل في الكلام المنسوب إليه، ويعلم ذلك أنها من أبطل الباطل نقلاً وعقلاً، ومن الدلائل القطعية على بطلانها أن الله سبحانه قد خلق السموات والأرض، وخلق جميع المخلوقات الجامدة والمتحركة بقدرته العظيمة، وذلك أعظم وأكبر من جعل عصا موسى حية تسعى^(١).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «غير الله - تعالى - لا يخلق كخلق الله، فلا يمكنه إيجاد معدوم، ولا إحياء ميت، وإنما خلق غير الله - تعالى - يكون بالتغيير، وتحويل الشيء من صفة إلى صفة أخرى، وهو مخلوق لله ﷻ، فالمصور مثلاً، إذا صور صورة؛ فإنه لم يحدث شيئاً، غاية ما هنالك أنه حول شيئاً إلى شيء، كما يحول الطين إلى صورة طير، أو صورة جمل، وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة، فالمداد من خلق الله ﷻ، والورقة البيضاء من خلق الله ﷻ، هذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة إلى الله ﷻ، وإثبات الخلق بالنسبة إلى المخلوق، وعلى هذا يكون الله ﷻ منفرداً بالخلق الذي يختص به»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- السجود لله تعالى، والإذعان لكبريائه، ثمرة من ثمار الإيمان الصادق، والذي هو نتاج لحقيقة الاستسلام بالقلب والقلب.

٢- استحضار المسلم لبديع خلق الله، وأنه شق لعبادة: سمعاً، وأبصاراً، وأفئدة، وأن العبد مسؤول عن هذه النعم ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٣).

(١) مجموع فتاوى ابن باز، ١/ ١٠٨.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ١/ ١٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

٣- خلق الله هو: إيجاد من عدم، وخلق غيره صناعةً، وليس إنشاءً أصلاً، قال الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١).

٤- تقرير أن الله هو: الخالق، البارئ، المصور، وأن هذه الأسماء متعلقة بالخلق، والتدبير، والتقدير، وكل ذلك لا منازع لله فيه.

٥- الفرق بين الخالق، والبارئ، والمصور:

• الخالق: قال الخطابي^(٢): هو المبدع للخلق، والمخترع له على غير مثال سابق، قال الله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾^(٣)، أما في نعوت الآدميين فمعنى الخلق هو التقدير؛ كقوله ﷻ: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾^(٤).

• البارئ: قال ابن كثير: والبرء هو الفري، وهو التنفيذ، وإبراز ما قدره، وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئاً، ورتبه يقدر على تنفيذه، وإيجاده سوى الله ﷻ.

• المصور: هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة، وهيئات متباينة من: الطول، والقصر، والحسن، والقبح، والذكورة، والأنوثة، كل واحد بصورته الخاصة.

٦- معتقد أهل السنة والجماعة أن الله لم يزل خالقاً متى شاء، وكيف

شاء، ولا يزال؛ لقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾^(٥)، وأنه له صفة

الخلق قبل أن يخلق، قال الطحاوي رحمه الله^(٦): وليس بعد الخلق استفاد اسم

الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم البارئ، وذلك من كماله، ولا يجوز

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٢) شأن الدعاء، ص ٤٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣.

(٤) ، سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٥) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٣٧.

أن يكون فاقداً لهذا الكمال، أو معطلاً له في وقت من الأوقات، قال الله: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

ويدخل في جملة مخلوقاته أفعال العباد، وأنهم مؤخذون عليها، وهي واقعة بمشيئته وقدرته ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢)، وقال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٣)، وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤).

٤٥- (٥) «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبَرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ»^(٥).

* تقدم شرحه كاملاً في حديث المتن رقم (٣٧) وهو من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

٤٦- (٦) «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّةً وَجِلَّةً، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»^(٦).

(١) سورة النحل، الآية: ١٧.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٥) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود، برقم ٨٧٣، والنسائي، برقم ١١٣١، وأحمد، برقم ٢٣٩٨٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ١٦٦، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن برقم ٣٧.

(٦) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٣.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٦٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(١)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: فِي سُجُودِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّةً، وَجِلَّةً، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ» ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم اغفر لي»: قال ابن منظور رحمته الله: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا إِلَهَ، وَالْمِيمُ الْمُسَدَّدَةُ عَوْضٌ مِنْ يَا ...» ^(٣)، وقال ابن منظور: «الْغُفُورُ الْغَفَّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّائِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ، يُقَالُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً، وَغَفْرًا، وَغُفْرَانًا، وَإِنَّكَ أَنْتَ الْغُفُورُ الْغَفَّارُ، يَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ، وَأَصْلُ الْغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا... وَقَدْ غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ: ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا... وَالْغَفْرُ، وَالْمَغْفِرَةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَالْعَفْوُ عَنْهَا» ^(٤).

٢- قوله: «ذنبِي كله»: قال ابن فارس رحمته الله: «الذال، والنون، والباء: أصول ثلاثة: أحدها الجُرم، والآخر مؤخَّرُ الشَّيْءِ، والثالث كالحِظِّ والنَّصِيبِ، فالأوَّل: الذَّنْبُ والجُرم، يقال: أَذْنَبَ يَذْنِبُ، والاسم الذَّنْبُ، وهو مُذْنِبٌ...» ^(٥). وقال ابن منظور رحمته الله: «الذَّنْبُ: الْإِثْمُ والجُرمُ وَالْمَعْصِيَةُ، والجمعُ ذُنُوبٌ، وَذُنُوبَاتٌ جمعُ الْجَمْعِ، وَقَدْ أَذْنَبَ الرَّجُلُ» ^(٦)، وقال ابن علان رحمته الله: «توكيد للإحاطة

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٤٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) لسان العرب، ١٣ / ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.

(٤) لسان العرب، ٥ / ٢٥، مادة (غفر).

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢ / ٣٦١، مادة (ذنب).

(٦) لسان العرب، ١ / ٣٨٩، مادة (ذنب).

والشمول، أتى به لدفع توهم أن المراد به ذنب مخصوص»^(١).

٣- قوله: «دِقّه وَجَلّه»: أي قليله وكثيره، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «دِقّه وَجَلّه:

الدقيق من الأمور: الصغير منها، والجليل: العظيم الكبير منها»^(٢).

٤- قوله: «وأوّلّه وآخره»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا من باب

التبسط في الدعاء والتوسع فيه؛ لأن الدعاء عبادة فكل ما كرره الإنسان ازداد عبادة لله ﷻ ثم إنه في تكراره هذا يستحضر الذنوب كلها السر والعلانية، وكذلك ما أخفاه»^(٣)، وقال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ: «هذا طلب لمحو أثر الذنب كله»^(٤).

٥- قوله: «وعلانيتها وسره»: أي ما كان أمام الناس، وما كان في خلوة لم يطلع عليّ فيها غيرك، وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «وعلانيتها - بفتح العين، وكسر النون، وخفة الياء-: مصدر علن، أي: ظاهره، وسره: أي عند غيره تعالى، وإلا فهما سواء عنده تعالى، فإنه يعلم السر وأخفى»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- فيه تأكيد الدعاء وتكثير ألفاظه، وإن أغنى بعضها عن بعض^(٦).

٢- مشروعية التفصيل بعد الإجمال في الدعاء: وهذا دليل على شدة طلب المغفرة.

٣- سعة رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وعدم اليأس من المغفرة، وإن بلغت ذنوب العبد عنان السماء.

٤- من الصور المكروهة في الدعاء أثناء السجود وغيره «تكلف السجع»، والسجع هو

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٧/ ٢٢٥.

(٢) جامع الأصول، ٤/ ١٩١.

(٣) شرح رياض الصالحين، ص ١٤٢٩.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٨/ ٧٣.

(٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٢١١.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٤٢٤.

موالاة الكلام على روي واحد، قال ابن عباس رضي الله عنهما مرشداً عكرمة: «فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه؛ فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب»^(١)؛ والعلة من الكراهية أنه مانع للخشوع المطلوب في الدعاء، ثم إنه مشاكلة لكلام الكهنة، أما السجع غير المتكلف فيه، فقد فعله النبي ﷺ، مثل دعاء حديث الباب، وقوله: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب...»^(٢) وغير ذلك.

٥- من بركة السجود تساقط الذنوب، قال النبي ﷺ: «إن المسلم يصلي وخطاياها مرفوعة على رأسه، كلما سجد تحات عنه، فيفرغ من صلاته وقد تحات عنه خطاياها»^(٣).

٤٧- (٧) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٤).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٦٨- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها^(٥)، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدَيَّ عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ،

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يكره من السجع في الدعاء، برقم ٦٣٣٧.

(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، برقم ٤١١٥.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، ٢٥٠/٦، برقم ٦١٢٥، وفي الصغير، ٢٧٢/٢، برقم ١١٥٣، والبيهقي في شعب الإيمان، ١٤٥/٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٨٧، برقم ٣٦٢.

(٤) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٦، ومسند أحمد، ٤٠/ ٣٦٢، برقم ٢٤٣١٢، والسنن الكبرى للنسائي، ١/ ٢٣٩، برقم ٧١٥، وصحيح ابن حبان، ٥/ ٢٦٠، برقم ١٩٣٣، والحاكم ١/ ٢٢٨.

(٥) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» هذا لفظ مسلم^(١).

١٦٩- ولفظ أحمد: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَرِغْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَفَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَمَدَدْتُ يَدَيَّ، فَوَقَعْتُ عَلَى قَدَمَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُمَا مُتَّصِبَانِ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَهُوَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٢).

١٧٠- ولفظ النسائي في الكبرى: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: فَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَجَعَلْتُ أَطْلُبُهُ بِيَدَيَّ، فَوَقَعْتُ يَدَيَّ عَلَى قَدَمَيْهِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، يَقُولُ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٣).

١٧١- ولفظ ابن حبان: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ مَعِيَ عَلَى فِرَاشِي، فَوَجَدْتُهُ سَاجِدًا، رَاضًا عَقِيْبِهِ، مُسْتَقْبِلًا بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ لِلْقِبْلَةِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ أَثْنِي عَلَيْكَ، لَا أَبْلُغُ كُلَّ مَا فِيكَ» فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، أَحَرَبَكَ شَيْطَانُكَ؟» فَقُلْتُ: مَا لِي مِنْ شَيْطَانٍ، فَقَالَ: «مَا مِنْ آدَمِي إِلَّا لَهُ شَيْطَانٌ» فَقُلْتُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَأَنَا، وَلَكِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ»^(٤).

ثانِيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى

(١) مسلم، برقم ٤٨٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أحمد، برقم ٢٤٣١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النسائي في الكبرى، برقم ٧١٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) ابن حبان، برقم ١٩٣٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الْمُفْرَدِ»^(١)، والعود: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعدته بالله أعينه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك^(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ... وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ... وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يَضُرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»^(٣).

٢- قوله: «برضاك من سخطك»: أي بما يرضيك عما يسخطك، وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: «الرضا: هو تعلُّق الإرادة بالثواب، والسخط هو تعلُّق الإرادة بالعقاب، والمعافة تعلُّق الإرادة بالسلامة، والعقوبة تعلُّق الإرادة بالعذاب والمحن»^(٤)، والله عَزَّ وَجَلَّ له رضاٌ يليق بجلاله، وله سخط يليق بجلاله، لا يشبه في ذلك أحداً من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥).

٣- قوله: «وبمعافاتك من عقوبتك»: أي بالطاعة التي هي سبب العافية من المعاصي التي هي سبب للعقوبة والهلاك والبور. قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له، وهو الله عَزَّ وَجَلَّ استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته»^(٦).

٤- قوله: «وأعوذ بك منك»: أي أنه لا مفر ولا منجى من الله إلا إليه وهذا

(١) لسان العرب، ١٣ / ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢ / ١٣٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، ١٨ / ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٤) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، ص ٤١٤.

(٥) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٢٠٤.

قوله: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾^(١)، فإن كل أحد إذا خفته فررت منه إلا الله إذا خفته فررت إليه، وبحسب خوف العبد من ربه يكون فراره إليه، قال ابن رجب رحمته: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا خَافَ مِنْ مَخْلُوقٍ، هَرَبَ مِنْهُ، وَفَرَّ إِلَى غَيْرِهِ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مِنَ اللَّهِ، فَمَا لَهُ مِنْ مَلْجَأٍ يَلْجَأُ إِلَيْهِ، وَلَا مَهْرَبٍ يَهْرُبُ إِلَيْهِ إِلَّا هُوَ، فَيَهْرُبُ مِنْهُ إِلَيْهِ»^(٢).

٥- قوله: «لا أحصي ثناء عليك»: أي أنه لا نهاية ولا حد للثناء على الله كما أنه لا نهاية لصفاته^(٣)؛ قال الإمام مالك رحمته: معناه: لا أحصي نعمتك، وإحسانك، والثناء بها عليك، وإن اجتهدت في الثناء عليك^(٤).

قوله: «أَنْتَ كَمَا أَتَيْنْتَ عَلَى نَفْسِكَ»: قال ابن عبد البر رحمته: «دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ فِي وَصْفِهِ إِلَى وَصْفِ نَفْسِهِ، وَمَنْ وَصَفَهُ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ قَالَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَإِنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^(٥).

٦- قوله: «فالتمست»: التمس: أي طلب، فاستعار له اللمس^(٦).

٧- قوله: «فوقعت يدي»: أي نزلت، وسقطت، وصارت عليهما^(٧).

٨- قوله: «بطن قدميه»: وباطن القدم ما رَقَّ من أسفلها، وتجانف عن الأرض^(٨).

٩- قوله: «منصوبتان»: أرادت أنها رأت النبي ﷺ وهو ساجد، وفي رواية:

«متصبتان»، قال ابن عبد البر: «ولفظهم متقارب والمعنى سواء»^(٩).

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرئوط، ٤٥ / ٢.

(٣) فيض القدير (١٣٩ / ٢).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٢٧ / ٤.

(٥) الاستذكار، ٥٣١ / ٢.

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢٦٩ / ٤، مادة (لمس).

(٧) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٦٦٨ / ٢، مادة (وقع).

(٨) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٠٤ / ٤.

(٩) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٣٤٩ / ٢٣.

١٠- قوله: «(راضاً عقيبه)»: تراصوا في الصفوف أي تلاصقوا حتى لا تكون بينهم فُرَجٌ، وأصله تراصصوا من رَصَّ البناء، يرصُّه رَصّاً: إذا ألصق بعضه ببعض... ومنه حديث ابن صياد: فرضه رسول الله ﷺ أي: ضم بعضه إلى بعض^(١). والعقب: ما أصاب الأرض من مُؤَخَّرِ الرَّجُلِ إلى موضع الشراك، يقال عَقِبَ وَعَقِبَ، وفي الحديث: كَانَتْ نَعْلُهُ مُعَقَّبَةً أي: لها عَقِبٌ»^(٢).

١١- قوله: «مستقبلاً بأطراف أصابعه للقبلة» قال الحافظ: «استَدَلَّ الرَّافِعِيُّ بِحَدِيثٍ عَائِشَةَ عَلَى أَنَّه يُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ الْأَصَابِعُ مُنْشُورَةً، وَمَضْمُومَةً فِي جِهَةِ الْقِبْلَةِ، وَمُرَادُهُ بِذَلِكَ أَصَابِعُ الْيَدَيْنِ...، فَتَقْيِيدُهُ فِي رِوَايَةِ ابْنِ حَبَّانَ الصَّحِيحَةَ يَخُصُّهُ بِالرَّجُلَيْنِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِيهِ: «وَأَسْتَقْبَلُ بِأَطْرَافِ رِجْلَيْهِ الْقِبْلَةَ»^(٣).

١٢- قوله: «لا أبلغ كل ما فيك»: قال العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء: «حديث عائشة: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، وقد تقدم، وعند ابن خزيمة من هذا الوجه: «وأعوذ بك منك، لا أحصي مدحك إلا ثناء عليك»، وفي آخر عنده أيضاً من وجه آخر عنها: «وبعفوك من عقوبتك، وبك منك أثنى عليك، لا أبلغ كل ما فيك»، وفي آخر عند الخلعي من وجه ثالث عنها: «لا أحصي أسماءك، ولا ثناء عليك»^(٤). وقال ابن عبد البر: «وروينا عن مالك أنه قال في قوله في هذا الحديث: «لا أحصي ثناء عليك» يقول وإن اجتهدت في الثناء عليك، فلن أحصي نعمك وثناءك وإحسانك، قال أبو عمر:

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٢/ ٢٢٦، مادة (رصص).

(٢) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، ٢/ ١١١، مادة (عقب).

(٣) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ١/ ٦٢١.

(٤) إحياء علوم الدين، ٥/ ٢٣٥٠.

في قوله: «أنت كما أثبتت على نفسك» دليل على أنه لا يبلغ وصفه، وأنه لا يوصف إلا بما وصف به نفسه تبارك اسمه، وتعالى جده ولا إله غيره، وقد روي عن يحيى بن سعيد من حديث عائشة رضي الله عنها حديث يوافق حديث هذا الباب في بعض معانيه، وهو عندي حديث آخر، والله أعلم^(١).

١٣ - قوله: «ما من آدمي إلا له شيطان»، قال الطحاوي: «فَوَقَفْنَا عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَسَائِرِ النَّاسِ سِوَاهُ، وَأَنَّ اللَّهَ أَعَانَهُ عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهِ الَّذِي هَدَاهُ لَهُ، حَتَّى صَارَ ﷺ فِي السَّلَامَةِ مِنْهُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، فِيمَنْ هُوَ مَعَهُ مِنْ جِنْسِهِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ مِمَّا يُوجِبُ أَنْ يُوقَفَ عَلَى اِرْتِفَاعِ التَّضَادِّ عَنْهُ، وَعَمَّا رَوَيْتَ مِمَّا قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُصَّ بِهِ مِنْ إِسْلَامِ شَيْطَانِهِ لِكُنْيِ يَسْلَمَ مِنْهُ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- من تأمل هذه الكلمات فهم أنها تدل على تمام التوحيد لله ﷻ، وعلى قطع التفات القلب إلى غير الله ﷻ، وعلى حقيقة التوكل عليه والإنابة إليه.
- ٢- الاعتراف بالعجز التام، والقصور الكامل فيما يتعلق بإحصاء الثناء على الله؛ لأن النبي ﷺ رد الثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصاء والتعيين.
- ٣- العبد لا يملك لنفسه - فضلاً عن أن يملك لغيره - ضرراً، ولا نفعاً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، فالأمر كله لله.
- ٤- قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمته الله: في هذا الدعاء معنى لطيف، وذلك أن النبي ﷺ استعاذ بالله تعالى، وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضا والسخط متقابلان، كذلك المعافاة والعقوبة،

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٣ / ٣٥٠.

(٢) مشكل الآثار، للطحاوي، ١ / ١٠٣.

فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له، وهو الله ﷻ استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه^(١).

٥- يبين هذا الدعاء أن صفة الرضا هي من صفات الله تعالى، وهي من الصفات الفعلية لوقوعها بمشيئة الله تعالى، وهي ليست كرضا المخلوقين، بل هي على الوجه اللائق به ﷻ؛ والله ﷻ يرضى على من وجد منه مقتضى الرضا ومن ذلك:

١- أنه يرضى عن العمل لقوله: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾^(٢).

٢- يرضى عن العامل لقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٣).

٦- أوضح هذا الحديث أن نصب القدمين في السجود من السنة، ومعنى ذلك هو رص القدمين بعضهما ببعض، وهذا بخلاف الركبتين واليدين.

٧- كان النبي ﷺ إذا صلى وسجد فرج بين يديه حتى يبدو بياض إبطه^(٤)، والحكمة من هذا - كما قال بعض أهل العلم - هو إظهار القوة والنشاط في العبادة، ولكن هذا مشروط على عدم إيذاء المصلي لمن بجانبه، أما المرأة فلا تفعل ذلك التجافي؛ لأن ذلك أستر لها، ويجب السجود على سبعة أعضاء؛ لقول النبي ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم - وأشار بيده إلى أنفه واليدين^(٥) والركبتين وأطراف القدمين -»^(٦).

(١) معالم السنن للخطابي، ١/ ٢١٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٣) سورة البينة، الآية: ٨.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب يدي ضبعيه، ويجافي في السجود، برقم ٨٠٧، ومسلم، كتاب الصلاة، باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتح به ويختم به، وصفة الركوع والاعتدال منه، والسجود والاعتدال منه، والشهد بعد كل ركعتين من الرباعية، وصفة الجلوس بين السجدين، وفي الشهد الأول، برقم ٤٩٥، ويُسن كذلك ضم أصابع اليدين أثناء السجود؛ ليحصل بذلك تمام استقبال القبلة.

(٥) يراد بذلك الكفين، ولثلا يعارض حديث النهي عن الافتراش كافتراش السبع.

(٦) البخاري، كتاب الأذان، باب السجود على الأنف، برقم ٨١٢، ومسلم، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب وعقصر الرأس في الصلاة، برقم ٤٩٠.

٢٠- دُعَاءُ الْجِلْسَةِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ

٤٨- (١) «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٧٢- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ (٢)، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ - ثَلَاثًا - ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكَبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقْرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، يَقُولُ: لِرَبِّي الْحَمْدُ، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقْرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، أَوِ الْأَنْعَامَ، شَكَّ شُعْبَةً. هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ، وَابْنِ مَاجَةَ (٣).

١٧٣- وَلَفْظُ ابْنِ خَزِيمَةَ: عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَجِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ يُرِيدُ الْمِئَةَ،

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧٤، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات، باب ما يقول بين السجدين، برقم ٨٩٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢٤٨/١، وفي صحيح ابن ماجه، ١/١٤٨، وإرواء الغليل، برقم ٣٣٥، وابن خزيمة، ١/٣٤٠، برقم ٦٨٤، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٢/٤١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٨٧٤، وابن ماجه، برقم ٨٩٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

فَجَاوَزَهَا، فَقُلْتُ: يُرِيدُ الْمَائَتَيْنِ، فَجَاوَزَهَا، فَقُلْتُ: يُحْتَمِ، فَحَتَمَ ثُمَّ افْتَتَحَ
النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ قَرَأَ آلَ عِمْرَانَ، ثُمَّ رَكَعَ قَرِيبًا مِمَّا قَرَأَ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَالَ: سَمِعَ
اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ نَحْوًا مِمَّا رَفَعَ، ثُمَّ
رَفَعَ فَقَالَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي» نَحْوًا مِمَّا سَجَدَ، ثُمَّ سَجَدَ نَحْوًا مِمَّا رَفَعَ، ثُمَّ قَامَ
فِي الثَّانِيَةِ، قَالَ: الْأَعْمَشُ: فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِآيَةِ تَحْوِيفٍ إِلَّا اسْتَعَاذَ، أَوْ اسْتَجَارَ،
وَلَا آيَةَ رَحْمَةٍ إِلَّا سَأَلَ، وَلَا آيَةَ، يَغْنِي تَنْزِيهِهِ إِلَّا سَبَّحَ^(١).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ»: قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: صلى
فيجعل الصلاة متناسبة، إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود، والقيام الذي بعد
الركوع، والجلوس الذي بين السجدين، وإذا خفف القراءة خفف الركوع
والسجود، والقيام من أجل أن تكون الصلاة متناسبة، وهذا فعله صلوات الله
وسلامه عليه في الفرض، وفي النفل أيضاً، فكان ﷺ يجعل صلاته متناسبة^(٢).

٢- قوله: «رَبِّ اغْفِرْ لِي»: أي استرني بمحو ذنوبي مع التجاوز عن
المؤاخذه ومناقشة الحساب، قال ابن منظور: «أَصْلُ الْغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ،
غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا... وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ
ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا... وَالْغَفْرُ، وَالْمَغْفِرَةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَالْعَفْوُ عَنْهَا»^(٣).

ثالثًا: ما يستفاد من الحديث:

١- إعظام الرغبة بأن الله يغفر الذنوب جميعاً، ما علمه العبد وما نسيه، وقد أحصاه الله.
٢- الاستغفار ليس نطقاً باللسان فقط بل يصحبه عدم الإصرار على

(١) ابن خزيمة، برقم ٦٨٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، (ص: ١٢١).

(٣) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٤٦.

مقارفة الذنوب؛ لقوله ﷺ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١). وهذا هو المانع من العقوبة؛ لقوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٢).

٣- إثبات صفة المغفرة لله ﷻ، وأثار هذه المغفرة جليّة واضحة لكل ذي لب ولذلك ورد اسم الغفور في القرآن في إحدى وتسعين آية.

٤- اتصاف الله بصفة المغفرة، هو محض فضل منه ونعمة، علماً بأن الله تعالى لا يتنفع بالمغفرة لعباده، ولا يغفر لهم خوفاً منهم بل هو لا يضره كفرهم أصلاً.

٥- من بركات الاستغفار سعة الأرزاق؛ لقوله ﷺ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٣).

٦- من استشعر لذة الاستغفار لنفسه دفعه ذلك إلى الاستغفار لأهل الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»^(٤).

٧- جاء في هذا الحديث أن النبي ﷺ صلى أربع ركعات: بالبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، أو الأنعام شك شعبة وكان ركوعه نحواً من قيامه، وسجوده نحواً من قيامه، وكان يقول بين السجدين: «رب اغفر لي رب اغفر لي» نحواً من سجوده، وكان هذا في صلاة الليل، أي أنه كان يكرر

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٣) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٤) رواه الطبراني في مسند الشاميين، ٣/ ٢٢٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٠٢٦ من حديث عبادة بن الصامت ؓ.

هذا الدعاء بين السجدين لا أن يقوله مرتين فقط^(١).

٤٩- (٢) «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَاجْبُرْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٧٤- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي»، وهذا لفظ أبي داود^(٤).
 ١٧٥- ولفظ الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي»^(٥).
 ١٧٦- ولفظ ابن ماجه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي»^(٦).

(١) انظر تخريج حديث المتن رقم (٤٨) من هذا الكتاب.

(٢) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي: أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء بين السجدين، برقم ٨٥٠، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما يقوله بين السجدين، وقال: «اجبرني» بدل: «عافني»، برقم ٢٨٤، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات، باب ما يقول بين السجدين، بلفظ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي» برقم ٨٩٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٩٠/١، وصححه ابن ماجه، ١٤٨/١، وفي صحيح سنن أبي داود، ٢٣٨/١.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٤) أبو داود، برقم ٨٥٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) الترمذي، برقم ٢٨٤، و٢٨٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) ابن ماجه، برقم ٨٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم اغفر لي»: المغفرة، هي: ستر الذنب، والعفو عنه، مأخوذ من المغفر الذي يكون على رأس الإنسان عند الحرب يتقي به السهام، قال ابن منظور: «أصل العَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا... وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتُهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا... وَالْعَفْرُ، وَالْمَغْفِرَةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَالْعَفْوُ عَنْهَا»^(١).

٢- قوله: «وارحمني»: طلب رحمة الله ﷻ التي بها حصول المطلوب، وبالمغفرة زوال المرهوب، وهذا إذا جمع بين المغفرة والرحمة. أما إذا فرقت المغفرة عن الرحمة فإن كل واحدة منهما تشمل الأخرى^(٢).

٣- قوله: «واهدني»: أي لصالح الأعمال والتي يشترط فيها الإيمان بالله ﷻ والإخلاص له، والمتابعة لرسول الله ﷺ، قال العيني رحمه الله: «أي: أرشدني لصوابها، ووفقني للتخلق به»^(٣).

٤- قوله: «واجبرني»: الجبر يكون من النقص، والمعنى هو سؤال الله أن يتجاوز عن الإسراف في الذنوب والقصور في الطاعة، قال ابن الأثير رحمه الله: «أني: أغْنِي، مِنْ جَبَرِ اللَّهِ مُصِيبَتَهُ: أَي رَدَّ عَلَيْهِ مَا ذَهَبَ مِنْهُ وَعَوَّضَهُ. وَأَصْلُهُ مِنْ جَبَرِ الْكَسْرِ»^(٤).

٥- قوله: «وعافني»: دعاء برفع البلاء إن كان موجوداً، ودفعه إن كان مفقوداً، وهو شامل لأمراض القلوب والأبدان، والمعافة من كل سوء في الدنيا والآخرة، وقال البجيرمي رحمه الله: «وَعَافَنِي: أَي: مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٥).

(١) لسان العرب، ٥ / ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٤٦.

(٢) انظر الشرح الممتع، ص ١٣١.

(٣) شرح أبي داود للعيني، ٣ / ٣٦١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ٣٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٢٣٦، مادة (جبر).

(٥) حاشية البجيرمي على الخطيب، ٢ / ٥٥.

٦- قوله: «وارزقني»: أي رزقاً حلالاً أستعين به على أمور حياتي، ورزقاً في الطاعة ينفعني يوم القيامة فالرزق رزقان: رزق الحلال، ورزق الإيمان، والعمل الصالح، والتوفيق لذلك، وكل ذلك بطلب من الله ﷻ، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «ارزقني: يعني الرزق الذي يقوم به البدن: من الطعام، والشراب، واللباس، والمسكن، وغير ذلك، والرزق الذي يقوم به القلب، وهو العلم النافع، والعمل الصالح، وهذا يشمل هذا وهذا، فالرزق نوعان: رزق يقوم به البدن، ورزق يقوم به القلب، والدين، والإنسان إذا قال: ارزقني، فهو يسأل الله هذا وهذا»^(١).

٧- قوله: «وارفعني»: في الدنيا بالعلم النافع، والعمل الصالح، وأن أكون للمتقين إماماً، وفي الآخرة بإصابتي للفردوس الأعلى، قال ابن منظور: «رفع: في أسماء الله تعالى: الرفع: هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ الْمُؤْمِنَ بِالْإِسْعَادِ، وَأَوْلِيَاءَهُ بِالتَّقْرِيبِ، وَالرَّفْعُ: ضِدُّ الْوَضْعِ، رَفَعْتَهُ فَارْتَفَعَ، فَهُوَ نَقِيضُ الْخَفْضِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، ... وَأَنَّهُ اللَّهُ يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَهُوَ الْعَدْلُ، فَيُعْلِيهِ عَلَى الْجَوْرِ وَأَهْلِهِ، وَمَرَّةً يَخْفِضُهُ فَيُظْهِرُ أَهْلَ الْجَوْرِ عَلَى أَهْلِ الْعَدْلِ ابْتِلَاءً لِحَلْقِهِ، وَهَذَا فِي الدُّنْيَا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. وَيُقَالُ: ارْتَفَعَ الشَّيْءُ ارْتِفَاعاً بِنَفْسِهِ إِذَا عَلَا... وَقَالَ الْفَرَّاءُ: وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ: أَي: بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَيُقَالُ: نِسَاءٌ مَرْفُوعَاتٌ أَي: مُكْرَمَاتٌ، مِنْ قَوْلِكَ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ مَنْ يَشَاءُ وَيَخْفِضُ، وَرَفَعَ السَّرَابُ الشَّخْصَ يَرْفَعُهُ رَفْعاً: زَهَاهُ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- مشروعية قول هذا الذكر في الجلسة بين السجدين في الصلاة.
- ٢- ما كان عليه النبي ﷺ من الاطمئنان في صلاته كلها، وأن ذلك كان هو هديه الدائم في الصلاة، ومحافظة على الواجبات والمستحبات.

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٦٩.

(٢) لسان العرب، ٨/ ١٢٩، مادة (رفع).

٣- هذا الدعاء من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه جمع فيه أصول السعادة في الدنيا والآخرة، فتأمل.

٤- جاء هذا الدعاء في صحيح مسلم^(١)، أو قريباً من لفظه، ولكن ليس بين السجدين. حيث جاء رجل إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله كيف أقول حين أسأل ربي ﷻ؟ قال: «قل: اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني» ويجمع أصابعه إلا الإبهام، «فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك» وكذلك كان رسول الله ﷺ يعلم الرجل إذا أسلم الصلاة، ثم يأمره بهؤلاء الكلمات: «اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني»^(٢).

٥- الهداية لها أربع مراتب:

أ - الهداية العامة: وهي هداية كل مخلوق لمصالحه التي بها يصلح أمره ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾^(٣).

ب - هداية البيان والدلالة وهي حجة الله على خلقه ﴿وَأَمَّا ثُمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(٤).

ج - هداية التوفيق والإلهام، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥).

د - الهداية إلى الجنة يوم القيامة ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(٦).

(١) مسلم، كتاب الذِّكْرِ والدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٧.

(٢) مسلم كتاب الذِّكْرِ والدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٦.

(٣) سورة الأعلى، الآية: ٣.

(٤) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(٥) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

٢١ - دعاء سجود التلاوة

٥٠- (١) «سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٧٧- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها (٢)، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ: «سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ، وَبَصَرَهُ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ»، وَهَذَا لَفْظُ التِّرْمِذِيِّ (٣).

١٧٨- وَلَفْظُ الْحَاكِمِ: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ: «سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» (٤).

١٧٩- وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها (٥)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، يَقُولُهُ فِي السَّجْدَةِ مَرَّاتًا: «سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ» (٦).

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول في سجود القرآن، برقم ٣٤٢٥، وأبو داود، كتاب الوتر، باب ما يقول إذا سجد، برقم ١٤١٥، وأحمد، ٢٣/٤٠، برقم ٢٤٠٢٢، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ٢٢٠/١، والزيادة بين المعقوفين له، والآية رقم ١٤ من سورة المؤمنون، وصححه الألباني في المشكاة، برقم ١٠٣٥، وصحيح سنن أبي داود، برقم ٧٣٨.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٢٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الحاكم، ٢٢٠/١، وصححه الألباني في المشكاة، برقم ١٠٣٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٦) مسند أحمد، ٢١/٤٣، برقم ٢٥٨٢٢، وأبو داود، كتاب سجود القرآن، باب ما يقول إذا سجد، برقم

١٤١٤، وصححه محققو المسند، ٢١/٤٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/١٥٧.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «سجد وجهي»: خص الوجه بالسجود لأنه أشرف الأعضاء. قال ابن العربي رحمته الله: «والمراد في هذا الحديث: سجدت جُمْلتي ورأسي»^(١).
- ٢- قوله: «لِلَّذِي خَلَقَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ»: هذا من ذكر العام وهو خلق الوجه، ثم الخاص وهو شق السمع والبصر، قال القرطبي رحمته الله: «أي: خلق فيه السمع والبصر»^(٢)، وقال الفيومي رحمته الله: «خَلَقَ اللَّهُ الْأَشْيَاءَ خَلْقًا، وَهُوَ الْخَالِقُ وَالْخَلْقُ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَلَا تَجُوزُ هَذِهِ الصِّفَةُ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَصْلُ الْخَلْقِ التَّقْدِيرُ ... وَالْخَلْقُ الْمَخْلُوقُ»^(٣).
- ٣- قوله: «بحوله»: يقال حال الشخص يحول، إذا تحرك، المعنى: لاحتمة وقوة إلا بمشيئة الله تعالى، وقيل: الحول: الحيلة، والأول أشبه، ومنه الحديث: «اللهم بك أصول، وبك أحول»^(٤)، أي أتحرّك، وقيل: أحتال، وقيل: أَدفع، وأمنع، من حال بين الشيئين، إذا منع أحدهما عن الآخر»^(٥).
- ٤- قوله: «قوته»: اغْتَرِافٍ بِالْإِذْعَانِ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا صَانِعَ غَيْرُهُ، وَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فِي الْأَمْرِ»^(٦).
- ٥- قوله: «فَتَبَارَكَ اللَّهُ»: قال العلامة السعدي رحمته الله: «أي: تعالى، وتعظيم، وكثر خيره»^(٧).
- ٦- قوله: «أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»: قال العلامة السعدي رحمته الله: «... فخلقه كله

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، ٢/ ١٣٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٤٤.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات حديث المتن رقم ٤٤.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٨٠، مادة (خلق).

(٤) أبو داود، برقم ٢٦٣٢، والترمذي، برقم ٣٥٨٤، ويأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١٢٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٦١، مادة (حول).

(٦) انظر: تحفة الأحوذى، ٩/ ٣٠١.

(٧) تفسير السعدي، ص ٥٤٨.

حسن، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق؛ ولهذا كان خواصه أفضل المخلوقات وأكملها، أي أن خلق الله كله حسن، والإنسان هو أفضل مخلوقاته»^(١)، وقال الإمام ابن القيم رحمته الله في قوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: «أي: أحسن المصورين والمقدّرين، والعرب تقول: قدّرت الأديم، وخلقته، إذا قصته لتقطع منه مزادة، أو قربة ونحوها، قال مجاهد: يصنعون، ويصنع الله، والله خير الصانعين»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث

- ١- سجود التلاوة سنة وليس بواجب وهذا هو الراجح من أقوال أهل العلم، لما يلي:
 - أ - أن زيد بن ثابت رضي الله عنه عندما قرأ على النبي ﷺ سورة النجم لم يسجد فيها^(٣)، ولو كان السجود واجباً لم يقره النبي ﷺ على ترك السجود.
 - ب - أن عمر رضي الله عنه قرأ على المنبر بسورة النحل فلما أتى السجود نزل وسجد، وسجد الناس، ثم أنه قرأها في الجمعة التالية ولم يسجد، وقال: «فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه»^(٤)، وكان هذا في حضور الصحابة، ولم ينكر عليه أحد، وهو كذلك أحد الخلفاء الراشدين المهدين.
 - ج - فعل النبي ﷺ للشيء على سبيل التعبد يقتضي سنّيته لا وجوبه، إلا أن يقرن بأمر، أو يكون بياناً لأمر، وعلى هذا يحمل قول ابن عمر رضي الله عنهما: «كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد، ونسجد معه، حتى ما

(١) انظر: تفسير السعدي، ص ٥٤٨، وص ٩٢٩.

(٢) شفاء العليل، ص ١٣١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٤٤.

(٣) البخاري، كتاب سجود القرآن، باب من قرأ السجدة ولم يسجد، برقم ١٠٧٣، وانظر: الشرح

الممتع لابن عثيمين، ٩١ / ٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات حديث المتن رقم ٤٤.

(٤) البخاري، كتاب سجود القرآن، باب من رأى أن الله ﷻ لم يوجب السجود، برقم ١٠٧٧.

يجد أحدنا موضعاً لجبهته»^(١).

٢- سجود التلاوة إنما هو سنة للقارئ والمستمع، وهو الذي ينصت للقارئ ويتابعه في الاستماع، بخلاف السامع الذي يسمع الشيء دون أن ينصت إليه، ودليل ذلك حديث ابن عمر السابق.

٣- إن لم يسجد القارئ لم يسجد المستمع لأن سجود المستمع تبع لسجود القارئ فالقارئ أصل والمستمع فرع له فالقارئ كالإمام، والمستمع كالمأموم ودليل ذلك حديث زيد بن ثابت السابق ذكره حيث أقره النبي ﷺ على عدم سجوده، وسكت عن ذلك.

٤- الصواب أن سجود التلاوة لا يشترط له ما يشترط لصلاة النفل من الطهارة عن الحدث، والنجس، وستر العورة، واستقبال القبلة، ولكن يستحب ذلك، وهو الأفضل، كما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وبه قال ابن باز، وابن عثيمين رحمهم الله تعالى^(٢).

٥- قال ابن تيمية: لا يشرع لسجود التلاوة تكبيرة الإحرام، ولا التحليل^(٣).

٥١- (٢) «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ»^(٤).

(١) البخاري، كتاب سجود القرآن، باب من سجد لسجود القارئ، برقم ١٠٧٥.

(٢) انظر تعليق الشيخ / سعيد القحطاني حفظه الله على شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة للشيخ / مجدي بن عبد الوهاب، الطبعة الأولى، ص ١١٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٣/ ١٦٥، ١٧٠.

(٤) الترمذي، كتاب أبواب السفر والكسوف، باب ما يقول في سجود القرآن، برقم ٥٧٩، وفي كتاب الدعوات، باب ما يقول في سجود القرآن، برقم ٣٤٢٤، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب سجود القرآن، برقم ١٠٥٣، والحاكم وصححه،

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٨٠- لفظ الترمذي: عن ابن عباس رضي الله عنهما ^(١) قال: جاء رجل ^(٢) إلى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي أَصْلِي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ، فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقْبَلْهَا مِنِّي كَمَا تَقْبَلُتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ»، قَالَ الْحَسَنُ: قَالَ لِي ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ لِي جَدُّكَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ ^(٣).

١٨١- ولفظ ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنِّي أَصْلِي إِلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، فَقَرَأْتُ السَّجْدَةَ فَسَجَدْتُ، فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ: «اللَّهُمَّ اخْطُطْ عَنِّي بِهَا وَزْرًا، وَاكْتُبْ لِي بِهَا أَجْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ الَّذِي أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ ^(٤).

١٨٢- ولفظ الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ: كَأَنِّي أَصْلِي

ووافقه الذهبي، ٢١٩/١، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٥٧٩، وحسن الألباني رواية ابن ماجه في صحيح ابن ماجه، برقم ٨٦٥، والمشكاة، برقم ١٠٣٦، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ٢٧١٠.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٢) هو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، وتقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٥٧٩، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٥٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) ابن ماجه، برقم ١٠٥٣، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٥٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

خَلْفَ الشَّجَرَةِ، فَرَأَيْتُ كَأَنِّي قَرَأْتُ سَجْدَةً، فَسَجَدْتُ فَرَأَيْتُ الشَّجَرَةَ كَأَنَّهَا تَسْجُدُ بِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ سَاجِدَةٌ وَهِيَ تَقُولُ: «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي عِنْدَكَ بِهَا أَجْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَزْرًا، وَاقْبَلْهَا مِنِّي كَمَا قَبَلْتَ مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ السَّجْدَةَ، ثُمَّ سَجَدَ فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ مِثْلَ مَا قَالَ الرَّجُلُ عَنْ كَلَامِ الشَّجَرَةِ^(١).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولِهَا، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمَفْرَدِ»^(٢)، وقال القرطبي: «كُتِبَ: أَثْبَتَ ... وَقِيلَ: كُتِبَ أَي: جَمَعَ»^(٣)، وقال القاري رحمته الله: «أَي: أَثْبَتَ لِأَجْلِي بِهَا: أَي: بِسَبَبِ هَذِهِ السَّجْدَةِ، أَوْ بِمُقَابَلَتِهَا...عِنْدَكَ... أَي: حَيْثُ لَا يَتَبَدَّلُ، أَوِ الْمُرَادُ مِنْ فَضْلِكَ، أَجْرًا: أَي: ثَوَابًا عَظِيمًا»^(٤).

٢- قوله: «احطط»: من: حط الشيء يحطه إذا أنزله وألقاه^(٥).

٣- قوله: «وضع عني بها وزرًا»: قال ابن منظور في تعليقه على الآية القرآنية: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾^(٦): «وَتَقْسِيرُ الْوِزْرِ هُنَا بِالْحِمْلِ الثَّقِيلِ، وَهُوَ الْأَصْلُ فِي اللُّغَةِ، أَوَّلَى مِنْ تَفْسِيرِهِ بِمَا يُخْبَرُ عَنْهُ بِالْمَغْفِرَةِ، وَلَا ذِكْرَ لَهَا فِي السُّورَةِ، وَيُحْمَلُ هَذَا عَلَى أَنَّهُ ﷺ وَضَعَ عَنْهُ وَزْرَهُ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَهُ مِنْ حَمْلِهِ: هَمَّ قُرَيْشٍ إِذْ لَمْ يُسَلِّمُوا، أَوْ هَمَّ الْمُنَافِقِينَ إِذْ لَمْ يُخْلِصُوا، أَوْ هَمَّ الْإِيمَانِ إِذْ لَمْ يُعَمِّ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ، أَوْ هَمَّ

(١) (الحاكم، ٢١٩/١، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٥٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) لسان العرب، ١٣/٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ٦، في المفردة رقم ٦.

(٣) تفسير القرطبي، ١٧/٣٠٨.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/٨١٧.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١/٤٠١.

(٦) سورة الشرح، الآية: ٢.

العالم إذ لم يَكُونُوا كُلُّهُمْ مُؤْمِنِينَ، أَوْ هَمَّ الْفَتْحُ إِذْ لَمْ يَعَجَلْ لِلْمُسْلِمِينَ، أَوْ هُمُومَ أُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَهَذِهِ أَوْزَارُهُ الَّتِي أَثْقَلَتْ ظَهْرَهُ ﷺ، رَغْبَةً فِي انْتِشَارِ دَعْوَتِهِ، وَخَشْيَةً عَلَى أُمَّتِهِ، وَمُحَافَظَةً عَلَى ظُهُورِ مِلَّتِهِ، وَحِرْصاً عَلَى صَفَاءِ شِرْعَتِهِ»^(١).

٤- قوله: «واجعلها لي عندك ذخراً»: أي عملاً أنتفع به يوم القيامة لا يصيبه ما يحبطه أو ينقصه، قال القاري رحمه الله: «وَاجْعَلْهَا لِي: أي: بِاعْتِبَارِ ثَوَابِهَا عِنْدَكَ ذُخْرًا: أي: كَنْزًا ضَخِيمًا، قِيلَ: ذُخْرًا بِمَعْنَى: أَجْرًا، وَكُرِّرَ لِأَنَّ مَقَامَ الدُّعَاءِ يُنَاسِبُ الإِطْنَابَ، وَقِيلَ: الْأَوَّلُ طَلَبُ كِتَابَةِ الْأَجْرِ، وَهَذَا طَلَبُ بَقَائِهِ سَالِمًا مِنْ مُحِيطٍ، أَوْ مُبْطِلٍ، وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ»^(٢).

٥- قوله: «وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود»: إشارة إلى قوله ﷺ في شأن داود عليه السلام: «وَحَزَرَ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ»^(٣)، والمراد بالركوع هنا هو: السجود، وهذا شائع كما قال الشاعر:

فخر على وجهه راكعًا وتاب إلى الله من كل ذنب^(٤)

قال المباركفوري :: «كما تقبلتها من عبدك داود»: ليس المراد المماثلة من كل وجه، ... ما أريد بهذا إلا مطلق القبول... ولو قيل: وتقبلها مني قبولاً، مثل ما تقبلتها من عبدك داود، في أن كلا منهما فرد من أفراد مطلق القبول... والأقرب أن يعتبر التشبيه في الكمال، ويعتبر الكمال في قبول كل بحسب مرتبته»^(٥)، والعلم عند الله تعالى.

(١) لسان العرب، ٧/ ٢٤٤، مادة (نقض).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/ ٨١٧.

(٣) سورة ص، الآيةان: ٢٤ - ٢٥.

(٤) انظر: تفسير الجزائري، ص ١٥٢٣.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٤٤٨.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قص الرؤيا الصالحة على أهل الصلاح، والفضل في الدين، وهذا بخلاف الحلم الذي هو من الشيطان، فلا يحدث به أحداً، ويستعيذ بالله من شر الشيطان، ومن شر ما رأى.

٢- تسييح الجمادات أمر حقيقي، ولكننا لا نسمعه، ويؤيد ذلك قوله ﷺ: ﴿تَسِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(١).

٣- سجود التلاوة من الأمور التي يُغلب بها الشيطان؛ لقول النبي ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله! أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار»^(٢).

٤- سجديات القرآن خمس عشرة سجدة، منها سجدتان في سورة الحج:

١ - سورة الأعراف، آية ٢٠٦.

٢ - سورة الرعد، آية ١٥.

٣ - سورة النحل، آية ٥٠.

٤ - سورة الإسراء، آية ١٠٩.

٥ - سورة مريم، آية ٥٨.

٦ - سورة الحج، آية ١٨.

٧ - سورة الحج، آية ٧٧.

٨ - سورة الفرقان، آية ٦٠.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٢) ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب سجود القرآن، برقم ١٠٥٢، وصححه الألباني في «تخريج إصلاح المساجد من البدع والعوائد» للقسامي، ص ٦٩، وفي صحيح الجامع، برقم ٧٢٧.

٩ - سورة النمل، آية ٢٦.

١٠ - سورة السجدة، آية ١٥.

١١ - سورة ص، آية ٢٤.

١٢ - سورة فصلت، آية ٣٨.

١٣ - سورة النجم، آية ٦٢.

١٤ - سورة الانشقاق، آية ٢١.

١٥ - سورة العلق، آية ١٩.

٤- قال ابن عباس رضي الله عنهما: سجدة «ص» ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها^(١).

٥- قال الحافظ في الفتح: والمراد بالعزائم ما وردت العزيمة على فعله كصيغة الأمر مثلاً بناء على أن بعض المندوبات أكد من بعض عند من لا يقول بالوجوب^(٢).

٦- وقيل: إن سجدة ص سجدة شكر؛ لقول النبي ﷺ: «سجدها داود توبة ونسجدها شكراً»^(٣)، والصحيح الأول، وأنه يسجدها في الصلاة وخارج الصلاة^(٤): لأن النبي ﷺ سجد فيها، وكفى بذلك دليلاً.

(١) البخاري، كتاب سجود القرآن، باب سجدة ص، برقم ١٠٦٩.

(٢) فتح الباري، ٢/ ٦٨٣.

(٣) أخرجه النسائي بنحوه، كتاب الافتتاح، باب سجود القرآن: السجود في ص، برقم ٩٥٩،

والطبراني في الكبير بلفظه، ٣٤/ ١٢، برقم ١٢٣٨٦، والدارقطني، ٤٠٧/ ١، سجود القرآن، برقم ٤،

وصحح إسناده الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٧٠.

(٤) انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين، ٩٨.

٢٢ - التشهد

٥٢- «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٨٣- تشهد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ^(٢) قال: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا صَلَّي أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَلْيَنْكُم إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» وهذا لفظ البخاري^(٣).

١٨٤- ولفظ آخر للبخاري: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ،

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة، برقم ٨٣١، وكتاب الأذان، ما يتخير من الدعاء بعد التشهد برقم ٨٣٥، وكتاب العمل في الصلاة، باب من سمي قوماً أو سلم في الصلاة، برقم ١٢٠٢، وكتاب الاستئذان، باب الأخذ باليدين، برقم ٦٢٦٥، وكتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، برقم ٦٣٢٨، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٨٣١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ، أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو»^(١).

١٨٥- ولفظ آخر للبخاري: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا نَقُولُ: التَّحِيَّةُ فِي الصَّلَاةِ، وَنُسَمِّي، وَيُسَلِّمُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَقَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٢).

١٨٦- ولفظ آخر للبخاري أيضاً عن ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ^(٣) قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَفَى بَيْنَ كَفَيْهِ، التَّشَهُّدُ كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا، فَلَمَّا قُبِضَ قُلْنَا: السَّلَامُ يَعْنِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ^(٤).

١٨٧- وفي لفظ للبخاري أيضاً، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي الصَّلَاةِ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ - إِلَى قَوْلِهِ -

(١) البخاري، برقم ٨٣٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ١٢٠٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٤) البخاري، برقم ٦٢٦٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ صَالِحٌ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الثَّنَاءِ مَا شَاءَ»^(١).

١٨٨- وفي لفظ لمسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي الصَّلَاةِ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ»^(٢).

١٨٩- وفي لفظ لمسلم: عن ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّشْهَدَ، كَفَيَّ بَيْنَ كَفَيْهِ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَاقْتَصَّ التَّشْهَدَ بِمِثْلِ مَا اقْتَصَّوْا»^(٣).

١٩٠- تشهد عبد الله بن عباس رضي الله عنه، فعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه^(٤)، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشْهَدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَانَ يَقُولُ: «التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ، الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمَحٍ كَمَا يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ^(٥).

١٩١- تشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه^(٦) كَانَ وَهُوَ عَلَى

(١) البخاري، برقم ٦٣٢٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٥٥ - (٤٠٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ٥٩ - (٤٠٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٥) مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٣.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦١ من أحاديث الشرح.

الْمُنْبَرِ يُعَلِّمُ النَّاسَ التَّشَهُّدَ يَقُولُ: قُولُوا: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، الزَّكَايَاتُ لِلَّهِ، الطَّيِّبَاتُ، الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(١).

١٩٢- تشهد أبي موسى الأشعري ﷺ فعن حِطَّانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاشِيِّ^(٢)، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ^(٣) صَلَاةً، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْقَعْدَةِ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَقَرَّتِ الصَّلَاةُ بِالْبَرِّ وَالزَّكَاةِ؟ قَالَ: فَلَمَّا قَضَى أَبُو مُوسَى ﷺ الصَّلَاةَ وَسَلَّمْ، انْصَرَفَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ الْقَائِلُ كَلِمَةً كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: فَأَرَمَ الْقَوْمُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ الْقَائِلُ كَلِمَةً كَذَا وَكَذَا؟ فَأَرَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ يَا حِطَّانُ قُلْتَهَا؟ قَالَ: مَا قُلْتُهَا، وَلَقَدْ رَهَبْتُ أَنْ تَبْكَعَنِي بِهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا قُلْتُهَا، وَلَمْ أُرِدْ بِهَا إِلَّا الْخَيْرَ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى ﷺ: أَمَا تَعْلَمُونَ كَيْفَ تَقُولُونَ فِي صَلَاتِكُمْ؟ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَنَا، فَبَيَّنَ لَنَا سُبُتَنَا، وَعَلَّمَنَا صَلَاتَنَا، فَقَالَ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، ثُمَّ لِيُؤَمِّكُمْ أَحَدُكُمْ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا قَالَ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٤)، فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمْ اللَّهُ، فَإِذَا كَبَّرَ وَرَكَعَ، فَكَبِّرُوا وَارْكَعُوا، فَإِنَّ الْإِمَامَ يَزَكُّ قَبْلَكُمْ، وَيَزْفَعُ قَبْلَكُمْ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَتِلْكَ بَيْتُكَ، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، يَسْمَعُ اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، وَإِذَا كَبَّرَ وَسَجَدَ فَكَبِّرُوا، وَاسْجُدُوا؛ فَإِنَّ الْإِمَامَ يَسْجُدُ قَبْلَكُمْ،

(١) موطأ مالك، ٢/ ١٢٤، برقم ٣٠٠، ومسند الشافعي، ص ٢٣٧، برقم ١١٧٥، وصححه الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ١٦٣.

(٢) حطان بن عبد الله الرقاشي، بصري، ثقة، يروي عن: علي، وأبي موسى، روى عنه الحسن، ويونس بن جبير، مات في خلافة عبد الملك، وولاية بشر على العراق بعد السبعين. انظر: الثقات لابن حبان، ٢/ ١٠٨، وتقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ١/ ٣٩١.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٤) سورة الفاتحة، الآية رقم ٧.

وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَتِلْكَ بِتِلْكَ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْقَعْدَةِ، فَلْيَكُنْ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِ أَحَدِكُمْ: التَّحِيَّاتُ، الطَّيِّبَاتُ، الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(١).

١٩٣- تشهد عبد الله بن عمر رضي الله عنه: فعن ابن عمر رضي الله عنه^(٢)، عن رسول الله ﷺ في التشهد: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، الصَّلَوَاتُ، الطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» قال: قال ابن عمر: زدْتُ فيها: «وبركاته» «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قال ابن عمر: زدْتُ فيها: «وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ» التعظيمات لله، قال الإمام ابن رجب رحمته الله: «والتَّحِيَّاتُ: جمع تحية، وفسرت التحية بالملك، وفسرت بالبقاء، والدوام، وفسرت بالسلامة، والمعنى: أن السلامة من الآفات ثابت لله، واجب له لذاته، وفسرت بالعظمة، وقيل: إنها تجمع ذلك كله، وما كان بمعناه، وهو أحسن»، قال ابن قتيبة: إنما قيل: «التَّحِيَّاتُ» بالجمع؛ لأنه كان لكل واحد من ملوكهم تحية يُحَيَّا بها، فقيل لهم: «قولوا: التحيات لله» أي: أن ذلك يستحقه الله وحده^(٤)، وقال الحافظ ابن حجر: «قَوْلُهُ: «التَّحِيَّاتُ» جَمْعُ تَحِيَّةٍ، وَمَعْنَاهَا السَّلَامُ، وَقِيلَ: الْبَقَاءُ، وَقِيلَ الْعِظَمَةُ، وَقِيلَ السَّلَامَةُ مِنَ الْآفَاتِ، وَالنَّقْصُ، وَقِيلَ

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب التشهد، برقم ٩٧١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢٧٠/١،

وفي صفة صلاة النبي ﷺ، ص ١٧٦، وقال الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود، ٢/ ٢١٩: «إسناده صحيح».

(٤) فتح الباري لابن رجب، ٥/ ١٧٤.

الْمَلِك. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الضَّرِير: لَيْسَتْ التَّحِيَّةُ الْمَلِكَ نَفْسَهُ، لَكِنَّهَا الْكَلَامُ الَّذِي يُحْيَا بِهِ الْمَلِكُ، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: لَمْ يَكُنْ يُحْيَا إِلَّا الْمَلِكُ خَاصَّةً، وَكَانَ لِكُلِّ مَلِكٍ تَحِيَّةٌ تَخْصُهُ؛ فَلِهَذَا جُمِعَتْ، فَكَانَ الْمَعْنَى التَّحِيَّاتُ الَّتِي كَانُوا يُسَلِّمُونَ بِهَا عَلَى الْمُلُوكِ كُلِّهَا مُسْتَحَقَّةٌ لِلَّهِ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ، ثُمَّ الْبَغَوِيُّ: وَلَمْ يَكُنْ فِي تَحِيَّاتِهِمْ شَيْءٌ يَصْلُحُ لِلثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ، فَلِهَذَا أُبْهِمَتْ أَلْفَاظُهَا، وَاسْتُعْمِلَ مِنْهَا مَعْنَى التَّعْظِيمِ، فَقَالَ: قُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، أَيَّ أَنْوَاعِ التَّعْظِيمِ لَهُ، وَقَالَ الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ التَّحِيَّةِ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْمَعْنَايِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا، وَكَوْنِهَا بِمَعْنَى السَّلَامِ أَنْسَبُ هُنَا^(١).

٢- قوله: «والصلوات»: أي الفرض منها والنفل لله حقًا واستحقاقًا ويدخل في ذلك الدعاء، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالصَّلَوَاتُ هِيَ الصَّلَوَاتُ الْمَعْرُوفَةُ»^(٢).

٣- قوله: «والطيبات»: أي إن لله من الأوصاف والأفعال أطيها؛ لأنه طيب في ذاته وصفاته وأفعاله، وله كذلك من أعمال العباد، وأقوالهم أطيها؛ لأنه المستحق لذلك ﴿إِلَيْهِ يَضَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُهُ﴾^(٣)، أما الكلم الطيب فيدخل فيه قراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، والتحميد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وغيره، وأما العمل الصالح فهو شامل لأعمال القلوب والجوارح، وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالطَّيِّبَاتُ أَيُّ: الْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَاتِ»^(٤)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالطَّيِّبَاتُ: أَيُّ: مَا طَابَ مِنْ الْكَلَامِ، وَحَسُنَ أَنْ يُثْنَى بِهِ عَلَى اللَّهِ دُونَ مَا لَا يَلِيقُ بِصِفَاتِهِ، مِمَّا كَانَ الْمُلُوكُ

(١) فتح الباري لابن حجر، ٢/ ٣١٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١١٦.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١١٦.

يُحْيُونَ بِهِ، وَقِيلَ الطَّيِّبَاتِ ذَكَرَ اللَّهِ، وَقِيلَ الْأَقْوَالِ الصَّالِحَةِ كَالدُّعَاءِ وَالشَّعَاءِ، وَقِيلَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَهُوَ أَعَمُّ^(١).

٤ - قوله: «السلام عليك أيها النبي»: أما السلام فهو من أسماء الله ﷻ؛ لأنه هو السالم من كل عيب ونقص وآفة وفساد، والمعنى سلمك الله من كل مكروه وسوء، وإنما جاء الخطاب بالنبوة رفعة لقدره ومقامه، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «يَجُوزُ فِيهِ وَفِيمَا بَعْدَهُ أَيُّ: السَّلَامِ حَذَفَ اللَّامُ وَإِثْبَاتُهَا وَالْإِثْبَاتُ أَفْضَلُ وَهُوَ الْمَوْجُودُ فِي رِوَايَاتِ الصَّحِيحِينَ... قَالَ الطَّبَّيُّ: أَصْلُ سَلَامٍ عَلَيْكَ سَلَّمْتَ سَلَامًا عَلَيْكَ، ثُمَّ حُذِفَ الْفِعْلُ وَأَقِيمَ الْمَصْدَرُ مَقَامَهُ، وَغُذِلَ عَنِ النَّصْبِ إِلَى الرَّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى ثُبُوتِ الْمَعْنَى وَاسْتِقْرَارِهِ، ثُمَّ التَّعْرِيفُ إِمَّا لِلْعَهْدِ التَّقْدِيرِيِّ، أَيُّ: ذَلِكَ السَّلَامُ الَّذِي وُجِّهَ إِلَى الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَكَذَلِكَ السَّلَامُ الَّذِي وُجِّهَ إِلَى الْأُمَمِ السَّالِفَةِ عَلَيْنَا وَعَلَى إِخْوَانِنَا، وَإِمَّا لِلْجَنَسِ وَالْمَعْنَى أَنَّ حَقِيقَةَ السَّلَامِ الَّذِي يَعْرِفُهُ كُلُّ وَاحِدٍ وَعَمَّنْ يَصُدُّرُ وَعَلَى مَنْ يَنْزِلُ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَهْدِ الْخَارِجِيِّ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾^(٢)، قَالَ: وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ التَّقَادِيرُ أَوْلَى مِنْ تَقْدِيرِ النِّكَرَةِ، انْتَهَى^(٣)، وَقَالَ الْفَيْرُوزُ أَبَادِي رحمه الله: «وَأَمَّا التَّسْلِيمُ: وَهُوَ أَنْ يَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَأَيُّهَا الرُّسُولُ، وَفِي التَّشْهَدِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَلَوْ قَالَ فِي هَذَا الْوَقْتِ: الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ لِأَغْنَى عَنِ تَجْدِيدِ الصَّلَاةِ بَعْدَ التَّشْهَدِ، وَلَوْ أَخَّرَ السَّلَامَ إِلَى وَقْتِ الصَّلَاةِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ لِأَغْنَى عَنِ السَّلَامِ فِي التَّشْهَدِ، وَمَعْنَاهُ: السَّلَامُ - الَّذِي هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى -

(١) فتح الباري، ٢/ ٣١٣.

(٢) سورة النمل، الآية: ٥٩.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣١٣.

عليك، وتأويله: لا خَلُوتَ من الخيرات، والبركات، وسَلِمْتَ من المكاره، والآفات؛ إذ كان اسم الله تعالى إنما يُذكر على الأمور توقعاً لاجتماع معاني الخير، والبركة فيها، وانتفاء عوارض الخلل، والفساد عنها، ويُحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة، أي: ليكن قضاء الله تعالى عليك السلامة، أي: سَلِمْتَ من الملام والنقائص، فإذا قلت: اللهم سَلِّمْ على محمد؛ فإنما تريد منه: اللهم اكتب لمحمد في دعوته، وأمته، وذكره السلامة من كل نقص، فتزداد دعوته على ممر الأيام علواً، وأمته تكاثراً، وذكره ارتفاعاً^(١).

٥- قوله: «ورحمة الله»: الرحمة صفة من صفات الله تعالى تليق بجلاله وكماله، يرحم بها عباده، وينعم عليهم بها^(٢)، وليست رحمة الله كرحمة خلقه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣)، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «ورحمة الله: رحمة معطوفة على (السلام عليك) يعني: ورحمة الله عليك، فيكون عطف جملة على جملة والخبر محذوف، ويجوز أن يكون من باب عطف المفرد على المفرد، فلا يحتاج إلى تقدير الخبر، والرحمة إذا قرئت بالمغفرة، أو بالسلام صار لها معنى، وإن أفردت صار لها معنى آخر، فإذا قرئت بالمغفرة، أو بالسلام صار المراد بها: ما يحصل به المطلوب، والمغفرة والسلام: ما يزول به المرهوب، وإن أفردت شملت الأمرين جميعاً، فأنت بعد أن دعوت لرسول الله ﷺ بالسلام دعوت له بالرحمة؛ ليزول عنه المرهوب ويحصل له المطلوب»^(٤).

(١) الصَّلَات والبَشَر في الصلاة على خير البشر، للفيروزآبادي، ص ٦٦.

(٢) انظر: توضيح الأحكام للشيخ/ عبد الله البسام، ص ٢٦٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١٥٢.

٦- قوله: «وبركاته»: البركة بمعنى النماء والزيادة من كل خير، وهذه البركة تشمل:

أ - البركة في حياته، ويدخل فيها البركة في طعامه، وشرابه، وكسوته، وأهله، وعمله.

ب - البركة بعد موته بكثرة أتباعه وأتباعهم له فيما شرع^(١)، قال العلامة

ابن عثيمين رحمته الله: «وبركاته: جمع بَرَكَة، وهي الخير الكثير الثابت، لأن أصلها من الْبَرَكَة - بكسر الباء - والْبَرَكَة: مجتمع الماء الكثير الثابت، والْبَرَكَة: هي: النَّماء والزيادة في كل شيء من الخير، فما هي البركات التي تدعو بها للرَّسول عليه الصلاة والسلام بعد موته؟ ففي حياته ممكن أن يُبارك له في طعامه، في كسوته، في أهله، في عمله، فأما الْبَرَكَة بعد موته: فبكثرة أتباعه، وما يتبع فيه، فإذا قَدَرنا أن شخصاً أتباعه مليون رَجُل، وصار أتباعه مليونين فهذه بَرَكَة، وإذا قَدَرنا أن الأتباع يتطَوَّعون بعشر ركعات، وبعضهم بعشرين ركعة صار في الثاني زيادة، إذاً؛ نحن ندعو للرسول ﷺ بِالْبَرَكَة، وهذا يستلزم كَثَرَة أتباعه، وكَثَرَة عمل أتباعه؛ لأنَّ كلَّ عمل صالح يفعلُه أتباع الرَّسول عليه الصلاة والسلام، فله مثل أجورهم إلى يوم القيامة»^(٢).

٧- قوله: «السلام علينا»: هذا شامل لجميع من حضر هذه الصلاة:

إماماً، ومأموماً، وملائكة، قال ابن حجر رحمته الله: «السَّلام عَلَيْنَا اسْتِدْلٌ بِهِ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْبُدَاءِ بِالتَّقْصِ فِي الدُّعَاءِ»^(٣).

٨- قوله: «وعلى عباد الله الصالحين»: هذا تعميم بعد تخصيص وهم كل عبد

صالح في السماء والأرض، حي أو ميت: من بني آدم، ومن عالمي الملائكة والجن^(٤).

(١) انظر: الشرح الممتع، ١٥٣/٣.

(٢) انظر: الشرح الممتع، ١٥٣/٣.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٣١٤/٢.

(٤) انظر: الشرح الممتع، ١٥٤/٣.

٩- قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله»: أي أعترف وأقطع يقيناً أنه لا معبود بحق إلا الله، قال الراغب: «الشهادة قول صادر عن علم بمشاهدة بصيرة أو بصر»^(١)، قال العظيم أباذي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ، وَأَقْضِي، وَحَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ، وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ حُضُورِهِ»^(٢)، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله ﷻ.

١٠- قوله: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»: المعنى هو القطع الجازم أن محمداً عبد مرسل من قبل الله، ختم الله به الرسل، وأنه بلغ ما أرسله الله به، وما كتم من ذلك شيئاً وأن رسالته عامة: للجن، والإنس إلى قيام الساعة، و«قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: يُقَالُ: رَجُلٌ مُحَمَّدٌ وَمَحْمُودٌ إِذَا كَثُرَتْ خِصَالُهُ الْمَحْمُودَةُ... وَبِذَلِكَ سُمِّيَ نَبِيُّنَا ﷺ مُحَمَّداً، يَغْنِي لِعِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِكَثْرَةِ خِصَالِهِ الْمَحْمُودَةِ، أَلْهَمَ أَهْلَهُ التَّسْمِيَةَ بِذَلِكَ»^(٣).

١١- قوله: «جبريل، وميكائيل»: هما من الملائكة جبريل: رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في لغات: كسر الجيم والراء، وبعدها ياء ساكنة، والثانية كذلك إلا أن الجيم مفتوحة، والثالثة فتح الجيم والراء، وبهمزة بعدها ياء، يقال: هو اسم مركب من (جبر)، وهو العبد، و(إيل)، وهو الله تعالى، وفيه لغات غير ذلك^(٤).

١٢- قوله: «الزكيات»: قد تكرر في الحديث ذكر الزكاة، والتزكية، وأصل الزكاة في اللغة: الطهارة، والنماء، والبركة، والمدح، وكل ذلك قد استعمل في القرآن والحديث^(٥).

١٣- قوله: «وَأَقْتَصَّ الشَّهَادَ بِمِثْلِ مَا اقْتَضَوْا»: القص: القطع، أو تتبع الأثر،

(١) مفردات غريب القرآن، ١/ ٥٥٥.

(٢) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ١٢٠/ ٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١١٧/ ٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من حديث مفردات المتن رقم ٢٢.

(٤) انظر: المصباح المنير، ٩٠/ ١، مادة (جبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٣٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣٠٦/ ٢، مادة (زكا).

يقال: قَصَّ الأثر، واقتَصَهُ إذا تَبَّعَهُ، ومنه الحديث: «فجاء واقتص أثر الدم»^(١)، وحديث قصة موسى عليه السلام فقالت لأخته: قصيه^(٢).

١٤- قوله: «فأرم القوم»: قال ابن الأثير رحمته الله: «فَأَرَمَ القوم» أي: سَكَنُوا، وَلَمْ يُجِئُوا»^(٣).

١٥- قوله: «رهبت أن تبعكني»: قال القاضي عياض رحمته الله: «بفتح التاء والكاف... أي: تستقبلني بما أكره، وتُبَكِّتني، والبكع: التبكيت في الوجه»^(٤).

ثالثاً: ما استفاد من الحديث:

١- قال الإمام النووي رحمته الله: «هذا تشهدُ رسول الله ﷺ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، وفي هذا فائدة حسنة، وهي أن تشهدَه ﷺ، بلفظ تشهدنا»^(٥).

٢- قوله: «السلام عليك»: هذا الدعاء يفهم منه أشياء:

أ - الدعاء له بالسلامة حال حياته وقد فعله الصحابة رضي الله عنهم.

ب - الدعاء له بالسلامة من أهوال القيامة؛ لأن دعاء الرسل في هذه اليوم: «اللَّهُمَّ سلم سلم»^(٦).

(١) لم أجد هذا اللفظ إلا في المعاجم، كما هنا في النهاية، وفي لسان العرب أيضاً، ٧٤ / ٥، مادة (قص)، وقريب منه ألفاظ الحديث رقم ٣١٣ في صحيح البخاري، بلفظ: «فَأَجْبَذْتُهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ تَتَّبِعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِّ» وهو في مسلم، برقم ٣٣٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٧١ / ٤، مادق (قص).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٢٦٧، مادة (رهم).

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٨٨ / ١.

(٥) الأذكار، للنووي، ص ٩٠.

(٦) البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، برقم ٦٥٧٣.

ج - الدعاء بالسلامة لشرعه، ودينه من التحريف والتبديل والابتداع^(١).

٣- ما جاء عن عبد الله بن مسعود^(٢) أنهم لما قبض النبي ﷺ قالوا في التشهد: «السلام على النبي» ولم يقولوا: «السلام عليك أيها النبي» عده العلماء من اجتهداته التي تفرد بها ومعلوم أن تفرد الصحابي بقول أو فعل ليس بحجة، أما إجماعهم على أمر فهو حجة ولذلك خالفه من هو أعلم منه، وهو عمر حيث خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ وقال في التشهد: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»^(٣).

٤- ثم إن ابن مسعود نفسه كان يقول: «علمني رسول الله ﷺ وكفي بين كفيه التشهد كما يعلمني السورة من القرآن»^(٤). ولم يقل له قل بعد موتي السلام على النبي ورحمة الله وبركاته.

٥- البدء بالسلام قبل الرحمة في التشهد هو من باب التخلية قبل التحلية؛ لأن التخلية هي السلامة من النقائص والتحلية ذكر الأوصاف الكاملة فنبداً بطلب السلامة أولاً ثم بطلب الرحمة^(٥).

٦- أخبر الصادق المصدوق أن العبد إذا تشهد في الصلاة وقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصابت هذه الدعوة كل عبد لله صالح في السماء والأرض^(٦).

٧- ورد التشهد عن صحابة النبي ﷺ بألفاظ مختلفة ولكن أثبتها تشهد ابن مسعود الوارد في حديث الباب، وهذه أقوال بعض أهل العلم في هذا التشهد:

(١) انظر: الشرح الممتع، ١٤٩/٣.

(٢) البخاري، كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليدين، برقم ٦٢٦٥.

(٣) مالك في الموطأ، ٩٠/١١١، برقم ٢٠٣، قال ابن عثيمين: هذا السند من أصح الأسانيد.

(٤) البخاري، كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليدين، برقم ٦٢٦٥.

(٥) انظر: الشرح الممتع، لابن عثيمين، ١٥٢/٣.

(٦) مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٢.

- أ - قال الإمام مسلم رحمته الله: اتفق عليه الناس.
- ب - قال البزار: هو أصح حديث عندي في التشهد.
- ج - قال الترمذي: العمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين.
- د - قال أبو حنيفة وأحمد وجمهور العلماء: إن هذا التشهد له مرجحات كثيرة منها: الاتفاق على صحته، وتواتره، وهو أصح الشهادات، وأشهرها، وكونه محفوظ الألفاظ^(١).
- ٨ - قال الحافظ في الفتح: قال القفال في فتاويه: ترك الصلاة يضر بجميع المسلمين لأن المصلي يسلم على عباد الله الصالحين ويتركه للصلاة بكونه مقصرًا في حق كافة الصالحين والمسلمين^(٢).

(١) انظر ما كتبه الشيخ/ عبد الله البسام في توضيح الأحكام، ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) انظر: فتح الباري، ٢ / ٣٩٢.

٢٣ - الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد

٥٣- (١) «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، [في العالمين]» (١) «إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» (٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٩٤- لفظ البخاري: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي لَيْلَى (٣): لَقِينِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ (٤)، فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِيهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى

(١) ما بين المعقوفين زيادة عند: مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٥.

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٧٠، وكتاب التفسير، باب قوله: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» سورة الأحزاب، الآية: ٥٦، برقم ٤٧٩٧، وكتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦٣٥٧، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٦.

(٣) من كبار التابعين، ولد في خلافة الصديق وحدث عن جمع من الصحابة، قتل بواقعة الجمامم ٨٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/ ٢٦٢، ترجمة رقم ٩٦.

(٤) كعب بن عجرة ؓ الأنصاري السالمي المدني من أهل بيعة الرضوان، له عدة أحاديث. قال كعب كنت مع النبي ﷺ بالحديبية ونحن محرمون وقد صده المشركون، فكانت لي وفرة، فجعلت الهوام تساقط على وجهي، فمر بي النبي ﷺ وقال: «أتؤذيك هوام رأسك؟» البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، برقم ٤١٩٠، قلت: نعم، فأمر أن تحلق ونزلت في آية الفدية. مات عام ٥٢ هـ سير أعلام النبلاء، ٣/ ٥٢، ترجمة رقم (١٤).

مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(١).

١٩٥- ولفظ آخر للبخاري: عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٢).

١٩٦- ولفظ مسلم: عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيتُ كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٣).

١٩٧- ولفظ آخر للبخاري أيضاً: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيتُ كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٤).

(١) البخاري، برقم ٣٣٧٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ٤٧٩٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ٤٠٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، برقم ٦٣٥٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

١٩٨- وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه ^(١)، قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادَةَ، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلّي عليك يا رسول الله، فكيف نصلّي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ، حتى تمنّينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم» ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم صل على محمد»: اللهم: بِمَعْنَى: يا الله ^(٣)، وصلاة الله على رسوله: هي الثناء عليه في الملأ الأعلى.
قال البخاري رحمته الله: «قال أبو العالية: «صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء» ^(٤).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يُصَلُّونَ: يُبَرِّكُونَ» ^(٥)، فظهر أن الصلاة من الله على نبيه هي الثناء عليه في الملأ الأعلى أي: عند الملائكة المقربين، وإنما جاء ذكر النبي ﷺ باسمه العلم فقط؛ لأن هذا من باب الخبر، قال الطيبي

(١) عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج رضي الله عنه، هو مشهور بكنيته ويعرف بأبي مسعود البصري لأنه ﷺ كان يسكن بدياً، وهو أحدث من شهد العقبة سناً، ولم يشهد بدياً، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وقيل شهد بدياً، ولا يصح شهوده بدياً، نزل الكوفة وسكنها، واستخلفه علي في خروجه إلى صفين عليها، مات أبو مسعود سنة أربعين، وقيل مات أيام علي رضي الله عنه، وقيل غير ذلك، مات بالكوفة، وقيل مات بالمدينة، في خلافة معاوية رضي الله عنه. انظر: الاستيعاب، ٣/ ١٠٧٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٢/ ٤٩٣، ترجمة رقم ١٠٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٥٢٤.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٥.

(٣) انظر: لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله).

(٤) صحيح البخاري، ٦/ ١٢٠، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧.

(٥) صحيح البخاري، ٦/ ١٢٠، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧.

ﷺ: «عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف أجره ومثوبته، وقيل: لما أمرنا الله بالصلاة عليه، لم نبلغ قدر الواجب من ذلك، فأحلنا على الله تعالى، وقلنا: اللهم صل أنت على محمد؛ لأنك أعلم بما يليق»^(١)، وقال الإمام ابن القيم :: «الصلاة المأمور بها فيها [أي: آية الأحزاب] هي: الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته، وصلاة ملائكته، وهي ثناء عليه، وإظهار فضلته، وشرفه، وإرادة تكريمه، وتقريبه، فهي تتضمن الخبر، والطلب، وسوي هذا السؤال والدعاء منا نحن: صلاةً عليه لوجهين:

أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلي عليه، والإشادة بذكر شرفه، وفضله، والإرادة، والمحبة لذلك من الله تعالى، فقد تضمنت الخبر، والطلب.

والوجه الثاني: أن ذلك سوي منا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلي عليه، فصلاة الله عليه ثناؤه، وإرادته لرفع ذكره، وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه: سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به»^(٢).

وذكر الحافظ ابن حجر: عن جماعة أقوالاً في شرح معنى صلاة الله عليه بالمغفرة، وبالرحمة، ثم قال ﷺ: «وأولى الأقوال ما تقدم عن أبي العالية: أن معنى صلاة الله على نبيه: ثناؤه عليه، وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم عليه طلب ذلك له من الله تعالى، والمراد: طلب الزيادة، لا طلب أصل الصلاة»^(٣)، وقال أيضاً: «وقال الحليمي في الشعب: معنى الصلاة على النبي ﷺ: تعظيمه، فمعنى قولنا: اللهم صل على محمد: عظم محمدًا، والمراد: تعظيمه في الدنيا

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ١٠٣٩.

(٢) جلاء الأفهام، ص ١٦٢.

(٣) فتح الباري، ١١/ ١٥٦.

بإِعْلَاءِ ذِكْرِهِ، وإِظْهَارِ دِينِهِ، وإِبْقَاءِ شَرِيعَتِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِإِجْزَالِ مَثُوبَتِهِ، وَتَشْفِيعِهِ فِي أُمَّتِهِ، وَإِبْدَاءِ فَضِيلَتِهِ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَعَلَى هَذَا فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾: ادْعُوا رَبَّكُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ. انْتَهَى^(١).

٢- قوله: «وعلى آل محمد»: الآل: تأتي للأتباع على الدين، ويدل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢)، وإذا قُرِنَ الآل بالأتباع كقولنا: «آله وأتباعه، فيراد بالآل: المؤمنون من قرابته، وكذلك إذا قرن الآل، والأصحاب، والأتباع، فالآل قرابته المؤمنون، والأصحاب: صحابته، والأتباع: أتباعه على دينه، كقولنا: «اللهم صل على محمد، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه بإحسان»، وقال القرطبي رحمه الله: «اختلف في آله من هم؟ فقيل: أتباعه، وقيل: أمته، وقيل: آل بيته، وقيل: أتباعه من رهطه وعشيرته، وقيل: آل الرجل نفسه؛ ولهذا كان الحسن يقول: «اللهم صل على آل محمد»، واختلف النحويون: هل يضاف الآل إلى الْمُضْمَرِّ، أم لا يضاف إلا إلى الظاهر؟ فذهب النَّحَّاسُ، والزيدي، والكسائي، إلى أنه لا يقال إلا: «اللهم صل على محمد وآل محمد»، ولا يقال: وآله^(٣).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال، فقيل: هم الذين حرمت عليهم الصدقة... والقول الثاني: إن آل النبي ﷺ هم ذريته، وأزواجه خاصة... والقول الثالث: إن آله ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة... والقول الرابع: إن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته... والصحيح هو القول الأول، ويليه القول الثاني، وأما الثالث والرابع فضعيفان؛ لأن النبي ﷺ قد رفع الشبهة

(١) فتح الباري، ١١/ ١٥٦.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤/ ١٢٧.

بقوله ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِأَلِ مُحَمَّدٍ»^(١)، وقوله ﷺ: «إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ»^(٢)، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قَوْتًا»^(٣)، وهذا لا يجوز أن يُراد به عموم الأمة قطعاً، فأولى ما حُمِلَ عليه الآل في الصلاة: الآل المذكورون في سائر ألفاظه، ولا يجوز العدول عن ذلك»^(٤).

وقال الحافظ بن حجر رحمته الله: «وَاخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِآلِ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَالزَّاجِحُ أَنَّهُمْ مَنْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ ... وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ فِي أَثْنَاءِ حَدِيثِ مَرْفُوعٍ:

«إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَةُ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ»، وَقَالَ أَحْمَدُ: الْمُرَادُ بِآلِ مُحَمَّدٍ فِي حَدِيثِ التَّشَهُّدِ أَهْلُ بَيْتِهِ، وَعَلَى هَذَا فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ أَهْلُ عَوْضِ آلٍ؟ رَوَيْتَانِ عَنْهُمْ.

وَقِيلَ الْمُرَادُ بِآلِ مُحَمَّدٍ: أَزْوَاجُهُ، وَذُرِّيَّتُهُ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ طُرُقِ هَذَا الْحَدِيثِ جَاءَ بِلَفْظِ «وَأَلِ مُحَمَّدٍ»، وَجَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ مَوْضِعُهُ: «وَأَزْوَاجُهُ وَذُرِّيَّتُهُ»، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْآلِ الْأَزْوَاجَ وَالذَّرِّيَّةَ، وَتُعَقَّبُ بِأَنَّهُ ثَبَتَ الْجَمْعُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَيَحْمَلُ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الرِّوَاةِ حَفِظَ مَا لَمْ يَحْفَظْ غَيْرُهُ، فَالْمُرَادُ بِالْآلِ فِي التَّشَهُّدِ: الْأَزْوَاجُ، وَمَنْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ، وَيَدْخُلُ فِيهِمُ الذَّرِّيَّةُ، فَبِذَلِكَ يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ»^(٥).

وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «وَأَلِ مُحَمَّدٍ، قِيلَ: إِنَّهُمْ أَتْبَاعُهُ عَلَى دِينِهِ؛

(١) البخاري، برقم ١٤٨٥، ومسلم، برقم ١٠٦٩، ومسنّد أحمد، ١٣ / ١٨٠، برقم ٧٧٥٨، واللفظ له.

(٢) البخاري، برقم ٣٧١١، ومسلم، برقم ١٧٥٩.

(٣) البخاري، برقم ٦٤٦٠، ومسلم، برقم ١٠٥٥.

(٤) جلاء الأفهام، ص ٢١٠.

(٥) فتح الباري، ١١ / ١٦٠.

لأن آل الشخص: كل مَنْ يَتمِي إلى الشخص، سواءً بنسب، أم حَمِيَّة، أم معاهدة، أم موالاة، أم أتباع، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(١)، فيكون «آله» هم أتباعه على دينه، وقيل: «آل النبي ﷺ» قرابته المؤمنون، والقائل بذلك خَصَّ القرابة المؤمنين، فخرج بذلك سائر الناس، وَخَرَجَ بذلك كُلُّ مَنْ كَانَ كَافِرًا مِنْ قرابة النبي ﷺ، ولكن الصحيح الأول، وهو أن آل هم الأتباع، لكن لو قُرِنَ «الآل» بغيره، فقليل: على محمد، وآله، وأتباعه، صار المراد بالآل المؤمنين من قرابته»^(٢).

٣- قوله: «كما صليت على إبراهيم»: الكاف هنا للتعليل، وليس للتشبيه؛ وذلك لأن المقرر هو أن المشبه أدنى من المشبه به، ومعلوم أن محمداً وآله أفضل من إبراهيم وآله، وعلى هذا يكون المعنى أن هذا من باب التوسل بفعل الله السابق وهو الفضل على إبراهيم وآله إلى تحقيق فضل الله اللاحق وهو الفضل لمحمد وآله، قال العلامة ابن عثيمين: «وهذا هو القول الأصح الذي لا يرد عليه إشكال»^(٣).

٤- قوله: «وعلى آل إبراهيم»: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «هم ذُرِّيَّتُهُ مِنْ إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، كَمَا جَزَمَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّرَاحِ، وَإِنْ ثَبَتَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ لَهُ أَوْلَادٌ مِنْ غَيْرِ سَارَةَ، وَهَاجَرَ، فَهُمْ دَاخِلُونَ لَا مَحَالَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُرَادَ: الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ، بَلِ الْمُتَّقُونَ، فَيَدْخُلُ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَالصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، ذُونَ مَنْ عَدَاهُمْ، وَفِيهِ مَا تَقَدَّمَ فِي آلِ مُحَمَّدٍ»^(٤)، ويدخل في ذلك رسولنا الكريم ﷺ؛ لأنه من ولد إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ، وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ:

(١) سورة غافر، الآية ٤٦.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٣/ ١٢٥، وانظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٠٧.

(٣) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١٦٥-١٦٦.

(٤) فتح الباري، ١١/ ١٦٢.

«وَيَدْخُلُ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ خَلَائِقُ لَا يُخْصَوْنَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيٌّ، فَطَلَبَ الْحَاقَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ الَّتِي فِيهَا نَبِيٌّ وَاحِدٌ بِتِلْكَ الْجُمْلَةِ الَّتِي فِيهَا خَلَائِقُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ»^(١).

٥- قوله: «إِنَّكَ حَمِيدٌ»: أي: كثير المحامد فهو الحامد لعباده الذين اصطفاهم لإقامة شرعه ودينه، وهو المحمود من قبل أوليائه لما يتصف به من صفات الجلال والعظمة، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «الحميد: الذي تحمد فعالة، وهو بمعنى المحمود، والله تعالى الحميد، المحمود، المستحمد إلى عباده»^(٢)، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فالحميد هو الذي له من الصفات، وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محموداً، وإن لم يحمده غيره، فهو حميد في نفسه، والمحمود من تعلق به حمد الحامدين»^(٣)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «أَمَّا الْحَمِيدُ: فَهُوَ فَعِيلٌ مِنَ الْحَمْدِ بِمَعْنَى مَحْمُودٍ، وَأَبْلَغُ مِنْهُ، وَهُوَ مَنْ حَصَلَ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْحَمْدِ أَكْمَلُهَا، وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى الْحَامِدِ، أَي: يَحْمَدُ أَفْعَالِ عِبَادِهِ»^(٤).

٦- قوله: «مَجِيدٌ»: أي: متعظيم الأمجاد ومن ذلك كثرة الإحسان إلى عباده بما يفيض عليهم من الخيرات، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «والمجيد: الماجد، وهو ذو الشرف والكرم، يقال: مجد الرجل يمجد مجداً، ومجادة، ومجد يمجد لغتان، قال الحسن والكلبي: المجيد الكريم...المجيد: الرفيع، قال أهل المعاني: المجيد: الكامل الشرف، والرفعة، والكرم، والصفات المحمودة»^(٥)، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «المجيد، والمُجَدِّد، والكبير، والمُكَبَّر، والعظيم، والمُعَظَّم،

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٢٦.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، ٤/ ١٣٤.

(٣) جلاء الأفهام، ص ٣١٦.

(٤) فتح الباري، ١١/ ١٦٣.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات، ٤/ ١٣٤.

والحمد، والمجد إليهما يرجع الكمال كله؛ فإن الحمد يستلزم الثناء، والمجبة للمحمود، فمن أحببته، ولم تثن عليه، لم تكن حامداً له حتى تكون مثيلاً عليه، محباً له، وهذا الثناء والحب تبع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال، ونعوت الجلال، والإحسان إلى الغير؛ فإن هذه هي أسباب المجبة، وكلما كانت هذه الصفات أجمع، وأكمل، كان الحمد والحب أتم، وأعظم، والله سبحانه له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنه، فهو أحق بكل حمد، وبكل حب من كل جهة، فهو أهل أن يُحَبَّ لذاته، ولصفاته، ولأفعاله، ولأسمائه، ولإحسانه، ولكل ما صدر منه ﷺ، وأما المجد، فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال، والحمد يدل على صفات الإكرام، والله ﷻ ذو الجلال والإكرام، وهذا معنى قول العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، فلا إله إلا الله دال على ألوهيته، وتفرده فيها، فألوهيته تستلزم محبته التامة، والله أكبر دال على مجده وعظمته، وذلك يستلزم تعظيمه، وتمجيده، وتكبيره؛ ولهذا يقرن سبحانه بين هذين النوعين في القرآن كثيراً، كقوله: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾^(١)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وَأَمَّا الْمَجِيدُ: فَهُوَ مِنَ الْمَجْدِ، وَهُوَ صِفَةٌ مَنْ كَمُلَ فِي الشَّرَفِ، وَهُوَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ، كَمَا أَنَّ الْحَمْدَ يَدُلُّ عَلَى صِفَةِ الْإِكْرَامِ»^(٢).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله أيضاً: «ولما كانت الصلاة على النبي، وهي ثناء الله تعالى عليه، وتكريمه، والتنويه به، ورفع ذكره وزيادة حبه وتقريبه، كما تقدم، كانت مشتملة على الحمد والمجد، فكأن المصلي طلب من الله تعالى أن يزيد في حمده ومجده؛ فإن الصلاة عليه هي نوع حمد له، وتمجيد، هذا

(١) سورة هود، الآية: ٧٣.

(٢) جلاء الأفهام، ص ٣١٦ - ٣١٧.

(٣) فتح الباري، ١١ / ١٦٣.

حقيقتها، فذكر في هذا المطلوب الاسمين المناسبين له، وهما أسماء الحميد والمجيد، وهذا كما تقدم أن الداعي يشرع له أن يختم دعاءه باسم من الأسماء الحسنی مناسب لمطلوبه، أو يفتح دعاءه به، وتقدم أن هذا من قوله: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١)، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وَمُنَاسَبَةٌ خَتَمَ هَذَا الدُّعَاءُ بِهِذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ أَنَّ الْمَطْلُوبَ تَكْرِيمَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ، وَثَنَاءُ عَلَيْهِ، وَالتَّوْبَهُ بِهِ، وَزِيَادَةُ تَقَرُّبِهِ، وَذَلِكَ مِمَّا يَسْتَلْزِمُ طَلَبَ الْحَمْدِ وَالْمَجْدِ، فَقَبِي ذَلِكَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمَا كَالْتَعْلِيلِ لِلْمَطْلُوبِ، أَوْ هُوَ كَالْتَذْيِيلِ لَهُ، وَالْمَعْنَى: إِنَّكَ فَاعِلٌ مَا تَسْتَوْجِبُ بِهِ الْحَمْدَ مِنَ النَّعْمِ الْمُتَرَادِفَةِ، كَرِيمٌ بِكَثْرَةِ الْإِحْسَانِ إِلَى جَمِيعِ عِبَادِكَ»^(٢)، واقتران الحميد مع المجيد بيان أن الله محمود على مجده وعظمته وكمال صفاته، فليس كل ذي شرف محمود وكذلك ليس كل محمود يكون ذا شرف^(٣).

٧- قوله: «اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد»: المراد بالبركة: هي الزيادة من الخير، والكرامة، وهي شاملة للبركة في العمل والبركة في الأثر المترتب على هذا العمل، قال القاضي عياض رحمته الله: «معنى البركة هنا: الزيادة من الخير والكرامة والتكثير منهما، ويكون بمعنى الثبات على ذلك من قولهم: بركت الإبل، وتكون البركة هاهنا بمعنى: التطهير والتزكية من المعاييب، ... نبينا ﷺ سأل ذلك لنفسه وأهل بيته؛ ليتم النعمة عليهم والبركة كما أتمها على إبراهيم وآله، وقيل: بل سأل ذلك لأمته ليثابوا على ذلك، وقيل: بل ليبقى له ذلك دائماً إلى يوم الدين، ويجعل له به لسان صدق في

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) جلاء الأفهام، ص ٣١٨.

(٣) فتح الباري، ١١ / ١٦٣.

(٤) انظر: النهج الأسْمَى للنجدي، ١ / ٤٣٤.

الآخرين، كما جعله لإبراهيم»^(١)، وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «والبركة: النماء، والزيادة، والتبريك: الدعاء بذلك، ويقال: باركه الله، وبارك فيه، وبارك عليه، وبارك له... فهذا الدعاء يتضمن إعطائه من الخير ما أعطاه لآل إبراهيم، وإدامته، وثبوته له، ومضاعفته، وزيادته، هذا حقيقة البركة»^(٢).

٨- قوله: «كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد»: قال الإمام النووي رحمته الله: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَى الْبَرَكَةِ هُنَا الزِّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْكَرَامَةِ، وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى التَّطْهِيرِ، وَالتَّزْكِيَةِ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْحِكْمَةِ فِي قَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ» مَعَ أَنَّ مُحَمَّدًا عليه السلام أَفْضَلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، قَالَ الْقَاضِي عِيَّاض رحمته الله: أَظْهَرَ الْأَقْوَالُ أَنَّ نَبِيَّنَا عليه السلام سَأَلَ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ؛ لِيَتِمَّ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِهِ، وَقِيلَ: بَلْ سَأَلَ ذَلِكَ لِأُمَّتِهِ، وَقِيلَ: بَلْ لِيَتَقَى ذَلِكَ لَهُ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَجْعَلَ لَهُ بِهِ لِسَانٌ صِدْقٌ فِي الْآخِرِينَ، كإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَقِيلَ: سَأَلَ صَلَاةً يَتَّخِذُ بِهَا خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ... وَالْمُخْتَارُ فِي ذَلِكَ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: ... أَنَّ مَعْنَاهُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَتَمَّ الْكَلَامَ هُنَا، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ: وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، أَيْ: وَصَلِّ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، فَالْمَسْئُولُ لَهُ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ وَآلِهِ، هُمْ آلُ مُحَمَّدٍ عليه السلام لَا نَفْسَهُ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: مَعْنَاهُ: اجْعَلْ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَاةً مِنْكَ، كَمَا جَعَلْتَهَا لِإِبْرَاهِيمَ وَآلِهِ، فَالْمَسْئُولُ الْمُشَارَكَةُ فِي أَضْلِ الصَّلَاةِ لَا قُدْرَةَ.

الْقَوْلُ الثَّلَاثُ: أَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَالْمُرَادُ اجْعَلْ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَاةً، بِمِقْدَارِ

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٣٠٣، وانظر: جلاء الأفهام للإمام ابن القيم، ص ٣٠٢.

(٢) جلاء الأفهام، ص ٣٠٢ - ٣٠٨.

الصَّلَاةُ الَّتِي لِإِبْرَاهِيمَ وَآلِهِ، وَالْمَسْئُولُ مُقَابَلَةَ الْجُمْلَةِ؛ فَإِنَّ الْمُخْتَارَ فِي الْآلِ كَمَا قَدَّمَاهُ أَنَّهُمْ جَمِيعُ الْأَتْبَاعِ، وَيَدْخُلُ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ خَلَائِقٌ لَا يُحْصُونَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيٌّ، فَطُلِبَ إلْحَاقُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ الَّتِي فِيهَا نَبِيٌّ وَاحِدٌ بِتِلْكَ الْجُمْلَةِ الَّتِي فِيهَا خَلَائِقٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

وذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الأَقْوَالُ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: «وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: آلُ إِبْرَاهِيمَ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ لَيْسَ فِي آلِ مُحَمَّدٍ مِثْلُهُمْ؛ فَإِذَا طُلِبَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلَآلَهُ مِنَ الصَّلَاةِ مِثْلُ مَا لِإِبْرَاهِيمَ وَآلِهِ، وَفِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ، حَصَلَ لَآلِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَلِيقُ بِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَبْلُغُونَ مَرَاتِبَ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَبْقَى الزِّيَادَةُ الَّتِي لِلْأَنْبِيَاءِ، وَفِيهِمُ إِبْرَاهِيمُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ مِنَ الْمَزِيَّةِ مَا لَمْ يَحْصُلْ لغيره.

وتقرير ذلك: أَنْ يَجْعَلَ الصَّلَاةُ الْحَاصِلَةَ لِإِبْرَاهِيمَ وَلَآلِهِ، وَفِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ جُمْلَةً مَقْسُومَةً عَلَى: مُحَمَّدٍ ﷺ وَآلِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ لَآلِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلُ مَا حَصَلَ لَآلِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ، بَلْ يَحْصُلُ لَهُمْ مَا يَلِيقُ بِهِمْ، فَيَبْقَى قِسْمُ النَّبِيِّ ﷺ، وَالزِّيَادَةُ الْمَتَوَفَّرَةُ الَّتِي لَمْ يَسْتَحِقَّهَا آلُهُ مَخْتَصَةً بِهِ ﷺ، فَيَصِيرُ الْحَاصِلُ لَهُ مِنْ مَجْمُوعِ ذَلِكَ أَعْظَمَ، وَأَفْضَلَ مِنَ الْحَاصِلِ لِإِبْرَاهِيمَ، وَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ.

وأحسن منه أَنْ يَقَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ، بَلْ هُوَ خَيْرُ آلِ إِبْرَاهِيمَ، كَمَا رَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مُحَمَّدٌ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ»^(٣)، وَهَذَا نَصٌّ؛ فَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ غَيْرُهُ

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

(٣) ذكره في تفسير الطبري، ٥/ ٣٢٩ عَنْ قَتَادَةَ، وَاسْتَشْهَدَ الشَّيْخُ الْأَبَانِيُّ بِكَلَامِ ابْنِ الْقَيْمِ فِي كِتَابِهِ صِفَةُ الصَّلَاةِ، دُونَ التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ، انْظُرْ: صِفَةُ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ص ١٦٨.

من الأنبياء الذين هم من ذرية إبراهيم في آله، فدخل رسول الله ﷺ أولى، فيكون قولنا: كما صليت على آل إبراهيم متناولاً للصلاة عليه، وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم.

ثم قد أمرنا الله أن نصلي عليه، وعلى آله خصوصاً بقدر ما صلينا عليه مع سائر آل إبراهيم عموماً، وهو فيهم، ويحصل لآله من ذلك ما يليق بهم، ويبقى الباقي كله له ﷺ.

وتقرير هذا أنه يكون قد صلى عليه خصوصاً، وطلب له من الصلاة ما لآل إبراهيم، وهو داخل معهم، ولا ريب أن الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم، ورسول الله ﷺ معهم، أكمل من الصلاة الحاصلة له دونهم، فيطلب له من الصلاة هذا الأمر العظيم الذي هو أفضل مما لإبراهيم قطعاً، ويظهر حينئذ فائدة التشبيه، وجريه على أصله، وأن المطلوب له من الصلاة بهذا اللفظ أعظم من المطلوب له بغيره؛ فإنه إذا كان المطلوب له بغيره، فإنه إذا كان المطلوب بالدعاء إنما هو مثل المُشَبَّه به، وله أوفر نصيب منه، صار له من المشبه المطلوب أكثر مما لإبراهيم وغيره، وانضاف إلى ذلك مما له من المُشَبَّه به من الحصة التي لم تحصل لغيره.

فظهر بهذا من فضله، وشرفه على إبراهيم، وعلى كل من آله، وفيهم النبيون، ما هو اللائق به، وصارت هذه الصلاة دالة على هذا التفضيل، وتابعة له، وهي من موجباته، ومقتضياته، فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، وجزاه عنّا أفضل ما جزى نبياً عن أمته، اللّهُمَّ صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»^(١).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، الكاف هنا للتعليل، وهذا من باب التوسل بأفعال الله السابقة إلى أفعاله اللاحقة، يعني كما مننت بالصلاة على إبراهيم وآله، فامنن بالصلاة على محمد وآله ﷺ، فهي من باب التعليل، وليست من باب التشبيه، وبهذا يزول الإشكال الذي أورده بعض أهل العلم رحمهم الله؛ حيث قالوا: كيف تلحق الصلاة على النبي ﷺ وآله بالصلاة على إبراهيم وآله، مع أن محمداً أشرف من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالجواب أن الكاف هنا ليست للتشبيه، ولكنها للتعليل، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد: حميد يعني محمود، مجيد يعني ممجد، والمجد هو: العظمة، والسلطان، والعزة، والقدرة، وما إلى ذلك، «اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»، كذلك أيضاً التبريك: تقول: اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، أي أنزل فيهم البركة، والبركة هي الخير الكثير الواسع الثابت، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، هذه هي الصلاة على النبي ﷺ، وعلى آله وسلم، وهذه هي الصفة الفضلى، وإذا اقتصرنا على قولك: اللهم صل على محمد، كما فعل العلماء في جميع مؤلفاتهم، إذا ذكروا الرسول لم يقولوا هذه الصلاة المطوّلة؛ لأن هذه هي الكاملة، وأما أدنى مجزئ فإن تقول: اللهم صل على محمد»^(١).

٩- قوله: «حَتَّى تَمَيَّنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ»: مَعْنَاهُ كَرِهْنَا سُؤَالَ مَخَافَةٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ كَرَهُ سُؤَالَ وَشَقَّ عَلَيْهِ^(٢).

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٠٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٢٥.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- عظيم حق النبي ﷺ علينا؛ لأنه هو الذي دلنا على ما نحن فيه من الخير، فكان من حقه علينا أن نذكر ذلك وندعوا له في كل صلاة: فرضاً كانت، أم نفلاً.
٢- سؤال الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ عن كيفية الصلاة عليه لما أمرهم الله بذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) هو من باب العلم قبل القول والعمل^(٢).

٣- سؤال الصحابة عن كيفية الصلاة عليه وليس عن الحكم؛ لأنهم يعلمون أن مطلق الأمر يكفي فيه أي صيغة، وإنما هم أرادوا الأكمل والأفضل فدلهم على ذلك.

٤- وهذا فيه ما كان عليه الصحابة وسلف هذه الأمة من تعظيم السنة والفرح بها وأن ذلك كان من نفائس الأمور التي يتهادون بها. ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣).



٥٤- (٢) «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٤).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٩٠٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٤) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٦٩، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٧، واللفظ له.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٩٩- لفظ مسلم: عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ^(١)، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٢).

٢٠٠- ولفظ البخاري: عن أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ^(٣)، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٤).

٢٠١- وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»، قَالَ ابْنُ طَاوُسٍ: وَكَانَ أَبِي يَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ^(٥).

٢٠٢- وعند الدارقطني عن أبي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ عُبَيْدَةَ بْنِ عَمْرِو^(٥) قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلَاتِنَا؟

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٦ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٤٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) البخاري، برقم ٦٣٦٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسند أحمد، ٣٨/٢٣٧، برقم ٢٣١٧٤، وصححه الألباني في صفة الصلاة، ص ١٧٩، وصححه محققو المسند، ٣٨/٢٣٨.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٩٨ من أحاديث الشرح.

قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(١).

٢٠٣- ولفظ أحمد عن أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو ﷺ، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلَاتِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ، فَقَالَ: «إِذَا أَنْتُمْ صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٢).

٢٠٤- عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ^(٣)، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ [ابن أبي لیلی]: وَنَحْنُ نَقُولُ وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ»^(٤).

(١) سنن الدارقطني، ١٦٨/٢، وقال: «هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ مُتَّصِلٌ» وقال شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام للإمام ابن القيم، ص ٢٩٥: «وهو حديث حسن كما قال الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ» وأقره الألباني في صفة الصلاة، ص ١٨٠، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٥٥، برقم ٥٩، وحسن إسناده الألباني في تحقيقه.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/٣٠٤، برقم ١٧٠٧٢، وصححه محققو المسند.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٩٤ من أحاديث الشرح.

(٤) سنن النسائي، كتاب السهو، نوع آخر، برقم ١٢٨٨، وأحمد، ٣٣/٣٠، برقم ١٨١٠٥، و٥٢/٣٠، برقم ١٨١٢٣، و٥٧/٣٠، برقم ١٨١٣٣، وصححها كلها محققو المسند، وصححه الألباني في

٢٠٥- وعند البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه ^(١) قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا التَّسْلِيمُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ»، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنِ اللَّيْثِ: «عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ»، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ وَالدَّرَاوَرْدِيُّ عَنْ يَزِيدَ، وَقَالَ: «كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارَكْتَ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ» ^(٢).

٢٠٦- وعند البخاري أَيْضاً عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ» ^(٣).

٢٠٧- وعند الطحاوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(٤) قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ» ^(٥).

صحيح النسائي، برقم ١٢٨٨، وقال في صفة صلاة النبي ﷺ ص ١٨٠: «بسند جيد».

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿نُؤَيِّدُكُم بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ يَتَّبِعُونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] برقم ٤٧٩٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦٣٥٨.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) شرح مشكل الآثار للطحاوي، ١٤/٦، و معجم ابن الأعرابي، ٤٢١/٢، برقم ٨٢٣، قال الألباني

في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ١٨١: «بسند صحيح، وعزاه ابن القيم في الجلاء لمحمد بن إسحاق السراج، ثم صححه».

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم صل على محمد»: الصلاة من الله على نبيه هي الثناء عليه في الملائكة الأعلى أي: عند الملائكة المقربين^(١).

٢- قوله: «وعلى أزواجه»: هن أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن، وقال ابن الجوزي رحمته: «والأزواج جمع زوج، والفصيح من الكلام أن يقال لامرأة الرجل زوج بغير هاء، وبذلك جاء القرآن»^(٢).

٣- قوله: «وذريته»: الذرية هي النسل، وقد يختص بالنساء والأطفال، وقد يطلق على الأصل^(٣)، وقال ابن الجوزي رحمته: «والذرية فيها قولان: أحدهما: أنها من الدر، لأن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذر، والثاني: أن أصلها ضرورة... ثم أدغمت الواو في الياء فصارت ذرية»^(٤)، قال الإمام ابن القيم رحمته: «اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، وفي هذا الحديث يعني: حديث أبي حميد: «اللهم صل على محمد، وأزواجه، وذريته» قالوا: فهذا تفسير ذلك الحديث، ويبين أن آل محمد هم أزواجه، وذريته... قالوا: والآل، والأهل سواء، وآل الرجل وأهله سواء، وهم: الأزواج، والذرية بدليل هذا الحديث»^(٥).

٤- قوله: «وعلى أهل بيته»، قال في الفتح الرباني: «قال النووي رحمته: اختلف العلماء في آل النبي ﷺ على أقوال، أظهرها، وهو اختيار الأزهر وغيره من المحققين: أنهم جميع الأمة، والثاني: بنو هاشم، وبنو المطلب،

(١) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٥٣.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ١٧٠ / ٢.

(٣) فتح الباري، ١٩٣ / ٨.

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ١٧٠ / ٢.

(٥) جلاء الأفهام، ص ٢١١.

والثالث: أهل بيته ﷺ، وذريته، والله أعلم. اهـ. قال الشوكاني: وقد ذهب نشوان الحميري إمام اللغة إلى أنهم جميع الأمة^(١).

٥- قوله: «كما صليت على إبراهيم»: معلوم أن محمدًا وآله أفضل من إبراهيم وآله، وعلى هذا يكون المعنى أن هذا من باب التوسل بفعل الله السابق وهو الفضل على إبراهيم وآله إلى تحقيق فضل الله اللاحق وهو الفضل لمحمد وآله^(٢).

٦- قوله: «وعلى آل إبراهيم»: وهم ذريته من إسماعيل وإسحاق وإن ثبت أن إبراهيم كان له أولاد من غير سارة وهاجر فهم داخلون لا محالة، ويدخل في ذلك رسولنا الكريم ﷺ؛ لأنه من ولد إبراهيم عليه السلام.

٧- قوله: «وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته»: المراد بالبركة: هي الزيادة من الخير، والكرامة، وهي شاملة للبركة في العمل والبركة في الأثر المترتب على هذا العمل، قال القاضي عياض رحمه الله: «معنى البركة هنا: الزيادة من الخير والكرامة والتكثير منهما، ويكون بمعنى الثبات على ذلك من قولهم: بركت الإبل، وتكون البركة هاهنا بمعنى: التطهير والتركية من المعايب، ... أن نبينا ﷺ سأل ذلك لنفسه وأهل بيته؛ ليتم النعمة عليهم والبركة كما أتمها على إبراهيم وآله، وقيل: بل سأل ذلك لأمته ليثابوا على ذلك، وقيل: بل ليبقى له ذلك دائمًا إلى يوم الدين، ويجعل له به لسان صدق في الآخرين، كما جعله لإبراهيم»^(٣).

٨- قوله: «وذريته»: الذرية هي النسل وقد يختص بالنساء والأطفال وقد

(١) الفتح الرباني بشرح مسند الإمام أحمد الشيباني، ١/ ٢٣.

(٢) قال ابن عثيمين: وهذا هو القول الأصح الذي لا يرد عليه إشكال، وانظر الشرح الممتع، ١٦٥،

١٦٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٥٣.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٣٠٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات حديث المتن رقم ٥٣.

يطلق على الأصل^(١)، وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «والذرية فيها قولان: أحدهما: أنَّها من الذر، لِأَنَّ الله أَخْرَجَ الْخَلْقَ مِنْ صَلْبِ آدَمَ كَالذَّرِّ، وَالثَّانِي: أَنَّ أَصْلَهَا ذُرَّةٌ... ثُمَّ أَدْغَمْتَ الْوَاوَ فِي الْيَاءِ فَصَارَ ذُرِّيَّةٌ»^(٢).

٩- قوله: «كما باركت على إبراهيم»: قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَى الْبَرَكَةِ هُنَا الزِّيَادَةُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْكَرَامَةِ، وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى التَّطْهِيرِ، وَالتَّرْكِيقَةِ...؛ فَإِنَّ الْمُخْتَارَ فِي الْأَلِ كَمَا قَدْ مَنَّا أَنَّهُمْ جَمِيعُ الْأَتْبَاعِ، وَيَدْخُلُ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ خَلَائِقُ لَا يُحْصُونَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيٌّ، فَطَلَبَ الْحَاقُّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ الَّتِي فِيهَا نَبِيٌّ وَاحِدٌ بِتِلْكَ الْجُمْلَةِ الَّتِي فِيهَا خَلَائِقُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٣).

١٠- قوله: «إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»: أي كثير المحامد فهو الحامد لعباده الذين اصطفاهم لإقامة شرعه ودينه، ومجيد: أي متعظم الأمجاد ومن ذلك كثرة الإحسان إلى عباده بما يفيض عليهم من الخيرات، واقتران الحميد مع المجيد بيان أن الله محمود على مجده وعظمته وكمال صفاته، فليس كل ذي شرف محمود وكذلك ليس كل محمود يكون ذو شرف^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- هل الأولى أن نسيّد النبي ﷺ في التشهد أم لا؟

سئل الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ عن صفة الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة أو خارجها، سواء قيل بوجوبها أو بنديتها، هل يشترط فيها قول سيدنا أم

(١). فتح الباري، ٨ / ١٩٣.

(٢). كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٢ / ١٧٠.

(٣). شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ١٢٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٥٣.

(٤). انظر النهج الأسنى للنجدي، ١ / ٤٣٤، وتقدم في شرح المفردتين ٥، و٦ من مفردات حديث المتن رقم ٥٣.

يقتصر على قوله اللهم صل على محمد؟

فأجاب: اتباع الألفاظ المأثورة أرجح، ولا يقال: لعله ﷺ ترك ذلك تواضعاً منه. ولو كان ذلك راجحاً لجاء عن الصحابة ثم عن التابعين^(١).

٢- هل يجوز أن نقول: اللهم صل على فلان؟

قال ابن القيم رحمه الله: المختار أن يُصلي على الأنبياء والملائكة وأزواج النبي وآله وذريته وأهل الطاعة على سبيل الإجمال، وتكره لغير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعاراً، لا سيما إذا ترك في حق مثله أو أفضل منه كما يفعله الرافضة، فلو اتفق وقوع ذلك مفرداً في بعض الأحيان من غير أن يتخذ شعاراً لم يكن به بأس، ولهذا لم يرد في حق غير من أمر النبي ﷺ بقول ذلك لهم وهم من أدى زكاته إلا نادراً^(٢).

وكلام الإمام ابن القيم رحمه الله: إشارة إلى قول النبي ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى»^(٣) وهذا دعاء لهم بالرحمة والمغفرة.

(١) فتح الباري، ٨/ ١٩٣.

(٢) انظر: صفة صلاة النبي للألباني، ٢١٩، ولفظ كلام ابن القيم في جلاء الأفهام، ص ٤٨١: «وفصل الخطاب في هذه المسألة: أن الصلاة على غير النبي إما أن يكون آله وأزواجه وذريته أو غيرهم، فإن كان الأول، فالصلاة عليهم مشروعة مع الصلاة على النبي، وجائزة مفردة، وأما الثاني: فإن كان الملائكة وأهل الطاعة عموماً؛ الذين يدخل فيهم الأنبياء وغيرهم، جاز ذلك أيضاً، فيقال: اللهم صل على ملائكتك المقربين، وأهل طاعتك أجمعين، وإن كان شخصاً معيناً، أو طائفة معينة، كره أن يتخذ الصلاة عليه شعاراً، لا يخل به، ولو قيل بتحريمه لكان له وجه، ولا سيما إذا جعلها شعاراً له، ومنع منها نظيره، أو من هو خير منه، وهذا كما تفعل الرافضة بعلي عليه السلام، فإنهم حيث ذكروه قالوا: عليه الصلاة والسلام، ولا يقولون ذلك فيمن هو خير منه، فهذا ممنوع لا سيما إذا اتخذ شعاراً لا يخل به، فتركه حيثنذ متعين، وإما أن صلى عليه أحياناً، بحيث لا يجعل ذلك شعاراً، كما صلى على دافع الزكاة، وكما قال ابن عمر للميت: صلى الله عليه، وكما صلى النبي على المرأة وزوجها، وكما روي عن علي من صلاته على عمر، فهذا لا بأس به، وبهذا التفصيل تتفق الأدلة، وينكشف وجه الصواب، والله الموفق».

(٣) البخاري، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، برقم ١٤٩٧.

٣- قال العلامة ابن عثيمين :: «ذكر الأزواج والذرية، وأزواج النبي ﷺ يعني زوجاته، اللائي مات عنهن تسع زوجات، وكان يقسم لثمانى زوجات منهن، وأما التاسعة سودة رضي الله عنها، فقد وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها، فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومين: يومها، ويوم سودة، وبقية الزوجات يقسم لهن النبي ﷺ بالعدل، يقسم بالعدل كما أمر بذلك، فالحاصل أن هذه الصفات الثلاث التي ذكر المؤلف : وساقها في أحاديث ثلاثة متقاربة، ولكنها تصف الكمال من صفة الصلاة عليه، فصلوات الله، وسلامه عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين»^(١).

(١) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٤٠٧.

٢٤ - الدعاء بعد التشهد الأخير قبل السلام

٥٥- (١) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٠٨- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (٢)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»، هذا لفظ البخاري (٣).

٢٠٩- ولفظ مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» (٤).

٢١٠- وفي لفظ مسلم عن مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَائِشَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» (٥).

٢١١- ولفظ البيهقي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنْ صَلَاتِهِ فَلْيَدْعُ بِأَرْبَعٍ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدَ بِمَا شَاءَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، برقم ١٣٧٧، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم ٥٨٨، واللفظ لمسلم.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٣٧٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ١٣٠- (٥٨٨)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسلم، برقم ١٣٠- (٥٨٨)، وتقدم تخريجه في تخريج أحاديث المتن.

عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَفِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ»: قال الإمام النووي رحمته: استحباب التعوذ بين التشهد والتسليم من هذه الأمور^(٢).

٢- قوله: «فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ»: عذت به، أعوذ عوداً، وعباداً ومعاداً: أي لجأت إليه، والمعاذ المصدر، والمكان، والزمان: أي لقد لجأت إلى ملجأ، ولذت بملاذ، وقد تكرر ذكر الاستعاذة والتعوذ، وما تصرف منهما، والكل بمعنى، وبه سميت المعوذتان^(٣)، والاستعاذة من أربعة أمور ذكرها الحديث.

٣- قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْأَسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ^(٤)»، والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك^(٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَتَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ ... وَتَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ... وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ^(٦)».

٤- قوله: «من عذاب جهنم»: علم على النار - أعاذنا الله منها - وسميت بذلك لشدة جهومتها، وظلامها، وبعد قعرها، ولها أسماء آخر منها: الجحيم، ولظى، والسعير، والحطمة، وذلك لاختلاف صفاتها، وقال القاري رحمته: «وقنا

(١) السنن الكبرى للبيهقي، ٢/ ١٥٤، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٢/ ٦٦.

(٢) شرح النووي على مسلم، ٥/ ٨٥.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣١٧.

(٤) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

أي: احفظنا من عذاب النار، أي: شدائد جهنم، من حرها، وزمهريرها، وسمومها، وجوعها، وعطشها، ومنتها، وضيقها، وعقاربها، وحياتها»^(١).

٥- قوله: «ومن عذاب القبر»: قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «لأن القبر فيه عذاب دائم للكافرين، وعذاب قد ينقطع للعاصين، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه مر بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»^(٢).

٦- قوله: «ومن فتنه المحيا»: أصل الفتنه هي الامتحان، والاختبار، وتطلق على: القتل، والإحراق، والنميمة.

قال ابن دقيق العيد: فتنه المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا، والشهوات، والجهالات، وأعظمها أمر الخاتمة عند الموت، وقيل هي الابتلاء مع زوال الصبر^(٣).

٦- قوله: «والممات»: يراد بها أمور:

أ - الفتنه عند الموت وإنما أضيفت إليه لقربها من الموت.

ب - يراد بها فتنه القبر لقول النبي ﷺ: «إنكم تفتنون في قبوركم مثل مثل أو قريباً من فتنه الدجال»^(٤).

ج - أنها شاملة للأمرين جميعاً.

(١) مرقة المفاتيح، ٢ / ٧٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٢٤، والحديث أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب حدثنا محمد بن المثنى، برقم ٢١٨، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، برقم ٢٩٢.

(٣) فتح الباري، ٢ / ٣٩٤.

(٤) البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، برقم ٨٦.

د - السؤال في القبر مع الحيرة.

٧- قوله: «ومن شر فتنه المسيح الدجال»: المراد بفتنة الدجال هو ما يقع على يديه من الفتن، والشبهات التي لا ينجو منها إلا من وفقه الله، قال الطيبي رحمته الله: «التعريف فيه للعهد، وهو الذي يخرج في آخر الزمان، يدّعي الألوهية إما نفسه، أو يراد به من شابهه من فعله، ويجوز أن يكون للجنس، لأن الدجال من أكثر من الكذب والتلبيس، قيل: سبب ذلك لما فيها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتتن بالدجال»^(١).

- وإنما سمي مسيحاً إما لأنه:

أ- يمسح الأرض بسرعة طويلاً وعرضاً ويدخل كل البلدان إلا مكة والمدينة، وذلك لحراسة الملائكة لهما كما أخبر بذلك النبي ﷺ^(٢).

ب- أو لأنه: ممسوح العين لأنه أعور العين اليمنى كأنها عنة طافية أي ناتئة أو طائفة أي غائرة^(٣)، وقال الطيبي رحمته الله: «ووجه تسميته بالمسيح في أحب الوجوه إلينا: أن الخير مسح عنه، فهو مسيح الضلالة... وقيل: لأنه كان يمسح الأرض، أي يقطعها، وقيل: المسيح الصديق، وسمي الدجال به؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة، لا يبصر بها، والأعور يسمى مسيحاً»^(٤).

٧- قوله: «الدجال»: سُمِّي دجالاً لكثرة خداعه، وكذبه، وتلبيسه على الناس، والدجل هو الخلط^(٥)، يقال: التغطية ومنه نهر دجلة سمي بذلك لأنه

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٤٨.

(٢) البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، برقم ١٨٨١.

(٣) البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، برقم ٧١٢٨.

(٤) المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن، ١١/ ٣٤٦٦.

(٥) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٠٢، مادة (دجل)..

يغطي الأرض بالماء والدجال يغطي الأرض بأتباعه^(١)، وقال النووي رحمته الله: «المسيح الدجال الكذاب سمي دجالاً لتمويهه والدجل التمويه والتغطية يُقال دجل فلان إذا موه ودجل الحق غطاه بباطله وحكوه عن ثعلب أن الدجال الكذاب وكل كذاب دجال»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- الاستعاذة من عذاب القبر: يقصد به ما يحصل فيه من العقوبة والمهانة لعدم الإجابة عن الأسئلة الثلاثة: من ربك؟ ما دينك؟ ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟^(٣). وهذه الأسئلة تكون عن طريق الملكين كما نص على ذلك الحديث، فانظر إلى رحمة الله يعطينا السؤال كي نتعود على الإجابة عليه وذلك عن طريق العمل بهذا الشرع الحنيف.
- ٢- وأصل القبر مدفن الميت لقوله ﷺ: «ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ»^(٤)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي أكرمه بدفنه، وقد يراد بعذاب القبر البرزخ وهو الذي بين الموت وقيام الساعة وإن لم يدفن؛ لقوله ﷺ: «وَمِنْ وَرَاءِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُتْعَثُونَ»^(٥)، ورجح هذا القول ابن عثيمين رحمته الله^(٦). وذلك لأن الإنسان إذا مات لا يدري أيدفن، أم تأكله السباع، أم يحترق أم غير ذلك؟ نسأل الله حسن الخاتمة.
- ٣- إثبات عذاب القبر بظاهر القرآن وصحيح السنة التي بلغت مبلغ

(١) انظر: شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، شرح مجدي عبد الوهاب، ص ١٢٦.

(٢) تحرير ألفاظ التنبيه، ص: ٢٦٩.

(٣) أخرجه الطيالسي، ص ١٠٢، برقم ٧٥٣، وأحمد، ٥٠٢/٣٠، رقم ١٨٥٣٤، وأبو داود، كتاب السنة، باب المسألة في القبر وعذاب القبر، برقم ٤٧٥٣، وابن خزيمة في كتاب التوحيد، ص ١١٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٦٧٦.

(٤) سورة عبس، الآية: ٢١.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٦) انظر الشرح الممتع، ٣/ ١٧٧.

التواتر، فمن أظهر الأدلة قوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾^(١) هذا في شأن آل فرعون، وهذا إخبار أن أرواحهم تعرض في البرزخ على النار مرتين، وهي في أجواف طير سود^(٢) عكس المؤمنين^(٣).

٤- وهذا العذاب للجسد والروح معاً؛ لأن الروح قد تتصل بالبدن أحياناً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله لقول النبي ﷺ: «إن القبر ليطبق على الكافر، حتى تختلف فيه أضلعه»^(٤)، قال شارح الطحاوية: فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كيفيته لأن الشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكن قد يأتي بما تحار فيه العقول^(٥).

٥- التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم يدخل فيهما التعوذ من أسباب ذلك، فمن أسباب عذاب القبر: عدم الاستنزاه من البول، والمشي بالنميمة، كما أخبر بذلك الرسول الكريم ﷺ^(٦).

٦- الابتلاء والاختبار من سنن الله في كونه والسعيد من جنبه الله الفتن في الحياة، وعند الممات ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، ١٣/ ١٦٥، برقم ٣٥٢٩٩، والبعث والنشور للبيهقي، برقم ١٩٥، وتفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٢٦٧، والطبري، ٢١/ ٣٩٥، وقال الشيخ المعلمي في كتابه التكميل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، ٣/ ٤٠١: «وخرج ابن جرير في تفسيره بسند رجاله ثقة» ثم ذكر الحديث.

(٣) تفسير الجزائري، سورة غافر، ص ١٥٨٠.

(٤) أخرجه الطيالسي، ص ١٠٢، برقم ٧٥٣، وأحمد، ٣٠/ ٥٠٢، رقم ١٨٥٣٤، وأبو داود، كتاب السنة، باب المسألة في القبر وعذاب القبر، برقم ٤٧٥٣، وابن خزيمة في كتاب التوحيد، ص ١١٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٦٧٦.

(٥) انظر: الطحاوية أبواب الإيمان بعذاب القبر، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ دليل على عذاب الآخرة.

(٦) البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، برقم ١٣٧٨.

الْآخِرَةَ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿١﴾.

٧- إثبات خروج الدجال وهو أحد أشراط الساعة الكبرى. والدجال أخبر عنه النبي ﷺ بأمور منها:

١- يخرج من جهة المشرق؛ لقول النبي ﷺ: «الفتنة هاهنا» وأشار إلى المشرق^(٢)، وحددها النبي ﷺ بقوله: «إنه خارج خلة بين الشام والعراق» والخلة: ما بين البلدين^(٣).

٢- أكثر أتباعه من اليهود؛ لقوله: «ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفاً»^(٤).

٣- يمكث في الأرض أربعين يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا^(٥).

٤- يفسد في الأرض فساداً عظيماً حتى ينزل عيسى عليه السلام ويقتله عند باب لد^(٦).

٥- قال النووي: قال القاضي عياض: ودعاء النبي ﷺ واستعاذته من هذه الأمور التي قد عوفي منها وعصم، إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى وإعظامه والافتقار إليه لتقتدي به أمته وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه^(٧).

٦- قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «الفتنة قبل المشرق» برقم ٧٠٩٢.

(٣) صحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، برقم ٢٩٣٧.

(٤) مسلم، برقم ٢٩٣٧، وتقدم تخريجه في الذي قبله.

(٥) مسلم، برقم ٢٩٣٧، وتقدم تخريجه في الحديث السابق.

(٦) صحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، برقم ٢٩٣٧.

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم، ٩١/٥.

الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»^(١). وهذا يُظهر أهمية هذا الدعاء واستحباب المواظبة عليه حتى أوجبه بعضهم كطاوس والظاهرية حتى قال طاوس لابنه: أدعوت بهذا الدعاء في صلاتك؟ قال: لا، قال له: فأعد الصلاة، ولعله أراد تأديب ابنه لا أنه يعتقد وجوبه^(٢).

٥٦- (٢) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثِمِ وَالْمَغْرَمِ»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢١٢- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثِمِ وَالْمَغْرَمِ» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(٤)، وهذا لفظ البخاري.

٢١٣- ولفظ مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم ٥٩٠.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، ٩١/٥.

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم ٨٣٢، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، واللفظ له، برقم ٥٨٧.

(٤) تقدمت ترجمتها في الحديث ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٥) البخاري، برقم ٨٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الصَّلَاةُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ» قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(٢).

٢- قوله: «أَعُوذُ بِكَ»: «العوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعدته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه»^(٣)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يَوْجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ، ... وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يَوْجَدَ»^(٤).

٣- قوله: «مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» فِيهِ رَدٌّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَهُ^(٥).

٤- قوله: «وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»: الْفِتْنَةُ: الْامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ، قَالَ عِيَاضُ: وَاسْتِعْمَالُهَا فِي الْعُرْفِ لِكَشْفِ مَا يُكْرَهُ، وَتُطْلَقُ عَلَى الْقَتْلِ وَالْإِحْرَاقِ وَالنَّمِيمَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالْمَسِيحُ: يُطْلَقُ عَلَى الدَّجَالِ وَعَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

(١) مسلم، برقم ٥٨٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ٦، في المفردة رقم ٦.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١.

من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٥) فتح الباري، ٢/ ٣١٨.

عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَكِنْ إِذَا أُرِيدَ الدَّجَالُ قَيْدَ بِهِ^(١)، وَاخْتُلِفَ فِي تَلْقِيبِ الدَّجَالِ بِذَلِكَ، فَقِيلَ: لَأَنَّهُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، وَقِيلَ لَأَنَّ أَحَدَ شَقَيَّ وَجْهِهِ خُلِقَ مَمْسُوحًا، لَا عَيْنَ فِيهِ، وَلَا حَاجِبَ، وَقِيلَ لَأَنَّهُ يَمْسَحُ الْأَرْضَ إِذَا خَرَجَ^(٢).

٥- قوله: «فتنة المحيا والممات»: الفتنة هي الامتحان والاختبار، وفتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا، والشهوات، والجهالات، وأعظمها أمر الخاتمة عند الموت: ويراد بها أمور: الفتنة عند الموت، أو فتنة القبر، أو تشملهما، والسؤال في القبر مع الحيرة^(٣).

٦- قوله: «المأثم»: هو ما يلحق بالعبد بسبب الوقوع في المعاصي والذنوب. قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «الْإِثْمُ: الذَّنْبُ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يَعْمَلَ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ... وَقَدْ آثَمَ يَأْثِمُ... وَتَأَثَّمَ الرَّجُلُ: تَابَ مِنَ الْإِثْمِ، وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ، وَهُوَ عَلَى السَّلْبِ كَأَنَّهُ سَلَبَ ذَاتَهُ الْإِثْمَ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، أَوْ رَامَ ذَلِكَ بِهِمَا، وَآثَمَ فُلَانٌ بِالْكَسْرِ يَأْثِمُ إِثْمًا، وَمَأْثِمًا، أَي: وَقَعَ فِي الْإِثْمِ، فَهُوَ آثِمٌ، وَأَثِيمٌ،... أَثَمَهُ اللهُ يَأْثِمُهُ عَاقِبَتُهُ بِالْإِثْمِ وَقَالَ الْفَرَاءُ أَثَمَهُ اللهُ يَأْثِمُهُ إِثْمًا وَأَثَامًا إِذَا جَازَاهُ جَزَاءُ الْإِثْمِ... وَالْأَثَامُ وَالْإِثَامُ عُقُوبَةُ الْإِثْمِ الْأَخِيرَةُ»^(٤).

٧- قوله: «المغرم»: هو كل ما يلزم العبد أداؤه بسبب جنائية، أو معاملة، أو غير ذلك، والمغرم يتعلق بحقوق العباد، أما المأثم فهو متعلق بحق الله ﷻ، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن المأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنيا»^(٥)، وقال العلامة ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْمَغْرَمُ: أَي: الدَّيْنُ،

(١) فتح الباري، ٢ / ٣١٨.

(٢) فتح الباري، ٢ / ٣١٩.

(٣) انظر: فتح الباري، ٢ / ٣١٩.

(٤) لسان العرب، ١ / ٢٣، مادة (أثم).

(٥) الفوائد، ص ٥٩.

يُقال: غَرَمَ بِكَسْرِ الرَّاءِ، أَي: إِذَا نَ، قِيلَ: والمُرَاد بِهِ ما يُسْتَدان فِيما لا يَجُوزُ، وفيما يَجُوزُ، ثُمَّ يَعِجْزُ عَن أَدائِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَن يُراد بِهِ ما هُوَ أَعَمُّ مِن ذَلِكَ، وَقَدْ اسْتَعَاذَ ﷺ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «المَغْرَم: الغُرم، وَقَدْ نَبَّهَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى الضَّرَرِ اللَّاحِقِ مِنَ الْمَغْرَمِ، وَاللهُ أَعْلَمُ»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- خطورة المعصية وأنها من أسباب البوار إذا لم يوفق الله عبده للتوبة النصوح قبل الموت.

٢- التحذير من الديون التي هي حق للعباد، وأنها ملازمة للعبد إن لم يؤديها في حياته، أو يؤديها عنه أحد بعد موته، وإلا بقيت في ذمته إلى يوم القيامة.

٣- استعاذ النبي ﷺ من المأثم والمغرم؛ لأن الإنسان إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف، فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيز من المغرم يا رسول الله! فقال: «إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف»^(٢).

ومعنى ذلك أن المدين يتعلل لصاحب الدين بعلى شتى وهو كاذب فيها، وغرضه الدفع أي عن نفسه طلب صاحب المال له بالسداد، وكذلك فإن المدين يعطي موعداً للسداد فيخلف، وهذا من صفات المنافقين، وهو غالب حال من يستدين إلا من رحم الله.

٤- قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «(أَي للعبد) أَمَامَ اسْتِعْطَائِهِ كلمات التحيات مقدمة بين يدي سؤاله، ثم يتبعها بالصلاة على من نالت أمته هذه النعمة على يده، وسعادته، فكأن المصلي توسل إلى الله سبحانه بعبوديته، ثم بالثناء عليه، والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، ثم

(١) فتح الباري، ٣١٩ / ٢.

(٢) ذكر الحافظ في الفتح رواية عن النسائي أن عائشة هي التي قالت له ذلك. ٣٩٤ / ٢.

الصلاة على رسوله، ثم قيل له: تخير من الدعاء أحبه إليك»^(١).

وليكن بخشوع وأدب فإنه لا يستجاب لدعاء من قلب غافل.

٥- قال الحافظ ابن حجر رحمته: وقد استشكل دُعاؤه عليه بما ذُكر مع أنه معصوم مغفور له ما تقدم وما تأخر، وأجيب بأجوبة: أحدها: أنه قصد التعليم لأُمَّته.

ثانيها: أن المراد السؤال منه لأُمَّته فيكون المعنى هنا أعوذ بك لأُمَّتي.

ثالثها: سلوك طريق التواضع، وإظهار العبودية، وإلزام خوف الله وإعظامه، والافتقار إليه، وامتنال أمره في الرغبة إليه، ولا يمتنع تكرار الطلب مع تحقق الإجابة؛ لأن ذلك يحصل الحسنات، ويرفع الدرجات، وفيه تحريض لأُمَّته على ملازمة ذلك؛ لأنه إذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع، فمن لم يحقق ذلك أحرى بالملازمة.

٦- وأما الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه أنه لا يدركه، فلا إشكال فيه على الوجهين الأولين، وقيل على الثالث: يحتمل أن يكون ذلك قبل تحقق عدم إدراكه، ويدل عليه قوله في الحديث الآخر عند مسلم: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه» الحديث، والله أعلم^(٢).

٥٧- (٣) «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ

(١) إشارة إلى قوله عند البخاري: «ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه، فيدعو» برقم ٨٣٥. الصلاة وأحكام تاركها، ص ١٥٢.

(٢) فتح الباري، ٢/ ٣١٩، والحديث أخرجه مسلم عن النواس بن سمعان رضي في كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، برقم ٢٩٣٧.

أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢١٤- عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه ^(٢): أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءَ أَذْغُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٣)، وهذا لفظ البخاري وغيره.

٢١٥- ولفظ مسلم: عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه ^(٢) أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلِّمْنِي دُعَاءَ أَذْغُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا - وَقَالَ قُتَيْبَةُ: كَثِيرًا - وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٤).

٢١٦- وفي رواية لمسلم أن أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَلِّمْنِي

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم ٨٣٤، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم ٢٧٠٥.

(٢) أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو عبد الله، ويقال عتيق بن أبي قحافة القرشي، خليفة رسول الله ﷺ - أمه هي أم الخير سلمى بنت صخر رضي الله عنها، من جملة فضائله: أنه أحب الناس إلى رسول الله ﷺ من الرجال البخاري، برقم ٣٦٦٢. صدق رسول الله ﷺ مباشرة وواساه بأهله وماله البخاري، برقم ٣٦٦١، أسبق الأمة وأكثرهم بذلاً في سبيل الله أبو داود، برقم ١٦٧٨. صحب النبي ﷺ في الهجرة وكان معه وحده في الغار البخاري، برقم ٣٦٥٢. بشره النبي ﷺ أنه يدخل الجنة من جميع أبوابها الثمانية البخاري، برقم ٣٦٦٦. قدمه النبي ﷺ في مرضه ليؤم الناس مكانه، وهو إشارة قوية إلى أنه هو الخليفة من بعده البخاري، برقم ٣٦٥٩، وقد حارب المرتدين الذين منعوا زكاة أموالهم بعد وفاة النبي ﷺ، وجهز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه، مات ليلة الثلاثاء بعد أن خلف رسول الله ﷺ ستين وثلاثة أشهر، ودفن بجانب رسول الله ﷺ. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٣/ ٩٦٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ١٦٩.

(٣) البخاري، برقم ٦٣٦٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٢٧٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يَا رَسُولَ اللَّهِ دُعَاءٌ أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي وَفِي بَيْتِي، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ اللَّيْثِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «ظُلُمًا كَثِيرًا»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمَفْرَدِ»^(٢).

٢- قوله: «ظلمت نفسي»: إما بارتكاب الذنوب، أو التقصير في أعمال الطاعة، قال ابن الأثير رحمته الله: «والظلم: الجور، ومجاوزة الحد، وأخذ ما ليس لك، وأصله وضع الشيء في غير موضعه والنفس في اللغة: الروح... وقد يطلق على الجسد، وجاء في الشعر، ومعنى «ظلمه نفسه»: يريد: بما ارتكبه من الذنوب والمعاصي، فإنه ظلمها، حيث قلدها الآثام، والأوزار، وأخرجها إلى أن تعاقب»^(٣).

٣- قوله: «ظلمًا كثيرًا»: وفي لفظ عند مسلم «كثيرًا»^(٤)، والمعنى أنني أسرفت في ارتكاب المعاصي، وقال النووي رحمته الله: «فينبغي أن يُجمع بينهما، فيقال: «ظلمًا كثيرًا كثيرًا»^(٥)، وقال ابن دقيق العيد رحمته الله: «وقوله: «إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا»: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَغْرَى مِنْ ذَنْبٍ وَتَقْصِيرٍ... وَرَبَّمَا أَخَذُوا ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ الْأَمْرُ بِهَذَا الْقَوْلِ مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ، وَتَخْصِيصٍ بِحَالَةٍ، فَلَوْ كَانَ ثَمَّةَ حَالَةٍ لَا يَكُونُ فِيهَا ظُلْمٌ وَلَا تَقْصِيرٌ، لَمَا كَانَ هَذَا الْإِخْبَارُ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ، فَلَا يُؤْمَرُ بِهِ»^(٦)، وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «هَذَا الدُّعَاءُ مِنَ الْجَوَامِعِ لِأَنَّ فِيهِ الْإِعْتِرَافَ بِغَايَةِ

(١) مسلم، برقم ٢٧٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) لسان العرب، ١٣ / ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٣) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ١ / ٥٣٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٤ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٤) مسلم، برقم ٢٧٠٥، وهو حديث الباب.

(٥) الأذكار للنووي، ص ٦٨.

(٦) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ١ / ٣١٣.

التَّقْصِيرِ وَطَلَبِ غَايَةِ الْإِنْعَامِ فَالْمَغْفِرَةُ سَتْرُ الذُّنُوبِ وَمَحْوُهَا وَالرَّحْمَةُ إِيصَالُ...
أَيُّ: لَيْسَ لِي حِيلَةٌ فِي دَفْعِهِ، فَهِيَ حَالَةٌ افْتِقَارٍ، فَأَشْبَهَ حَالَ الْمُضْطَرِّ الْمُوْعُودِ
بِالْإِجَابَةِ، وَفِيهِ هَضْمُ النَّفْسِ، وَالْإِعْتِرَافُ بِالتَّقْصِيرِ»^(١).

٤- قوله: «فاغفر لي»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «الْمَغْفِرَةُ: تَعْطِيَةُ الذَّنْبِ وَكُلِّ
مَا غَطَى فَقَدْ غَفَرَ وَمِنْهُ: الْمَغْفَرُ الْعَفَّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا:
السَّاتِرُ لِدُخَانِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ ... غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا:
سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»^(٢).

٥- قوله: «مغفرة من عندك»: أي تفضل علي بالمغفرة وليس بسبب عمل
صدر مني؛ لأن أعمال العبد لا تخلو من قصور، قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللهُ: «فِيهِ
وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى التَّوْحِيدِ الْمَذْكُورِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا يَفْعَلُ هَذَا
إِلَّا أَنْتَ، فَافْعَلْهُ أَنْتَ، وَالثَّانِي وَهُوَ الْأَحْسَنُ: أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى طَلَبِ مَغْفِرَةٍ
مُتَفَضِّلٍ بِهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، لَا يَقْتَضِيهَا سَبَبٌ مِنَ الْعَبْدِ، مِنْ عَمَلٍ حَسَنٍ وَلَا
غَيْرِهِ، فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ بِهَذَا التَّفْسِيرِ، لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهَا سَبَبٌ، وَهَذَا تَبَرُّؤٌ مِنَ
الْأَسْبَابِ، وَالْإِذْلَالُ بِالْأَعْمَالِ، وَالْإِعْتِقَادُ فِي كَوْنِهَا مُوجِبَةً لِلثَّوَابِ وَجُوبًا عَقْلِيًّا،
وَالْمَغْفِرَةُ: السَّتْرُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، وَعَلَى الثَّانِي هِيَ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ»^(٣).

٦- قوله: «وارحمني»: طلب رحمة الله ﷻ التي بها حصول المطلوب،
وبالمغفرة زوال المرهوب، وهذا إذا جمع بين المغفرة والرحمة، أما إذا فرقت
المغفرة عن الرحمة فإن كل واحدة منهما تشمل الأخرى^(٤).

(١) فتح الباري لابن حجر، ١١ / ١٣١.

(٢) لسان العرب، ٥ / ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ١ / ٣١٣.

(٤) انظر الشرح الممتع، ص ١٣١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٤٩.

٧- قوله: «إِنَّكَ أَنْتَ»: ضمير منفصل للتوكيد والحصر بأن الذي يغفر الذنوب هو الله وحده، قال ابن الملقن رحمته الله: «المعنى بقوله: إِنَّكَ أَنْتَ الغفور الرحيم، أنه تعيين لهذا المعنى، أنه ليس لغيرك، فكأنه قال: لا غفور، ولا رحيم على الحقيقة غيرك»^(١).

٨- قوله: «إِنَّكَ أَنْتَ الغفور الرحيم»: هذا من باب المقابلة والختم للكلام فالغفور مقابل لقوله اغفر لي، والرحيم مقابل لقوله: «ارحمني» فتأمل^(٢).

٩- قوله: «لا يغفر الذنوب إلا أنت»: قال ابن الأثير رحمته الله: «إقراراً منه، واعترافاً أنه قد قطع أمله، ورجاءه عن كل أحد سواه، وصرف رغبته إلى من لا توجد المغفرة إلا عنده»^(٣)، وقال ابن دقيق العيد رحمته الله: «إقرارٌ بِوَحْدَانِيَّةِ الْبَارِي تَعَالَى، وَاسْتِجْلَابٌ لِمَغْفِرَتِهِ بِهَذَا الْإِقْرَارِ»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- استحباب طلب التعليم من العالم خاصة في الدعوات المطلوب فيها جوامع الكلم.
- ٢- جواز قول هذا الدعاء في السجود وبعد التشهد لقول الصديق: «في صلاتي».
- ٣- قال الحافظ في الفتح^(٥): ويحتمل أن يكون سؤال أبي بكر عن ذلك كان عند قوله لما علمهم التشهد: «ثم ليتخير من الدعاء ما شاء»^(٦).
- ٤- ترجم الإمام البخاري لهذا الحديث بقوله: بَابُ الدُّعَاءِ قَبْلَ السَّلَامِ^(٧).

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/ ٥٢.

(٢) انظر: العلم الهيب، ٣٠٣، ٣٠٤.

(٣) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ١/ ٣١٣.

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٩٦.

(٦) البخاري، برقم ٨٣٥، وقد تقدم.

(٧) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، قبل الحديث رقم ٨٣٢.

٥- الإقرار بالوحدانية واستجلاب المغفرة وهذا كقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

٦- التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى كما أمر ربنا ﷻ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٢)، وأن الداعي يدعو بما يناسب حاجته فإن أراد الرحمة دعا الله باسمه الرحمن والرحيم وهكذا.

٧- المؤمن وإن علت رتبته لا يسلم من الزلل والتقصير ويشهد لهذا قول النبي ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا»^(٣) أي لا تقدرون على إيفاء حق الله ﷻ.

٨- تواضع الصديق ﷺ فمع علو منزلته طلب أن يعلمه النبي ﷺ دعاءً لعل الله أن يرحمه به. وهذا هو شأن أهل الإيمان والخوف والخشية.

٩- قال العلامة ابن الملتن ﷻ: «ما أحسن هذا الترتيب؛ فإنه قدم أولاً اعترافه بالذنب، ثم بالوحدانية، ثم سأل المغفرة بعد ذلك؛ لأن الاعتراف أقرب إلى العفو، والثناء على السيد بما هو أهله، أرجى لقبول مسأله، وقد جعل تقديم الثناء بين يدي الدعاء، كتقديم هدية الشفيع بين يدي مسأله، فإنه أقرب للقبول»^(٤).

١٠- هذا الحديث من أحسن الأدعية؛ لأنه إقرار بظلم النفس، واعتراف بالذنب، والذنوب كالمنايع من الإنعام، والاعتراف بها يمحوها فيرتفع الحاجز، وهذا الدعاء مما يستحب أن يدعى به في الصلاة قبل التسليم لصحته، وللإنسان أن يدعو في

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب المحافظة على الوضوء، برقم ٢٧٧، وصححه الألباني في الإرواء، برقم ٤١٢.

(٤) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، للعلامة أبي عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن

الملتن، تحقيق: عبد العزيز بن أحمد المشيقح، دار العاصمة للتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٧ هـ / ٣ / ٥٠٤.

صلاته بما في القرآن من الدعاء، وبما صح في النقل عن النبي ﷺ^(١).

٥٨- (٤) «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢١٧- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؓ^(٣)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفُزْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصْبِي»، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (ص: ٣)

(٢) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم ٧٧١.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسَلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

٢١٨- وفي لفظ آخر عند مسلم: عن علي عليه السلام: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَمْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «وَجْهْتُ وَجْهِي» وَقَالَ: «وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» وَقَالَ: وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» وَقَالَ: «وَصَوْرُهُ فَأَحْسَنَ صُورَهُ» وَقَالَ: وَإِذَا سَلَّمَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَقُلْ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ»: أَي: وَمَا أَخْفَيْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ: أَي: وَمَا أَظْهَرْتُ، أَوْ الْمَعْنَى: مَا حَدَّثْتُ بِهِ نَفْسِي وَمَا تَحَرَّكَ بِهِ لِسَانِي^(٣).

١- قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا إِلَهَ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(٤)، و«اغْفِرْ لِي»: قَالَ ابْنُ مَنْظُور رحمته الله: «الْمَغْفِرَةُ: تَغْطِيَةُ الذَّنْبِ وَكُلُّ مَا غَطَى فَقَدْ غَفَرَ وَمِنْهُ: الْمَغْفَرُ. «الْغُفُورُ الْغَفَّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّائِرُ

(١) مسلم، برقم ٢٠١ - (٧٧١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٢٠٢ - (٧٧١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧ / ١٦٧.

(٤) لسان العرب، ١٣ / ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»^(١).

٢- قوله: «ما قدمت»: أي ما وقع مني من الذنوب الماضية، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: جميع ما فرط مني»^(٢)، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَا قَدِمَ: مَا مَضَى، وَمَا آخَرَ: مَا يَسْتَقْبِلُ»^(٣).

٣- قوله: «وما أخرت»: أي: من الذنوب اللاحقة، والتقصير في الطاعة، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَا أَخْرَتَ عَنْهُ أَمْرُ الْأَنْبِيَاءِ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِالْإِشْفَاقِ، وَالِدُعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ أَنْ يَغْفِرَ مَا يَكُونُ مِنْ غَفْلَةٍ تَعْتَرِي الْبَشَرَ، وَمَا قَدِمَ: مَا مَضَى، وَمَا آخَرَ: مَا يَسْتَقْبِلُ»^(٤).

٤- قوله: «وما أسررت»: أي: من الذنوب التي لم يطلع عليها غيرك، ولم أراعَ نظرك إليّ عنده، قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: وَمَا أَخْفَيْتَ... مَا حَدَثَ بِهِ نَفْسِي وَمَا تَحَرَّكَ بِهِ لِسَانِي»^(٥).

٥- قوله: «وما أعلنت»: أي: من الذنوب التي وقعت على أعين الناس، وقل حيائي منك، وقال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما أعلنت: أي: وَمَا أَظْهَرْتَ، أَوْ الْمَعْنَى: مَا حَدَثَ بِهِ نَفْسِي وَمَا تَحَرَّكَ بِهِ لِسَانِي»^(٦).

٦- قوله: «وما أسرفت»: أي: أكثرت من الذنوب، ومن السعي في مساخط علام الغيوب^(٧).

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.

(٢) شرح المشكاة للطبيي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ١٦٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢٢ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ١٦٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢٢ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ١٦٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢٣ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ١٦٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢٣ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.

(٧) انظر: تفسير السعدي، ص ٧٢٧.

٧- قوله: «وما أنت أعلم به مني»: لأن علم الله شامل، ومحيط بخلاف علم العبد القاصر؛ فإن الله يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقال العلامة ابن القيم رحمته الله: «وحقيقة الأمر أن العبد فقير إلى الله من كل وجه، وبكل اعتبار، فهو فقير إليه من جهة ربوبيته له، وإحسانه إليه، وقيامه بمصالحه وتدبيره له، وفقير إليه من جهة إلهيته، وكونه معبوده، وإلهه، ومحبوبه الأعظم الذي لا صلاح له، ولا فلاح، ولا نعيم ولا سرور، إلا بأن يكون أحب شيء إليه ... وفقير إليه من جهة معافاته له من أنواع البلاء؛ فإنه إن لم يعافه منها هلك ببعضها، وفقير إليه من جهة عفوه عنه، ومغفرته له... والعبد هو الفقير المحتاج إليه، المضطر إليه بكل وجه، وبكل اعتبار فرحمته للعبد خير له من عمله؛ فإن عمله لا يستقل بنجاته، ولا سعادته، ولو وكل إلى عمله لم ينج به البتة... فهو يدأب في التقرب إليه بجهد، ويستفرغ في ذلك وسعه، وطاقته، ولا يعدل به سواه في شيء من الأشياء، ويؤثر رضا سيده على إرادته وهواه، بل لا هوى له، ولا إرادة إلا فيما يريد سيده ويحبه، وهذا يستلزم علوماً وأعمالاً، وإرادات وغرائم لا يعارضها غيرها»^(١).

٨- قوله: «أنت المقدم وأنت المؤخر»: أي: إنك تقدم من تشاء من خلقك إلى رحمتك بتوفيقه، وتؤخر من تشاء من خلقك عن ذلك لخذلانته^(٢)، وقال العلامة السعدي رحمته الله: «المقدم والمؤخر من أسمائه الحسنی المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقروناً بالآخر؛ فإن الكمال من اجتماعهما، فهو تعالى المقدم لمن شاء، والمؤخر

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ١١٨.

(٢) تقدم شرحه في مفردات حديث المتن رقم ٣٢، المفردة رقم ٢٥ أنت المقدم وأنت المؤخر.

لمن شاء بحكمته، وهذا التقديم يكون كونياً، كتقديم بعض المخلوقات على بعض، وتأخير بعضها على بعض، وكتقديم الأسباب على مسبباتها، والشروط على مشروطاتها... وهذان الوصفان وما أشبههما من الصفات الذاتية لكونهما قائمين بالله، والله متصف بهما، ومن صفات الأفعال؛ لأن التقديم والتأخير متعلق بالمخلوقات ذواتها، وأفعالها، ومعانيها، وأوصافها، وهي ناشئة عن إرادة الله وقدرته، فهذا هو التقسيم^(١).

٩- قوله: «لا إله إلا أنت»: أي: لا معبود بحق غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك^(٢)، قال الطيبي رحمته الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- شدة إلحاح النبي ﷺ على ربه في الدعاء وإظهار الافتقار إليه في كل الأحوال.
- ٢- تعليم النبي ﷺ لأُمَّته بالقول، والعمل، وهذا أبلغ في البيان، وهذا الدعاء كما بين الحديث هو من آخر ما كان يقوله النبي ﷺ بين التشهد والتسليم.
- ٣- من أسماء الله الحسنى أسماء متقابلة، لا يجوز إفراد أحدهما عن الآخر، كما في المقدم والمؤخر، وكذلك المعز المذل، والخافض الرافع، والقباض الباسط، والمعطي المانع، والنافع الضار، قال القرطبي بعد أن ذكر حديث ابن عباس^(٤)، ولا يجوز الدعاء بأحدهما دون الآخر.
- ٤- المسلم الصادق يقدم ما أمره الله به، ويسابق في الخيرات، ومن

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي، ص ٢٣٨.

(٢) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣٣/٧.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حلي المتن رقم ٢٩.

(٤) البخاري، برقم ١١٢٠، وتقدم تخريجه.

تراخى وتكاسل أخره الله عن الرفعة يوم يلقاه. قال رسول الله ﷺ: «لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله»^(١) وهذا وإن كان في صفوف الصلاة، إلا أنه يصلح للعموم في أمور الدين والله تعالى أعلم.

٥٩- (٥) «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢١٩- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه^(٣)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعُنِي فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذُ الصُّنَابِجِي، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِجِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحُبلي^(٤)، وهذا لفظ أبي داود.

٢٢٠- ولفظ النسائي: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ» فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَا تَدْعُ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٥).

٢٢١- وفي لفظ ابن خزيمة عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها...، برقم ٤٣٨.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم ١٥٢٢، والنسائي، كتاب السهو، نوع آخر من الدعاء، برقم ١٣٠٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢٨٤/١.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

(٤) أبو داود، برقم ١٥٢٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) النسائي، برقم ١٣٠٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

بِيَدِي، فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ اللَّهِ إِنِّي لِأَجُحِكَ» فَقُلْتُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجُحِكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ إِنِّي أَوْصِيكَ: لَا تَدْعُنَّ أَنْ تَقُولَ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذُ الصُّنَابِجِيِّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِجِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحُبَلِيِّ، وَأَوْصَى بِهِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عُقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(٢).

٢- قوله: «أعني»: أي: أطلب منك العون والقوة على فعل الطاعات فأنت المستعان الذي لا يطلب العون من أحد بل يُطلب منك وحدك، فكل إعانة وعون منك وبك، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «والاستعانة: طلب العون بلسان المقال؛ كقولك: «اللهم أعني»، أو: «لا حول ولا قوة إلا بالله» عند شروعك بالفعل، أو بلسان الحال، وهي أن تشعر بقلبك أنك محتاج إلى ربك ﷻ أن يعينك على هذا الفعل، وأنه إن وكلك إلى نفسك وكلك إلى ضعف، وعجز، وعورة، أو طلب العون بهما جميعاً، والغالب أن من استعان بلسان المقال؛ فقد استعان بلسان الحال، ولو احتاج الإنسان إلى الاستعانة بالمخلوق كحمل صندوق مثلاً؛ فهذا جائز، ولكن لا تشعر نفسك أنها كاستعانتك بالخالق، وإنما عليك أن تشعر أنها كمعونة بعض أعضائك لبعض، كما لو عجزت عن حمل شيء بيد واحدة؛ فإنك تستعين على حمله باليد الأخرى، وعلى هذا؛ فالاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه

(١) صحيح ابن خزيمة، ١/ ٣٩١، برقم ٧٥١، وصحيح ابن حبان، ٥/ ٣٦٤، برقم ٢٠٢٠، والحاكم، ٢٧٢/ ١، وصححه محقق ابن حبان، والألباني في التعليقات الحسان، ٦/ ١٤٥٧، برقم ٢٠١٧، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٢٧.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

كالاستعانة ببعض أعضائك»^(١).

٣- قوله: «والله إني أحبك»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وَصَفَ نَفْسَهُ ﷺ بِأَنَّهُ يُحِبُّ أَشْخَاصًا، كَمَا قَالَ لِمُعَاذٍ: «وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ» ... فَوَصَفَ نَفْسَهُ بِمَحَبَّةِ أَشْخَاصٍ ... حَتَّى يَكُونَ الْمَحْبُوبُ بِهَا مَحْبُوبًا لِذَاتِهِ، لَا لِشَيْءٍ آخَرَ، إِذْ الْمَحْبُوبُ لِشَيْءٍ غَيْرِهِ هُوَ مُؤَخَّرٌ فِي الْحُبِّ عَنِ ذَلِكَ الْغَيْرِ»^(٢)، وفي عون المعبود: «وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ: لَأَمُّهُ لِلْإِيتِدَاءِ وَقِيلَ لِلْقَسَمِ وَفِيهِ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ أَحَدًا يُسْتَحَبُّ لَهُ إِظْهَارُ الْمَحَبَّةِ لَهُ»^(٣).

٤- قوله: «على ذكرك»: أي: بالقلب واللسان، ويدخل في ذلك جميع أنواع الثناء والمحامد التي وردت في القرآن وصحت بها السنة، والشكر يكون بالقلب إقرارًا بالنعم واعترافًا، وباللسان ذكرًا وثناءً، وبالجوارح طاعة لأمره واجتنابًا لنهي، وهو من أسباب بقاء النعم ورفع النقم^(٤).

٥- قوله: «وشكرك»: قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «والشكر يكون بالقلب، إقرارًا بالنعم، واعترافًا، وباللسان، ذكرًا وثناءً، وبالجوارح، طاعة لله، وانقيادًا لأمره، واجتنابًا لنهي، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، ... وفي الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من العلم، وتزكية الأخلاق، والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي النعم الحقيقية التي تدوم، إذا زال غيرها، وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك،

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، ٢/ ٣٦٨.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٦٨.

(٣) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٤/ ٢٦٩.

(٤) انظر: تفسير السعدي، ص ٨٧.

ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر»^(١).

٦- قوله: «وحسن عبادتك»: وإنما تكون حسنة بالإخلاص واقتفاء السنة، أما غير ذلك فهي رد على صاحبها؛ لقول النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٢).

٧- قوله: «أوصيك يا معاذ»: أي: أعهد إليك، قال في القاموس: «وأوصاه، ووصاه توصية: عهد إليه»^(٣)، وقال في المجموع شرح المذهب: «الوصايا جمع وصية: كعطايا، وعطية مأخوذة من قولهم: وصيت الشيء أصيه، من باب وعد، ووصيته، ووصيت إلى فلان توصية، وأوصيت إليه إيصاء ... وأوصيت إليه بمال: جعلته له، وأوصيته عليه»^(٤).

٨- قوله: «لا تدعن ذُبرَ كُلِّ صَلَاةٍ»: لا تدع: أي: لا تترك، قال ابن الأثير: «ودَعَ الشيءَ يدَعُه ودَعَاءً، إذا تركه»^(٥)، وقال الشوكاني رحمه الله: «لَا تَدَعَنَّ: هُوَ نَهْيٌ مِنْ وَدَعَهُ، إِلَّا أَنَّهُ هُجِرَ مَا ضِيهِ فِي الْأَكْثَرِ اسْتِعْنَاءً عَنْهُ بِتَرْكِ»^(٦)، وقال القاري: «فلا تدع: أي: إذا كنت تحبني، أو إذا كان بيني وبينك تحاب، أو إذا أردت ثبات هذه المحاببة، فلا تترك أن تقول في دبر كل صلاة، أي: عقبها، وخلفها، أو في آخرها»^(٧). و«دبر»: أي: بعد أداء الصلوات، قال ابن الأثير: «دِبَارٌ: جمع ذُبرٌ، وهو آخر أوقات الشيء، ... ويقال: فلان ما يذري قبَالَ الأمر من دِبَارِهِ: أي ما أوله

(١) تفسير السعدي، ص ٧٤.

(٢) مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، برقم ١٧١٨.

(٣) القاموس المحيط، ص ١٧٣١، مادة (وصي).

(٤) المجموع شرح المذهب، ١٥ / ٣٩٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ٣٦٥، مادة (ودع).

(٦) نيل الأوطار (٦ / ٣٣٣).

(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١ / ٣٥.

من آخره، والمراد أنه يأتي الصلاة حين أدبر وقته^(١)، قال النووي: «هُوَ بِضَمِّ الدَّالِ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي اللُّغَةِ، وَالْمَعْرُوفُ فِي الرِّوَايَاتِ، وَ...دَبَّرَ كُلَّ شَيْءٍ - بِفَتْحِ الدَّالِ-: آخِرَ أَوْقَاتِهِ، مِنَ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، وَقَالَ: هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي اللُّغَةِ... دُبِّرَ الشَّيْءُ، وَدَبَّرَهُ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ: آخِرَ أَوْقَاتِهِ، وَالصَّحِيحُ الضَّمُّ»^(٢)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «دُبِّرَ الْأَمْرُ يَعْنِي بِضَمِّتَيْنِ، وَدَبَّرَهُ يَعْنِي بِفَتْحٍ ثُمَّ سُكُونٍ: آخِرُهُ، وَادَّعَى أَبُو عَمْرٍو الزَّاهِدُ أَنَّهُ لَا يُقَالُ بِالضَّمِّ إِلَّا لِلْجَارِحَةِ، وَرَدَّ بِمِثْلِ قَوْلِهِمْ: أَعْتَقَ غُلَامَهُ عَنْ دُبْرٍ، وَمُقْتَضَى الْحَدِيثِ أَنَّ الذِّكْرَ الْمَذْكُورَ يُقَالُ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الصَّلَاةِ، فَلَوْ تَأَخَّرَ ذَلِكَ عَنِ الْفَرَاغِ؛ فَإِنْ كَانَ يَسِيرًا بِحَيْثُ لَا يُعَدُّ مُعْرِضًا، أَوْ كَانَ نَاسِيًا، أَوْ مُتَشَاغِلًا بِمَا وَرَدَ أَيْضًا بَعْدَ الصَّلَاةِ كَايَةِ الْكُرْسِيِّ فَلَا يَضُرُّ، وَظَاهِرُ قَوْلِهِ: «كُلَّ صَلَاةٍ» يَشْمَلُ الْفَرْضَ وَالنِّفْلَ، لَكِنْ حَمَلَهُ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْفَرْضِ»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- بيان منزلة معاذ ومحبة الرسول ﷺ له ولذلك أوصى الأمة في شخصه بهذا الدعاء الجامع.

٢- جميل أخلاق الرسول ﷺ وتلطفه مع أصحابه، حيث أخذ النبي ﷺ بيد معاذ، وناداه باسمه ليشعر بحبه له ثم أوصاه.

٣- المؤمن إذا أحب أخاه أظهر ذلك له، وأخبره بذلك الحب الذي هو في الله، قال العيني: فيه «استحباب قول الرجل لمن يُحبه: إني أحبك، وجواز الحلف على ذلك، واستحباب الوصية بالخير، واستحباب المواظبة

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٠٦، مادة (دبر).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٩٥.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٢٨.

على الدعاء المذكور عقيب كل صلاة»^(١). وفي عون المعبود: «وَفِيهِ أَنْ مَنْ أَحَبَّ أَحَدًا يُسْتَحَبُّ لَهُ إِظْهَارُ الْمَحَبَّةِ لَهُ»^(٢).

٤- جواز الحلف من غير استحلاف، وذلك على سبيل التوكيد.

٥- إثبات اسم «المستعان» لله ﷻ وهو من أشرف الأسماء لشرف متعلقه، وقد تضمنت الفاتحة معناه في قوله ﷻ: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»^(٣).

٦- هل يقال هذا الذكر قبيل السلام أم بعد السلام؟

وما هو المقصود بقول النبي ﷺ: «دبر كل صلاة»؟.

قال الشيخ عبد الله البسام رحمه الله: أكثر العلماء على الثاني، وطائفة على الأول ومنهم شيخ الإسلام^(٤) رحمه الله: وهو قول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث قال: «ما ورد مقيداً بدبر الصلاة، فإن كان ذكراً فهو بعد السلام وإن كان دعاءً فهو قبل السلام»^(٥). وسمعت شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله يختار أن الأفضل أن يقال هذا الذكر في التشهد قبل السلام.

٧- جاء تقديم الذكر على الشكر في هذا الدعاء؛ لأن العبد ما لم يكن ذاكراً لم يكن شاكراً، كما تقدم في قوله ﷻ: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ»^(٦)، والشكر يكون بالقلب إقراراً بالنعم واعترافاً، وباللسان ذكراً وثناءً، وبالجوارح طاعة لأمره واجتناباً لنهييه وهو من أسباب بقاء النعم ورفع النقم^(٧).

(١) شرح أبي داود للعيني، ٥/ ٤٣٣.

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٤/ ٢٦٩.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٤) انظر: توضيح الأحكام في بلوغ المرام، ١/ ٣٠٨.

(٥) الشرح الممتع، ٣/ ٢٠٣.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٧) انظر: تفسير السعدي، ص ٨٧.

٨- الاستعانة لها تعلق عظيم بالعبادة. قال ابن القيم: والاستعانة تجمع أصليين: الثقة بالله، والاعتماد عليه؛ فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره - مع ثقته به - لاستغنائه عنه وقد يعتمد عليه - مع عدم ثقته به - لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه - فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به^(١).

٦٠- (٦) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْقَبْرِ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٢٢- لفظ البخاري: عن سعد بن أبي وقاص^(٣)، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، كَمَا تُعَلِّمُ الْكِتَابَةَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْقَبْرِ»^(٤).

٢٢٣- وفي رواية للبخاري عن عمرو بن ميمون الأودي، قَالَ: كَانَ

(١) انظر: بدائع الفوائد، ص ١٥٠.

(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة الدنيا، برقم، ٦٣٩٠، وبنحوه في كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن، برقم ٢٨٢٢.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٩٦ من أحاديث الشرح.

(٤) البخاري، برقم، ٦٣٩٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَيْنَهُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْغُلَمَانَ الْكِتَابَةَ وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُمْ ذُبُرَ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، فَحَدَّثْتُ بِهِ مُضْعَبًا فَصَدَّقَهُ^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ...»^(٢)، والعود: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعدته بالله أعيده، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه^(٣).

٢- قوله: «من البخل»: هو منع بذل المال سواء: كان ذلك في الزكاة المفروضة، أو في عموم الإنفاق، وقال الحافظ العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْبُخْلُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا فِي الْبُخْلِ بِالْمَالِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِذَلِكَ الْعِبَادَاتُ كُلُّهَا»^(٤).

٣- قوله: «من الجبن»: هو الخوف الذي هو ضد الشجاعة، فإذا كان البخل شح بالمال؛ فإن الجبن شح بالنفس عن بذلها في سبيل الله، وشح بالنصيحة مخافة الضرر المتوهم، وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْجُبْنُ: بِضَمِّ الْجِيمِ وَسُكُونِ الْبَاءِ وَتَضَمُّ، وَهُوَ الْمَهَابَةُ لِلْأَشْيَاءِ، وَالتَّأَخَّرُ عَنْ فِعْلِهَا، وَإِنَّمَا تَعَوَّذُ مِنْهُ ﷺ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى عَدَمِ الْقِيَامِ بِفَرِيضَةِ الْجِهَادِ، وَالصَّدْعِ بِالْحَقِّ، وَإِنْكَارِ الْمُتَكْرَرَاتِ»^(٥).

٤- قوله: «من أن أرد إلى أَرْدَلِ الْعُمُرِ»: أَرْدُوهُ، وأخسه، وهو الهرم، قال ابن

(١) البخاري، برقم ٢٨٢٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) لسان العرب، ١٣ / ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة رقم ٦.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢ / ١٣٦.

(٤) طرح الشرب في شرح التقريب، ٦ / ٣٧.

(٥) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ١٨٣.

الأثير رحمته الله: «الْهَرَمُ: الْكِبَرُ، وَقَدْ هَرِمَ يَهْرَمُ فَهُوَ هَرِمٌ، جَعَلَ الْهَرَمَ دَاءً تَشْبِيهاً بِهِ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ يَتَعَقَّبُهُ كَالْأَذْوَاءِ»^(١)، ويدخل فيه ما يأتي:

أ - ضعف في القوة الحسية: كالبدن، والسمع، والبصر، ونحو ذلك.

ب - ضعف في القوة العقلية، فيهذي ولا يدري ما يقول.

وقال الشوكاني: «هُوَ الْبُلُوغُ إِلَى حَدٍّ فِي الْهَرَمِ يَعُودُ مَعَهُ كَالطِّفْلِ فِي ضَعْفِ الْعَقْلِ وَقِلَّةِ الْفَهْمِ وَفِتْنَةِ الدُّنْيَا الْإِغْتِرَارَ بِشَهَوَاتِهَا»^(٢).

٥- قوله: «من فتنة الدنيا»: الفتنة هي الاختبار، والتمحيص، قال القاضي عياض رحمته الله: «وَأَصْلُ الْفِتْنَةِ الْإِخْتِبَارُ وَالْإِمْتِحَانُ، يُقَالُ: فَتَنْتَ الْفِضَّةَ عَلَى النَّارِ: إِذَا خَلَّصْتَهَا، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِيهَا أَخْرَجَهُ الْإِخْتِبَارَ لِلْمَكْرُوهِ، ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي أَبْوَابِ الْمَكْرُوهِ، فَجَاءَ مَرَّةً بِمَعْنَى الْكُفْرِ: كَقَوْلِهِ ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٣)، أَيْ رَدَّكُمْ النَّاسَ إِلَى الشَّرِكِ أَكْبَرَ مِنَ الْقَتْلِ، وَتَجِيءُ لِلْإِثْمِ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾^(٤)، وَمِنْهُ أَصَابْتَنِي فِي مَالِي فَتْنَةً، وَهَمَّوْا أَنْ يَفْتَنُوا فِي صَلَاتِهِمْ، أَيْ يَسْهَوْا، وَيَخْلُطُوا، وَتَكُونُ عَلَى أَصْلِهَا لِلْإِخْتِبَارِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(٥)، وَتَكُونُ بِمَعْنَى الْإِحْرَاقِ بِالنَّارِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٦)، أَيْ: حَرَقُوهُمْ، وَمِنْهُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ فَتْنَةِ النَّارِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا هُنَا عَلَى أَصْلِهَا، مِنَ التَّصْفِيَةِ؛ لِأَنَّ الْمَعْذِينَ بِالنَّارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَذْنِبِينَ إِنَّمَا عُذِّبُوا مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِهِمْ، فَكَأَنَّهُمْ صَفَّوْا مِنْهَا، وَخَلَّصُوا، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا يَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَكَذَلِكَ سُؤَالُهُ لِأَمَتِهِ

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٥ / ٥٩٦، مادة (هرم).

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ١٨٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٩.

(٥) سورة التغابن، الآية: ١٥.

(٦) سورة البروج، الآية: ١٠.

ذلك؛ لكن بعفو الله، ورحمته، وتفريقه في الدعاء بين فتنة النار، وعذاب النار حجة لهذا القائل، أي: ممن يعذب بالنار: عذاب الكفار، وهو حقيقة التعذيب، والخلود... وتكون بمعنى الإزالة والصرف عن الشيء كقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيتَ إِلَيْكَ﴾^(١)،^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وأصل الفتنة الاختبار، ثم أُسْتُعْمِلَتْ فيما أَخْرَجَهُ الاختبار إِلَى الْمَكْرُوهِ، ثُمَّ أُسْتُعْمِلَتْ فِي الْمَكْرُوهِ: فَتَارَةٌ فِي الْكُفْرِ... وَتَارَةٌ فِي الْإِثْمِ... وَتَارَةٌ فِي الْإِحْرَاقِ... وَتَارَةٌ فِي الْإِزَالَةِ عَنِ الشَّيْءِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾^(٣)، وَتَارَةٌ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، وَالْمُرَادُ بِهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْاِخْتِبَارَ عَلَى بَابِهَا الْأَصْلِيِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَأَمَّا مَضَلَاتُ الْفِتَنِ: فَأَنْ يَفْتِنَ الْعَبْدَ فَيُضِلَّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مَهْتَدٍ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ * وَإِنَّهُمْ لَيُضِلُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ»^(٥)، وَقَالَ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٦)، وَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَضُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾^(٧)، وَقَالَ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٣.

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١٤٦/٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٣.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١١/٥٠٥.

(٥) سُورَةُ الزَّخْرَفِ، الْآيَتَانِ: ٣٦ - ٣٧.

(٦) سُورَةُ فَاطِرٍ، الْآيَةُ: ٨.

(٧) سُورَةُ غَافِرٍ، الْآيَةُ: ٣٧.

أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا»^(١)؛ وَلِهَذَا تَأَوَّلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ فِيمَنْ يَتَعَبَدُ بِغَيْرِ شَرِيعَةِ اللَّهِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا رَسُولُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَهْلَ الْكِتَابِ: كَالرَّهْبَانِ، وَفِي أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ: كَالْخَوَارِجِ الَّذِينَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتَالِهِمْ: وَقَالَ فِيهِمْ: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ، أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنْ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ ﷺ^(٣). وَفَتَنَةُ الدُّنْيَا مِمَّا يَرَادُ بِهَا مَا يَأْتِي:

أ - التَّنَافُسُ الْمَفْضِي إِلَى الْهَلَاكِ بَعْدَ أَنْ تَفْتَحَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَبْدِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ: «... قَدِمَ أَبُو عُيَيْنَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُيَيْنَةَ، فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُيَيْنَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يُسْرُكُم، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بَسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»^(٤).

ب - فِتْنَةُ الدِّجَالِ: لِقَوْلِهِ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدِّجَالِ»^(٥).

٦- قَوْلُهُ: «وَعَذَابُ الْقَبْرِ»: أَيُّ بَكُونِهِ حَفْرَةٌ مِنْ حَفْرِ النَّارِ بَعْدَ عَدَمِ التَّوْفِيقِ لِلْإِجَابَةِ

(١) سُورَةُ الْكَهْفِ، الْآيَاتَانِ: ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ فُضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَابُ إِثْمٍ مِنْ رَأْيٍ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، بِرَقْمِ ٥٠٥٨، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، بِرَقْمِ ١٤٧ - (١٠٦٤)، وَانْظُرْ: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، بِرَقْمِ ٣٦١١.

(٣) جَامِعُ الرِّسَالِ لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ، ١/ ٢٣١.

(٤) الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ حَدِيثِي خَلِيفَةٍ، بِرَقْمِ ٤٠١٥، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ الزَّهْدِ وَالرَّقَاقِ، بِرَقْمِ ٢٩٦١.

(٥) مُسْلِمٌ، كِتَابُ الْفَتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ فِي بَقِيَّةٍ مِنْ أَحَادِيثِ الدِّجَالِ، بِرَقْمِ ٢٩٤٦.

الصائبة عن سؤال الملكين، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «عذاب القبر ثابت بصريح السنة، وظاهر القرآن، وإجماع المسلمين، هذه ثلاثة أدلة: أما صريح السنة، فقد قال النبي ﷺ: «تعوذوا بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من عذاب القبر»^(١)، وأما إجماع المسلمين؛ فلأن جميع المسلمين يقولون في صلاتهم: «أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر»، حتى العامة الذين ليسوا من أهل الإجماع، ولا من العلماء، وأما ظاهر القرآن، فمثل قوله تعالى في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢)، ولا شك أن عرضهم على النار ليس من أجل أن يتفرجوا عليها، بل من أجل أن يصيبهم من عذابها، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ الله أكبر، إنهم لشحيحون بأنفسهم، ما يريدون أن تخرج ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، فقال: «اليوم»، و(ال) هنا للعهد الحضوري، اليوم يعني: اليوم الحاضر، الذي هو يوم وفاتهم ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٣)، إذن فعذاب القبر ثابت بصريح السنة، وظاهر القرآن، وإجماع المسلمين، وهذا الظاهر من القرآن يكاد يكون كالصريح؛ لأن الآيتين اللتين ذكرناهما كالصريح في ذلك... عذاب القبر المستمر يكون للمنافق والكافر، وأما المؤمن العاصي؛ فإنه قد يعذب في قبره؛ لأنه ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما، فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر

(١) مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، برقم ٢٨٦٧.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

فكان يمشي بالنميمة»^(١)، وهذا معروف أنهما كانا مسلمين»^(٢)، وقال العلامة السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣): «لما ذكر الله عذاب الظالمين في القيامة، أخبر أن لهم عذابا دون عذاب يوم القيامة، وذلك شامل لعذاب الدنيا، بالقتل، والسبي، والإخراج من الديار، ولعذاب البرزخ والقبر»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- الجبن والبخل من مساوئ الأخلاق وقد قرن النبي ﷺ بينهما؛ لأنهما يمنعان عن صاحبهما الإحسان: بالمال، والبدن.
- ٢- إذا بلغ العبد من العمر أرذله ولم يعد مميزاً ولا عاقلاً تداركته رحمة الله بعدم المؤاخذه؛ فإذا سلب ما وهب سقط ما وجب.
- ٣- جاءت السنة الصحيحة بتسمية ووصف الملكان اللذان يسألان العبد في قبره. قال النبي ﷺ: «إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ...» الحديث^(٥).
- وقد ذكر ذلك أئمة السلف في بيان معتقدهم: كالإمام أحمد بن حنبل، والإمام علي بن المديني، وغيرهما: أن عذاب القبر ونعيمه من الأمور الثابتة.
- ٤- قال عمرو بن ميمون الأودي^(٦) الراوي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هذا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب حدثنا محمد بن المثنى، برقم ٢١٨، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، برقم ٢٩٢.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ٢/ ٢٧.

(٣) سورة الطور، الآية: ٤٧.

(٤) تفسير السعدي، ص ٨١٨.

(٥) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، برقم ١٠٧١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٧٢٤.

(٦) عمرو بن ميمون الأودي: الإمام الحجة، أبو عبد الله، أدرك الجاهلية، وأسلم في حياة النبي ﷺ،

الحديث: «كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات - أي لأهميتها - كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر الصلاة. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ، لَمْ أَقِفْ عَلَى تَعْيِينِهِمْ، وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ أَوْلَادَ سَعْدٍ، فَذَكَرَ مِنَ الذُّكُورِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ نَفْسًا، وَمِنَ الْإِنَاثِ سَبْعَ عَشْرَةٍ، وَرَوَى عَنْهُ الْحَدِيثَ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ: عَامِرٌ، وَمُحَمَّدٌ، وَمُصْعَبٌ، وَعَائِشَةُ، وَعُمَرُ»^(١).

٥- الفرق بين الشح والبخل^(٢): الشح: هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه.

وأما البخل: فمنع إنفاق الشيء بعد حصوله، وحبه، وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشح، والشح يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه، ووقي شره، وذلك هو المفلح، قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُوقْ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

٦١- (٧) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»^(٤).

على يد معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصحبه، ثم قدم المدينة، وصحب ابن مسعود رضي الله عنه، وحدث عنهما، مات عام ٧٤ هـ. انظر: أسد الغابة، ٤/ ٢٩٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ٥/ ١٥٤.

(١) فتح الباري، ٦/ ٣٦.

(٢) الوابل الصيب لابن القيم، ص ٣٠.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٤) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في تحقيق الصلاة، برقم ٧٩٢، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في والصلاة على النبي، برقم ٩١٠، ومسند أحمد، ٢٥/ ٢٣٤، برقم ١٥٨٩٨، والبيهقي في السنن الصغير، ١/ ١٧٢، برقم ٤٤٦، وابن خزيمة في صحيحه، ١/ ٣٥٨، برقم ٧٢٥، وصححه محققو المسند، ٢٥/ ٢٣٤، والألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٢٨، وفي صحيح أبي داود، ١/ ٢٢٥، وصححه الأعظمي رواية ابن خزيمة.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٢٤- لفظ ابن ماجه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ: «مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟» قَالَ: أَتَشْهَدُ، ثُمَّ أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَحْسِنُ دَنْدَنْتَكَ، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «حَوْلَهَا تُدْنِدُنُ» ^(٢).

٢٢٥- ولفظ أبي داود وأحمد عن أبي صالح، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: «كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟» قَالَ: أَتَشْهَدُ، وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أَحْسِنُ دَنْدَنْتَكَ، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْلَهَا تُدْنِدُنُ» ^(٣).

٢٢٦- ولفظ البيهقي، وابن خزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ: «مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟» قَالَ: أَتَشْهَدُ ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَحْسِنُ دَنْدَنْتَكَ، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ. فَقَالَ: «حَوْلَهُمَا تُدْنِدُنُ» ^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ»: أي: فضلاً منك، ونعمة، وهذا سؤال طلب، قال العسكري رحمته الله: «الْمَسْأَلَةُ يَقَارِنُهَا الْخُضُوعُ وَالِاسْتِكَانَةُ... وَالِدُعَاءُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مِثْلُ الْمَسْأَلَةِ مَعَهُ اسْتِكَانُهُ وَخُضُوعُهُ» ^(٥).

٢- قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»: أي: من دخولها ولو ابتداءً، أو لمدة

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) ابن ماجه، برقم ٩١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أبو داود، برقم ٧٩٢، وأحمد برقم ١٥٨٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) السنن الصغير للبيهقي، برقم ٤٤٦، وصحيح ابن خزيمة، برقم ٧٢٥، وصححه محقق ابن خزيمة،

وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧.

يسيرة، وهذا سؤال استعادة، قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «العود: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به ... وأعدته بالله أعيده، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك»^(١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ... وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يَضُرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدْ»^(٢)، وقال العلامة السعدي رحمته الله في وصف النار: «النار التي بلغت في الحرارة العظيمة والشدة، أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنار الدنيا التي إنما تتقد بالحطب، وهذه النار الموصوفة معدة، ومهيأة للكافرين بالله، ورسله»^(٣).

٣- قوله: «مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟»، أي: ماذا تقول وتسال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «سَأَلَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ عَمَّا يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ»^(٤)، وقال في كتاب آخر: إن «النبي ﷺ سأل بعض أصحابه: كيف تقول في دعائك»^(٥).

٤- قوله: «أَتَشْهَدُ»: أي: أقرأ التشهد، قال ابن الأثير رحمته الله: «تَشْهَدُ الصَّلَاةُ، وَهُوَ التَّحِيَّاتُ، سُمِّيَ تَشْهَدًا؛ لِأَن فِيهِ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَهُوَ تَفْعُلُ مِنَ الشَّهَادَةِ»^(٦).

٥- قوله: «دندنتك»: الدندنة: هي أن يتكلم الرجل بالكلام يسمع نغمته،

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٣) تفسير السعدي، ص ٤٥.

(٤) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٤١.

(٥) الاستقامة، ٢/ ١١٠.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٥١٤، مادة (شهد).

ولا يفهم وهو أرفع من الهيمنة قليلاً، ومنه دندن الرجل إذا اختلف في مكان واحد مجيئاً وذهاباً^(١).

٦- قوله: «حولها ندندن»: قال ابن رجب رحمته الله: «يُعْنِي: حَوْلَ سُؤَالِ الْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ»^(٢)، وقال العيني رحمته الله: «أَي: حَوْلَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ نَدْنَدُ، وَفِي طَلِبِهِمَا وَمَسْأَلَتِهِمَا: أَحَدُهُمَا: سُؤَالُ طَلَبٍ، وَالثَّانِيَةِ: سُؤَالُ اسْتِعَاذَةٍ، وَمِنْهُ نَدْنَدُ الرَّجُلَ، إِذَا اخْتَلَفَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ مُجِئاً وَذَهَاباً، وَأَمَّا «عَنْهُمَا نَدْنَدُن» فَمَعْنَاهُ: إِنْ دِيدَنْتَنَا صَادِرَةً عَنْهُمَا، وَكَائِنَةً بِسَبَبِهِمَا، فَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «حَوْلَهُمَا نَدْنَدُن»: اسْتَحْسَنَ قَوْلَ الرَّجُلِ بِقَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»: يَعْنِي: كَمَا أَنَّكَ تَسْأَلُ الْجَنَّةَ، وَتَسْتَعِيزُ مِنَ النَّارِ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ فِي هَذَا السُّؤَالِ، وَفِي هَذِهِ الْاسْتِعَاذَةِ»^(٣).

٧- قوله: «حولهما ندندن»: قال الإمام النووي رحمته الله: رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح^(٤)، «قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ: الدَّنْدَنَةُ كَلَامٌ لَا يُفْهَمُ، وَمَعْنَى: حَوْلَهُمَا نَدْنَدُنُ: أَنِّي حَوْلَ سُؤَالَيْهِمَا: إِحْدَاهُمَا: سُؤَالُ طَلَبٍ، وَالثَّانِيَةِ: سُؤَالُ رَهْبٍ»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- جميل خلق النبي ﷺ، وكبير تواضعه مع أصحابه، والتبسط معهم في الكلام.
- ٢- ذكر الرجل معاذاً ﷺ للنبي ﷺ؛ لأن معاذاً هو الذي كان يصلي إماماً يقوم هذا الرجل.
- ٣- لا أحد يدخل الجنة بعمله لقول النبي ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ

(١) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٣٠٦.

(٢) جامع العلوم والحكم، ٢/ ٤٠٤.

(٣) العلم الهيب، ص ٣٠٦.

(٤) لعل لفظة «حولهما»: في نسخة لأبي داود عند النووي، أما في النسخ المطبوعة التي اطلعت عليها لم أجدها في سنن أبي داود لفظة: «حولهما» وإنما هي: «حولها».

(٥) المجموع شرح المذهب، ٣/ ٤٧١.

لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَذْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»^(١)، والمعنى أن العمل وإن كثر من غير رحمة لا ينجي وليس المقصود هو ترك العمل، إنما المقصود عمل صالح مع دوام سؤال الرحمة والقبول.

٤- ما هو الجمع بين هذا الحديث: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ» وبين قول الله ﷻ: «وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»^(٢)، والجواب أن الباء المثبتة في الآية هي الباء السببية، أي أن العمل الصالح سبب لدخول الجنة، والمنفي في الحديث هي الباء الثمنية بأن العمل هو ثمن دخول الجنة، وأن دخول الجنة ابتداءً هو برحمة الله، والمنازل والدرجات فيها على قدر الأعمال الصالحة^(٣).

٥- في خوف الصحابة والسلف من النار: قال الحسن: كان عمر ربما توقد له النار ثم يذني يديه منها، ويقول: يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر؟^(٤).

- وكان سفيان الثوري ينام أول الليل ثم يتنفض فرعاً ينادي النار النار ثم يقوم للصلاة^(٥).
- قال ابن المبارك:

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع^(٦)

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى، برقم ٢٨١٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٣) انظر: ٢٠٠ س، ج في العقيدة للحكمي، رقم (١٣٦).

(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي، ٢/ ٣٤٢، ومحض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ليوسف بن عبد الهادي، ٢/ ٦٢٣.

(٥) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، ١٠/ ٢٣٢، وتفسير الثوري، ص ١٦.

(٦) ديوان عبد الله بن المبارك، ص ١٦، وفضل قيام الليل والتهجد للأجري، ص ٧٨، وتاريخ دمشق، ١٩/ ١٨٠.

٦٢- (٨) «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْقُذُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٢٧- عن عطاء بن السائب^(٢)، عن أبيه، قال: صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ^(٣) صَلَاةً

(١) النسائي، كتاب السهو، باب نوع آخر، برقم ١٣٠٤، وأحمد، ٣٠ / ٢٦٤، برقم ١٨٣٢٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٢٨١ / ١.

(٢) عطاء بن السائب الكِنَاني ثُمَّ اللَّيْثِي، الثَّقَفِيُّ مَوْلَاهُمُ الْكُوفِيُّ، الإمام، الحافظ، مُحَدِّثُ الْكُوفَةِ، أَبُو السَّائِبِ، مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَطَاءٍ وَمُحَمَّدُ، سَكَنَ مَرْوً، مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةً. انظر: الثقات لابن حبان، ٥ / ٢٠١، وسير أعلام النبلاء، ٦ / ١١٠.

(٣) عمار بن ياسر: يكنى بأبي اليقطان، أسلم بمكة قديماً وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ، أثنى عليه رسول الله ﷺ بقوله: «ملئ عمار إيمانًا إلى مشاشه» سنن ابن ماجه، برقم ١٤٨، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٨٠٧، والمشاش هو رؤوس العظام كالمرققين والكتفين والركبتين والمعنى أنه طيب بأصل الخلقة (شرح سنن ابن ماجه للسندي، برقم ١٤٧، وكان الرسول ﷺ يُحْيِيهِ بقوله: «مرحبًا بالطيب المطيب» ابن ماجه، برقم ١٤٧، وصححه الألباني في سلسلة الصحيحة، برقم ٤٦٦ وقال فيه أيضًا: «ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أيسرهما» الترمذي، برقم ٣٧٩٩، وغيره، وحسنه

فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ، أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ؟ فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أَبِي، غَيْرَ أَنَّهُ كَنَى عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: «اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبُ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَخْبِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَضْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْقُذُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»^(١).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ بَعْلَمِكَ الْغَيْبُ»: أي: أتوسل إليك بعلمك الأزلي الأبدي الذي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان، فأنت المحيط بكل شيء علمًا، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فهنا توسل لله - تعالى - بصفة (العلم) و(القدرة)، وهما مناسبتان للمطلوب. ومن ذلك أن يتوسل... الإنسان إلى الله ﷻ بالإيمان به وبرسوله ﷺ... فتوسلوا إلى الله - تعالى - بالإيمان به أن يغفر لهم الذنوب، ويكفر عنهم السيئات، ويتوفاهم مع الأبرار... وأن يتوسل إلى الله ﷻ بالعمل الصالح؛ ... وأن يتوسل إلى الله - تعالى - بذكر حاله؛ يعني أن الداعي يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله، وما هو عليه من الحاجة، ... فهذه أنواع من التوسل كلها

الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٨٣٥، وقد أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ. البخاري، برقم ٣٧٤٢، وقد أخبره النبي ﷺ أنه تقتله الفئة الباغية البخاري، برقم ٤٤٧، وقد تحقق ذلك فقتل بصفين سنة ٣٧ وعمره ٩٣ سنة. انظر: أسد الغابة، ٣٧٩٨/٤، والإصابة، ٥٧٠٨/٤.

(١) النسائي، برقم ١٣٠٤، وأحمد، برقم، ١٨٣٢٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٢٨١/١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

جائزة؛ لأنها أسباب صالحة لحصول المقصود بالتوسل بها»^(١).

٢- قوله: «وقدرتك على الخلق»: أي: بإيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، وأن أمر الله نافذ في الأكوان، لا ينازعه منازع، ولا يخالفه مخالف، قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «التوسل إلى الله بصفاته، ومنه ما جاء في الحديث: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني ما علمت الوفاة خيراً لي» فإن علم الله الغيب صفة، وقدرته على الخلق صفة، وهذا التوسل إلى الله تعالى بعلمه، وقدرته... والتوسل إلى الله تعالى بأفعاله: أن تدعو الله بشيء، ثم تتوسل إليه في تحقيق هذا الشيء بفعل نظيره»^(٢).

٣- قوله: «أحيني ما علمت الحياة خيراً لي»: أي: إذا كان في سابق علمك أن بقائي حياً خيراً لي لأستزيد في الطاعة، فأدم عليّ نعمة الحياة، قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «هذا الدعاء، وكل الإنسان فيه أمره إلى الله؛ لأن الإنسان لا يعلم الغيب، فيكل الأمر إلى عالمه رَحِمَهُ اللهُ»^(٣).

٤- قوله: «وتوفني إذا علمت الوفا خيراً لي»: أي: إذا ترتّب على بقائي حياً نقص في الدين، بتضييع ما خلقتني من أجله، وهو عبادتك وحدك، لا شريك لك، فتوفني إليك، واغفر لي، وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «نعم؛ لأن الله سبحانه يعلم ما سيكون، أما الإنسان فلا يعلم... فأنت لا تدري قد تكون الحياة خيراً لك، وقد تكون الوفاة خيراً لك؛ ولهذا ينبغي للإنسان إذا دعا لشخص بطول العمر أن يقيد هذا فيقول: أطل الله بقاءك على طاعته، حتى

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ٢/ ٣٣٦.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ٢/ ٣٥٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٤٠.

يكون في طول بقائه خير»^(١).

٥- قوله: «اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة»: أي: في السر والعلن والظاهر والباطن، وقال الحافظ ابن رجب رحمته الله: «وَحَشْيَةُ اللَّهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هِيَ مِنَ الْمُنْجِيَّاتِ، فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ حَيْثُ كَانَ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَّتِهِ، وَاسْتَحْضَرَ ذَلِكَ فِي خَلَوَاتِهِ، أُوجِبَ لَهُ ذَلِكَ تَرْكَ الْمَعَاصِي فِي السِّرِّ»^(٢).

٦- قوله: «وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب»: لأن من صفات المؤمن أن يملك نفسه عند الغضب، فلا يحيف بفعل، أو قول. قال النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٣)، وقول الحق حال الغضب أمر قد ندر وعز، وخاصة في هذه الأزمنة، إلا من رحم الله، قال الصنعاني رحمته الله: «وأسألك كلمة الإخلاص في رواية كلمة الحق في الرضا، حال كوني راضياً والغضب مثله، والمراد في الحالين معاً، فمن الناس من يخرج غضبه عن الحق، وهو يعم كونه هو الغاضب والراضي، أو كونه مغضوباً عليه، ومرضياً عنه»^(٤).

٧- قوله: «وأسألك القصد في الغنى والفقر»: القصد هو الاعتدال والتوسط من غير إفراط، ولا تفريط، فعند الفقر يرضى ويصبر، ولا يكون مقتراً لا على نفسه، ولا على من تلزمه نفقتهم، مخافة نفاد الرزق، وفي حال الغنى، لا يكون مسرفاً، ولا مضيعاً لحد الاعتدال، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٤٠.

(٢) جامع العلوم والحكم، ١/ ٤٠٧.

(٣) البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم ٦١١٤.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٦٦.

بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا^(١)، قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ: أَيُّ: التَّوَسُّطِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ إِسْرَافٌ، وَلَا تَقْصِيرٌ؛ فَإِنَّ الْغِنَى يَبْسُطُ الْيَدَ، وَيُطْفِئُ النَّفْسَ، وَالْفَقْرُ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا، فَالتَّوَسُّطُ هُوَ الْمَحْبُوبُ الْمَطْلُوبُ»^(٢).

٨- قوله: «وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ»: أَيُّ: لَا يَزُولُ، وَلَا يَحُولُ، وَهُوَ نَعِيمُ الْجَنَّةِ، قَالَ الْقَارِي رَحِمَهُ اللهُ: «لَا يَنْفَدُ: بِالدَّالِّ الْمُهْمَلَةِ أَيُّ: لَا يَفْنَى وَلَا يَنْقُصُ، وَهُوَ نَعِيمُ الْجَنَّةِ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ»^(٣).

٩- قوله: «وَأَسْأَلُكَ قَرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ»: قَرَّةُ الْعَيْنِ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقَرِّ، وَهُوَ الْبَرْدُ، إِذْ دُمُوعُ الْفَرْحِ بَارِدَةٌ، وَدُمُوعُ الْحُزَنِ حَارَةٌ. قَالَ الشَّاعِرُ:
فَكَمْ تَسَخَنْتِ بِالْأَمْسِ عَيْنَ قَرِيرَةٍ وَقَرَّتْ عَيْنُونَ دَمْعُهَا الْيَوْمَ سَاكِبٌ^(٤)

وقرة العين المرادة هنا إنما تكون بالفوز المبين يوم القيامة، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «قَرَّةُ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ»: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ طَلَبُ نَسْلًا لَا يَنْقُطُ بَعْدَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾^(٥)، أَوْ طَلَبُ مَحَافِظَةِ الصَّلَوَاتِ، وَالْإِدَامَةِ عَلَيْهَا، كَمَا وَرَدَ «وَجَعَلْتَ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٦).

١٠- قوله: «وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ»: لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْمَحْكُ الْحَقِيقِيُّ لَصَبْرِ الْعَبْدِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»^(٧)، وَإِذَا حَقَّقَ الْعَبْدُ الرِّضَا

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٢) فيض القدير، ١٤٦/٢.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٧٣٥/٥.

(٤) تفسير الجزائري مع نهر الخير، ص ١٢٠٧.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٩٣٣/٦، والحديث أخرجه أحمد، ١٩/

٣٠٥، برقم ١٢٢٩٣، والنسائي، ٦١/٧-٦٢، برقم ٣٩٣٩، والحاكم ١٦٠/٢، وحسن إسناده محققو

المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٠٩٨.

(٧) البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، برقم ١٢٨٣.

بعد وقوع ما يكره، ورضي به، فهذا دليل على إيمانه، أما الرضا قبل القضاء؛ فإنه مجرد عزم، وأما ما قدره الله على العبد من أمور الخير، فعليه أن يؤدي شكر هذه النعم بمرضاة واهبها ﷺ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَهَذَا يَقِينٌ يُعْطَى الْإِسْتِعَانَةَ وَالتَّوَكُّلَ... وَهُوَ يَقِينٌ بِالْقَدَرِ الَّذِي لَمْ يَقَعْ؛ فَإِنَّ الْإِسْتِعَانَةَ وَالتَّوَكُّلَ إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَقْبَلِ. فَأَمَّا مَا وَقَعَ فَإِنَّمَا فِيهِ الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ وَالرِّضَى»^(١).

١١- قوله: «وأسألك برد العيش بعد الموت»: لأن هذا هو العيش الحقيقي الذي ليس فيه منغص؛ ولذلك فإن الكافر، والمفرط تقع منهما الحسرة، كما قال الله ﷻ: «يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي» لأن هذه هي الحياة التي لا يعقبها موت، قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله: «فى ذلك أعظم لذة العبد وسعادته ونعيمه، فليس فى الكائنات شىء غير الله سبحانه يسكن القلب إليه، ويطمئن به ويأنس به، ويتنعم بالتوجه إليه»^(٢)، وقال المناوي رحمه الله: «برفع الروح إلى منازل السعداء ومقامات المقربين والعيش فى هذه الدار لا يبرد لأحد بل محشو بالغصص والنكد والكدر محقوق بالآلام الباطنة والأسقام الظاهرة»^(٣).

١٢- قوله: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك»: فيه طلب لأعظم نعيم فى الآخرة، وهو النظر لوجه الله الكريم، وإنما جاء التعبير باللذة لأن ذلك هو المقصود الأسمى، والمطلب الأعلى لأهل الجنان، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «لذة النظر؛ لأن لهذا النظر لذة عظيمة لا يدركها إلا من أدركها بنعمة من الله، وفضل منه... أما من زعم أن الله لا يرى بالعين، وأن الرؤية عبارة عن كمال اليقين؛ فإن قوله هذا باطل، مخالف للأدلة، ويكذبه الواقع؛ لأن كمال اليقين موجود فى الدنيا

(١) مجموع الفتاوى، ١٣/ ٣٢٠.

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ١/ ٣٠.

(٣) فيض القدير، ٢/ ١٤٦.

أيضاً... وعبادتك لله كأنك تراه هذا هو كمال اليقين، فدعوى أن النصوص الواردة في الرؤية تعني كمال اليقين؛ لأن المتيقن يقيناً كاملاً كالذي يشاهد بالعين دعوى باطلة، وتحريف للنصوص، وليس بتأويل؛ بل هو تحريف باطل يجب رده على من قال به، والله المستعان»^(١).

١٣- قوله: «والشوق إلى لقاءك»: قال الطيبي رحمه الله: «سأل شوقاً إلى الله تعالى في الدنيا، بحيث يكون ضراء غير مضرة، أي: شوقاً لا يؤثر في سيري وسلوكي»^(٢).

١٤- قوله: «في غير ضراء مضرة»: الضراء هي الحالة التي تضرّ، وهي نقيض السراء، ويراد بذلك ما يزعج العبد يوم القيامة ويضره، قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «لأن الشوق إلى لقاء الله يستلزم محبة الموت والموت يقع تمنيه كثيرا من أهل الدنيا بوقوع الضراء المضرة في الدنيا وإن كان منهيًا عنه في الشرع، ويقع من أهل الدين تمنيه لخشية الوقوع في الفتن المضلة»^(٣).

١٥- قوله: «ولا فتنة مضلة»: تأكيد لتمام الراحة، وتوكيد لطيب الحال، قال القاري رحمه الله: «لأن الفتنة تغم ما يؤدي إلى الهلاك الحسي والمعنوي، والمضلة ما يوجب الانحراف عن الطريق القويم والصراط المستقيم»^(٤).

١٦- قوله: «اللهم زينا بزينة الإيمان»: وهذا يشمل الأمور الآتية:

أ - زينة القلب بالاعتقاد الصحيح، وأعمال القلب: كالخشية، واليقين، والتوكل، والإنابة لله تعالى.

ب - زينة الجوارح بالعمل بمراضى رب العباد.

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ١/ ٢٢٤.

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٣٣.

(٣) شرح حديث ليك اللهم ليك، ص ٩٥.

(٤) مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٥/ ١٧٣٦.

ج - زينة اللسان بدوام الذكر، وتلاوة القرآن، مع التدبر، وبذل النصح، والنهي عن المنكر.

١٧- قوله: «واجعلنا هداة مهتدين»: أي هداة لغيرنا؛ بدلالتهم على تحقيق التوحيد، والعبودية لك سبحانه، مع كوننا مهديين في أنفسنا، فلا نأمر بمعروف ولا نأثم، ولا ننهي عن منكر ونأثم، قال ابن القيم رحمته الله: «ولما كان كمال العبد في أن يكون عالماً بالحق، متبعاً له، معلماً لغيره، مرشداً له، قال: واجعلنا هداة مهتدين»^(١).

١٨- قوله: «فأوجز... خففت، أو أوجزت»: أوجز أي: اقتصر فيها، أي: مع تمام أركانها وسننها، فقال له بعض القوم، أي: ممن حضرها: لقد خففت - بالتشديد -: أي: الأركان، بأن فعلت ما يطلق عليها الركن، وأوجزت: أي اقتصرت بأن أتيت أقل ما يؤدى به السنن^(٢).

١٩- قوله: «لقد دعوت فيها» أي في آخرها، أو سجودها^(٣).

٢٠- قوله: «بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ»: أي: داخل الصلاة أو خارجها^(٤).

٢١- قوله: «فلما قام» أي: عمار بن ياسر رضي الله عنه^(٥).

٢٢- قوله: «تبعه رجل من القوم هو أبي» هذا من كلام عطاء، أي: ذلك الرجل أبي^(٦).

٢٣- قوله: «غير أنه - أي أبي - كنى عن نفسه»، أي برجل ولم يقل تبعته، قال

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ١ / ٢٨.

(٢) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٤٢٨.

(٣) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٤٢٨.

(٤) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٤٢٨.

(٥) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٤٢٨.

(٦) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٤٢٨.

الطبيي رحمته: وتقدير الاستثناء أنه لم يصرح السائب إلا أنه كنى عن نفسه بالرجل. ا. هـ. والمراد بعدم التصريح بمبالغة الإخفاء، خوفاً من الرياء^(١).

٢٤- قوله: «فسأله» أي: الرجل عماراً عن الدعاء أي: فأخبره^(٢).

٢٥- قوله: «ثم جاء فأخبر به القوم» قال القاري رحمته: «ثم جاء: أي: الرجل، فأخبر، وفي نسخة: وأخبر» به: أي: بالدعاء القوم^(٣)، والمعنى: أن الرجل أخبر القوم بالدعاء.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- تقرير أن الغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ^(٤)، وإثبات صفة العلم له ﷻ. قال ابن القيم رحمته:

وهو العليم أحاط علماً بالذي
في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه
فهو المحيط وليس ذا نسيان^(٥)

٢- تقرير أن من صفات الله: «القدير» ومعناه: التام القدرة، لا يلابس قدرته عجز.

قال ابن القيم:

وهو القدير وليس يعجزه إذا ما رام شيئاً قط ذو سلطان^(٦)
وأنه كذلك القادر، أي: القوي الذي يفعل ما أراد وفق حكمته، وأنه
المقتدر، وهي صفة مبالغة في الوصف بالقدرة.

٣- العبد في حقيقة أمره عاجز عن تحصيل مصالحه، ودفع مضاره، ولا

(١) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٤٢٨ / ٨.

(٢) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٤٢٨ / ٨.

(٣) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٤٢٨ / ٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٥) النونية، ٢ / ٢١٥.

(٦) النونية، ٢ / ٢١٨.

توفيق له في ذلك إلا بالله علام الغيوب.

٤- الأصل هو النهي عن تمني الموت؛ لقول النبي ﷺ: «ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب»^(١)، وفي لفظ: «فإن كان لا بد متمنيًا للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»^(٢).

وأما قول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء»^(٣)، قال الحافظ في الفتح: وليس فيه معارضة للنهي عن تمني الموت؛ لأن هذا يكون عند فساد الحال في الدين، أو ضعفه وغلبة أهل الباطل، وهذا مختص بأهل الخير، فيتمنى أهون المصيبين^(٤).

وأما دعاء عمر رضي الله عنه: «اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع، ولا مفطر»^(٥). فقال الإمام الباجي رحمه الله: «وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ: أَنْ يَهَبَهُ مِنَ الْعَوْنِ عَلَى مَا كَلَّفَهُ مَا يَغْصُمُهُ مِنَ التَّضْيِيعِ، وَالتَّفْرِيطِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَدْعُوَ بِتَعْجِيلِ مَيِّتَةٍ لَمَّا خَشِيَ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ تَضْيِيعٌ، أَوْ تَفْرِيطٌ؛ لِضَعْفِ قُوَّتِهِ، وَانْتِشَارِ رَعِيَّتِهِ، وَلَيْسَ هَذَا مِمَّا نَهَى عَنْهُ ﷺ مِنْ أَنْ يَدْعُوَ أَحَدًا بِالْمَوْتِ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ، وَإِنَّمَا دُعَاءُ عُمَرَ بِالْمَوْتِ خَوْفٌ

(١) البخاري، كتاب المرضى، باب نهى تمني المريض الموت، برقم ٥٦٧٣.

(٢) البخاري، كتاب المرضى، باب نهى تمني المريض الموت، برقم ٥٦٧١، وينحوه مسلم، برقم ٢٦٨٠.

(٣) مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، برقم ٢٩٠٧.

(٤) انظر: فتح الباري، ١٣ / ٩٠.

(٥) مالك في الموطأ، ٢ / ٨٢٤، برقم ١٥٠٦، قال ابن عبد البر في الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٦٨ / ٢٤: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ». بلفظ: «وَإِذَا أَرَدْتَ فِي النَّاسِ فِتْنَةً فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ».

التَّفْرِيطُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَوْطَأِ مِنْ «دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ»: «وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُفْتُونٍ»^(١)، وَهَذَا أَشْبَهُ بِمَا رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ قَالَ: فَمَا أَنْسَلَخَ ذُو الْحِجَّةِ حَتَّى قُتِلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٢).

وقال الإمام ابن باز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «طلب الموت يا أخي لا يجوز، ولا يجوز تمنيه أيضاً لقول النبي ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به؛ فإن كان لا بد متمنياً، فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» متفق على صحته»^(٣).

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحييني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»^(٤)، فنوصيك بهذا الدعاء، أصلح الله حالك وقدر لك ما فيه الخير والصلاح وحسن العاقبة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(٥).

٥- خشية الله بالغيب هي رجاء كل مؤمن؛ لأنها دليل على يقظة القلب، وتعظيم معرفة أن الله مُطَّلَعٌ على عبده في كل الأحوال. فلا يجعل العاقل ربه أهون الناظرين إليه، قال الله في صفات أهل الجنة: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ

(١) مسند أحمد، ٤٢٢/٣٦، برقم ٢٢١٠٩، ولفظه: «وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مُفْتُونٍ» ضعفه محققو المسند،

٤٢٣/٣٦، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٥٨٢، ومالك في الموطأ، ٢١٨/١، برقم ٥٠٨.

(٢) المتقى شرح الموطأ، ١٣٩/٧.

(٣) رواه البخاري في الدعوات، باب الدعاء بالموت، برقم ٦٣٥١، ومسلم في الذكر والدعاء والاستغفار، باب كراهة تمنى الموت لضر نزل به، برقم ٢٦٨٠.

(٤) رواه الإمام أحمد، ١٦٤/٣٠، برقم ١٨٣٢٥، والنسائي في كتاب السهو، نوع آخر، برقم ١٣٠٥،

وصحيح ابن حبان، ٣٠٤/٥، برقم ١٩٧١، والحاكم وصححه، ٥٢٤/١، وصححه محققو

المسند، ١٦٥/٣٠، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٣/٤٠١، برقم

١٩٦٨، مشكاة المصابيح، ٤٠٤/١، برقم ٢٩٧٤.

(٥) مجموع فتاوى ابن باز، ١٣/٩٢.

بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿١﴾.

٦- قرة العين في الدنيا تكون بالتوفيق للطاعة؛ ولذا قال النبي ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» (٢).

٧- إثبات أن أهل الإيمان والجنان يرون ربهم يوم القيامة، وأن ذلك ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة، فمن ذلك قول الله ﷻ: «وَجُودٌ يُؤْمِنُ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» (٣)، وقول النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته» (٤)، وهذا هو معتقد الفرقة الناجية ومما تواترت به الأحاديث الصحيحة:

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتاً واحتسب
ورؤية شفاعاة والحوض ومسح خفين وهذه بعض (٥)

٦٣- (٩) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ، بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (٦).

(١) سورة ق، الآية: ٣٣.

(٢) مسند أحمد، ٢١/٤٣٣، برقم ١٤٠٣٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣١٩٨.

(٣) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٤) البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، برقم ٥٥٤.

(٥) نظم المتناثر لمحمد بن جعفر الكتاني، ص ١٨، وقال فيه: وقال «الشيخ التاودي في حواشيه على الصحيح»

واستشهد به العلامة ابن عثيمين رحمه الله في علة كتب منها شرح رياض الصالحين في شرح الحديث رقم ١٨٩٦.

(٦) أخرجه النسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، برقم ١٣٠٠ بلفظه، وأحمد،

٣١/٣١٠، برقم ١٨٩٧٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٨٠.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٢٨- عن مِخْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ^(١) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، إِذَا رَجُلٌ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ غَفِرَ لَهُ» ثَلَاثًا^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم إني أسألك»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خلاف أن لفظة: (اللهم) معناها: يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»^(٣)، قال العسكري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمَسْأَلَةُ يَقَارِنُهَا الْخُضُوعُ وَالْاِسْتِكَانَةُ... وَالِدُعَاءُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مِثْلُ الْمَسْأَلَةِ مَعَهُ اسْتِكَانُهُ وَخُضُوعُهُ»^(٤)، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيُّ أَطْلَبُكَ مَقْصُودِي، فَالْمَفْعُولُ مَقْدَرٌ: أَيُّ أَدْعُوكَ، فَيَكُونُ الْأُطْفُ سَوْأَلٌ إِلَى أَشْرَفِ نَوَالٍ»^(٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَوْأَلُ اللَّهِ، وَالتَّوَسُّلُ إِلَيْهِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ، وَفَعَلَ مَا يَحِبُّهُ، وَالْعِبَادِيَّةُ وَالطَّاعَةُ، هُوَ مِنْ جِنْسِ فَعَلَ ذَلِكَ؛ رَجَاءٌ لِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَخَوْفًا مِنْ عَذَابِهِ، وَسَوْأَلُ اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ»^(٦).

٢- قوله: «بأنك الواحد الأحد»: هو الذي توحد بجميع الكمالات، بحيث

(١) مخجن بن الأدرع روى عنه حنظلة الأسلمي، ورجاء بن أبي رجاء الباهلي، وعبد الله بن شقيق، سكن البصرة، وهو الذي اختط مسجدها ممن أسلموا قديمًا، ويقال: مات في خلافة معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ. تهذيب الكمال، ١٠/ ٤٩.

(٢) النسائي، برقم ١٣٠٠، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ١٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦، من حديث المتن رقم ١.

(٤) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٦١.

(٥) مرقاة المفاتيح، لملا علي القاري، ١/ ٤٣٦.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٢/ ٣٢٢.

لا يشاركه فيها مشارك، ويجب على العبيد توحيده عقدًا، وقولًا، وعملاً، بأن يعترفوا بكماله المطلق، ويفردوه بأنواع العبادة^(١).

٣- قوله: «الصمد»: الصمد في اللغة هو السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر، وقيل هو الذي يصمد، أي يُقصد في الحوائج، وفي حق الله ﷻ: قال ابن عباس رضي الله عنه: «الصمد هو السيد الذي كُمل في سؤده، والشریف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي كُمل في عظمته، والحليم الذي كمل في حلمه، والعليم الذي كمل في علمه، والحكيم الذي كمل في حكمته، وهو الذي كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، وهذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفاء، وليس كمثل شيء، سبحانه الله الواحد القهار»^(٢).

٤- قوله: «لم يلد»: أي لا ولد له، قال الله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣).

فهو سبحانه لم يلد؛ لأنه لا يفنى، إذ لا شيء يلد إلا وهو فانٍ بائد لا محالة.

٥- قوله: «ولم يولد»: أي ليس بمحدث بأن لم يكن فكان، فهو كائن أولاً وأبداً^(٤).

٦- قوله: «ولم يكن له كفواً أحد»: أي لا ند ولا شبيه، ولا نظير، ولا مثيل له؛ لأنه المنفرد وحده بصفات الكمال والجلال والعظمة، فلا تنبغي الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة لأحد غيره، قال العلامة السعدي رحمته الله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لا في أسمائه، ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى، فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات»^(٥).

(١) تفسير السعدي، ٢٩٨/٥ - ٢٩٩.

(٢) ابن كثير. سورة الإخلاص، وانظر مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٢٠/٢٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

(٤) تفسير الجزائري، ص ٢١١.

(٥) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

٧- قوله: «قضى صلاته» أي أتمّها، وفرغ منها^(١).

٨- قوله: «يتشهد»: يريد تشهد الصلاة، وهو التحيات، سُمِّيَ تشهداً؛ لأن فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهو تفعل من الشهادة^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- ما كان عليه الرسول ﷺ من الاعتناء بأصحابه وبذل النصح والتوجيه لهم.
- ٢- التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، تزيد العبد محبة لله ﷻ، وتقوي نبتة الإيمان في قلبه.
- ٣- تقرير عقيدة التوحيد الذي من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمن وكافر، وشقي وسعيد.
- ٤- إذا تقرر عند المسلم معنى الواحد الأحد، لم يصرف شيئاً من عبادته لغير الله، فيكون كل أعمال البدن من: صلاة، أو دعاء، أو ذبح، أو نذر لله، وكذلك كل أعمال القلب: كالخشية، والإنابة، والخوف، والتوكل تكون كلها لله.
- ٥- قال بعض أصحاب المعاني: الفرق بين الواحد والأحد أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط، والأحد يفيد بالذات والمعاني؛ ولذا جاء في التنزل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي المتفرد بالواحدانية في ذاته وصفاته^(٣).
- ٦- جاء عن النبي ﷺ أن من نسب لله الولد فقد شتمه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - «قال الله تعالى: كذّبي ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بدّاني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، الذي لم

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢ / ١٨٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٥١٤.

(٣) اشتقاق الأسماء للزجاجي، ص ٥٢.

الِد، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»^(١).

٦٤- (١٠) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحَدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٢٩- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه^(٣)، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٤).

٢٣٠- ولفظ النسائي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه^(٥)، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا - يَغْنِي - وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ دَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعَ السَّمَوَاتِ

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب حدثنا أبو اليمان، برقم ٤٩٧٤.

(٢) رواه أهل السنن: أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم ١٤٩٥، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا قتيبة، برقم ٣٥٤٤، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم ٣٨٥٨، والنسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، برقم ١٢٩٩، وابن منده في كتاب التوحيد، ١٦٦/٢، برقم ٣٠٩، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣٢٩/٢، وصحيح أبي داود، ٢٣٣/٥، وفي صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٢٠٣.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٤) أخرجه أبو داود، برقم ١٤٩٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢٣٣/٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «تَذَرُونَ بِمَا دَعَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١).

٢٣١- ولفظ ابن منده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ كَانَ يَدْعُو اللَّهَ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ» وَرَوَى حَفْصُ بْنُ أَخِي أَنَسٍ، عَنْ أَنَسٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَرَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ أَنَسٍ نَحْوَهُ، وَزَادَ فِيهِ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم إني أسألك»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خلاف أن لفظة: (اللهم) معناها: يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»^(٣)، و«المَسْأَلَةُ يقارنها الخضوع والاستكانة»^(٤)، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي أطلبك مقصودي»^(٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «سؤال الله، والتوسل إليه بامثال أمره، واجتتاب نهيه، وفعل ما يحبه»^(٦).

٢- قوله: «بأن لك الحمد»: قال الفيومي: «أي: لك المنة على ما ألهمتنا، أو لك الذكر والثناء؛ لأنك المستحق لذلك، وفي «ربنا لك الحمد» دعاء خضوع،

(١) النسائي، برقم ١٢٩٩، وتقدم تخريجه تخريج حديث المتن.

(٢) التوحيد لابن منده، ١٦٦/٢، برقم ٣٠٩، وصحح إسناده الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٢٠٣.

(٣) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من شرح حديث المتن رقم ١.

(٤) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٦١.

(٥) مرقاة المفاتيح، لملا علي القاري، ٤٣٦/١.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٣٢٢/٢، وتقدم شرحه في شرح المفردة

رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٦١.

واعتراف بالربوبية، وفيه معنى الثناء والتعظيم، والتوحيد»^(١). وقال القاري: «لك الحمد: تقديم الخبر يدل على التخصيص، قاله الطيبي، وكذلك لام الجر مع لام الجنس أو العهد في الحمد»^(٢).

٣- قوله: «لا إله إلا أنت»: أي: لا معبود بحق غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك^(٣)، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»^(٤).

٤- قوله: «وحدك لا شريك لك»: قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «وحدك لا شريك لك، مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والأوثان»^(٥).

٥- قوله: «الْمَنّان»: عظيم المواهب، كثير العطاء، فله المنة على عباده، ولا منة لأحد منهم عليه، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «(فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: «الْمَنّان»: هُوَ الْمُنْعِمُ الْمُعْطِي، مِنَ الْمَنِّ: الْعَطَاءُ، لَا مِنَ الْمِنَّةِ، وَكَثِيرًا مَا يَرُدُّ الْمَنُّ فِي كَلَامِهِمْ بِمَعْنَى الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَسَيِّبُهُ، وَلَا يَطْلُبُ الْجَزَاءَ عَلَيْهِ، فَالْمَنّانُ مِنْ أُنْبِيَاءِ الْمُبَالِغَةِ، كَالسَّفَاكِ وَالْوَهَّابِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «مَا أَحَدٌ أَمَنُ عَلَيْنَا مِنْ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ»^(٦) أَيْ: مَا أَحَدٌ أَجْوَدُ بِمَالِهِ، وَذَاتِ يَدِهِ، وَقَدْ يَقَعُ الْمَنّانُ عَلَى الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَاعْتَدَّ بِهِ عَلَى مَنْ أَعْطَاهُ، وَهُوَ مَذْمُومٌ؛ لِأَنَّ الْمِنَّةَ تُفْسِدُ الصَّنِيعَةَ»^(٧).

(١) المصباح المنير، ١/ ١٥٠، مادة (حمد).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٣٢٠.

(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.

(٤) شرح المشكاة للطبيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٥) تفسير الطبري، ١/ ١٦٦.

(٦) أخرجه البخاري، برقم ٤٦٦، ومسلم، برقم ٢٣٨٢، ولفظه عن أبي سعيد الخدري رَحِمَهُ اللهُ: «...إِنْ أَمِنُ النَّاسُ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ».

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٦٥، مادة (من).

٦- قوله: «بديع السموات والأرض»: أي خالقهما، ومبدعهما على غير مثال سابق، قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: خالقهما ومبدعهما، في غاية ما يكون من الحسن، والخلق، البديع، والنظام العجيب المحكم»^(١).

٧- قوله: «يا ذا الجلال والإكرام»: قال الحليمي^(٢): أي: المستحق أن يُهاب لسلطانه، ويثنى عليه بما يليق بعلو شأنه، وهو الذي لا جلال ولا كمال إلا وهو له، ولا مكرمة إلا وهي صادرة عنه فالجلال له في ذاته، والكرامة فائضة منه على خلقه، ولا تكاد تنحصر وتتناهى، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٣)، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أي: عظمت خيراتك وبركاتك ونعمك على عبادك»^(٤).

٨- قوله: «يا حي»: الحي صفة من الصفات الذاتية لله تعالى، قال الخطابي^(٥): «هو الذي لم يزل موجودًا، وبالحياة موصوفًا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾»^(٦) يعني الكامل في حياته»^(٧)، وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «الحي: من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك»^(٨).

(١) تفسير السعدي، ص ٩٤٨.

(٢) انظر: النهج الأسمى للنجدي، ٢/ ٢٢٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٤) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٨٧٧.

(٥) شأن الدعاء، ص ٨٠.

(٦) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٧) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠١٩.

(٨) تفسير السعدي، ص ١١٠.

٩- قوله: «يا قيوم»: قال الزجاجي^(١): هو من أوصاف المبالغة في الفعل، وهو من قوله ﷺ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٢)، أي يحفظ عليها، ويجازيها، ويحاسبها، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه، وكمال قدرته؛ فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته وهذا من كمال قدرته وعزته فانتظم هذان الإسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة»^(٣)..

١٠- قوله: «اللهم إني أسألك الجنة»: قال العسكري رَحِمَهُ اللهُ: «المسألة يقارنها الخضوع والاستكانة... والدُّعَاءُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مِثْلُ الْمَسْأَلَةِ مَعَهُ اسْتِكَانُهُ وَخُضُوعُهُ»^(٤).

١١- قوله: «وأعوذ بك من النار»: أي: من دخولها ولو ابتداءً، أو لمدة يسيرة، وهذا سؤال استعاذة^(٥).

١٢- قوله: «لقد دعا الله باسمه العظيم»: قال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: «فإن قيل: ما معنى الأعظم؟ قلنا: أما الأعظم، فهو عظيم الثواب، فلا ثواب أعظم منه، ولا ثواب أعظم من الثواب على ذكر الله، ويطابق هذا قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾»^(٦)، وهو الاسم الأعظم؛ لأنه قسم العموم، والكثير المتعلقات، فليس في الأسماء أكثر متعلقات منه، ولا أعم مقتضى من قولك: الله؛ فإن

(١) اشتقاق الأسماء، ص ١٠٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٤١٠).

(٤) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٦١.

(٥) تقدم في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٦١.

(٦) سورة طه، الآية: ١٤.

جميع الأسماء تدخل فيه، والصفة تضم معانيها، وتقتضيه، فإذا قيل: مَنْ الرب، مَنْ الملك، مَنْ القدوس؟ قيل: الله؟ وبه دعا يونس في ظلمات البحر والحوث»^(١). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «النُّصُوصُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ أَسْمَائِهِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَلِهَذَا يُقَالُ دَعَا اللهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ صِفَاتِهِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَبَعْضُ أَفْعَالِهِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، فَفِي الْأَثَارِ ذَكَرَ اسْمُهُ الْعَظِيمَ، وَاسْمُهُ الْأَعْظَمَ، وَاسْمُهُ الْكَبِيرَ وَالْأَكْبَرَ»^(٢).

١٣ - قوله: «الذي إذا سئل (دعي) به أجاب، وإذا سئل به أعطى»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «فأخبر النبي ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسم الله الأعظم، فكان ذكر الله ﷻ، والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه، وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر، والثناء أنه يجعل الدعاء مستجاباً، فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل، وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد؛ فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله، ومسكته، وافتقاره، واعترافه كان أبلغ في الإجابة، وأفضل؛ فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله، وإحسانه، وفضله، وعرض بل صرح بشدة حاجته وضرورته، وفقره ومسكته، فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضى من السائل، والمقتضى من المسؤول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعاً، وأتم معرفة وعبودية، وأنت ترى في المشاهد - والله المثل الأعلى - أن الرجل إذا توسل إلى ما يريد معروفة بكرمه، وجوده، وبره، وذكر حاجته، هو وفقره، ومسكته، كان أعطف لقلب المسؤول، وأقرب لقضاء حاجته؛ فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا تنكر، ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغاً لا صبر معه،

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣ / ٤٩١.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٧ / ٩٠.

ونحو ذلك كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء أعطني كذا»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- استحباب تقديم الشاء على الله على الصلاة على نبيه»^(٢).
 - ٢- مشروعية التنوع في الأدعية التي يقولها المصلي قبل التسليم، وجواز الجمع بين أكثر من دعاء في صلاة واحدة، شريطة مراعاة أحوال من خلفه، إذا صلى بالناس إماماً.
 - ٣- إيضاح أن السنة منها ما هو قولي، وما هو فعلي، وما هو تقريرى كما في هذا الحديث.
 - ٤- ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الاجتهاد في الدعاء، وتعظيم الرغبة في الله.
 - ٥- في اسم الله المنان: قال ابن الأثير^(٣): هو المنعم المعطي، من المَنَّ أي: العطاء، لا من المنة، قال القرطبي: وقد يكون مشتقاً من المنة التي هي التفاجر بالعطية على المعطى له، وتعدد ما عليه، والمعنيان صحيحان في حق الله، بخلاف الإنسان؛ فإن المعنى الأول يكون محموداً في حقه، ويكون الثاني مذموماً، فمن الأول أي المحمود قول النبي ﷺ: «وإن من آمن الناس علي في ماله أبو بكر»^(٤)، ومن الثاني: قول الله: ﴿لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(٥).
- ٦٥- (١١) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»^(٦).

(١) الوابل الصيب، ص ١٢٠.

(٢) فتح الباري، لابن رجب، ٥/ ١٩٥.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٦٤، مادة (من).

(٤) البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، برقم ٤٦٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٦) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم ١٤٩٣، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ، برقم ٣٤٧٥، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم ٣٨٥٧، والنسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، برقم ١٣٠٠ بلفظه، وأحمد، ٣١٠/ ٣، برقم ١٨٩٧٤، وصححه إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح النسائي،

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٣٢- عن بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ^(١)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالْإِسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١٤- قوله: «اللهم إني أسألك»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خلاف أن لفظة: (اللهم) معناها: يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»^(٣)، و«المسألة يقارنها الخضوع والاستكانة»^(٤)، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي أطلبك مقصودي»^(٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «سؤال الله، والتوسل إليه بامثال أمره، واجتناب نهيه، وفعل ما يحبه»^(٦).

-
- ١/ ٢٨٠، ٣١/ ٣١٠، وفي صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٢٩، وفي صحيح الترمذي، ٣/ ١٦٣.
- (١) بريدة بن الحبيب الأسلمي؛ أبو عبد الله، وقيل أبو سهل، وقيل أبو ساسان، والمشهور الأول، قيل إنه أسلم عام الهجرة، وشهد خيبر، وفتح مكة، وكان يحمل اللواء لأسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين غزا أرض البلقاء بعد موت النبي ﷺ، سكن البصرة مدة، ثم غزا خراسان في زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مات بخراسان عام ٦٢ هـ، وهو آخر من مات من الصحابة بخراسان. سير أعلام النبلاء، ٢/ ٤٦٩، ترجمة رقم (٩١).
- (٢) أخرجه أبو داود، برقم ١٤٩٣، والترمذي، برقم ٣٤٧٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ١٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
- (٣) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ١.
- (٤) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٦١.
- (٥) مرقاة المفاتيح، لملا علي القاري، ١/ ٤٣٦.
- (٦) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٢/ ٣٢٢، وتقدم شرحه في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٦١.

١٥- قوله: «بأنّي أشهد أنك أنت الله»: مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأَبَيِّنُ... حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ حُضُورِهِ^(١).

١٦- قوله: «الاسم الذي إذا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ» الفرق بين قوله: إذا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وبين قوله: إذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ: أن الثاني أبلغ، فإن إجابة الدعاء تدل على شرف الداعي، ووجاهته عند المجيب، فتتضمن أيضاً قضاء حاجته، بخلاف السؤال، فقد يكون مذموماً، ولذلك ذم السائل في كثير من الأحاديث، ومدح المتعفف، على أن في الحديث دلالة على فضل الدعاء على السؤال^(٢).

سبق شرح مفرداته، وبيان فوائده في شرح حديث المتن رقم ٦٣، ورقم ٦٤.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- اسم الله الأعظم: وردت فيه أحاديث:

١- أنه الأحد الصمد، وهو هذا الحديث وفيه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول هذا الدعاء فقال النبي ﷺ: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»^(٣).

٢- أنه الحي القيوم: لقول الرسول ﷺ: «اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي ثَلَاثِ سُورٍ: البقرة، وآل عمران، وطه»^(٤).

٣- اختارت طائفة أن المراد باسم الله الأعظم هو «الله»؛ لأنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، وبه قال ابن القيم، والطحاوي؛ لأن الأحاديث الواردة في بيان اسم الله الأعظم كلها تضمنت هذا الاسم «الله».

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ١٤.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٦٥٤.

(٣) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم ١٤٩٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٤٩٥.

(٤) ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم ٣٨٥٦، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٧٤٦.

٤- دلت هذه النصوص وغيرها على أن أسماء الله الحسنى تفاضل، خلافاً لمن نفى ذلك، ولذلك فقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته هذا الأمر بقوله: «وقول من قال: صفات الله لا تتفاضل ونحو ذلك، قول لا دليل عليه...، وكما أن أسماء وصفاته متنوعة، فهي أيضاً متفاضلة، كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع مع العقل»^(١).

٥- أن هذا الاسم هو المنان؛ لقول النبي ﷺ لما سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المنان، بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، فقال ﷺ: «يا بديع السموات، يا حيّ يا قيّوم، إني أسألك، فقال ﷺ: «أتدرون بما دعا؟ والذي نفسي بيده، دعا الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب»^(٢).

٦- قال الشيخ/ عبد الرزاق البدر: «وعلى كل حال فهذه مسألة اجتهد لعدم ورود دليل قطعي الدلالة على التعيين يجب أن يصار إليه، إلا من دعا الله بالأدعية المتقدمة» وقد علق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته على هذا الموطن بقوله: «والصواب أن الأعظم بمعنى العظيم، وأن أسماء الله سبحانه كلها حسنى وكلها عظيمة ومن سأل الله سبحانه بشيء منها صادقاً مخلصاً سالمًا من الموانع، رُجيت إجابته ويدل على ذلك اختلاف الأحاديث الواردة في ذلك، ولأن المعنى يقتضي ذلك»^(٣).

(١) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ص ١٩٧ وما بعدها.

(٢) الأدب المفرد، ص: (١٧٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٦.

(٣) انظر: فقه الأدعية والأذكار، ١/ ١٤٧.

٢٥ - الأذكارُ بعدَ السَّلامِ مِنَ الصَّلَاةِ

٦٦- (١) «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (ثَلَاثًا) اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٣٣- عَنْ ثَوْبَانَ^(٢)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: «كَيْفَ الْأَسْتَغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ...»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»: أي: أطلب من الله المغفرة على التقصير في عبادته، وذلك لما يعرض للعبد في صلاته من الهواجس والشواغل، قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه: أطلب مغفرته، فهو كقوله اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، فالاستغفار التأم الموجب للمغفرة: هو ما قارنَ عدم الإصرار، كما مدح الله أهله، ووعدهم المغفرة... فأفضل الاستغفار ما اقترنَ به تركُ الإصرار، وهو حيثُ توبة نصوح،

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩١.

(٢) ثوبان بن يُجَدِّد القرشي الهاشمي: مولى رسول الله ﷺ، أصابه سبَاء، فاشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه، فلزم النبي ﷺ، ولم يزل معه في الحضر والسفر، وحفظ عنه علماً كثيراً، وطال عمره، واشتهر ذكره، حتى عرف بثوبان النبوي، وبعد موت النبي ﷺ نزل الرملة، ثم انتقل إلى حمص، وابتنى بها داراً، ومات بها عام ٥٤ هـ، روى له الجماعة إلا البخاري. انظر: الاستيعاب، ٢٨٦/١، أسد الغابة، ١/ ٣٦٦ ترجمة رقم ٦٢٣، والإصابة، ٩٦٨/١.

(٣) مسلم، برقم ٥٩١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وإن قال بلسانه: أستغفر الله، وهو غير مقلع بقلبه، فهو داع لله بالمغفرة، كما يقول: اللهم اغفر لي، وهو حسن، وقد يُرجى له الإجابة^(١).

٢- قوله: «اللهم»: أي: أدعو وأطلب من الله ربي، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «لا خلاف أن لفظة: (اللهم) معناها: يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»^(٢). ويرى القاري رحمته الله: «أن المفعول مقدر: أي: أدعوك، فيكون أَلطف سؤال إلى أشرف نوال»^(٣).

٣- قوله: «أنت السلام»: هو اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: السالم من صفات النقص، وأفعال النقص، وأسماء النقص، فهو السلام الحق بكل اعتبار. قال ابن القيم رحمته الله:

وهو السلام على الحقيقة سالم من كل تمثيل ومن نقصان^(٤)
٤- قوله: «ومنك السلام»: أي: مبدؤه منك، فكل سلام ورحمة فله ومنه، وهو مالكها، ومسديها، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «يعني منك السلامة، لولا الله عز وجل ما سلمنا، ولا عملنا، ولا قمنا، ولا قاتلنا»^(٥).

٥- قوله: «تباركت»: أي: تعاليت، وتعاظمت، فهو الذي كمل في بركاته «تبارك اسمه، وتباركت أوصافه، وتباركت أفعاله، وتباركت ذاته»^(٦)، وهذه اللفظة تبارك لا يوصف بها إلا رب العالمين.

٦- قوله: «يا ذا الجلال والإكرام»: أي: المستحق أن يهاب لسلطانه فلا

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي، ١/ ١٥٢.

(٢) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم شرحها في شرح المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ١.

(٣) مرقاة المفاتيح، لملا علي القاري، ١/ ٤٣٦.

(٤) الكافية الشافية، ص ٢١٢.

(٥) شرح رياض الصالحين، الحديث رقم ١٨٧٧.

(٦) شفاء العليل لابن القيم، ٥٢١/٢.

يجحد، ولا يكفر، بل: يجلُّ ويكرم من قبل عباده. ويدخل في معنى الإكرام أنه ﷺ مُكرم لأهل طاعته، وولايته، ويدخل في هذا المعنى إجلاله تعالى بقبول أعمالهم، ورفع درجاتهم في الآخرة، وقد جاء في الحديث: «أَلْظُّوا بِيَاذَا الْجَلالَ وَالْإِكْرَامَ»^(١)، قال المناوي: «ومعنى أَلْظُّوا: أي الزموا هذه الدعوة، وأكثرُوا منها في دعائكم... فالمراد: دوموا على قولكم ذلك في دعائكم، واجعلوه هجيراً لكم؛ لئلا تركنوا، أو تطمئنوا لغيره، قال الزمخشري: أَلْظُّ، وأَلْبَّ، وأَلَجَّ أخوات في معنى اللزوم والدوام، ويقال: أَلْظَ المطر بمكان كذا، أو أَلْتَنِي مَلَطَتَكَ، أي: رسالتك التي أَلَحَّتْ فيها»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- إظهار الافتقار إلى الله، وأن العبد لم يقم بالصلاة على الوجه الذي يليق بعظمة من فرضها عليه من فوق سبع سموات ليلة المعراج.
- ٢- الاستغفار يكون لجبر ما في الصلاة من خلل، أو تقصير.
- ٣- مشروعية البدء بهذا الذكر بعد الانتهاء من السلام من الصلاة المفروضة.
- ٤- يدخل في الاستغفار التقصير في الخشوع في الصلاة، وهذا أمر باطن، والتقصير في هيئة الصلاة، وهذا أمر ظاهر.
- ٥- مشروعية ختم الأعمال العظيمة بالاستغفار كما قال ﷺ في آيات الحج: ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).
- ٦- قيل لأحد رواة هذا الحديث، وهو الإمام الأوزاعي رحمه الله: كيف الاستغفار؟ فقال يقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن حاتم، برقم ٣٥٢٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٥٣٦.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢ / ٢٠١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٩.

«وكذلك حديث ثوبان، لكنه ذكر مقيد أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال: أستغفر الله يعني استغفر ثلاثاً قال: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»^(١).

٧- قال العلامة الحبر ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: والمناسبة في قول هذا الذكر بعد الصلاة ظاهرة، كأنك تقول: اللهم أنت السلام، فسلم لي صلاتي من الرد والنقصان؛ لأن الصلاة قد تقبل، وقد لا تقبل^(٢).

٨- يستحب في حق الإمام أن يبقى بعد السلام متجهاً إلى القبلة حتى ينتهي من هذا الذكر؛ لقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كان النبي ﷺ إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول... ثم ذكرت هذا الدعاء^(٣).

٩- الحكمة من الاستغفار، والذكر بعد الصلاة أن هذه أوقات إجابة، وشهود للملائكة هذه الصلوات، فحرِّيُّ بالعبد أن يحرص على ذلك.

١٠- قال القرطبي: وأما الإكرام، ففيه معنى الإنعام إلا أن الإكرام أخص من الإنعام؛ لأن الإنعام قد يكون على العاصي، أما الإكرام فهو لأحبابه؛ لذلك: يقال كرامات الأولياء^(٤).



(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤١٥، وهكذا ذكره بعض مخرجي الحديث وشرحه، انظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للزين العراقي، ٢ / ٨١٨، وتبعه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي، ٥ / ٩٧، ذكره بلفظ: «قال الوليد: فقلت للاوزعي كيف الاستغفار قال تقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله».

(٢) انظر: الشرح الممتع، ٣ / ٢٢٢.

(٣) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٢.

(٤) انظر: الكتاب الأسنى، ورقة ٢٧٥.

٦٧- (٢) «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ

الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، ثَلَاثًا، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا
أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٣٤- كَتَبَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رضي الله عنه ^(٢) إِلَى مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه ^(٣)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ،
إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ
الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا
مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٤).

٢٣٥- وفي لفظ للبخاري: أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
كَانَ يَقُولُ فِي ذُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ،
وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا
مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٥).

٢٣٦- وفي لفظ الطبراني في المعجم الكبير عَنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، أَنَّ

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، برقم ٨٤٤، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب

الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٣، وما بين المعقوفين زيادة من صحيح البخاري، برقم ٦٤٧٣.

(٢) المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أبو عيسى، وقيل أبو عبد الله، من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة، شهد بيعة
الرضوان، بعدما أسلم عام الخندق، وكان رجلاً طويلاً، مهيباً، ذهب عينه يوم اليرموك، روى له الجماعة،

وقد مات سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين هجرية. سير أعلام النبلاء، ٣ / ٢١، ترجمة رقم (٧).

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣١ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ٥٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) البخاري، برقم ٨٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي ذُبْرِ الصَّلَاةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(١). زَادَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنِ الْمُغِيرَةِ: «يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ... إِلَى قَدِيرٍ»^(٢).

٢٣٧- وفي لفظ في مسند عبد بن حميد عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ ﷺ، إِلَى الْمُغِيرَةِ: أَنْ أَكْتُبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ ثَلَاثَةٍ: مِنْ عُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ، وَمِنْ وَأْدِ الْبَنَاتِ، وَمِنْ مَنَعٍ وَهَاتٍ، وَسَمِعْتُهُ يَنْهَى عَنْ ثَلَاثٍ: عَنْ قِيلٍ وَقَالَ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٣).

٢٣٨- وفي لفظ للطبراني في الدعاء عن ورَّاد كاتب الْمُغِيرَةِ ﷺ أَيْضاً قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ، إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ: أَنْ أَكْتُبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٤).

(١) المعجم الكبير للطبراني، ٢٠/٣٩٢، برقم ٩٢٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٠٣/١٠: «هو في الصحيح باختصار، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَرَجَّاهُ رَجَالُ الصَّحِيحِ».

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٢/٣٣٢: «زَادَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنِ الْمُغِيرَةِ: «يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، إِلَى ... قَدِيرٍ» وَرَوَاهُ مُوْتَقُونَ» أ.هـ.

(٣) مسند عبد بن حميد، ص: ١٥٠، وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله يقول: بأن هذه الزيادة ثابتة، وقد بحثت عنها فوجدتها عند عبد بن حميد في مسنده، ص ١٥٠-١٥١، برقم ٣٩١، وانظر: نيل الأوطار، ١٠٠/٢.

(٤) الدعاء للطبراني، ص: ٢١٧، برقم ٦٨٦، وقال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري، ١١/٥١٣: «وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ» زَادَ فِيهِ مِسْعَرٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ غَمِيرٍ عَنْ وَرَّادٍ: «وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ» أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْهُ، وَذَكَرَتْ لَهُ هَذِهِ الزِّيَادَةُ طَرِيقًا أُخْرَى هُنَاكَ، وَكَلَّدَا رَوَايَاهَا فِي فَوَائِدِ أَبِي سَعْدٍ الْكَنْجَرُودِيِّ».

٢٣٩- وفي رواية للبخاري: عَنْ وَرَادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ إِلَى الْمُغِيرَةِ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيَّ بِحَدِيثِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةُ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الصَّلَاةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: «وَكَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلٍ وَقَالَ، وَكَثَرَةَ السُّؤَالُ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، وَمَنْعُ وَهَاتٍ، وَعُقُوقِ الْأُمَهَاتِ، وَوَادِ الْبَنَاتِ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لا إله إلا الله»: قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله الله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لا بد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ... حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٢)، أي: تعبدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»^(٣).

٢- قوله: «وحده لا شريك له»، قال المناوي: «وحده: نصب على الحال، أي لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، وأما الأول: فلأن وجود إلهين محال، كما تقرر في الأصول، وأما الثاني: فلقلوله تعالى: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(٤)، وذلك يقتضي أن لا شريك له، وهو تأكيد لقلوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»^(٥).

٣- قوله: «لَهُ الْمُلْكُ»: أي: أن الله هو النافذ أمره في سمواته، وفي أرضه؛

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال، برقم ٦٤٧٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠.

لأنه ليس كل مالك نافذ أمره فيما يملك، ويفهم من هذا أن الملك أعم من المالك، وقال الباجي رحمته الله: «تَخْصِيصُ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدُ، ... وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»^(١).

٤- قوله: «وله الحمد»: أي: الحمد المطلق التام؛ لأن الكون كله يحمده، وهو الذي له صفة الحمد، وإن لم يحمده العباد، كما أنه له تعالى صفة الربوبية، وإن لم يوجد له مربوب، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»^(٢).

٥- قوله: «وهو على كل شيء قدير»: قال ابن جرير: «وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذر عليه شيء أراده»^(٣)، وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «يسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخر ما يشاء تأخيره، فازمة الأمور كلها بيده»^(٤).

٦- قوله: «لا مانع لما أعطيت»: لأن الله إذا أراد أمراً أنفذه، فلا يمنع أحداً من خلقه عطاء قدره، وإن اجتمعوا، وتظاهروا لذلك، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وهذا تحقيق لوحدانيتها لتوحيد الربوبية خلقاً، وقدرًا، وبداية، وهداية، هو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع؛ ولتوحيد الإلهية شرعاً، وأمراً ونهياً»^(٥).

٧- قوله: «لا معطي لما منعت»: أي: لا يقدر أحد على إعطاء ذلك إذا منعه إلا أنت ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا

(١) المستقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٢) بدائع الفوائد، ٥٣٧/٢، وتقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٣) تفسير الطبري، ٢٣ / ١٦٥.

(٤) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣ / ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات المتن رقم ٢.

(٥) الحسنة والسيئة، ص ١٢٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ٤٠.

مُرْسَلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ»^(١)، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «فَهُمْ أَنْ مُعْطِيَ الْحِظِّ، وَمَانِعُهُ هُوَ اللهُ تَعَالَى، لَيْسَ غَيْرُهُ»^(٢)، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «يَقْتَضِي نَفْيَ جَمِيعِ الْمُعْطِينَ سِوَاهُ، وَأَنَّهُ لَا مُعْطِيَ، وَلَا مَانِعَ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِفَعْلِ الْمَنْعِ، وَالْعَطَاءُ سِوَاهُ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ ثَبَتَ أَنَّ مَنْ أُعْطِيَ، أَوْ مَنَعَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، فَأَعْطَاؤُهُ، وَمَنْعُهُ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى، وَكَسَبَ لِلْعَبْدِ، وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الْمُعْطِيَ، وَهُوَ الْمَانِعُ لِلذَّكَاءِ حَقِيقَةً مِنْ حَيْثُ كَانَ مُخْتَرَعًا خَالِقًا لِلْإِعْطَاءِ، وَالْمَنْعِ، وَالْعَبْدُ مُكْتَسِبٌ لَهُمَا بِقُدْرَةِ مُحَدَّثَةٍ، فَبَانَ أَنَّهُ إِنَّمَا بَقِيَ مَانِعًا، وَمُعْطِيًا، وَمُخْتَرَعًا لِلْمَنْعِ، وَالْإِعْطَاءِ وَيَخْلُقُهُمَا»^(٣) أَيُّ اللهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٨- قوله: «وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ: الْجَدُّ بِالْفَتْحِ، وَهُوَ الْحِظُّ، وَالْغِنَى، وَالْعِظْمَةُ، وَالسُّلْطَانُ، أَيُّ: لَا يَنْفَعُ ذَا الْحِظِّ فِي الدُّنْيَا بِالْمَالِ، وَالْوَلَدِ، وَالْعِظْمَةِ، وَالسُّلْطَانِ مِنْكَ حِظُّهُ، أَيُّ: لَا يُنْجِيهِ حِظُّهُ مِنْكَ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُهُ، وَيُنْجِيهِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ»^(٤)^(٥)، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْجَدُّ بِفَتْحِ الْجِيمِ: وَهُوَ الْحِظُّ وَالْبَخْتُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ لَا يَنْفَعُ ذَا الْغِنَى مِنْكَ غِنَاهُ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُهُ الْعَمَلُ بِطَاعَتِكَ، لَا مَالٌ، وَلَا بَنُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ﴾»^(٦). وَعَلَى فَتْحِ الْجِيمِ أَكْثَرُ الرِّوَاةِ»^(٧).

(١) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ١٠١٧.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٠/ ١٧٠.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٩٦، وانظر أيضاً: شرح النووي على صحيح مسلم،

٥/ ٨٩، وفتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٣٢.

(٥) انظر شرح بقية الألفاظ في شرح حديث المتن رقم (٤٠) من هذا الكتاب.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٠/ ١٦٩.

٩- قوله: «يحيي ويميت»: أي هو المنفرد بالإحياء والإماتة فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب إلا بإذنه^(١)، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢)، قال الطبري: «يحيي ما يشاء من الخلق، بأن يوجده كيف يشاء، وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيوانا، بنفخ الروح فيها من بعد تارات يقلبها فيها، ونحو ذلك من الأشياء، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة، بعد بلوغه أجله فيفنيه»^(٣).

١٠- قوله: «وهو حي لا يموت»: قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «معنى ذلك عندي: أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها، ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حال بكل ذي حياة من خلقه: من الفناء، وانقطاع الحياة عند مجيء أجله، فأخبر عباده أنه المستوجب على خلقه العبادة، والألوهة، والحي الذي لا يموت، ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًّا، ويبيد كل من ادعى من دونه إلهًا، واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول، ويموت فيفنى، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأنَّ الإله، هو الدائم الذي لا يموت، ولا يبيد، ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو»^(٤).

١١- قوله: «بيده الخير»: قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «إنه سبحانه الغني بذاته عمن سواه، وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته، وأفعاله، فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على أي وجه كان، ومن الناس من قال إن إيجاده لخلق

(١) تفسير السعدي، ص ٧٤٢.

(٢) سورة غافر، الآية ٦٨.

(٣) تفسير الطبري، ٢٣ / ١٦٥.

(٤) تفسير الطبري، ٦ / ١٥٧.

على هذا الوجه الموجود أكمل من إيجاده على غيره، وهو خير من وجوده على غيره، وما فيه من الشر فهو شر إضافي نسبي بالنسبة إلى بعض الأشياء دون بعض، وليس شراً مطلقاً بحيث يكون عدمه خيراً من وجوده من كل وجه، بل وجوده خير من عدمه»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قول هذا الذكر بعد الصلاة المفروضة مع ما قبله، وما بعده، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وَفِي الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ هَذَا الذِّكْرِ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ؛ لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَلْفَاظِ التَّوْحِيدِ، وَنِسْبَةِ الْأَفْعَالِ إِلَى اللَّهِ، وَالْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ، وَتَمَامِ الْقُدْرَةِ، وَفِيهِ الْمُبَادَرَةُ إِلَى امْتِثَالِ السُّنَنِ، وَإِشَاعَتِهَا»^(٢).

٢- إثبات صفة الحمد لله، فهو الذي افتتح الخلق بالحمد بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٣)، وختم الأمر يوم القيامة بقوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).

٣- الله ﷻ هو الذي له الملك بلا منازع، ولا معارض؛ ولذلك كره النبي ﷺ أن يتسمى أحد بملك الملوك، قال النبي ﷺ: «إِنْ أَخْنَعَ اسْمَ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكُ الْأَمْلاَكِ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ»^(٥).

٤- بيان أن «المعطي» من أسماء الله الحسنى، قال النبي ﷺ: «مَنْ يَرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ...»^(٦)، وهذا يورث تعلق

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٢٢٨.

(٢) فتح الباري لابن حجر، ٢/ ٣٣٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

(٥) مسلم، كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، وبملك الملوك، برقم ٢١٤٣.

(٦) البخاري، كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾، برقم ٣١١٦.

القلب بالله وحده، وعدم انشغاله بما سواه؛ لأن الأمر كله بيده وحده ﷻ.

٥- طلب معاوية بن أبي سفيان ﷺ من المغيرة بن شعبة ﷺ - وكان المغيرة أميراً على الكوفة من قبل معاوية - طلب منه أن يكتب له كتاباً يذكر فيه ما سمعه المغيرة من النبي ﷺ خلف الصلاة المكتوبة، فذكر له هذا الحديث، وهذا دليل على عناية الأئمة بالسنة، والحرص على نشرها بين الناس.

٦- ومجموع ما صح في هذه الروايات من حديث المغيرة: «لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا راد لما قضيت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

٦٨- (٣) «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٤٠- كان ابن الزبير ﷺ^(٢)، يقول: فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ «لَا إِلَهَ

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٤.

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام ﷺ، أبو خبيب القرشي، أحد الأعلام، أبوه هو حواري النبي ﷺ، وكان عبد الله أول مولود للمهاجرين بالمدينة، أمه أسماء بنت أبي بكر ﷺ، بايع لرسول الله وهو

إِلَّا اللَّهَ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النَّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» وَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهْلِلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لا إله إلا الله»: أي: لا إله إلا الله. من مات معتقداً لها، فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئاً»^(٢)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لا بد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات... أي: تعبدوا له، وتوسلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»^(٣).

٢- قوله: «وحده لا شريك له»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، ... وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»^(٤).

صغير، ومات عنه الرسول ﷺ وهو ابن ثمانية أعوام وأربعة أشهر، وكان فصيحاً، ذا لسان، وذا شجاعة وقوة، وكان أطلس لا لحية له، ولا شعر في جسده، روى عن جمع من الصحابة، ولي الخلافة تسع سنين، وقتل بمكة سنة ثلاث وسبعين على يد الحجاج بن يوسف، وقام بصلبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو معدود من صغار الصحابة، وقد روى له الجماعة سير أعلام النبلاء، ٣٦٣ / ٢، ترجمة رقم ٥٣، ويوجد في الصحابة ثلاثة اسمهم عبد الله بن الزبير، أولهم صحابي هذا الحديث، والثاني: عبد الله بن الزبير الهاشمي؛ ابن عم رسول الله ﷺ، ليس له رواية، والثالث: عبد الله بن الزبير الأسدي، وكان مشهوراً بجمال نظمه. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣ / ٣٨١، ترجمة رقم ٥٥، ٣ / ٣٨٣، ترجمة رقم ٥٦، وإنما ذكر ذلك الذهبي للتمييز كما قال.

(١) مسلم، برقم ٥٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) فيض القدير، للمناوي، ١ / ١٣٦.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٤) فيض القدير، ٥ / ٢٠٠.

٣- قَوْلُهُ: «لَهُ الْمُلْكُ»: قال الباجي رَحِمَهُ اللهُ: «تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدُ، ... وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»^(١).

٤- قوله: «وله الحمد»: أي الحمد المطلق، فهو محمود في السراء حمد شكر، وفي الضراء حمد تفويض، وكان النبي ﷺ إذا أتاه ما يسره قال: «الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات»^(٢)، وإذا أتاه ما لا يسره قال: «الحمد لله على كل حال»^(٣)، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»^(٤).

٥- قوله: «وهو على كل شيء قدير»: قال ابن جرير: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثان وغير ذلك مما أراد بكم، وبغيركم قادر»^(٥)، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «... فَأَزَمَةُ الْأُمُور كُلِّهَا بِيَدِهِ، وممدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»^(٦).

٦- قوله: «ولا نعبد إلا إياه»: أي: لا نطيع إلا الله مع غاية الذل، والتعظيم، والمحبة خوفاً من عذابه، وطمعاً في ثوابه وإكرامه، أي: نقصر عبادتنا، وتوحيدها له وحده، فهو أسلوب قصر عليه وحده في العبادة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه على قوله: «نعبد إلهاً واحداً»: «إِنَّمَا أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنَ الْفَاعِلِ الْعَابِدِ أَوْ مِنَ الْمَفْعُولِ الْمَعْبُودِ. فَالْأَوَّلُ: نَعْبُدُهُ فِي حَالِ كَوْنِنَا مُخْلِصِينَ لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ.

(١) المتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل حاملين، برقم ٣٨٠٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥.

(٣) انظر: التخریج في الحاشية السابقة، فهما حديث واحد.

(٤) بدائع الفوائد، ٢ / ٥٣٧، وتقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٢.

(٥) تفسير الطبري، ١٥ / ٢٣٢.

(٦) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣ / ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

وَالثَّانِي: نَعْبُدُهُ فِي الْحَالِ اللَّازِمَةِ لَهُ، وَهُوَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَنَعْبُدُهُ مُخْلِصِينَ مُعْتَرِفِينَ لَهُ بِأَنَّهُ الْإِلَهُ وَخَدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ، فَإِنْ كَانَ التَّقْدِيرُ هَذَا الثَّانِي امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ الْمُشْرِكُ عَابِدًا لَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَعْبُدُهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَيْسَتْ لَهُ حَالٌ أُخْرَى نَعْبُدُهُ فِيهَا، وَإِنْ كَانَ التَّقْدِيرُ الْأَوَّلُ، فَقَدْ يُمَكِّنُ أَنْ نَعْبُدَهُ فِي حَالٍ أُخْرَى نَتَّخِذُ مَعَهُ إِلَهَةً أُخْرَى فِي أَنْفُسِنَا، لَكِنْ قَوْلُهُ: ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا حَالٌ مِنَ الْمَعْبُودِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا قِيلَ: نَعْبُدُهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، فَإِنَّ هَذِهِ حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ؛ وَلِهَذَا يَأْتِي هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا... فَإِنَّهُ يَكُونُ تَارَةً مُخْلِصًا، وَتَارَةً مُشْرِكًا، وَأَمَّا الرَّبُّ تَعَالَى فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا، وَالْحَالُ وَإِنْ كَانَتْ صِفَةً لِلْمَفْعُولِ فَهِيَ أَيْضًا حَالٌ لِلْفَاعِلِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: نَعْبُدُهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ، فَلَزِمَ أَنْ عِبَادَتِهِمْ لَهُ لَيْسَتْ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَالِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ قَوْلَهُ ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾، ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ هِيَ حَالٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ جَمِيعًا، بِالْعَابِدِ وَالْمَعْبُودِ؛ فَإِنَّ الْعَامِلَ فِيهَا الْمُتَعَلِّقَ بِهَا الْعِبَادَةُ، وَهِيَ فِعْلُ الْعَابِدِ، وَالَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَفْعُولُ فِي الْعَرَبِيَّةِ هُوَ الْمَعْبُودُ^(١).

٧- قوله: «له النعمة وله الفضل»: لأنه المتفضل على عباده بأنواع النعم، ما ظهر منها، وما بطن، وذلك من غير سؤال منهم، ولا استحقاق لها، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٢)، والنعمة: العطاء الجزيل، قال في القاموس: النعمة - بالكسر -: المسرة، واليد البيضاء الصالحة، كالنعمى - بالضم -، والنعماء - بالفتح ممدودة - جمع: أنعم، ونعم، ونعيم الله تعالى: عطيته^(٣).

٨- قوله: «الفضل»: ضد النقص، جمعه: فضول، وفضل كعلم يفضل كينصر: فمركبة منهما . ورجل فضال كشداد، ومنبر، ومحراب، ومعظم: كثير الفضل،

(١) مجموع الفتاوى، ١٦ / ٥٧٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

(٣) انظر: القاموس المحيط (ص: ١٥٠١)، مادة (نعم).

والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل، وفضله تفضيلاً، والفواضل: الأيادي الجسيمة، أو الجميلة، وفواضل المال: ما يأتيك من غلته، ومرافقه^(١)، ويرى الراغب في تفسير «بنعمة وفضل»: أن النعمة هي الحسنى، والفضل الزيادة^(٢).

٩- قوله: «وله الثناء الحسن»: هذا الثناء متضمن لجميع أنواع الحمد، والمدح، والشكر^(٣)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الْتَّاءُ الْحَسَنُ الَّذِي لَا تُحْصِيهِ الْعِبَادُ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا أَتَى عَلَى نَفْسِهِ، لَهُ الْغِنَى الَّذِي لَا يَفْتَقِرُ إِلَى سِوَاهُ»^(٤).

١٠- قوله: «مخلصين له الدين»: الإخلاص، معناه: تخلص القصد لله في جميع العبادات الواجبة، والمستحبة، والظاهرة، والباطنة، والمراد من ذلك إقامة التوحيد، والدعوة إليه، والصبر على تبعات هذه الدعوة المباركة المنصورة بإذن الله تعالى، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أي مخلصين له العمل، وإخلاص العمل لله ألاَّ يبتغي الإنسان شيئاً بعمله سوى الله عَزَّوَجَلَّ، لا يبتغي به دنيا، ولا جاهاً، ولا رئاسة، ولا غير ذلك، لا يريد إلا ثواب الله»^(٥).

١١- قوله: «وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»: قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: وَسَعَوْا مهما أمكنهم»^(٦)، وقال في موضع آخر: «فإن الكافرين يكرهون الإخلاص لله وحده غاية الكراهة»^(٧).

(١) انظر: القاموس المحيط، ص ١٣٤٨، مادة (فضل).

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ومقدمته، ٩٨٦ / ٣.

(٣) انظر: شرح أبي داود للعيني، ٤١٧ / ٥.

(٤) مجموع الفتاوى، ٣٦١ / ١١.

(٥) شرح رياض الصالحين، باب وجوب الزكاة وبيان فضلها، وما يتعلق بها، ٢٤٠ / ٥.

(٦) تفسير السعدي، ص ٣٣٥.

(٧) تفسير السعدي، ص ٧٣٤.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قول هذا الذكر مع غيره مما ثبت وصح عن النبي ﷺ في دبر الصلوات المكتوبات، وتأمل ما فيه من معاني الإخلاص والتوكل.

٢- إخلاص العمل لله لا بد معه من تمام متابعة رسول الله ﷺ، وإلا كانت الأعمال هباءً منثوراً.

٣- وعند موت الولد إذا قال العبد: «الحمد لله» بنى الله له بيتاً في الجنة^(١)، فالله ﷻ محمود على نعمه، وآلائه، وأفعاله التي كلها خير للعبد، وإن جهل العبد هذا.

٤- قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: العبودية لله تنقسم إلى ثلاثة أقسام^(٢):

أ - عامة: وهي عبودية الربوبية وهي لكل الخلق. قال الله ﷻ: «إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا»^(٣)، ويدخل في ذلك الكفار.

(١) انظر: كشف الأستار عن زوائد البزار، ٣/ ١١٠، وهو بلفظ: عن عبد الله بن عباس، قال: ثُوِّفِي ابْنُ لَصْفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَتْ عَلَيْهِ وَصَاحَتْ، فَأَتَاهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا عَمَّةُ مَا يَكِيلُكِ؟» قَالَتْ: ثُوِّفِي ابْنِي، قَالَ: يَا عَمَّةُ: «مَنْ ثُوِّفِي لَهُ وَلَدٌ فِي الْإِسْلَامِ فَصَبَرَ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَسَكَنْتُ. برقم ٢٣٦٣. وأخرج ابن المبارك، ٥٠/ ١، برقم ١٨٢، وابن أبي الدنيا في الشكر، ص ٧٠، برقم ٢٠٥: عن عبد الله بن عمرو يرفعه: «أربع خصال من كن فيه بنى الله له بيتاً في الجنة، من كان عصمة أمره لا إله إلا الله، وإذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإذا أعطيت شيئاً قال: الحمد لله، وإذا أذنب ذنباً قال: أستغفر الله»، وعن ابن عمر في شعب الإيمان للبيهقي، ٧/ ١١٧، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، برقم ٧٦٢.

وعند الترمذي، برقم ١٠٢، بلفظ: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدٌ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ قَبِضْهُمُ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبِضْهُمْ ثَمَرَةً فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمْدُكَ وَاسْتَرْجَعُ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ» وحسنه لغيره العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٢٠١، وصحيح سنن الترمذي، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ١٤٠٨.

(٢) القول المفيد شرح كتاب التوحيد، ص ٣٣.

(٣) سورة مريم، الآية: ٩٣.

ب - عبودية خاصة: وهي عبودية الطاعة لأهل التوفيق ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾^(١).

ج - عبودية خاصة الخاصة: وهي عبودية الرسل عليهم السلام. قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾^(٢).

٦٩- (٤) «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ (ثلاثاً وثلاثين) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٤١- لفظ مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٤)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٥).

٢٤٢- لفظ البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٣) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٧، وفيه: «من قال ذلك دبر كل صلاة غفرت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر».

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) مسلم، برقم ٥٩٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْبُجُونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ: تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ» فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ كُلِّهِنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ»^(١).

٢٤٣- وعند مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه - وَهَذَا حَدِيثٌ قُتِبَتْ - «أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتَقُونَ وَلَا نُعْتَقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَلَا أَعَلَّمْتُكُمْ شَيْئًا تَذَرُكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً» قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» وَرَأَدَ غَيْرُ قُتَيْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنِ اللَّيْثِ، عَنِ ابْنِ عَجَلَانَ، قَالَ سَمِعْتُ: فَحَدَّثْتُ بَعْضَ أَهْلِي هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: وَهَمْتُ، إِنَّمَا قَالَ: «تُسَبِّحُ اللَّهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُ اللَّهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرُ اللَّهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ» فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي صَالِحٍ فَقُلْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُ

أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، حَتَّى تَبْلُغَ مِنْ جَمِيعِهِنَّ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ^(١).

٢٤٤- وفي صحيح مسلم عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه^(٢)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مُعَقَّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ، أَوْ فَاعِلُهُنَّ، ذُبُرُ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً»^(٣).

٢٤٥- وعند أبي داود عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه^(٤): يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَصْحَابُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ يَتَصَدَّقُونَ بِهَا، وَلَيْسَ لَنَا مَالٌ نَتَصَدَّقُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تُدْرِكُ بِهِنَّ مَنْ سَبَقَكَ، وَلَا يُلْحَقُكَ مَنْ خَلْفَكَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ بِمِثْلِ عَمَلِكَ؟» قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «تُكَبِّرُ اللَّهَ ﷻ ذُبُرُ كُلِّ صَلَاةٍ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَخْتِمُهَا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٥).

٢٤٦- عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يُكَبِّرَ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيُسَبِّحَ عَشْرًا، وَيَحْمَدَ عَشْرًا، فَذَلِكَ فِي

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٩٤ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٦.

(٤) أبو ذر الغفاري رضي الله عنه الزاهد المشهور، الصادق للهجة، مختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن، وقيل بن عبد الله، وقيل غير ذلك، وكان من السابقين إلى الإسلام، وقصة إسلامه في الصحيحين على صفتين بينهما اختلاف ظاهر، روى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ روى عنه أنس، وابن عباس، وأبو إدريس الخولاني، وغيرهم كثير، وله فضائل كثيرة، ولم يشهد بدرًا، ولكن عمر الحق بهم، وكان يوازي ابن مسعود في العلم، وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين، وقيل في التي بعدها، ويقال إنه صلى عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: الاستيعاب، ٤/ ١٢٥٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ٧/ ١٢٥.

(٥) أبو داود، كتاب الوتر، باب التسبيح بالحصى، برقم ١٥٠٤، وصحيح ابن حبان، ٥/ ٣٥٨، برقم ٢٠١٥، بدون قوله: «غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» وصحح إسناده الشيخ الأرنؤوط محقق صحيح ابن حبان.

خُمْسِ صَلَوَاتٍ: خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٌ فِي الْمِيزَانِ، فَإِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: كَبَّرَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمَدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبَّحَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسُمِائَةِ سَبِّحَةٍ؟»^(١).

٢٤٧- وعند النسائي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٢) أَنَّ رَجُلًا رَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمَ، قِيلَ لَهُ: بِأَيِّ شَيْءٍ أَمَرَكُمُ نَبِيُّكُمْ ﷺ؟ قَالَ: «أَمَرْنَا أَنْ نُسَبِّحَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنَحْمَدَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنُكَبِّرَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ مِائَةٌ، قَالَ: سَبَّحُوا خَمْسًا وَعِشْرِينَ، وَاحْمَدُوا خَمْسًا وَعِشْرِينَ، وَكَبِّرُوا خَمْسًا وَعِشْرِينَ، وَهَلِّلُوا خَمْسًا وَعِشْرِينَ، فَتِلْكَ مِائَةٌ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْعَلُوا كَمَا قَالَ الْأَنْصَارِيُّ»^(٣)، وفي رواية: «اجعلوها كذلك»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «سبحان الله»: أي: أنزه الله رب العالمين عن كل نقص، وهذا التسبيح الذي يسبق الحمد، هو من قبيل التخلية قبل التحلية، قال ابن الأثير رحمته الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص ... فمعنى سبحان الله:

(١) الدعوات الكبير لليهقي، ١/ ٥٠٦، برقم ٣٩١، وابن عساكر، ١٠٧/ ٥٢، وحسنه الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار، ٢٧٠/ ٢، نقلاً عن حديث التسبيح وفوائده النفيسة وعد التسبيح بالمسبحة، لفريح بن صالح البهلال، ص ٨، وقال نبيل سعد الدين سليم جَزَّار في: زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمشیخات على الكتب الستة والموطأ ومسنَد الإمام أحمد، ٢/ ٤٧٤: «قال أبو الفتح الطائي: هذا حديث حسن عال صحيح من حديث موسى بن عبد الله الجهني، وقال ابن جماعة: هذا حديث حسن صحيح، وقال ابن حجر: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) النسائي في سننه، كتاب السهو، نوع آخر من عدد التسبيح، برقم ١٣٥١، وله في السنن الكبرى أيضاً، كتاب صفة الصلاة، نوع آخر من عدد التسبيح، برقم ١٢٧٤، ومسنَد البزار، ٢/ ٢٥٠، برقم ٥٩١٥، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٨/ ٣٠٠، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ١٣٥٠.

(٤) النسائي في سننه، كتاب السهو، نوع آخر من عدد التسبيح، برقم ١٣٥٠، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ١٣٥٠.

تنزيه الله... فكانه قال: أبرئ الله من السوء براءة»^(١).

٢- قوله: «والحمد لله»: أي: له الحمد الكامل المطلق؛ لأن كل ما سوى الله يحمد على قدر فعله، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»^(٢).

٣- قوله: «والله أكبر»: أي: أكبر من كل كبير، وأكبر من أن يعرف كنهه^(٣) كبريائه وعظمته «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»^(٤)؛ ولذلك نهى النبي ﷺ عن التفكير في الله: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله ﷻ»^(٥)، وقال ابن الأثير رحمته الله: «معناه: الله الكبير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»^(٦).

٤- قوله: «لا إله إلا الله»: أي: لا إله إلا الله: من مات معتقداً لها، فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئاً»^(٧)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله الله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لا بد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات... أي: تعبدوا له، وتوسلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»^(٨).

٥- قوله: «وحده لا شريك له»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده،

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١، من مفردات حديث المتن رقم ٣٣.

(٢) بدائع الفوائد، ٥٣٧/٢، وتقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٢.

(٣) الكنه: الحقيقة، والأصل، قال ابن الأثير: «كنه الأمر: حقيقته، وقيل: وقته، وقدره، وقيل: غايته».

النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢٠٦، مادة (كنه).

(٤) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٥) أخرجه أبو الشيخ في العظمة، ٢١٠/١، برقم ١، والطبراني في الأوسط، ٢٥٠/٦، برقم ٦٣١٩، والبيهقي

في شعب الإيمان، ١٣٦/١، برقم ١٢٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٧٨٨.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٥٢، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٧) فيض القدير، للمناوي، ١/ ١٣٦.

(٨) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

لا شريك له عقلاً ونقلاً، ... وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»^(١).

٦- قوله: «لَهُ الْمُلْكُ»: قال الباجي رَحِمَهُ اللهُ: «تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدُ، ... وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»^(٢).

٧- قوله: «وله الحمد»: أي الحمد المطلق، فهو محمود في السراء حمد شكر، وفي الضراء حمد تفويض»^(٣).

٨- قوله: «وهو على كل شيء قدير»: قال ابن جرير: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثان وغير ذلك مما أراد بكم، وبغيركم قادر»^(٤)، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «... فأزمة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»^(٥).

٩- قوله: «من قال ذلك دبر كل صلاة غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر»: المراد بذلك صغائر الذنوب أما الكبائر فلا تكفر إلا بالتوبة قال الله ﷻ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(٦)، أو إقامة الحدود لحديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ شَهِدَ بَذْرًا، وَهُوَ أَحَدُ الثَّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِنَهْتَانٍ تَفْتُرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي

(١) فيض القدير، ٥ / ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٢) المستقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٣) تقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٤) تفسير الطبري، ١٥ / ٢٣٢.

(٥) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣ / ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٦) سورة النساء، الآية: ٣١.

مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ»^(١)، والتعبير بـ«زبد البحر» خرج مخرج المبالغة؛ لأن هذا من قبيل التمثيل، ومعنى زبد البحر رغوته.

١٠- قوله: «أهل الدثور»: هم أهل الأموال، وقد سمي الحافظ^(٢) ابن حجر من فقراء المهاجرين جماعة، منهم: أبو هريرة، وأبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء^(٣).

١١- قوله: «الدرجات العلا»: الدرجات العلا هي المراتب العليا في الجنة، وقد جعلها الله كما قال الألوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لمن أتى بالإيمان، والأعمال الصالحة، فسائر الدرجات غير العالية، والجنات لا بد أن تكون لغيرهم، وما هم إلا العصاة من أهل الإيمان، ولقد أخرج أبو داود وابن مردويه عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم، كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم، وأنعم»^(٤)»، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِضَمِّ الْعَيْنِ جَمْعُ الْعِلْيَاءِ وَهِيَ تَأْنِيثُ الْأَعْلَى، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ حِسِّيَّةً، وَالْمُرَادُ دَرَجَاتُ الْجَنَّاتِ، أَوْ مَعْنَوِيَّةٌ وَالْمُرَادُ غُلُوقُ الْقَدَرِ عِنْدَ اللَّهِ»^(٥).

١٢- قوله: «النعيم المقيم»: قال ابن كثير: «لهم النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول ولا يبيد»^(٦)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَصَفَهُ بِالْإِقَامَةِ إِشَارَةً إِلَى

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، برقم ١٨.

(٢) انظر: فتح الباري، ٢ / ٤٠٤.

(٣) مسند أحمد، ١٨ / ٤٢٢، برقم ١١٩٣٩، وصححه لغيره محققو المسند.

(٤) روح المعاني، للألوسي، ١٦ / ٢٣٥.

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٢ / ٣٢٧.

(٦) تفسير ابن كثير، ٥ / ٤٤٧.

ضِدَّهُ وَهُوَ النَّعِيمُ الْعَاجِلُ ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَا يَصِفُو ، وَإِنْ صَفَا فَهُوَ بِصَدَدِ الزَّوَالِ»^(١).

١٣- قوله: «فَضْلٌ مِنَ الْأَمْوَالِ»: الفضل: هو الزيادة، قال العلامة ابن عثيمين

رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني زيادة يتصدقون بها، ويحجون، ويعتَمرون، ويجاهدون»^(٢).

١٤- قوله: «أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ»: أي: الذين أنفقوا قبلكم، قال الحافظ

ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَي: مِنْ أَهْلِ الْأَمْوَالِ الَّذِينَ امْتَارُوا عَلَيْكُمْ بِالْصَّدَقَةِ، وَالسَّبْقِيَّةِ هُنَا يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مَعْنَوِيَّةً، وَأَنْ تَكُونَ حِسِّيَّةً»^(٣).

١٥- قوله: «مُعَقَّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «سُمِّيَتْ مُعَقَّبَاتٍ

لأنَّهَا عَادَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ أَوْ لِأَنَّهَا تَقَالُ عَقِيبَ الصَّلَاةِ، ... أَرَادَ تَسْيِيحَاتٍ تَخْلَفُ بِأَعْقَابِ النَّاسِ، وَالْمُعَقَّبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: مَا جَاءَ عَقِيبَ مَا قَبْلَهُ»^(٤). وقال ابن

الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْخِيَّةُ الْحَرَمَانُ وَالْخَسْرَانُ، وَقَدْ خَابَ يَخِيبُ، وَيَخُوبُ»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- من فضل الله على هذه الأمة أن العمل اليسير الخالص لوجه الله تعالى

مع متابعة الرسول ﷺ يدرك به صاحبه أجر العمل الكبير.

٢- مسابقة الصحابة رضي الله عنهم الغني منهم والفقير، وحرصهم على التنافس فيما يرضي الله تعالى.

٣- قال النووي: وهذا الحديث دليل لمن فضل الغني الشاكر على الفقير

الصابر، وفي المسألة خلاف مشهور بين السلف والخلف من الطوائف^(٦).

٤- ومعنى معقبات أنها تفعل مرة بعد أخرى، وقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٢٧.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤١٨.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٢٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٥٢٦، مادة (عقب).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٨٩، مادة (خيـب).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٩٥.

وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ... ﴿١﴾ الآية^(١)، أي: الملائكة يعقب بعضهم بعضاً^(٢).

٥- سعة صدر النبي ﷺ، وصبره على مناقشة أصحابه له، وتطيب خاطرهم بالإرشاد إلى الخير.

٦- تقرير أن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء، وأن العبد ما عليه إلا أن يبذل السبب الشرعي لنيل رضا الله ﷻ.

٧- الأذكار منها ما هو مطلق، أي: بغير عدد، ومنها ما حدده الشرع في موضعه، فلا يزداد على ذلك؛ لأن الأمر مبني على إحسان العمل، وليس على كثرتة، قال الله ﷻ: ﴿لِيُنَلِّكُمُ أَتِكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٣)، أي: أخلصه وأصوبه^(٤).

٨- السنة في عقد التسبيح أن يكون على الأصابع؛ لقول النبي ﷺ لإحدى المهاجرات، واسمها «يُسَيْرَة»: «عليكن بالتسبيح، والتهليل، والتقدیس، واعقدن بالأنامل؛ فإنهن مسؤولات مستنطقات»^(٥).

٩- قال الحافظ ابن حجر: وقع في أكثر الأحاديث تقديم التسبيح على التحميد، وتأخير التكبير، وفي رواية ابن عجلان عند مسلم تقديم التكبير على التحميد خاصة، وعند أبي داود: «تكبر وتحمد وتسبح»^(٦)، وهذا الاختلاف دال على أنه لا ترتيب فيها، ويستأنس لذلك بقول النبي ﷺ في حديث الباقيات الصالحات: «لا يضرك بأيهن بدأت»^(٧)، لكن يمكن أن يقال: الأولى البداءة

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٩٥/٥.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢.

(٤) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة عبد الفتاح، ص ٢٠٩.

(٥) الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل التسبيح والتهليل والتقدیس، برقم ٣٥٨٣، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٥٠١.

(٦) أبو داود، برقم ١٥٠٤، وصحيح ابن حبان، برقم ٢٠١٥، وصححه إسناده الشيخ الأرناؤوط محقق صحيح ابن حبان، وتقدم تخريجه في تخريج ألفاظ الحديث.

(٧) مسلم، كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة، وبنافع ونحوه، برقم ٢١٣٧.

بالتسبيح؛ لأنه يتضمن نفي النقائص عن الباري، ثم التحميد؛ لأنه متضمن إثبات الكمال لله، ثم يختم بالتهليل الدال على انفراده سبحانه بجميع ذلك^(١).

١٠ - جاء التسبيح والتحميد والتكبير أذبار الصلوات على أنواع ستة وهي:

النوع الأول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر (ثلاثاً وثلاثين مرة)، ويختم بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير^(٢).

النوع الثاني: سبحان الله (ثلاثاً وثلاثين)، الحمد لله (ثلاثاً وثلاثين)، الله أكبر (أربعاً وثلاثين)^(٣).

النوع الثالث: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر (ثلاثاً وثلاثين)^(٤).

النوع الرابع: سبحان الله (عشرًا)، الحمد لله (عشرًا)، الله أكبر (عشرًا)^(٥).

النوع الخامس: سبحان الله (إحدى عشرة مرة)، الحمد لله (إحدى عشرة)، الله أكبر (إحدى عشرة)^(٦).

النوع السادس: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر (خمسة وعشرين مرة)^(٧).

١١ - قال ابن عمر رضي الله عنهما: إن رجلاً رأى فيما يرى النائم أنه قيل له: بأي شيء أمركم نبيكم؟ قال: أمرنا أن نسبح ثلاثاً وثلاثين، ونحمد ثلاثاً وثلاثين، ونكبر أربعاً وثلاثين، فتلك مائة، قال: سبحوا خمسة وعشرين، واحمدوا خمسة وعشرين، وكبروا خمسة وعشرين، وهللوا خمسة وعشرين، فتلك مائة، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ

(١) انظر: فتح الباري ٢ / ٤٠٥.

(٢) مسلم، برقم ٥٩٥، وتقدم تخريجه.

(٣) مسلم، برقم ٥٩٧، وتقدم تخريجه.

(٤) البخاري، برقم ٨٤٣، وتقدم تخريجه.

(٥) البخاري، برقم ٦٣٢٩، وتقدم تخريجه.

(٦) مسلم، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٦.

(٧) النسائي، برقم ١٣٥١، وتقدم تخريجه في ألفاظ الحديث.

فقال: «افعلوا كما قال الأنصاري»^(١)، وفي رواية: «اجعلوها كذلك»^(٢).

١٢ - السنة التي صحت عن النبي ﷺ هي عقد التسييح على اليد اليمنى فقط؛ لقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسييح - قال ابن فداء أحد رواة الحديث - يمينه»^(٣)؛ ولقول عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله في طهوره وترجله وتغلبه»^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل قوله: «ما استطاع» احترازاً عما لا يستطاع فيه التيمن شرعاً، كدخول الخلاء، والخروج من المسجد، والاستنجاء، والتمخط، وكل شيء مستقذر^(٥).

٧٠ - (٥) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ *

(١) انظر: تخريج الحديث السابق.

(٢) النسائي، برقم ١٣٥٠، تقدم تخريجه في ألفاظ الحديث.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، أبواب الوتر، باب التسييح بالحصا، برقم ١٥٠٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١ / ٤١١، برقم ١٥٠٢، ويكون بطريقة العقد: أي شد الأصبع إلى باطن الكف.

(٤) البخاري، كتاب الصلاة، باب التيمن في دخول المسجد وغيره، برقم ٤٢٦.

(٥) انظر: فتح الباري، ٢ / ٦٥٨.

مِنَ الْجَنَّةِ وَ النَّاسِ ﴿ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ﴾^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٤٨- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجَهَنِيِّ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالمُعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ»^(٣).

٢٤٩- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «المعوذات»: قال الحافظ في الفتح: «المعوذات أي: الإخلاص، والفلق، والناس»^(٥).

٢- قوله: «اشتكى»: قال الباجي رحمته الله: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى أَلَمًا: يُرِيدُ إِذَا مَرِضَ، يُقَالُ: اشْتَكَى فُلَانٌ، إِذَا أَصَابَهُ شَكْوَى مَرَضٍ»^(٦).

٣- قوله: «ينفث»: قال ابن عبد البر رحمته الله: «النفث: شبه البصق، ولا يلقي النافث شيئاً من البصاق، وقيل: كما ينفث أكل الزبيب»^(٧).

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الاستغفار، برقم ١٥٢٣، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في المعوذتين، برقم ٢٩٠٣، والنسائي، كتاب السهو، باب الأمر بقراءة المعوذات بعد التسليم من الصلاة، برقم ١٣٣٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٥٤، وصحيح الترمذي، ٨/ ٢. والسور الثلاث يقال لها: المعوذات. انظر: فتح الباري، ٩/ ٦٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ١٥٢٣، وغيره، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٥٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، برقم ٥٠١٦.

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٨/ ٧٥٧.

(٦) المتقى شرح الموطأ للباقي، ٧/ ٢٦٠.

(٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، ٨/ ١٢٩.

ثالثاً: مفردات سورة الإخلاص^(١):

- ١- قوله: «قل» أي: قولاً جازماً به معتقداً له، عارفاً بمعناه.
 - ٢- قوله: «هو الله أحد» أي: قد انحصرت فيه الأحدية، وهو الأحد المنفرد بالكمال، والذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العلا، والأفعال المقدسة. الذي لا نظير له ولا مثيل.
 - ٣- قوله: «الله الصمد» أي: المقصود في جميع الحوائج، فجميع العوالم: السفلي منها والعلوي، مفتقرون إليه غاية الافتقار.
 - ٤- قوله: «لم يلد ولم يولد»: لكمال غناه عن المعين؛ لأنه لا يجانسه أحد، إذ الولد يجانس والده؛ ولأن كل ولد له والد، والله ليس كذلك.
 - ٥- قوله: «ولم يكن له كفواً أحد» أي: ليس له مثيل، ولا نظير، ولا شبيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢).
- وسبب نزول هذه السورة الكريمة «عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾^(٣).

رابعاً: طرف من فضائل هذه السورة الكريمة:

- ١- عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أحب هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقال: «إن حبها أدخلك الجنة»^(٤).
- ٢- وفيه قصة: أن هذا الرجل، وهو أنصاري، كان يؤم قومه في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة كان يقرأ بالإخلاص، ثم بما معه من السور الأخرى،

(١) انظر: تفسير السعدي، ص ٩٣٧، وتفسير الجزائري، ص ٢١١١.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) انظر: الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الإخلاص، برقم ٣٣٦٤، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٣٣٦٤.

(٤) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص، برقم ٢٩٠١، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٩٠١.

فأعلموا النبي ﷺ بذلك، فقال له: «وما يحملك أن تقرأ هذه السورة كل ركعة» فذكر الحديث، وفيه دليل على جواز قراءة السورتين في الركعة الواحدة في الفريضة والنافلة على حد سواء.

٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن»^(١).

٤- قول النبي ﷺ: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتاً في الجنة»^(٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قال: حَسَّانَ بَنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيه: «سَأَلْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنَ سُرَيْجٍ قُلْتُ: مَا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: فَثُلُثٌ أَحْكَامٌ، وَثُلُثٌ وَعْدٌ، وَثُلُثٌ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ، وَقَدْ جُمِعَ فِي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أَحَدُ الْأَثَلَاثِ، وَهُوَ الصِّفَاتُ، فَقِيلَ إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»^(٣)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: وهي تعدل ثلث القرآن في الثواب، وليس في الإجزاء، ولذلك لو قرأها الإنسان ثلاث مرات في الصلاة لم تجزئه عن الفاتحة»^(٤).

خامساً: ثلاث فوائد مهمة:

الفائدة الأولى: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: واعلم أن ﴿كُفُوءاً﴾ فيها ثلاث قراءات:

١- بضم الفاء والواو ولا تصلح بسكون الفاء (كُفُوءاً) فمن قرأها بسكون الفاء فهذا لحن.

(١) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضائل قل هو الله أحد، برقم ٥٠١٥.

(٢) مسند أحمد، ٢٤/٣٧٦، برقم ١٥٦١٠، والطبراني في المعجم الكبير، ٢٠/١٨٣، برقم ٣٩٧، وضعفه

محققو المسند، ٢٤/٣٧٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٤٧٢.

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام، ١٧/١٠٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، الحديث (١٠١١).

٢ - الهمز مع ضم الفاء (كُفُواً).

٣ - بالهمز مع سكون الفاء (كُفُواً)^(١).

الفائدة الثانية: أبطل الله في هذه السورة ادعاء اليهود والنصارى والمشركين نسبة الولد إلى الله - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. قالت اليهود والنصارى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٢).

وقال الله ﷻ في المشركين: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(٣).

الفائدة الثالثة: قال ابن عثيمين رحمه الله: وسميت بسورة الإخلاص؛ لأنها تتضمن الإخلاص لله ﷻ، وأن من آمن بها فهو مخلص، وقيل لأنها مُخْلِصَةٌ - بفتح اللام - لأن الله تعالى أخلصها لنفسه، فلم يذكر فيها شيئاً من الأحكام، ولا شيئاً من الأخبار عن غيره، بل هي أخبار خاصة بالله، والوجهان صحيحان، ولا منافاة بينهما^(٤).

سادساً: مفردات سورة الفلق:

١ - قوله: «أَعُوذُ» العوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعدته بالله أعيده، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك^(٥)، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «أعوذ: أي: أُلجأ، وألوذ، وأعتصم»^(٦).

٢ - قوله: «رب الفلق» أي: بالله الذي فلق الإصباح، وفلق الحب والنوى.

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٧.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، ٢/ ١٥٧.

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٦) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

٣- قوله: «من شر ما خلق» أي: من إنس، وجن، وجماد، وحيوان، فيستعاذ بخالقها من الشر الذي فيها.

٤- قوله: «ومن شر غاسق إذا وقب» أي: من شر ما يكون في الليل بعد نوم الناس؛ حيث تنتشر الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية.

٥- قوله: «ومن شر النفاثات في العقد» أي: السواحر اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد التي يعقدنها على السحر^(١).

٦- قوله: «ومن شر حاسد إذا حسد»: الحاسد هو الذي يسعى في زوال النعمة عن المحسود، بخلاف الذي يغبط؛ فإن الغبطة هي تمنى الشيء مع دأومه على صاحبه، ويدخل في الحاسد العائن؛ لأن العين لا تصدر إلا من حاسد خبيث النفس^(٢).

سابعاً: ما ترشد إليه السورة:

١- الاعتصام بالله من كل ما يخافه الإنسان؛ لأن الله هو الذي بيده النفع والضرر.

٢- تحريم السحر؛ لأنه كفر، وحدّ الساحر أن يضرب بالسيف من قبل ولي الأمر.

٣- عامة السحر يكون من النساء؛ لقول الله: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، وإن كان يفعلها الرجال والنساء، ويقع عليهم جميعاً، ويجوز أن يكون معنى النفاثات أي: النفوس النافثات، فتشمل الرجال والنساء^(٣).

٤- بيان وجود الحسد وأنه أمر حقيقي، وإثبات تأثير العين بأمر الله؛ لقول النبي ﷺ: «لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»^(٤)، والحسد أول ذنب عُصي به الله لَمَّا حسد إبليس آدم، وحسد قاييل هابيل.

(١) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

(٢) انظر: تفسير السعدي، ٩٣٧.

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، ح (١٠١٤).

(٤) الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين، برقم ٢٠٥٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٠٥٩.

ثامناً مفردات سورة الناس:

- ١- قوله: «أعوذ»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «أعوذ: أي: ألجأ، وألوذ، وأعتصم»^(١).
 - ٢- قوله: «برب الناس» أي: خالقهم، ومدبر شؤونهم.
 - ٣- قوله: «ملك الناس» أي: مالكهم، والمتصرف في الملك كله على وفق إرادته.
 - ٤- قوله: «إله الناس» أي: أن الله هو الإله الحق، وكل ما يعبد من دونه باطل زائف.
 - ٥- قوله: «الوسواس»: هو الشيطان الذي يوسوس بصوت لا يسمع بإلقاء الشبهات في القلوب، وتزيين الشر، وتحسين القبيح.
 - ٦- قوله: «الخناس»: هذا وصف للشيطان من الجن؛ فإنه لا يزال يوسوس، فإذا ذكر العبد ربه خنس، وتأخر.
 - ٧- قوله: «من الجنة والناس»: فيه إثبات وجود الشياطين من الإنس الذي ضرره أشد من شيطان الجن؛ لأنه لا يطرد، بل يتخلص منه بتمام الاستعاذة بالله منه.
 - ٨- جاء عند مسلم أن النبي ﷺ قال: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط؟» ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^(٢).
- ومعنى لم ير مثلهن قط: أي: فيما يتعوذ به الإنسان من الشيطان، وقال ابن القيم رحمه الله: والمقصود هو الكلام على هاتين السورتين، وبيان عظيم منفعتهما، وشده الحاجة، بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيراً خاصاً في دفع السحر، والعين، وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى التنفس، والطعام، والشراب، واللباس^(٣).

(١) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

(٢) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، برقم ٨١٤.

(٣) بدائع الفوائد، ٢ / ٤٢٥.

تاسعاً: من فضائل سورة الفلق، وسورة الناس:

١- عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه ^(١) قَالَ: كُنْتُ أَقُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَاقَتَهُ فِي السَّفَرِ، فَقَالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ، أَلَا أَعْلِمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟»، فَعَلَّمَنِي: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»، وَ«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»، قَالَ: فَلَمْ يَرِنِي سُرُزْتُ بِهِمَا جِدًّا، فَلَمَّا نَزَلَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ صَلَّى بِهِمَا صَلَاةَ الصُّبْحِ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الصَّلَاةِ انْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ كَيْفَ رَأَيْتَ» ^(٢).

٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَيْبٍ ^(٣)، قَالَ: أَصَابَنَا طَشٌّ، وَظُلْمَةٌ، فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا، ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا مَعْنَاهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا فَقَالَ: «قُلْ»، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا، يَكْفِيكَ كُلُّ شَيْءٍ» ^(٤).

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَيْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَأَصَبْتُ خُلُوءَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقَالَ: «قُلْ»، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ حَتَّى خَتَمَهَا»، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ حَتَّى خَتَمَهَا»، ثُمَّ قَالَ: «مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلِ مِنْهُمَا» ^(٥).

٤- وعن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه ^(٦) قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٣ من أحاديث الشرح.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في المعوذتين، برقم ١٤٦٢، والنسائي، كتاب الاستعاذة، برقم

٥٤٣٦، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٤٥٦/٣.

(٣) ستأتي ترجمته في الحديث رقم ٢٥٩ من أحاديث الشرح.

(٤) النسائي، كتاب الاستعاذة، برقم ٥٤٢٨، وحسنه الألباني في صحيح النسائي، برقم ٥٤٢٨.

(٥) النسائي، كتاب الاستعاذة، برقم ٥٤٢٩، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ٥٤٢٩.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

وَعَيْنِ الْإِنْسِ فَلَمَّا نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ»^(١).

٥- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ»، قُلْتُ: وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»، فَقَرَأَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «لَمْ يَتَعَوَّذِ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ، أَوْ لَا يَتَعَوَّذِ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ»^(٢).

٦- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، وَ(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)»^(٣).

عاشراً: ما يستفاد من الحديث:

قال ابن عبد البر رحمته الله:

١- «فيه إثبات الرقى، والرد على من أنكره من أهل الإسلام.

٢- وفيه الرقى بالقرآن، وفي معناه كل ذكر لله جائز الرقية به.

٣- وفيه إباحة النفث في الرقى، وأنه من السنة.

٤- وفيه المسح باليد عند الرقية، وفي معناه المسح باليد على كل ما

ترجى بركته وشفأؤه وخيره، مثل المسح على رأس اليتيم وشبهه»^(٤).

٥- وقال القاضي عياض رحمته الله: «قيل فيه جواز الاسترقاء للصحيح لما عساه يخشاه

من طوارق الليل وهوامه، وغير ذلك مما يسترقى له، فيمنعه الله من أذى ذلك»^(٥).

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب من استرقى من العين، برقم ٣٥١١، والنسائي، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من عين الجان، برقم ٥٤٩٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ٥٤٩٤، وفي صحيح ابن ماجه، ٣٥١١.

(٢) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، والنسائي، كتاب الاستعاذة، برقم ٥٤٣١.

(٣) مسلم، برقم ٨١٤، وأبو داود، كتاب الوتر، باب في المعوذتين، برقم ١٤٦٢، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب الفضل في قراءة المعوذتين، برقم ٩٥٤.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٨/ ١٢٩.

(٥) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٧/ ٤٩.

- وقال الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك الحريملي
 رَحِمَهُ اللهُ: «وقد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط:
 أ- أن يكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته.
 ب- وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.
 ج- وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها»^(١)، بل بتقدير الله ﷻ.

٧١- (٦) ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا
 نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ
 عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ
 حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ عَقِبَ كُلِّ صَلَاةٍ^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٥٠- عن أبي أمامة رضي الله عنه^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر
 كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»^(٤).

(١) تطريز رياض الصالحين، ص ٥٩٢.

(٢) النسائي في عمل اليوم والليلة، ص ١٨٣، برقم ١٠٠، وابن السني، ص ٢٣٣، برقم ١٢١،
 وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٣٣٩/٥، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦٩٧/٢، برقم
 ٩٧٢، والآية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٥١ من أحاديث الشرح.

(٤) النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٣٣٩/٥، وتقدم

قال ابن القيم رحمته: وبلغني عن شيخنا أبي العباس ابن تيمية رحمته أنه قال: ما تركته عقيب كل صلاة^(١).

٢ - ثانياً: من فضائل هذه الآية المباركة:

١- قول النبي ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه: «يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟» قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. قال: فضرب في صدري وقال: «والله ليهنك العلم يا أبا المنذر»^(٢)، والمعنى هنيئاً لك بالعلم الذي يدفع إلى العمل الخالص لوجه الله مع تمام المتابعة للنبي ﷺ.

٢- قال النووي: فيه منقبة عظيمة لأبي، ودليل على كثرة علمه، وفيه تبجيل العالم فضلاء أصحابه، وتكنيتهم، وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة، ولم يخف عليه إعجاب، ونحوه لكمال نفسه، ورسوخه في التقوى^(٣).

٣- قال العلامة ابن عثيمين رحمته: وفي هذا الحديث دليل على أن القرآن يتفاضل كما دل عليه حديث سورة الإخلاص، وهذا التفاضل باعتبار مدلوله وموضوعاته، لا من حيث المتكلم به؛ لأن المتكلم به واحد وهو الله ﷻ^(٤).

ثالثاً: شرح مفردات آية الكرسي:

١- «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»: قال العلامة السعدي رحمته: «الذي له جميع معاني الألوهية،

تخرجه في تخريج حديث المتن.

(١) زاد المعاد، ١ / ٢٨٥.

(٢) مسلم، برقم ٨١٠، وتقدم تخريجه في الفائدة الرابعة من فوائد الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٣) شرح مسلم للنووي، ٦ / ٣٣٤.

(٤) انظر: شرح الواسطية، ١ / ١٦٤.

وأنه لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، فألوهية غيره، وعبادة غيره باطلة»^(١).

٢- «الحي» أي: ذو الحياة الكاملة، المتضمنة لجميع صفات الكمال، لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، ولا يعثرها نقص بوجه من الوجوه.

٣- قوله: «القيوم»: القائم بنفسه، والقائم على غيره، فلا يحتاج لشيء، والكل إليه مفتقر محتاج؛ لأنه القائم بتدبير الملكوت كله علويه وسفليه.

٤- قوله: «لا تأخذه سنة ولا نوم»: السَّنة: النعاس، وهي مقدمة النوم، ولم يقل لا ينام؛ لأن النوم يكون باختيار، والأخذ يكون بالقهر، والنوم صفة نقص في حق الله، قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام»^(٢)، والسَّنة -بكسر السين - هي النعاس في العين، والنوم هو الثقل، والاسترخاء الذي يصل إلى القلب، فيغيب الذهن.

٥- قوله: «له ما في السموات وما في الأرض»: أي: هو المالك، وما سواه مملوك، وهو الخالق، وغيره مخلوق، فالكل له عبد، ولا يخرج عن ملكه أحد، لا في سمواته، ولا في أرضه، فإن السموات والأرض لله خلقاً، وملكاً، وتصرفاً، وتدبيراً.

٦- قوله: «من ذا الذي يشفع عنده»: الشفاعة في الاصطلاح: هي التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة، فمثلاً شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف أن يقضى بينهم. هذه لدفع مضرة، وشفاعته لأهل الجنة بدخولها هي جلب للمنفعة لهم.

٧- قوله: «إلا بإذنه»: فيه أن الشفاعة لا تصح إلا بشروط:

أ - إذن الله للشافع أن يشفع.

ب - رضا الله عن الشافع والمشفوع له، قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي

(١) تفسير السعدي، ص ٩٥٣.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: «إن الله لا ينام» وفي قوله: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، برقم ١٧٩.

السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى»^(١).

٨- قوله: «يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم»: العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، «ما بين أيديهم» أي: المستقبل، «وما خلفهم» الماضي، و(ما) من صيغ العموم، تشمل كل ماضٍ، وكل مستقبلٍ، وتشمل ما كان من فعله، وما كان من أفعال الخلق، وقيل: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ»: قال أبو جعفر الطبري رحمته الله: «يعني تعالى ذكره بذلك أنه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علما، لا يخفى عليه شيء منه»^(٢)، وقال الإمام ابن كثير رحمته الله: «دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات: ماضيها وحاضرها ومستقبلها كقوله إخبارًا عن الملائكة: ﴿وَمَا نُنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾»^(٣)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ»: أي: المستقبل؛ «﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾» أي: الماضي؛ وقد قيل بعكس هذا القول؛ ولكنه بعيد؛ فاللفظ لا يساعد عليه؛ و(ما) من صيغ العموم؛ فهي شاملة لكل شيء؛ سواء كان دقيقاً أم جليلاً؛ وسواء كان من أفعال الله أم من أفعال العباد»^(٤).

٩- قوله: «ولا يحيطون بشيء» أي: الخلق؛ لأنهم عاجزون عن ذلك تمام العجز.

١٠- قوله: «من علمه إلا بما شاء»: وذلك وفق حكمته بإطلاعهم على شيء مما ينفعهم في المعاش، والمعاد من الأمور الشرعية، والأمور القدسية؛ ولذا

(١) سورة النجم، الآية: ٢٦.

(٢) تفسير الطبري، ٥ / ٣٩٦.

(٣) سورة مريم، الآية: ٦٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١ / ٦٧٩.

(٥) تفسير القرآن، للعلامة ابن عثيمين، ٥ / ١٩٨.

قالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾^(١)، ويقول عيسى عليه السلام يوم القيامة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٢).

١١- قوله: «وسع كرسيه السموات والأرض»: وسع بمعنى شمل، أي: أن كرسيه محيط بالسموات والأرض، وأكبر منهما؛ لأنه لولا أنه أكبر ما وسعهما^(٣)، قال ابن عباس: «الكرسي موضع قدمي الله ﷻ»^(٤)، والكرسي ليس هو العرش بل العرش أكبر منه. قال النبي ﷺ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ، إِلَّا كَحَلْقَةِ مُلَقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ»^(٥).

١٢- قوله: «ولا يؤوده حفظهما» أي: لا يثقله، ولا يشق عليه ذلك.

١٣- قوله: «العلي»: بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته.

١٤- قوله: «العظيم»: الذي يتصاغر كل شيء أمام عظمته، وكبريائه.

قال السعدي: وهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله، وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى، والصفات الغلا.

وقال الجزائري: اشتملت هذه الآية على ثمانية عشر اسمًا لله، ما بين ظاهر ومضمّر، وكلماتها خمسون كلمة، وجملها عشرٌ، كلها في توحيد الله، وإثبات ألوهيته^(٦).

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٩.

(٣) شرح الواسطية لابن عثيمين، ص ١٧١.

(٤) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «المسند» (٥٨٦)، قال الألباني في «مختصر العلو» ص ٤٥: «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات».

(٥) صحيح ابن حبان، ٧٧/٢، برقم ٣٦١، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، برقم ٨٦٢، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ١٠٩، وقال: لا يصح حديث مرفوع إلى النبي ﷺ في صفة العرش إلا هذا الحديث.

انظر: في تفسير هذه الآية: ١ - شرح الواسطية لابن عثيمين، ٢ - تفسير السعدي، ٣ - تفسير الجزائري، ص ١٥٩.

(٦) تفسير الجزائري، ص ١٥٩.

٧٢- (٧) «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»
عَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ وَالصُّبْحِ^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٥١- لفظ الترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه (٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي ذُبُرِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَهُوَ ثَانِي رَجُلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِي عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ فِي حِزْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحَرَسَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَتَّبِعْ لِدَنْبٍ أَنْ يَذْرُوكَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا الشَّرْكَ بِاللَّهِ»^(٣).

٢٥٢- ولفظ الإمام أحمد في المسند عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها (٤)، تُحَدِّثُ زَعَمْتُ أَنَّ فَاطِمَةَ، جَاءَتْ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ تَشْتَكِي إِلَيْهِ الْخِدْمَةَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا قتيبة بن سعيد، برقم ٣٤٧٤، ولم يذكر إلا صلاة الفجر، وأحمد، عن عبد الرحمن بن غنم، ولم يذكر بعد الصحابي أبا ذر رضي الله عنه، وفيه صلاة المغرب، والفجر، ٥١٢ / ٢٩، برقم ١٧٩٩، وحسنه لغيره محققو المسند، ٥١٢ / ٢٩، وحسن إسناده البنا الساعاتي في الفتح الرباني، ٥٤ / ١٠، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣٢١ / ١، وأخرجه النسائي في الكبرى عن أبي ذر رضي الله عنه، ١٥٥ / ٩، برقم ٩٨٧٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٤٥ من أحاديث الشرح.

(٣) رواه الترمذي، برقم ٣٤٧٤، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣٢١ / ١، وتقدم

تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٦٨ من أحاديث الشرح.

اللَّهُ، وَاللَّهُ لَقَدْ مَجَلَّتْ يَدَايَ مِنَ الرَّحَى، أَطْحَنُ مَرَّةً، وَأَعَجِنُ مَرَّةً، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَزُرُقَكَ اللَّهُ شَيْئًا يَأْتِكَ، وَسَادُ ذَلِكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ: إِذَا لَزِمْتَ مَضْجَعَكَ، فَسَبِّحِ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ مِائَةٌ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْخَادِمِ، وَإِذَا صَلَّيْتَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَقُولِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَعَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَإِنْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ تُكْتَبُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَتَحُطُّ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ كَعْتَقِ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَا يَحِلُّ لِدَنْبٍ كُسِبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَنْ يُذْرِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الشَّرْكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ حَرُّكَ، مَا بَيْنَ أَنْ تَقُولِيهِ غَدْوَةً إِلَى أَنْ تَقُولِيهِ عَشِيَّةً، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ، وَمِنْ كُلِّ سُوءٍ»^(١).

٢٥٣- وفي لفظ للطبراني عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه ^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ أُعْطِيَ بِهِنَّ سَبْعًا كُتِبَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمُحِي عَنْهُ بِهِنَّ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ وَرُفِعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ دَرَجَاتٍ وَكُنَّ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ نَسَمَاتٍ وَكُنَّ لَهُ حَافِظًا مِنَ الشَّيْطَانِ وَحِزْمًا مِنَ الْمَكْرُوهِ وَلَمْ يُلْحَقْهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ ذَنْبٌ إِلَّا الشَّرْكَ بِاللَّهِ ﷻ وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنَ الْمَغْرِبِ أُعْطِيَ مِثْلَ ذَلِكَ لَيْلَتَهُ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ١٧٥/٤٤، برقم ٢٦٥٥١، بلفظه، وصححه لغيره محققو المسند، ١٧٦/٤٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

(٣) الدعاء للطبراني، ص ٢٢٤، والمعجم الكبير، ٦٤/٢٠، برقم ١١٩، وعمل اليوم والليلة لابن

السني، ص ٢٦٥، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/١١٤.

٢٥٤- وفي لفظ آخر للترمذي عَنْ عُمَارَةَ بْنِ شَيْبٍ السَّبْيِيِّ^(١)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى إِثْرِ الْمَغْرِبِ، بَعَثَ اللَّهُ لَهُ مَسْلَحَةً يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُضْبَحَ، وَكُتِبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ مُوجِبَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ مُوبِقَاتٍ، وَكَانَتْ لَهُ بِعَدْلِ عَشْرِ رِقَابٍ مُؤْمِنَاتٍ»^(٢).

ثانياً: مفردات الحديث:

١- قوله: «لا إله إلا الله»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله الله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لا بد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات... أي: تعبدوا له، وتوسلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»^(٣).

٢- قوله: «وحده لا شريك له»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً،... وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»^(٤).

٣- قوله: «لَهُ الْمُلْكُ»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجَنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ، وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛

(١) عمارة بن شبيب السبائي، بفتح المهملة والموحدة وهمزة مكسورة مقصور، مختلف في صحبته، يعتبر في عداد أهل مصر، وقال الترمذي: لا نعرف له سماعاً من النبي ﷺ، وقال أبو عمر مات سنة خمسين، انظر: الاستيعاب، ٣/ ١١٤٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٥٨٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن حميد، برقم ٣٥٣٤، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال ذلك عشر مرات على إثر المغرب، برقم ١٠٤١٣، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١١٣، برقم ٤٧٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٤) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن ٦٧.

لَأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»^(١).

٤- قوله: «وله الحمد»: أي: الحمد المطلق، فهو محمود في السراء حمد شكر، وفي الضراء حمد تفويض»^(٢).

٥- قوله: «يحيي ويميت»: أي: هو المنفرد بالإحياء والإماتة فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب إلا بإذنه^(٣)، وقال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: «يحيي ما يشاء من الخلق، بأن يوجده كيف يشاء... ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة، بعد بلوغه أجله فيفنيه»^(٤).

٦- قوله: «بيده الخير»: قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «إنه سبحانه الغني بذاته عمن سواه، وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته، وأفعاله، فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على أي وجه كان، ...»^(٥).

٧- قوله: «وهو على كل شيء قدير»: قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشرாகكم به الأوثان وغير ذلك مما أراد بكم، ويغيركم قادر»^(٦)، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «... فآزمة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»^(٧).

٨- قوله: «فِي دُبُرِ صَلَاةِ الْفَجْرِ»: قال ابن حجر: «دُبُر - بضمّين -، قال الأزهرّي: دُبُر الأمر يعني بضمّين، ودبره يعني بفتح ثم سكون: آخره. وادّعى أبو

(١) المستقى، شرح الموطأ للبايجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٢) تقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٣) تفسير السعدي، ص ٧٤٢.

(٤) تفسير الطبري، ٢٣ / ١٦٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.

(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٢٢٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.

(٦) تفسير الطبري، ١٥ / ٢٣٢.

(٧) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣ / ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

عَمَرُو الزَّاهِدَ أَنَّهُ لَا يُقَالُ بِالضَّمِّ إِلَّا لِلْجَارِحَةِ، وَرَدَّ بِمِثْلِ قَوْلِهِمْ: أَعْتَقَ غُلَامَهُ عَنْ دُبُرٍ، وَمُقْتَضَى الْحَدِيثِ أَنَّ الذِّكْرَ الْمَذْكُورَ يُقَالُ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الصَّلَاةِ، فَلَوْ تَأَخَّرَ ذَلِكَ عَنِ الْفَرَاغِ، فَإِنْ كَانَ يَسِيرًا بِحَيْثُ لَا يُعَدُّ مُعْرِضًا، أَوْ كَانَ نَاسِيًا، أَوْ مُتَشَاغِلًا بِمَا وَرَدَ أَيْضًا بَعْدَ الصَّلَاةِ، كَأَيَّةِ الْكُرْسِيِّ فَلَا يَضُرُّ»^(١).

٩- قوله: «ثَانِي رَجُلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ»: أَرَادَ قَبْلَ أَنْ يَضْرِفَ رَجُلَهُ عَنْ حَالَتِهَا الَّتِي هِيَ عَلَيْهَا فِي التَّشَهُّدِ^(٢)، وَلَكِنْ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا سَلَّمَ لَمْ يَقْعُدْ إِلَّا مَقْدَارَ مَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمَنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٣)، وَهَذَا بَعْدَ الْاسْتِغْفَارِ ثَلَاثًا^(٤)، ثُمَّ يَنْصَرِفُ بِوَجْهِهِ إِلَى النَّاسِ، وَهَذَا هُوَ السُّنَّةُ فِي حَقِّ الْإِمَامِ، ثُمَّ يَقُولُ الْأَذْكَارَ الْمُتَبَقِّيَّةَ، مَعَ هَذَا الذِّكْرِ، أَمَّا الْمَأْمُومُ، فَلَهُ أَنْ يَبْقَى فِي ثِنْيَيْ رَجُلَيْهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

١٠- قوله: «وَلَمْ يَنْبَغِ لِدُنْبٍ أَنْ يُذْرِكُهُ»: أَيُّ يَهْلِكُهُ وَيَبْطُلُ عَمَلُهُ^(٥).

١١- قوله: «حَرْزًا» أَيُّ: حَفْظًا لَهُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ مِنَ الْآفَاتِ^(٦).

١٢- قوله: «وَحَرْسٍ مِنَ الشَّيْطَانِ» وَفِي رِوَايَةٍ: (حَرْزٌ): أَيُّ تَعْوِيذًا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ تَخْصِيصٌ بَعْدَ تَعْمِيمٍ؛ لِكَمَالِ الْإِعْتِنَاءِ بِهِ^(٧).

١٣- قوله: «وَلَمْ يَنْبَغِ لِدُنْبٍ أَنْ يُذْرِكُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا الشِّرْكَ بِاللَّهِ»: أَيُّ: يَهْلِكُهُ، وَيَبْطُلُ عَمَلُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا الشِّرْكَ، أَيُّ وَإِنْ وَقَعَ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ فِي حِصْنِ التَّوْحِيدِ، قَالَ الطَّبْيِيُّ: فِيهِ اسْتِعَارَةٌ مَا أَحْسَنَ مَوْقِعَهَا؛ فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِذَا دَعَا بِكَلِمَةٍ

(١) فتح الباري، ٢/ ٣٢٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٢٥، مادة (ثنا).

(٣) مسلم، برقم ٥٩٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٦٦.

(٤) مسلم، برقم ٥٩١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٦٦.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.

(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.

التوحيد، فقد أدخل نفسه حرماً آمناً، فلا يستقيم لمذنب أن يحل ويهتك حرمة الله؛ فإذا خرج عن حرم التوحيد أدركه الشرك لا محالة، والمعنى: لا ينبغي لذنب - أي ذنب - أن يدرك القائل، ويحيط به ويستأصله، سوى الشرك^(١).

١٤- قوله: «تشتكي إليه الخدمة»: يعني: تطلب خادماً، كما في الروايات الأخرى^(٢).

١٥- قوله: «مَجَلَّتْ يَدَايَ مِنَ الرَّحَى»: بفتح الجيم وكسرهما، يقال: مجلت يده تمجل مجلاً، ومجلت تمجل مجلاً، إذا ثخن جلدها، وتعجّر، وظهر فيها ما يشبه البشر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة^(٣).

١٦- قوله: «الرَّحَا»: التي يُطْحَنُ بها^(٤).

١٧- قوله: «وَسَادَ لِكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ»: وَجْهُ الْخَيْرِيَّةِ إِمَّا أَنْ يُرَادَ بِهِ أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ وَالْخَادِمِ بِالدُّنْيَا، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَإِمَّا أَنْ يُرَادَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا طَلَبْتُهُ بِأَنْ يَخْضَلَ لَهَا بِسَبَبِ هَذِهِ الْأَذْكَارِ قُوَّةٌ تَقْدِرُ عَلَى الْخِدْمَةِ، أَكْثَرُ مِمَّا يَقْدِرُ الْخَادِمُ^(٥).

١٨- قوله: «إِذَا لَزِمْتَ مَضْجَعَكَ» مَضْجَعَكَ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْجِيمِ، مِنْ ضَجَعَ يَضْجَعُ، مِنْ بَابِ مَنَعَ يَمْنَعُ، وَالْمَعْنَى إِذَا أَرَدْتَ النَّوْمَ فِي مَضْجَعِكَ^(٦).

١٩- قوله: «وَلَمْ يَلْحَقْهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ ذَنْبٌ»: اللَّحُوقُ، بِالضَّمِّ: اللَّزُومُ وَاللَّصُوقُ، وَالْحَقُّ فُلَانٌ فُلَانًا، وَالْحَقُّ: كِلَاهُمَا جَعَلَهُ مُلْحَقَهُ، وَتَلَا حَقَّ الْقَوْمِ: أَدْرَكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَاللَّحَقُّ، مُحَرَّكَةٌ: مَا يُلْحَقُ بِالْكِتَابِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ،

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٦٤ / ٤.

(٢) الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ٥٤ / ١٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٢٩٩ / ٤، مادة (مجل)، وانظر: الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ٥٤ / ١٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٢ / ٢١٠، مادة (رحى).

(٥) تحفة الأحوذى، ٢٥٠ / ٩.

(٦) تحفة الأحوذى، ١٩ / ١٠.

فِيْلَحَقْ بِهِ مَا سَقَطَ عَنْهُ^(١).

٢٠- قوله: «عدل عشر نسمات»: عدل بفتح العين: المثل، والنظير، أي: مثل إعتاق عشر رقاب، وقال ابن التين: قرأناه بفتح العين، وقال الأخفش: العدل - بالكسر -: المثل، وبالفتح أصله مصدر قولك: عدلت لهذا عدلاً حسناً تجعله اسماً للمثل، فتفرق بينه وبين عدل المتاع، وقال الفراء: الفتح ما عدل الشيء من غير جنسه، والأكثر المثل^(٢).

النَّسَمُ وَالنَّسَمَةُ: نَفْسُ الرُّوحِ، وَمَا بِهَا نَسَمَةٌ، أَي: نَفْسٌ، يُقَالُ: مَا بِهَا ذُو نَسَمٍ، أَي: ذُو رُوحٍ، وَالْجَمْعُ نَسَمٌ^(٣).

٢١- قوله: «مسلحة يحفظونه»: المسلحة: القوم الذين يحفظون الثُّغُورَ من العدو؛ وَسُمُّوا مَسْلِحَةً لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ ذَوِي سِلَاحٍ، أَوْ لِأَنَّهُمْ يَسْكُنُونَ الْمَسْلِحَةَ، وَهِيَ كَالثَّغْرِ وَالْمَرْقَبِ، يَكُونُ فِيهِ أَقْوَامٌ يَرْقُبُونَ الْعَدُوَّ لئَلَّا يَطْرُقَهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ؛ فَإِذَا رَأَوْهُ أَعْلَمُوا أَصْحَابَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا لَهُ^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- هذا الحديث يدل على الفضل العظيم لمن قال هذا الذكر بعد صلاة الفجر، وبعد صلاة المغرب، وفضل الله يؤتيه من يشاء.

٢- في بعض روايات هذا الحديث أن من سبح الله ثلاثاً وثلاثين، وحمد ثلاثاً وثلاثين، وكبر أربعاً وثلاثين عند النوم، فهو خير من خادم، وهذا فيه الإعانة على كل خير.

(١) تاج العروس، ٢٦ / ٣٥١، مادة (لحق).

(٢) عمدة القاري، للعيني، ٢٣ / ٢٢.

(٣) لسان العرب، ١٢ / ٥٧٣، مادة (نسم).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٢ / ٣٣٢.

٣- قال الشيخ البنا: «والمعنى أن الله تبارك وتعالى يغفر للعبد القائل: هذا الذكر في يومه وليلته ما اكتسبه من الذنوب ولم يؤاخذ به».

٤- ولا ينبغي للذنوب - أي ذنب - أن يدركه، ويحيط به، ويستأصله سوى الشرك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

٥- يحتمل أنه يدعو به أكثر، فيكون حجة للقائلين بأن الزيادة على الوارد لا تزيل ذلك الثواب، بل تكون سبباً لزيادة الأجر، أو أنه يأتي بدعاء أو قراءة أفضل منه، والله أعلم^(٢).

٦- من قال هذا الذكر يكسب، ويفوز بسبع غنائم، على النحو الآتي:

الغنيمة الأولى: يكتب له عشر حسنات.

الغنيمة الثانية: يُمحى عنه عشر سيئات.

الغنيمة الثالثة: يُرفع له عشر درجات.

الغنيمة الرابعة: تكون له مثل إعتاق عشر رقاب مؤمنات.

الغنيمة الخامسة: لا يدركه ذنب دون الشرك بالله.

الغنيمة السادسة: يُحرس من كل شيطان، ومن كل سوء حتى يمسي، وحتى يصبح.

الغنيمة السابعة: يكون في يومه ذلك في حرز من كل مكروه. هذه غنائم سبع

يحصل عليها المسلم بقول هذا الذكر اليسير على من يسره الله عليه.

٧٣- (٨) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً، وَرِزْقاً طَيِّباً، وَعَمَلاً

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ١٠ / ٥٤.

مُتَقَبَّلًا» بَعْدَ السَّلَامِ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٥٥- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها^(٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ»: أي: أدعو وأطلب من الله ربي، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «لا خلاف أن لفظة: (اللهم) معناها: يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»^(٤). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «سؤال الله، والتوسل إليه بامثال أمره، واجتناب نهيه، وفعل ما يحبه»^(٥).

٢- قوله: «عِلْمًا نَافِعًا»: أي: أنتفع به، وأدعو إليه غيري؛ لتعم بركة العلم، قال ابن عثيمين رحمته الله: «وكم من عامي جاهل تجد عنده من الخشوع لله ﷻ، ومراقبة الله، وحسن السيرة، والسلوك، والعبادة، أكثر بكثير مما عند طالب العلم»^(٦).

٣- قوله: «رِزْقًا طَيِّبًا»: أي: حلالاً، لا تشوبه شبهة، قال الصنعاني رحمته الله:

(١) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب ما يقال بعد التسليم، برقم ٩٢٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٢، والمعجم الصغير للطبراني، ٣٦/٢، برقم ٧٣٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١٥٢/١، وسيأتي برقم ٩٥ من أحاديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٦٨ من أحاديث الشرح.

(٣) ابن ماجه، برقم ٩٢٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١٥٢/١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ١.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٢/٣٢٢.

(٦) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٧/١٦٦.

«وهو الحلال، ويحتمل أن المراد الحلال الطيب في نفسه»^(١).

٤- قوله: «وعملًا متقبلًا»: أي: اقبل عملي تفضلاً منك، وإنعاماً، إذ التوفيق لا يكون إلا منك، ويرى ابن كثير رحمته الله: أن العمل المتقبل ما كان موافقاً لشرع الله، وهو الذي يُرادُ به وجهُ الله وخدّه، لا شريك له، وهذان رُكنَا العملِ المُتَقَبَّلِ، لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ، صَوَابًا عَلَى شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- العلم النافع هو الذي يورث العمل، إذ العلم علمان: علم في القلب، وعلم على اللسان: أما علم القلب فثمرته الخشية، وأما علم اللسان فهو حجة الله على عبده؛ ولذلك استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من العلم الذي لا ينفع^(٣).

٢- الحث على طلب الرزق الحلال الذي هو سبيل لاستجابة الدعاء، وهذا هو هدي الأنبياء والمرسلين.

٣- قبول العمل هو غاية كل مسلم، ومن شروطه بعد الإيمان أن يكون خالصاً لوجه الله، صواباً باتباع السنة الصحيحة.

٤- طلب الرزق من الله ليس مقصوراً على الأمور المادية، بل هو شامل لما يعين المسلم على زيادة الإيمان في قلبه: من تلاوة مع التدبر، وذكر مع مواظبة للقلب.

٥- المراد بالعلم النافع هنا هو: علم الكتاب والسنة؛ لأنه هو العلم الذي وردت النصوص في فضله، وبقية العلوم خادمة لهذا العلم، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: ولا فرق بين المجاهد الذي يسوي رأس سيفه، وبين طالب العلم الذي يستخرج

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٩/ ٣٨١.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ٥/ ٢٠٥.

(٣) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، برقم ٢٧٢٢.

المسائل العلمية من بطون الكتب، كل منهم يعمل للجهاد في سبيل الله؛ ولذا أعقب الإمام النووي باب الجهاد بباب العلم ليبين أنه مثله^(١).

٦- الواجب على كل مسلم أن يتعلم ما يصحّ به اعتقاده من أمور التوحيد، وعبادته من صلاة، وصيام، وزكاة إن كانت عليه زكاة، وكذا الحج إن استطاع إليه سبيلاً.

٧- في بدء النبي ﷺ بسؤال العلم النافع قبل الرزق الطيب، والعمل المتقبل، إشارة مهمة، وهي أن العلم النافع مقدم على أي شيء؛ لذلك قال الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٢)، فبه يستطيع المسلم أن يميز بين العمل الصالح وغيره، وكذلك بين الرزق الحلال، والرزق الذي تحوم حوله الشبهات^(٣).

٨- من الذكر بعد السلام من الصلاة: رَبِّ قْنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، فَعَنِ الْبَرَاءِ ﷻ، قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبَلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «رَبِّ قْنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ [أَوْ تَجْمَعُ] عِبَادَكَ»^(٤).



(١) انظر: شرح رياض الصالحين، كتاب العلم، ص ١٥٧٨.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٣) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة عبد الفتاح، ص ٢٢٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب يمين الإمام، برقم ٧٠٩.

٢٦ - دُعَاءُ صَلَاةِ الاسْتِخَارَةِ

٧٤- قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١): كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ - خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ - فَأَقْضِرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْضُ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ» ^(٢).

وَمَا نَدِمَ مَنْ اسْتَخَارَ الْخَالِقَ، وَشَاوَرَ الْمَخْلُوقِينَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَبَتَّ فِي أَمْرِهِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ^(٣).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٥٦- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٤)، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧١ من أحاديث الشرح.

(٢) البخاري، كتاب أبواب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثني، برقم ١١٦٢، وكتاب الدعوات، باب

الدعاء عند الاستخارة، برقم ٦٣٨٢، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾، برقم ٧٣٩٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، - أَوْ قَالَ: - عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْضُ لَهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ - فِي عَاجِلِ أَمْرِي، وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْضُ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ» قَالَ: وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ^(١)، هذا لفظ البخاري.

٢٥٧- وفي لفظ للبخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْضُ لَهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي، وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْضُ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمَّى حَاجَتَهُ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ»: هي طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما، قال ابن الأثير رحمته الله: «الْخَيْرُ ضِدُّ الشَّرِّ، ... وَخَارَ اللَّهُ لَكَ: أَيُّ أَعْطَاكَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ ... وَالْإِسْتِخَارَةُ: طَلَبُ الْخَيْرَةِ فِي الشَّيْءِ، وَهُوَ اسْتِفْعَالٌ مِنْهُ،

(١) البخاري، برقم ١١٦٢، وتقدم تخريجه ي تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ٦٣٨٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يُقَالُ اسْتَخِرِ اللَّهَ يَخُزْ لَكَ، وَمِنْهُ دُعَاءُ الْإِسْتِخَارَةِ: «اللَّهُمَّ خِزْ لِي» أَيِ اخْتَرْ لِي أَصْلَحَ الْأَمْرَيْنِ، وَاجْعَلْ لِي الْخَيْرَةَ فِيهِ»^(١).

٢- قوله: «في الأمور كلها» أي: في أمور الدنيا، كالزواج من فلانة - وليس أصل الزواج - والسفر، وبناء الدار، وتكون في المباح، ولا تكون في المستحبات، ولا الواجبات؛ لأن الأصل فعلها، ومن باب أولى لا تكون في المكروهات، ولا المحرمات؛ لأن الأصل تركها، إلا أن الاستخارة تجوز في الواجبات التي وقتها موسع، كالحج عند من يرى أنه واجب على التراخي، أي: هل يحج هذا العام أم الذي بعده؟! وكذلك يستخير في الطرق إلى الحج إذا تعددت، ووسائل النقل إذا تعددت، والأصحاب والرفقة إذا تعددوا، وكذلك يُستخار في المستحبات عند تواردها، وتعارضها، كمن أراد أن يذهب إلى عمرة، أو إلى تعلم علم شرعي؛ فإنه يستخير. قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «على المؤمن ردّ الأمور كلها إلى الله، وصرف أزمته، والتبرؤ من الحول، والقوة إليه، وينبغي له ألا يروم شيئاً من دقيق الأمور وجليلها حتى يستخير الله تعالى فيه، ويسأله أن يحمله فيه على الخير، ويصرف عنه الشر، إذعائاً بالافتقار إليه في كل أمر، والتزاماً بالذلة والعبودية له، وتبركاً باتباع سنة نبيه في الاستخارة، ولذلك كان ﷺ يعلمهم هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن؛ لشدة حاجتهم إلى الاستخارة في الحاجات كلها، كشدة حاجتهم إلى القراءة في كل الصلوات»^(٢).

٣- قوله: «كما يعلمنا السورة من القرآن»: قيل وجه التشبيه عموم الحاجة في الأمور كلها إلى الاستخارة، كعموم الحاجة إلى القراءة في الصلاة، وقيل وجه الشبه في ترتيب كلماته، ومنع الزيادة والنقص، ويحتمل أن يكون من جهة كون

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٩١، مادة (خير).

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩ / ٣٢٤.

كل منهما عُلِمَ بالوحي^(١).

٤- قوله: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ» أي: إذا أجمع القلب على فعل شيء، قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «الأمر: الجائز فعلاً أو تركاً»^(٢).

٥- قوله: «فليركع ركعتين» أي: ليصلي ركعتين، وقد يذكر الركوع ويراد به الصلاة. لقوله: «وَازْكُغُوا مَعَ الرَّائِعِينَ»^(٣)، ويذكر السجود، ويراد به الصلاة؛ لقوله: «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»^(٤)، وهذا من باب ذكر الجزء، وإرادة الكل، قال الباجي رَحِمَهُ اللهُ: «فَلْيَزْكُغْ ركعتين: لَفْظُهُ لفظ الأمر، وهو محمولٌ على التَّذَبُّبِ، بدليل أَنَّهُ لَا يَجِبُ مِنَ الصَّلَوَاتِ إِلَّا الْخَمْسُ»^(٥).

٦- قوله: «من غير الفريضة»: يريد بذلك الصلوات الخمس، أي: لا يستخير فيها، بل تكون هذه الصلاة صلاة نافلة خالصة لهذا الأمر، وهو دليل على عدم الوجوب، وقال الحافظ في الفتح: «فِيهِ احْتِرَازٌ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مَثَلًا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِالْفَرِيضَةِ عَيْنَهَا، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، فَيَحْتَرِزُ عَنِ الرَّائِيَةِ كَرَكْعَتِي الْفَجْرِ مَثَلًا، وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي «الْأَذْكَارِ»: لَوْ دَعَا بِدُعَاءِ الاسْتِخَارَةِ عَقِبَ رَائِيَةِ صَلَاةِ الظُّهْرِ مَثَلًا، أَوْ غَيْرَهَا مِنَ التَّوَافِلِ الرَّائِيَةِ، وَالْمُطَلَّقَةِ، سَوَاءً اقْتَصَرَ عَلَى رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ أَجْزَاءً، كَذَا أَطْلَقَ، وَفِيهِ نَظَرٌ، وَيُظْهَرُ أَنْ يُقَالَ: إِنْ نَوَى تِلْكَ الصَّلَاةَ بِعَيْنِهَا، وَصَلَاةَ الاسْتِخَارَةِ مَعًا أَجْزَاءً، بِخِلَافِ مَا إِذَا لَمْ يَنْوِ، وَيُفَارِقُ صَلَاةَ تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا شَغْلَ الْبُقْعَةِ بِالْإِدْعَاءِ، وَالْمُرَادُ بِصَلَاةِ الاسْتِخَارَةِ أَنْ يَقَعَ الدُّعَاءُ عَقِبَهَا، أَوْ فِيهَا، وَيَبْعُدُ الْإِجْزَاءُ لِمَنْ عَرَضَ لَهُ الطَّلَبُ بَعْدَ فَرَاغِ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ ظَاهِرَ الْخَبَرِ أَنَّ

(١) انظر: فتح الباري، ١١/ ٢١٠.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٠٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٤) سورة العلق، الآية: ١٩.

(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣/ ١٣٥.

تَقَع الصَّلَاةُ والدُّعَاءُ بَعْدَ وُجُودِ إِرَادَةِ الْأَمْرِ ... وَأَيْضاً قَالَ: «وَيُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَنْ غَيْرَ الْفَرِيضَةِ» أَنَّ الْأَمْرَ بِصَلَاةِ رَكَعَتَيِ الاسْتِخَارَةِ لَيْسَ عَلَى الْوُجُوبِ، قَالَ شَيْخُنَا فِي شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ: وَلَمْ أَرْ مَنْ قَالَ بِوُجُوبِ الاسْتِخَارَةِ»^(١).

٧- قوله: «ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ» أَي: أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَوْفِّقَنِي، وَتُسَدِّدَ خَطَايَ إِلَى خَيْرِ الْأَمْرِ، فَأَنْتَ تَعْلَمُهُ، وَأَنَا أَجْهَلُهُ، «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ...»^(٢)، وَقَالَ الْبَاجِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَعْنَاهُ اسْتَفْعَلَ: يُسْتَعْمَلُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، وَيَأْتِي عَلَى مَعَانٍ مِنْهَا سَوَالُ الْفِعْلِ، فَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: أَطْلُبُ مِنْكَ الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ فِيمَا هَمَمْتُ بِهِ، وَالْخَيْرُ هُوَ كُلُّ فِعْلٍ سَأَلَهُ الْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ»^(٣).

٨- قوله: «بِعِلْمِكَ»: الْبَاءُ هُنَا لِلتَّعْلِيلِ، أَيِ لِأَنَّكَ أَعْلَمُ، وَكَذَا فِي قَوْلِهِ: «بِقُدْرَتِكَ» وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ لِلْاسْتِعَانَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُزْسَاهَا﴾^(٤)، وَيَحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ لِلْاسْتِعْطَافِ، كَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾^(٥).

٩- قوله: «وَأَسْتَغْنِيكَ» أَي: أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي عَلَى ذَلِكَ قُدْرَةً بِتَيْسِيرِ الْخَيْرِ لِي^(٦).

١٠- قوله: «بِقُدْرَتِكَ»: قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَعِلْمُهُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِهِ، وَقُدْرَتُهُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِهِ، ... وَإِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِقُدْرَتِهِ، وَمَشِيَّتِهِ، وَإِنْ سَمَّى فِعْلاً بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ فَهُوَ صِفَةٌ بِإِعْتِبَارِ قِيَامِهِ بِالْمُتَكَلِّمِ»^(٧). وَقَالَ الْعَيْنِيُّ

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١١ / ١٨٥.

(٢) لسان العرب، ١٣ / ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة رقم ٦.

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣ / ٤٨٨.

(٤) سورة هود، الآية: ٤١.

(٥) سورة القصص، الآية: ١٧.

(٦) انظر: فتح الباري ١٢ / ٢١١.

(٧) مجموع الفتاوى، ١٧ / ١٥٢.

ﷺ: «القدرة لله وحده»^(١)، وقال ﷺ في كتاب آخر: «أطلب منك القدرة على ما نويته، فإنك قادر على إقداري عليه، أو تقدر لي الخير بسبب قدرتك عليه، والباء للسببية في الموضعين»^(٢).

١١- قوله: «وأسألك من فضلك العظيم»: هذا إشارة إلى أن عطاء الله محض فضل منه، وتمام جود على عبده، فليس لأحد على الله حق في نعمه، وهو مذهب أهل السنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «فَهَذَا السُّؤَالُ مِنْ جُودِهِ وَمَنْعِهِ وَعَطَائِهِ وَإِحْسَانِهِ الَّذِي يَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَحَنَانِهِ»^(٣).

١٢- قوله: «فإنك تقدر ولا أقدر»: إشارة إلى أن العلم والقدرة لله وحده، وليس للعبد من ذلك إلا ما قدر الله له، وكأنه قال: أنت يا رب تقدر قبل أن تخلق في القدرة، وعندما تخلقها في وبعد ما تخلقها^(٤).

١٣- قوله: «وتعلم ولا أعلم»، قال الإمام ابن قيم الجوزية ﷺ: «أي: حقيقة العلم بعواقب الأمور، ومآلها، والنافع منها، والضار عندك، وليس عندي»^(٥).

١٤- قوله: «وأنت علام الغيوب» أي: أنه لا يختص بمعرفة ما في الغيب إلا أنت، وأنت كذلك العليم بعواقب الأمور، ما هو النافع منها والضار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «فَغَيْبُهِ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ لَا يُظْهَرُ عَلَيْهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ... وَأَمَّا مَا أَظْهَرَهُ لِعِبَادِهِ فَإِنَّهُ يُعَلِّمُهُ مَنْ شَاءَ، وَمَا تَتَحَدَّثُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فَقَدْ تَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ بَعْضَهُ؛ لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ غَيْبِهِ وَعَلِمَ نَفْسِهِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، ٢٣ / ١١.

(٢) شرح أبي داود للعيني، ٥ / ٤٥٠.

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٤ / ١٤٢.

(٤) شرح أبي داود للعيني، ٥ / ٤٥٠.

(٥) شفاء العليل، ص ١١٠.

بَلْ هَذَا قَدْ أَظْهَرَ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ»^(١)، وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «عَلَامُ الْغُيُوبِ: الذي يعلم ما تنطوي عليه القلوب، من الوسوس والشبه، ويعلم ما يقابل ذلك، ويدفعه من الحجج»^(٢).

١٥- قوله: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ»: هذا راجع إلى عدم علم العبد بعاقبة أمره، أما علم الله فهو محيط بكل شيء^(٣)، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَي: الذي عزمته عليه»^(٤).

١٦- قوله: «ويسمي حاجته» أي: أمر الزواج من فلانة، أو السفر إلى مكان كذا أو غير ذلك مما يستخير من أجله من المباحات، قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «ويسمي حاجته: أي: في أثناء الدُّعَاءِ عِنْدَ ذِكْرِهَا بِالْكَثَائَةِ عَنْهَا فِي قَوْلِهِ: إِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ»^(٥)، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «أي: إما بلسانه، أو بقلبه؛ لأنه من الدعاء والعمل الذي يتقرب به إلى الله»^(٦).

١٧- قوله: «خير لي في ديني»: قدم الدين؛ لأنه الأهم، والأجدر بالحرص عليه؛ فإذا صحَّ دين الإنسان؛ فقد فاز، وإن اختلَّ فلا بركة في شيء بعد ذلك، قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «خير لي في ديني»: «بأن لا يترتب عليه نقص ديني، ولا دنيوي»^(٧).

١٨- قوله: «ومعاشي»: «بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَفَتَحَ الْمِيمَ حَيَاتِي، أَوْ مَا يُعَاشُ

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٤/ ١٩٧.

(٢) تفسير السعدي، ص ٦٨٢.

(٣) فقه الأدعية والأذكار/ عبد الرزاق عبد المحسن البدر، ص ١٧٨.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٠٥.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ٢٢٤.

(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ١٥٩.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٣.

فِيهِ ذَكَرَهُ الْقُسْطَلَانِيُّ^(١).

١٩- قوله: «وعاقبة أمري»: قال العيني: «إن كان فيه خير يرجع لديني، ولمعاشي، وعاقبة أمري، وإنما ذكر عاقبة الأمر؛ لأنه رُبَّ شيء يهمله الرجل يكون فيه خير في تلك الحال في الظاهر، ولكن لا يكون له خير في آخر الأمر، بل ينقلب إلى عكسه»^(٢).

٢٠- قوله: «أَوْ قَالَ: عَاجِلَ أَمْرِي وَآجِلِهِ» إلخ. أَي بَدَلَ قَوْلِهِ: «فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي»، يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْأَمْرِ الْحَيَاةُ، أَي: فِي حَيَاتِي الْعَاجِلَةِ، وَحَيَاتِي الْآجِلَةِ، أَي الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالْحَيَاةِ الْآخِرَوِيَّةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ أَحْوَالُهُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَأَحْوَالُهُ الْآخِرَوِيَّةُ^(٣)، قال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «وعاجل الأمر يشمل الديني، والديني، والآجل يشملهما»^(٤).

٢١- قوله: «فاقدرة لي»: أي: فقدرة يقال قدرت الشيء أقدره بالضم والكسر قدرا من التقدير قال شهاب الدين القرافي في كتاب أنوار البروق: يتعين أن يراد بالتقدير هنا التيسير فمعناه فيسره»^(٥).

٢٢- قوله: «ثم يسره لي» يعني بذلك الأسباب التي علامات على تحصيل المطلوب، وفي رواية: «يسره لي»، وفي أخرى: «وبارك فيه»، ثم «يسره لي»^(٦). قال الإمام ابن القيم: «ولما كان العبد يحتاج في فعل ما ينفعه في معاشه، ومعهاده إلى علم ما فيه من المصلحة، وقدره عليه، وتيسره له، وليس

(١) شرح مختصر خليل في الفقه المالكي، للخرشي، ١/ ٣٧.

(٢) شرح أبي داود للعيني، ٥/ ٤٥٠.

(٣) شرح مختصر خليل في الفقه المالكي، للخرشي، ١/ ٣٧.

(٤) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٣٦٣.

(٥) عمدة القاري، للعيني، ١١/ ٣٨٤.

(٦) اتحاف السادة المتقين الزبيدي (٣/ ٤٦٥)، بترقيم الشاملة (آليا).

له من نفسه شيء من ذلك، بل علمه ممن علم الإنسان ما لم يعلم، وقدرته منه، فإن لم يقدره عليه، وإلا فهو عاجز، وتيسيره منه، فإن لم ييسره عليه، وإلا فهو متعسر عليه بعد أقداره، أرشده النبي ﷺ إلى محض العبودية، وهو جلب الخيرة من العالم بعواقب الأمور، وتفاصيلها، وخيرها، وشرها، وطلب القدرة منه، فإنه إن لم يقدره، وإلا فهو عاجز، وطلب فضله منه؛ فإن لم ييسره له، ويهيئه له، وإلا فهو متعذر عليه، ثم إذا اختاره له بعلمه، وأعاناه عليه بقدرته، ويسره له من فضله، فهو يحتاج إلى أن يبقيه عليه، ويديمه بالبركة التي يضعها فيه، والبركة تتضمن ثبوته، ونموه، وهذا قدر زائد على إقداره عليه، وتيسيره له»^(١).

٢٣- قوله: «ثم بارك لي فيه»: هذا متضمن لوقوع هذا الشيء، وثبوته ونموه، والانتفاع به، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «...وإذا أنزل الله البركة لشخص فيما أعطاه، صار القليل منه كثيراً، وإذا نُزعت البركة صار الكثير قليلاً»^(٢).

٢٤- قوله: «وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «أي: حقيقة العلم بعواقب الأمور، ومآلها، والنافع منها، والضار عندك، وليس عندي»^(٣).

٢٥- قوله: «وعاقبة أمري أو قال: في عاجل أمري وآجله»: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «هُوَ شَكُّ مَنْ الرَّاوي، وَلَمْ تَخْتَلِفِ الطُّرُقُ فِي ذَلِكَ، وَاقْتَصَرَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عَلَى «عَاقِبَةِ أَمْرِي»، وَكَذَا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَهُوَ يُؤَيِّدُ أَحَدَ الْاِحْتِمَالَيْنِ فِي أَنَّ الْعَاجِلَ وَالْآجِلَ مَذْكُورَانِ بَدَلِ الْأَلْفَاظِ الثَّلَاثَةِ

(١) شفاء العليل، ص ٣٣.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٢٦/٤.

(٣) شفاء العليل، لابن قيم الجوزية، ص ١١٠.

ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري» أو بَدَلَ الْأَخِيرَيْنِ فَقَطَّ معاشي، وعاقبة أمري، وَعَلَى هَذَا فَقَوْلُ الْكُرْمَانِيِّ: لَا يَكُونُ الدَّاعِي جَازِمًا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا إِنْ دَعَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ مَرَّةً: فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةُ أَمْرِي، وَمَرَّةً: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، وَمَرَّةً فِي دِينِي وَعَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ^(١).

٢٦- قوله: «وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله»: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: معادي، قال السندي: ينبغي أن يجعل الواو ههنا بمعنى أو بخلاف قوله: «خير لي في كذا وكذا»، فإن هناك على بابها؛ لأن المطلوب حين تيسره أن تكون خيراً من جميع الوجوه، وأما حين الصرف فيكفي أن يكون شراً من بعض الوجوه»^(٢).

٢٧- قوله: «فاصرفه عني واصرفني عنه»: أي: حتى لا يبقى القلب متعلقاً به بعد صرف الأمر عنه، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: حَتَّى لَا يَبْقَى قَلْبُهُ بَعْدَ صَرْفِ الْأَمْرِ عَنْهُ مُتَعَلِّقًا بِهِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الشَّرَّ مِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ؛ لِأَنَّهُ [أي العبد] لَوْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَى اخْتِرَاعِهِ لَقَدَرَ عَلَى صَرْفِهِ، وَلَمْ يَحْتَاجْ إِلَى طَلَبِ صَرْفِهِ عَنْهُ»^(٣).

٢٨- قوله: «واقدر لي الخير حيث كان»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: ما فيه ثواب، ورضا منك على فاعله حيث كان، أي: أقدرني على فعله في أي مكان وأي زمان حصل»^(٤).

٢٩- قوله: «ثم رضني به»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «حتى لا أزدري شيئاً من نعمك

(١) فتح الباري، ١١/ ١٨٦.

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٣٦٣.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٨٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٠٦.

ولا أحسد أحداً من خلقك، وحتى أندرج في سلك الراضين الممدوحين»^(١).

٣٠- قوله: «ثم أرضني به»: لأن المقدور يكتفه أمران: الاستخارة قبل وقوعه، والرضا بعد وقوعه، ومن سعادة العبد أن يجمع بينهما^(٢).

٣١- ومعنى قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٣)، أي: شاور يا محمد ذوي الرأي من أصحابك في الأمور المهمة، فإذا ترجح رأي فاعزم على تنفيذه متوكلاً على الله، قال السعدي رحمه الله: «أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- يُشترط فيمن يُستشار أمور، منها:

- أ - أن يكون معروفاً بسداد رأيه، وخبرته في هذه الأمور.
- ب - أن يكون معروفاً عنه التأني في الرأي، وعدم التسرع.
- ج - أن يكون ذا دين، وصلاح.

٢- من فوائد الاستشارة، الأمور الآتية:

- أ - أنها من العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله؛ لقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، وإن كان خطاباً للنبي ﷺ؛ فإن لنا فيه الأسوة والقُدوة.
- ب - أنها تطيب النفوس، وتجمع القلوب.
- ج - أنها تنوّر الأفكار، وتعمل العقول.

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢٠٦/٥.

(٢) إغاثة اللّهفان، لابن القيم، ٢٨/١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) تفسير السعدي، ص ١٥٤.

د - إن من ثمرة المشورة صواب الرأي وسداده، قال ابن عطية: الشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام.

٣-شفقة النبي ﷺ على أمته، وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

٤-المؤمن يتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته؛ إذ لا حول ولا قوة إلا بالله.

٥-إثبات أن الخير والشر من تقدير الله ﷻ، وأنه لا قدرة للعبد على جلب منفعة، أو دفع مضرة إلا بالله ﷻ، لكن الشر لا يُنسب إلى الله؛ لأنه لا يأتي منه إلا الخير، وإنما يُنسب إلى مفعولاته، والله خالق كل شيء، كما قال النبي ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»^(١).

٦-تضمن هذا الدعاء أمورًا عظامًا: كالإقرار لله بالربوبية، والإقرار بصفات الكمال: في العلم، والقدرة، والإرادة، وغير ذلك.

٧-الاستخارة توكلُّ على الله، وإحسان ظن من العبد بربه أنه يختار له الأنفع، وهذا من لوازم الرضا بالله تعالى.

٨-قطع هذا الدعاء كل طريق على أهل التطيُّر والتنجيم، واختيار الطالع، وقراءة الفنجان، أو ما يسميه الناس «حظك اليوم»، كما كان يفعل أهل الجاهلية، فهذا الدعاء الذي كله توحيد، وافتقار، وعبودية، أعطاهم الله إياه بدلاً من ذلك.

٩-لا فرق في صلاة الاستخارة بين الليل والنهار ولا يشترط أن ينام المستخير بعدها أو أن يرى رؤيا، بل يعزم ويتوكل على الله.

١٠-لم يثبت شيء عن النبي ﷺ في القراءة في صلاة الاستخارة، ومن قال: يقرأ في الأولى بـ«الكافرون»، وفي الثانية بـ«الإخلاص» فهو مجرد اجتهاد منه، والثابت عن النبي

(١) أخرجه مسلم، برقم ٧٧١، وتقدم تخريجه.

﴿القراءة بهاتين السورتين في السنة التي بعد صلاة المغرب^(١)، وركعتي الطواف^(٢)، وكذلك ركعتي الفجر التي قبل صلاة الفجر^(٣).

١١- لا بأس بتكرير الاستخارة وقد فعل ذلك عبد الله بن الزبير في حريق البيت في زمن يزيد بن معاوية حيث قال: «إني مستخير ربي ثلاثاً ثم عازم على أمري»^(٤) كما أن الاستخارة دعاء وكان من هدي النبي ﷺ أن يدعو ثلاثاً كما فعل في الاستسقاء بقوله ﷺ: «اللهم أغثنا» قالها ثلاثاً^(٥).

١٢- لا أعلم مستنداً صحيحاً لمن قال: إن هذا الدعاء في السجود، أو عقب التشهد، إلا العمومات التي تفيد أن السجود، وبعد التشهد مواطن دعاء، ولكن النص في دعاء الاستخارة صريح في كون الدعاء عقب الصلاة^(٦).

١٣- حديث أن النبي ﷺ كان إذا أراد الأمر قال: «اللهم خزلني، واختر لي»^(٧)، وكذلك حديث: «يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى الذي سبق إلى قلبك فإن الخير فيه»^(٨)، وكذلك حديث: «من سعادة ابن آدم استخارة

(١) ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الركعتين بعد المغرب، برقم ١١٦٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٣٣٢٨.

(٢) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ في حديث جابر الطويل، برقم ١٢١٨.

(٣) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب اشتجاب تحية المسجد بركعتين وكراهة الجلوس قبل صلاتيهما وأنها مشروعة في جميع الأوقات، برقم ٧١٤.

(٤) مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، برقم ١٣٣٣.

(٥) البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، برقم ١٠١٤.

(٦) انظر: فقه الدعاء للعدوي، ١٦٨.

(٧) الترمذي، كتاب الدعوت، باب ٨٦ حدثنا محمد بن بشار، برقم (٣٥١٦)، والبيهقي في شعب

الإيمان، ٢١٩/١، برقم ٢٠٤، والبزار، ١٢٩/١، برقم ٥٩، وأبو يعلى، ٤٥/١، برقم ٤٤،

والخرائطي في مكارم الأخلاق، ٢٠٥/١، وضعفه الألباني في الضعيفة، برقم ١٥١٥.

(٨) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٥٩٧، والديلمي في مسند الفردوس، ٣٦٥/٥، برقم

٨٤٥١، وضعفه النووي في الأذكار برقم ٣٠٥، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ١٨٧:

«لكن سنده وإياه جداً» وكذلك وضعفه الألباني في الكلم الطيب، ص ٧١.

الله...» الحديث، وفيه: «ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله»^(١)، كل هذه الأحاديث ذكر العلماء أنها ضعيفة، لا يعتمد عليها^(٢).



(١) أخرجه أحمد، ٥٤ / ٣، برقم ١٤٤٤، والترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء، برقم ٢١٥١، وضعفه محققو المسند، ٥٤ / ٣، وقد وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، برقم ٥٣٠٠.

(٢) انظر: تخريج هذه الأحاديث الأسطر السابقة في تخريجها.

الخائف من المسلم

بشرح حصن المسلم
من أذكار الكتاب والسنة

تأليف الفقير إلى الله تعالى
وسعيد بن علي بن وهف القحطاني

٢٧ - أَذْكَارُ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ^(٢٠١)

٧٥- (١) أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٣).

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَن أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ، مِنْ أَنْ أَغْتِقَ أَرْبَعَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَن أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَغْتِقَ أَرْبَعَةَ» أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب في القصص، برقم ٣٦٦٧، وأحمد في المسند، ٥٢٢/٣٦، برقم ٢٢١٩٤، ولفظه: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَأَن أَقْعُدَ أَذْكَرَ اللَّهِ، وَأَكْبَرَهُ، وَأَحْمَدَهُ، وَأَمْسَحَهُ، وَأَهْلَلَهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَغْتِقَ رَقَبَتَيْنِ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَمِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَغْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» وحسنه محققو المسند، وأبو يعلى، ١١٩/٦، برقم ٣٣٩٢، وأبو يعلى، ١١٩/٦، برقم ٣٣٩٢، ولفظه: «عَنْ أَنَسٍ ؓ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَن أَقْعُدَ مَعَ أَقْوَامٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَغْتِقَ أَرْبَعَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، دِيَّةَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَلَأَن أَقْعُدَ مَعَ أَقْوَامٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَغْتِقَ أَرْبَعَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، دِيَّةَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا» وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٦٩٨/٢، والمشكاة، برقم ٩٧٠.

(٢) ووقت أذكار الصباح على الصحيح من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، وأذكار المساء من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس. وانظر: الوابل الصيب لابن القيم، ص ٢٤٠، وفي تفصيل ذلك الفائدة الأولى من فوائد هذا الحديث، الآتي ذكرها بعد صفحتين.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥. من قالها حين يصبح أجبر من الجن حتى يمسي، ومن قالها حين يمسي أجبر منهم حتى يصبح. أخرجه الحاكم، ٥٦٢/١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٣/١، وعزه إلى النسائي، والطبراني، وقال: «إسناد الطبراني جيد».

الشرح:

أولاً لفظ الحديث:

٢٥٨- عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه ^(١)، أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَرِينٌ تَمْرٌ، فَكَانَ يَجِدُهُ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ لَيْلَةً، فَإِذَا هُوَ بِمِثْلِ الْغُلَامِ الْمُحْتَلِمِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: أَجِنِّي، أَمْ إِنْسِي؟ فَقَالَ: بَلْ جِنِّي، فَقَالَ: أَرِنِي يَدَكَ فَأَرَاهُ، فَإِذَا يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُ كَلْبٍ، فَقَالَ: هَكَذَا خَلَقَ الْجِنَّ، فَقَالَ: لَقَدْ عَلِمْتَ الْجِنُّ إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: أَنُنِّسَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ: مَا يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: تَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِذَا قَرَأْتَهَا غَدَوَةً أُجِرْتَ مِنْهَا حَتَّى تُمْسِيَ، وَإِذَا قَرَأْتَهَا حِينَ تُمْسِي أُجِرْتَ مِنْهَا حَتَّى تُصْبِحَ، قَالَ أَبِي فَعَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: صَدَقَ الْحَبِيثُ ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- تقدم شرح وتفسير الآية الكريمة في الحديث رقم (٧١) من المتن.

٢- قوله: «جَرِينٌ تَمْرٍ»: هو موضع تَجْفِيفِ التَّمْرِ، وَهُوَ لَهُ كَالْيَنْدَرِ لِلْحِنْطَةِ، وَيُجْمَعُ عَلَى جُرُنٍ بَضْمَتَيْنِ ^(٣).

(١) أبي بن كعب سيد القراء: أبو المنذر الأنصاري، شهد العقبة، وبدراً، وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وعرضه عليه رواه الطبراني في الكبير، برقم ٥٤١، وصححه إسناده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٦٦٢، من أعظم مناقبه أن الله أمر النبي ﷺ أن يقرأ عليه سورة البينة، وأن الله سماه باسمه للنبي ﷺ البخاري، برقم ٣٨٠٩. كان رأساً في العلم والعمل، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجله، ويسميه بسيد المسلمين، وقد مات في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ثلاثين من الهجرة. سير أعلام النبلاء، ١/ ٣٨٩، ترجمة رقم (٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم، ١/ ٥٦٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٣، وتقدم

تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٣٧، مادة (جرن).

٣- قوله: «الْغَلَامُ الْمُخْتَلِمُ»: أي الغلام البالغ المُدْرِك^(١).

٤- قوله: «لقد علمت الجن أنه ليس فيهم رجل أشدَّ مني»: الجن خلقوا من النار، قال الله تعالى إخباراً عن قول إبليس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢)، وهم مستترون لا يراهم الإنس، و«سُمِّيَ الْجِنُّ لاسْتِتَارِهِمْ واختِفَائِهِمْ عن الأبصار»^(٣)، وأشدَّ مني: أي أقوى مني، وهو من الشدة أي القوة، قال في اللسان: «يُقَالُ: حَلَبْتُ بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ، أَي: اسْتَعْنَتُ بِمَنْ يَقُومُ بِأَمْرِكَ، وَيُعْنَى بِحَاجَتِكَ، ... أَي حِينَ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى الرَّفْقِ أَخَذْتُهُ بِالْقُوَّةِ وَالشَّدَّةِ»^(٤).

٥- قوله: «أَجَزْتُ مِنْهُ»: أي حَفِظْتُ وَوَقَيْتُ وَأَجَارَكَ اللَّهُ مِنْ شَرِّنَا، «وَمَنْ أَجَارَهُ اللَّهُ لَمْ يُوصَلْ إِلَيْهِ، وَهُوَ ٱللَّهُ يُجِيرُ، وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ أَي يُعِيدُ... وَالْجَارُ وَالْمُجِيرُ: هُوَ الَّذِي يَمْنَعُكَ، وَيُجِيرُكَ، . وَاسْتَجَارَهُ مِنْ فُلَانٍ فَأَجَارَهُ مِنْهُ. وَأَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ: أَنْقَذَهُ»^(٥).

٦- قوله: «نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ»: أَصَابَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ: أَي أَخَذَ وَتَنَاوَلَ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: (يُصِيبُونَ مَا أَصَابَ النَّاسُ)^(٦) أَي يَنَالُونَ مَا نَالُوا^(٧).

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٢، مادة (حلم).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٠٦، مادة (جنن).

(٤) لسان العرب، ٣/ ٢٣٣، مادة (شدد).

(٥) لسان العرب، ٤/ ١٥٥، مادة (جور).

(٦) روى أحمد في المسند، ٤٤/ ١٤٨، برقم ٧٢٥/ ٢٦، عن أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ الشُّوءَ إِذَا فَشَا فِي الْأَرْضِ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ، أَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ بِأَسْءَلِ أَهْلِ الْأَرْضِ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِيهِمْ الضَّالِّخُونَ؟ قَالَتْ: «نَعَمْ، وَفِيهِمُ الضَّالِّخُونَ، يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَقْبِضُهُمُ اللَّهُ ﷻ إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، أَوْ إِلَى رِضْوَانِهِ وَمَغْفِرَتِهِ» وَضَعَفَهُ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ، وَفِي لَفْظِ آخِرٍ فِي مَوْضِعٍ آخِرٍ لِمُسْلِمٍ، برقم ١٠٦١ عن عبد الله بن زيد: «فَبَلَّغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُجْبُونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسَ».

(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٥٦، مادة (صوب).

٧- قوله: «مَا يُجِيرُنَا مِنْكُمْ»: أي يحول بيننا وبينكم، وينجيننا منكم^(١).

٨- قوله: «إِذَا قَرَأْتَهَا غُدُوَّةٌ»: الغُدُوَّةُ: المرّة من الغُدُو، وهو سير أوّل النهار نَقِيضَ الرِّوَا ح، وقد غَدَا يَغْدُو غُدُوًّا، والغُدُوَّة - بالضم -: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، وقد تكرّر في الحديث اسماً وفعلاً، واسم فاعل، ومصدرًا^(٢).

٩- قوله: «حَتَّى تَمْسِيَ»: أي: تدخل في وقت المساء، وفي اللسان: «أَتَيْتُهُ مَسَاءً أَمْسٍ... وَالْمَسَاءُ: بَعْدَ الظُّهْرِ إِلَى صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ، وَقَوْلُ النَّاسِ: كَيْفَ أَمْسَيْتَ؟ أَيْ كَيْفَ أَنْتَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ... وَأَمْسَيْنَا نَحْنُ: صِرْنَا فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ»^(٣).

١٠- قوله: «صَدَقَ الْخَبِيثُ»: الصّدق من علامات الصلاح، وفي اللسان: «الصِّدْقُ: نَقِيضُ الْكَذِبِ، صَدَقَ يَصْدُقُ صِدْقًا وَصِدْقًا وَتَصَدَّقًا. صَدَقَهُ: قَبِلَ قَوْلَهُ، وَصَدَقَهُ الْحَدِيثُ: أَنْبَأَهُ بِالْصِّدْقِ... وَيُقَالُ: صَدَقْتُ الْقَوْمَ أَيْ قُلْتُ لَهُمْ صِدْقًا»^(٤)، وهنا وصف للشيطان عنوان الفساد، ولذلك رأى الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ: «مِنَ التَّمِيمِ الْبَلِغِ الْغَايَةِ فِي الْحُسْنِ؛ لِأَنَّهُ أُثْبِتَ لَهُ الصِّدْقُ، فَأَوْهَمَ لَهُ صِفَةَ الْمَدْحِ،... وَأَنَّ الْكَافِرَ قَدْ يَصْدُقُ بِبَعْضِ مَا يَصْدُقُ بِهِ الْمُؤْمِنُ، وَلَا يَكُونُ بِذَلِكَ مُؤْمِنًا، وَبِأَنَّ الْكَذَّابَ قَدْ يَصْدُقُ، وَبِأَنَّ الشَّيْطَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكْذِبَ»^(٥)، و«الْخَبِيثُ: ضِدُّ الطَّيِّبِ مِنَ الرِّزْقِ، وَالْوَلَدِ، وَالنَّاسِ،... الْخَبِيثُ: ذُو الْخُبْثِ فِي نَفْسِهِ؛ قَالَ: وَالْمُخْبِثُ الَّذِي أَصْحَابُهُ وَأَعْوَانُهُ خُبَثَاءُ، وَ... خَبِيثٌ مُخْبِثٌ: أَيْ فَاسِدٌ مُفْسِدٌ لِمَا يَقَعُ فِيهِ؛ قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: (مِنَ الْخُبْثِ وَالْحَبَائِثِ)؛ فَإِنَّهُ

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣١٢ / ١، مادة (جور).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٣٤٥، مادة (غدو).

(٣) لسان العرب، ٢٨١ / ١٥، مادة (مسو).

(٤) لسان العرب، ١٩٣ / ١٠، مادة (صدق).

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٤ / ٤٨٩.

أَرَادَ بِالْخُبْثِ الشَّرَّ، وَبِالْخَبَائِثِ الشَّيَاطِينَ،... الْخُبْثُ، بِضَمِّ الْبَاءِ، وَهُوَ جَمْعُ الْخَبِيثِ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ الذَّكَرُ، وَيَجْعَلُ الْخَبَائِثَ جَمْعًا لِلْخَبِيثَةِ مِنَ الشَّيَاطِينِ،... الْخُبْثُ، بِسُكُونِ الْبَاءِ، وَهُوَ خِلَافُ طَيِّبِ الْفِعْلِ مِنْ فُجُورٍ وَغَيْرِهِ، وَالْخَبَائِثُ، يُرِيدُ بِهَا الْأَفْعَالُ الْمَذْمُومَةَ وَالْخِصَالَ الرَّدِيئَةَ. وَأَخْبَثَ الرَّجُلُ أَيِ اتَّخَذَ أَصْحَابًا خُبَثَاءَ، فَهُوَ خَبِيثٌ مُخْبِثٌ، وَمَخْبَثَانُ؛ يُقَالُ: يَا مَخْبَثَانُ^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- وقت أذكار الصباح هو من بعد طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، وأذكار المساء من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، على أن الأمر في ذلك واسع بفضل الله فيما إذا نسي المسلم، أو حدث له عارض، فإنه يكمل أذكار الصباح بعد طلوع الشمس، ويكمل أذكار المساء بعد غروبها، وبعد صلاة المغرب، ولكن الأفضل أن تكون أذكار الصباح من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، وأذكار المساء من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، والله عَلَّمَ أعلم^(٢).

٢- ومن الأدلة على مشروعية هذه الأذكار قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾^(٣)، والإبكار هو أول النهار، والعشي آخره، وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾^(٥)، وغير ذلك.

٣- الشَّيْطَانُ قَدْ يَعْلَمُ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُؤْمِنُ، وَأَنَّ الْحِكْمَةَ قَدْ يَلْقَاهَا الْفَاجِرُ فَلَا

(١) لسان العرب، ٢/ ١٤١، مادة (خبث).

(٢) انظر: المصباح المنير، ١/ ٢٤٦، والوابل الصيب لابن القيم، ص ٢٤٠.

(٣) سورة غافر، الآية: ٥٥.

(٤) سورة الروم، الآية: ١٧.

(٥) سورة ق، الآية: ٣٩.

يَتَنَفَّعُ بِهَا، وَتُؤَخَذُ عَنْهُ فَيَتَنَفَّعُ بِهَا، وَأَنَّ الشَّخْصَ قَدْ يَعْلَمُ الشَّيْءَ، وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْكَافِرَ قَدْ يَصْدُقُ بِبَعْضٍ مَا يَصْدُقُ بِهِ الْمُؤْمِنُ، وَلَا يَكُونُ بِذَلِكَ مُؤْمِنًا، وَبِأَنَّ الْكَذَّابَ قَدْ يَصْدُقُ، وَبِأَنَّ الشَّيْطَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكْذِبَ^(١).

٧٦- (٢) **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾. **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (ثلاث مرّات)^(٣).

أولاً: لفظ الحديث:

٢٥٩- لفظ أبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ رضي الله عنه ^(٣) أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطَرٍ، وَظُلُمَةٌ شَدِيدَةٌ، نَطَلَبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَذْرَكُنَا، فَقَالَ:

(١) فتح الباري، ٤/ ٤٨٩.

(٢) من قالها ثلاث مرّات حين يصبح وحين يمسي كفته من كل شيء. أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٨٢، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا سفيان بن وكيع، برقم ٣٥٧٥، والنسائي، كتاب الاستعاذة، باب أخبرنا يونس، برقم ٥٤٢٨، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٢٩.

(٣) عبد الله بن خبيب رضي الله عنه، روى عن عقبة بن عامر، وروى عنه ابنه: عبد الله، ومعاذ، وأخرج له: البخاري، ومسلم، وأحمد في قراءة المعوذات في الصباح والمساء، قال ابن حجر: «قال ابن عبد البر: إنه جهني حالف الأنصار». تهذيب التهذيب، ١٧٣/٥.

«أَصَلَّيْتُمْ؟» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حِينَ تُمَسِّي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(١).

٢٦٠- ولفظ الترمذي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُنَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطِيرَةٍ، وَظُلُمَةٌ شَدِيدَةٌ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَذْرَكْتُهُ، فَقَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: «قُلْ»، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حِينَ تُمَسِّي، وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(٢).

٢٦١- وفي لفظ للنسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَيْبٍ قَالَ: أَصَابَنَا طَشٌّ، وَظُلُمَةٌ، فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّي بِنَا، ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا مَعْنَاهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّي بِنَا، فَقَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حِينَ تُمَسِّي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثًا يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ»^(٣).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «ليلة مطيرة»: «لَيْلَةُ مَطَرٍ»: وعند الترمذي: «في ليلة مطيرة» قال الكرمانى رحمه الله فعيلة بمعنى الماطرة^(٤)، أي: كثيرة المطر، أي: ليلة فيها مطر كثير، قال الزمخشري: «مطير: فعيل بمعنى فاعل؛ لقولهم ليلة مطيرة، كأنه مطر، فهو مطير، كقولهم: رفيع، وفقير، من رفع، وفقر»^(٥)، وقال القسطلاني رحمه الله: «في ليلة:

(١) أبو داود، برقم ٥٠٨٢، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٨٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الترمذي، برقم ٣٥٧٥، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النسائي، برقم ٥٤٢٨، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) انظر: شرح السيوطي لسنن النسائي، ٢/ ١٥.

(٥) الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، ١/ ٤٨، مادة (مطر).

أي: مع يومها، بقرينة الظهر والعصر، مطيرة: أي كثير المطر ويومه»^(١).

٢- قوله: «طش»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الطش أقل ما يكون من المطر»^(٢).

٣- قوله: «في ظلمة شديدة»: أي: شديدة الظلام، ليس فيها شمس، ولا قمر، فلا يخرج الناس إلى أعمالهم، وصنائعهم، بل يمكثون في البيوت^(٣)، لعدم فائدة الخروج، والخوف من البرد، أو المطر، ويؤيد هذا قول ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ في شرح الظلمة الشديدة بوصفها: «أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ، وَفِي الْإِيْعَابِ أَنَّ مِثْلَ الْأَعْمَى فِيمَا يَظْهَرُ مَا لَوْ كَانَ فِي ظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ لِمَنْعِهَا أَهْلِيَّةَ التَّأَمُّلِ»^(٤).

٤- قوله: «ليصلي لنا»: أي: يصلي، ويدعو لنا، فالصلاة: «الدعاء، والرَّحْمَةُ، والاستِغْفَارُ، وَحُسْنُ الثَّنَاءِ مِنَ اللَّهِ ﷻ، عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَعِبَادَةٌ فِيهَا زُكُوعٌ وَسُجُودٌ، اسْمٌ يُوضَعُ مَوْضِعَ الْمَضْذِرِ، وَصَلَّى صَلَاةً، لَا تَصْلِيَّةً: دعا»^(٥).

٥- قوله: «فأدركناه»: أي: حتى وصلنا إليه، ولحقنا به، وفي اللسان: «الدَّرَكُ: اللَّحَاقُ وَالْوُضُولُ إِلَى الشَّيْءِ، أَدْرَكَتْ إِذْرَاكَ وَدَرَكَا ٢-

٦-... والدَّرَكُ: التَّبَعَةُ، يُسَكَّنُ وَيُحَرِّكُ. يُقَالُ: مَا لَحِقَكَ مِنْ دَرَكٍ فَعَلِي خَلَاصُهُ، وَالْإِذْرَاكُ: اللَّحُوقُ. يُقَالُ: مَشَيْتُ حَتَّى أَدْرَكَتْ، وَعِشْتُ حَتَّى أَدْرَكْتُ زَمَانَهُ، وَأَدْرَكَتْهُ بَبَصْرِي أَي: رَأَيْتَهُ»^(٦).

٧- قوله: «أصليتم؟»: أي: أن من يدخل المسجد عليهم، يتبادر إليه أنهم

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ١/ ٤٩١.

(٢) جامع الأصول، ٨/ ٤٩٣.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ١/ ٤١٠.

(٤) تحفة المحتاج بشرح المنهاج، لابن الملقن، ٨/ ٧٥.

(٥) القاموس المحيط، ١٣٠٤، مادة (صلي).

(٦) لسان العرب، ١٠/ ٤١٩، مادة (درك).

انتهوا من أداء الصلاة، حتى يدخل الداخل فيحسب أي: يظن أنهم قد صلوا، فيسألهم: أصليتم؟^(١).

٨- قوله: «قل، فلم أقل شيئاً»: أي: عندما سألهم عن أدائهم للصلاة، لم يجيبوه، فاستفهم من أحدهم، مرتين فلم يجبه أيضاً.

٩- قوله: «قل هو الله أحد والمعوذتين»: قوله: «المعوذات»: قال الحافظ في الفتح: «المعوذات أي: الإخلاص، والفلق، والناس»^(٢). وقال ابن الأثير: «الاستِعَاذَةُ والتَّعَوُّذُ» وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهُمَا، وَالْكُلُّ بِمَعْنَى، وَبِهِ سُمِّيَتْ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»: الْمَعَوِذَتَيْنِ^(٣)، وفي تاج العروس: «وربما قيل: الْمُعَوِذَاتُ بِالْجَمْعِ، بِإِضَافَةِ الْإِخْلَاصِ لِهَمَا عَلَى جِهَةِ التَّغْلِيْبِ؛ لِأَنَّهَا مِمَّا يَتَحَصَّنُ بِهَا، لِاشْتِمَالِهَا عَلَى صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى»^(٤).

١٠- قوله: «حتى تمسي»: «المساء: بَعْدَ الظُّهْرِ إِلَى صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ... وَأَمْسَيْنَا نَحْنُ: صِرْنَا فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ»^(٥).

١١- قوله: «حتى تصبح»: أي حتى يأتي عليك الصباح، و«الصُّبْحُ: أَوَّلُ النَّهَارِ، وَالصُّبْحُ: الْفَجْرُ، وَالصُّبْحُ: نَقِيزُ الْمَسَاءِ، وَالْجَمْعُ أَصْبَاحٌ... وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ: دَخَلُوا فِي الصُّبْحِ، كَمَا يُقَالُ: أَمْسَوْا دَخَلُوا فِي الْمَسَاءِ... يُقَالُ: أَصْبَحَ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ فِي الصُّبْحِ... وَأَصْبَحْنَا وَأَمْسَيْنَا أَيِ صِرْنَا فِي حِينِ ذَاكَ»^(٦).

١٢- قوله: «تكفيك من كل شيء»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: تدفع عنك كل

(١) انظر: إتحاف السادة المتقين، للزيدي، ٣/ ٣٤٧.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ٨/ ٧٥٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣١٨، مادة (عوذ).

(٤) تاج العروس، ٩/ ٤٤٤، مادة (عوذ).

(٥) لسان العرب، ١٥/ ٢٨١، مادة (مسو).

(٦) لسان العرب، ٢/ ٥٠٢، مادة (صبح).

شيءٍ سوءٍ، ويُحتمل أن يكون معناه: تغنيك عمّا سواها»^(١)، وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «وفي الحديث دليل على أن تلاوة هذه السور عند المساء، وعند الصباح تكفي التالي [أي القارئ لها] من كل شيء يُخشى منه، كائناً ما كان»^(٢).

ثالثاً: تفسير مفردات السور الثلاث:

١- مفردات سورة الإخلاص^(٣):

أ- قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ قولاً جازماً به، معتقداً له، عارفاً بمعناه.
 ب- قوله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

ج- قوله تعالى: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج، فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته، الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، ومن كماله أنه:

د- قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه.

هـ- قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لا في أسمائه، ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى.

فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات.

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٦٧١.

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٩٣.

(٣) تفسير السعدي، ص ٩٣٧، وانظر: مفردات حديث المتن، رقم ٧٠ من هذا الكتاب.

٢- مفردات سورة الفلق^(١):

أ- قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ متعوذاً.

ب- قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ﴾ أي: ألجأ وألوذ، وأعتصم.

ج- قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح.

د- قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وهذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخالقها، من الشر الذي فيها، ثم خص بعد ما عم، فقال:

هـ- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية.

و- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر.

ز- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود، فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين؛ لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عموماً وخصوصاً.

ودلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه، ومن أهله.

٣- مفردات سورة الناس^(٢):

أ- هذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلاهم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنه وشره، أنه يوسوس في

(١) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

(٢) تفسير السعدي، ص ٩٣٧، وانظر: مفردات حديث المتن رقم ٧٠ من هذا الكتاب.

صدور الناس، فيحسن لهم الشر، ويريهـم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويشبطهم عنه، ويريهـم إياه في صورة غير صورته.

ب- وهو دائماً بهذه الحال يوسوس ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه.

ج- فينبغي له أن يستعين، ويستعيد ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم.

د- وأن الخلق كلهم، داخلون تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو أخذ بناصيتها.

هـ- وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقطعهم عنها ويحول بينهم وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿مَنْ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(١).

٧٧- (٣) «أُضْبِحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ^(٢)، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ^(٣)، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ، وَفِتْنَةِ الدُّنْيَا^(٤)، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ^(٥)».

(١) انظر: مفردات حديث رقم ٧٠ من المتن، من هذا الكتاب.

(٢) وإذا أمسى قال: أمسينا وأمسى الملك لله.

(٣) وإذا أمسى قال: رب أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة، وشر ما بعدها.

(٤) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، برقم ٧٦- (٢٧٢٣).

(٥) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، برقم ٢٧٢٣، والدعاء للطبراني عن البراء بن عازب رضي الله عنه، ص ٢٨٣، برقم ٩٠٨، وحسن

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٦٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قَالَ الْحَسَنُ: فَحَدَّثَنِي الزُّبَيْدُ أَنَّهُ حَفِظَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ» ^(٢).

٢٦٣- وفي رواية: لمسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ، وَفِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْقَبْرِ» ^(٣).

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَزَادَنِي فِيهِ زُبَيْدٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، رَفَعَهُ، أَنَّهُ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ^(٤).

إسناده الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار ٢/ ٣٥٦.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٢٧٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ٧٦- (٢٧٢٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٧٦- (٢٧٢٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٢٦٤- وفي لفظ للطبراني عن البراء بن عازب رضي الله عنه^(١) قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْكَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «أصبحنا» أي: دَخَلْنَا «فِي الصَّبَاحِ ... أَيِ أَصْبَحْنَا مُتَلَبِّسِينَ بِحِفْظِكَ، أَوْ مَعْمُورِينَ بِنِعْمَتِكَ، أَوْ مُشْتَغِلِينَ بِذِكْرِكَ، أَوْ مُسْتَعِينِينَ بِاسْمِكَ، أَوْ مَشْمُولِينَ بِتَوْفِيتِكَ، أَوْ مُتَحَرِّكِينَ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، أَوْ مُتَقَلِّبِينَ بِإِرَادَتِكَ، وَقَدْرَتِكَ»^(٣).

٢- قوله: «وأصبح الملك لله»^(٤): قال ابن هبيرة رحمته الله: «في هذا الحديث خيرٌ، وبركةٌ، وتعليمٌ لهذه الكلمات، وهي تشتمل على معانٍ منها: أنه إذا أمسى، وإذا أصبح يُقرُّ بأن الملك لله ... والملك حقيقة لله ﷻ، وأن الملك لله ﷻ ملكاً، وولايةً، واستحقاقاً، فإذا قال العبد ذلك، واعتقده بقلبه، خرج من قلبه تعظيم ملوك الدنيا، ثم أتبع ذلك بالحمد لله، وذلك على نعمه الكثيرة التي لا تُحصى، منها: انفراد الله تعالى بالملك، فإن الملك يغار من أن يكون الملك إلا له وحده، فإذا قضى ﷻ بما يوافق محبة المؤمن، تعيّن على المؤمن أن يحمد الله تعالى على ذلك القضاء»^(٥).

٣- قوله: «والحمد لله» أي: الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما فله الحمد وحده على ذلك، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «الحمد، هو: الإخبار

(١) تقدمت ترجمته في الحديث ٢٨ من أحاديث الشرح.

(٢) الدعاء للطبراني، برقم ٩٠٨، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار، ٢/ ٣٥٦.

(٣) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٣٦.

(٤) وإذا أمسى قال: «أمسينا، وأمسى الملك لله».

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٢/ ١١٢، وانظر: شرح معنى أمسينا وأمسى الملك لله، في المفردة رقم ١٨ من هذا الحديث، ففيه زيادة توضيح لمعنى «أصبحنا وأصبح الملك لله».

بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»^(١).

٤- قوله: «لا إله إلا الله» أي: لا معبود بحق إلا الله، وفيها نفي لجميع المعبودات، وهي لا إله، ثم إثبات العبادة لله وحده، من قوله إلا الله، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله تَعَالَى، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله الله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لا بد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات... أي: تعبدوا له، وتوسلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»^(٢).

٥- قوله: «وحده لا شريك له»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، ... وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»^(٣).

٦- قَوْلُهُ: «لَهُ الْمُلْكُ»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدُ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ، وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»^(٤).

٧- قوله: «وله الحمد»: أي الحمد المطلق، فهو محمود في السراء حمد شكر، وفي الضراء حمد تفويض»^(٥).

٨- قوله: «وهو على كل شيء قدير»: قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثان وغير ذلك مما أراد بكم، وبغيركم قادر»^(٦)، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «... فأزمنة الأمور كلها بيده،

(١) بدائع الفوائد، ٥٣٧/٢، وتقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٣) فيض القدير، ٢٠٠ / ٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٤) المنتقى، شرح الموطأ للباقي، ٧٧ / ٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٥) تقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٦) تفسير الطبري، ٢٣٢ / ١٥.

ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»^(١).

٩- قوله: «رب أسألك خير ما في هذا اليوم»، وقوله: «مِنْ خَيْرِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ»: الخير هنا يشمل كل نفع في الدين، والذي يترتب عليه زيادة الإيمان، ويشمل كذلك كل نفع دنيوي يكسبه العبد، قال الطيبي رحمته الله: «(من خير هذه الليلة) أي: من خير ما ينشأ فيها، و(خير ما فيها)، أي: خير ما سكن فيها، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾»^(٢) «(٣)». وقال القاري رحمته الله: «أَيُّ: ذَاتَهَا عَيْنَهَا «وَحَيْرٌ مَا فِيهَا» قَالَ الطَّيْبِيُّ: أَيُّ: مِنْ خَيْرٍ مَا يَنْشَأُ فِيهَا، وَخَيْرٌ مَا يَسْكُنُ فِيهَا... وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: أَيُّ مِمَّا أَرَدَتْ وَقُوْعُهُ فِيهَا لِخَوَاصِّ خَلْقِكَ مِنَ الْكَمَالَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَخَيْرٌ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أُمِرْنَا بِهَا فِيهَا، أَوِ الْمُرَادُ خَيْرُ الْمُوجُودَاتِ الَّتِي قَارَنَ وَجُودُهَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَخَيْرُ كُلِّ مَوْجُودٍ الْآنَ»^(٤).

١٠- قوله: «وخير ما بعده»^(٥) أي: من الأيام التالية، كي يتحقق لي السلامة والتوفيق، قال ابن منظور رحمته الله: «بَعْدَ: كَلِمَةٌ دَالَّةٌ عَلَى الشَّيْءِ الْآخِرِ، تَقُولُ: هَذَا بَعْدَ هَذَا... بَعْدَ نَقِيضٍ قَبْلَ»^(٦).

١١- قوله: «وأعوذ بك من شر هذا اليوم» أي: ألتجئ إليك، وأعتصم بك من طوارق الليل والنهار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَالِاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ، وَسَيِّئَاتِ عَمَلِهِ، وَالِدُعَاءُ بِذَلِكَ فِي الصُّبْحِ وَالْمُسَاءِ، وَعِنْدَ الْمَنَامِ»^(٧)، وقال في موضع

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٥١.

(٥) وإذا أمسى قال: رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها

(٦) لسان العرب، ٣/ ٩٢، مادة (بعد).

(٧) مجموع الفتاوى، ١٤/ ٢٦٣.

آخر: «وَيَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ، وَسَيِّئَاتِ عَمَلِهِ، وَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَهُ عَلَى طَاعَتِهِ، فَبِذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ كُلُّ خَيْرٍ، وَيَنْدَفِعُ عَنْهُ كُلُّ شَرٍّ»^(١).

قوله: «شَرِّ مَا بَعْدَهُ»: قال القاري رحمته الله: «إِشْعَارًا بِأَنَّ دَرَّةَ الْمَفَاسِدِ أَهْمٌ مِنْ جَلْبِ الْمَنَافِعِ»^(٢).

١٢- قوله: «والهرم»: «الهرم: الكبر، وقد هرم يهرم فهو هرم، جعل الهرم داءً تشبيهاً به؛ لأنَّ الموتَ يتعقبه كالأدواء»^(٣)، وقال الطيبي رحمته الله: «الهرم: كِبَرُ السن الذي يؤدي إلى تماوت الأعضاء، وتساقط القوى، وإنما استعاض منه؛ لكونه من الأدوية التي لا دواء لها»^(٤).

١٣- قوله: «رب أعوذ بك من الكسل»: التواني عن فعل الطاعات مع القدرة على ذلك، قال الطيبي رحمته الله: «الكسل: الشاغل عما لا ينبغي الشاغل عنه، ويكون ذلك لعدم انبعاث النفس للخير، مع ظهور الاستطاعة»^(٥).

١٤- قوله: «وسوء الكبر» أي: ما يترتب على الكبر من ذهاب للعقل، أو خفة فيه، أو عدم سداد في الرأي، ونحو ذلك مما يكرهه الإنسان، قال الطيبي رحمته الله: «الكبر: يُروى بسكون الباء وفتحها، فالسكون بمعنى البطر، والفتح بمعنى الهرم، والفتح أصح، أقول [القائل الطيبي]: والدراية أيضاً تساعد الرواية؛ لأن الجمع بين البطر والهرم بالعطف، كالجمع بين الضبِّ والثُّون»^(٦)، وقال أيضاً رحمته الله: «والمراد بسوء الكبر: ما يورثه كبر السن من ذهاب العقل، والتخابط

(١) مجموع الفتاوى، ١٤/ ٣٢٠.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٧٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٥/ ٥٩٦، مادة (هرم)، وتقدم في شرح المفردة رقم

٤ من مفردات حديث المتن رقم ٦٠.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.

في الرأي، وغير ذلك مما يسوء به الحال، أقول [القائل الطيبي]: يمكن أن يُراد بالفقرات كلّها معنى الترقّي، استعاذ أولاً من الكسل، أي أعوذ أن أتثقل في الطاعة مع استطاعتي، ثم من الهرم الذي فيه سقوط بعض الاستطاعة، فيقوم ببعض وظائف العبادات، ثم من سوء الكبر الذي يصير فيه كالحلّيس المُلقى على الأرض، لا يصدر منه شيء من الخيرات»^(١).

١٥- قوله: «وفتنة الدنيا»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «وأصل الفتنة الاختبار والامتحان، يقال: فتنت الفضة على النار: إذا خلّصتها، ثم استعمل فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر استعماله في أبواب المكروه، ... ومنه أعوذ بك من فتنة النار، وقيل: إنها هنا على أصلها، من التصفية... وتكون بمعنى الإزالة والصرف عن الشيء»^(٢).

١٦- قوله: «من عذاب في النار» أي: أيُّ عذابٍ، ولو كان لمدة يسيرة؛ لأنه عذاب أليم، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «والتنكير في (عذاب) للتهويل والتفخيم»^(٣)، وقال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ: «أي: من عذاب النار، ويجوز أن يكون: أي من عذابٍ يكون فيها زيادة على عذابها»^(٤).

١٧- قوله: «وعذاب في القبر»: لأن القبر هو أول منازل الآخرة، فمن سلم من عذابه سلم هناك وسلم بعده، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «الدُّعَاءُ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَحْوِهِمَا عِبَادَةٌ وَقَدْ أَمَرَ الشَّرْعُ بِالْعِبَادَاتِ»^(٥).

١٨- قوله: «أَمْسِينَا وَأَمْسَى الْمَلِكُ لِلَّهِ»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمْسَى: إذا دخل

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ١٤٦.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٢/ ١١٣.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٢١٣.